سردم العربي

فصلية تعنى بالتواصل الثقافي الكردي- العربي
تصدر عن دار سردم للطباعة والنشر
السنة الرابعة- العدد (١٩) شتاء ٢٠٠٨

موقع المجلة على الإنترنيت
www.sardamco.com

المراسلات
عن طريق مدير التحرير
nawzadaa@yahoo.com
آسيا سيل: ٠٧٧٠١٤٢٠٩٠٩
سانا تيل: ٠٧٣٠١١٨٠١٤٢

الغلاف
قادر ميرخان

التصميم
جمال حسين

مطبعة دار سردم للطباعة والنشر

محتويات العدد

سردم العربي – العدد (19) 2008

دراسات وبحوث

دراسات تاريخية

دراسات أدبية ونقدية

شعر

قصة

مسرح

حوار

محتويات العدد

وثائق

شخصيات كردية

محطات ثقافية

تجارب الحكم الكردية.. رؤية نقدية

د. نجدت عقراوي*

عاش الكرد في العصر الحديث تجربتين للحكم المستقل أو شبه المستقل كانت أولاهما تجربة جمهورية مهاباد في إيران والثانية كانت تجربة حكم الكرد لأنفسهم في كردستان/العراق منذ عام ١٩٩٢، ولكل من التجربتين دروس وعبر ومعان خاصة لدى الكرد الذين تأرجحت قضيتهم بين الكفاح من أجل تقرير المصير وبين رفض الأنظمة الحاكمة في الدول التي توزعوا عليها الاعتراف بحقوقهم.

جمهورية مهاباد

ولدت جمهورية مهاباد عقب انتهاء الحرب العالمية الثانية نتيجة عوامل دولية، تمثلت في الصراع البريطاني السوفياتي على تقاسم النفوذ في إيران بهدف الاستفادة من الثروة النفطية فيها، وعوامل داخلية خاصة بالكرد تتمثل في حرمانهم من التمتع بالحقوق القومية والسياسية أسوة ببقية الشعوب الأخرى بإيران في ظل دستور ١٩٠٦.

كان الكرد يؤلفون ثالث أكثرية في إيران بعد الفرس والأذربيجانيين، أي حوالي سدس العدد الكلي لسكان إيران، ومع ذلك بدأت ومنذ أوائل الثلاثينيات سياسة صهرهم في إيران من خلال منع استخدام اللغة الكردية في المدارس والدوائر وترحيل الكرد وتغيير أسماء المدن الكردية، الأمر الذي حفز على نمو حركة قومية تحررية كردية منذ أوائل الأربعينيات من القرن الماضي اتخذت شكل تنظيم سياسي تجلى في تشكيل الحزب الديمقراطي الكردستاني/إيران بزعامة قاضي محمد.

وقد أدى هذا النشاط السياسي الكردي إلى تأسيس جمهورية مهاباد كواحدة من المكاسب التي استفاد فيها الكرد من دعم سوفياتي في وقت كانت فيه القوات السوفياتية لا تزال تسيطر على أجزاء من إيران منذ دخولها إلى هناك في صيف عام ١٩٤١ بصحبة القوات البريطانية، وكان من المفترض أن تنسحب القوات السوفياتية من إيران بمجرد انتهاء الحرب العالمية الثانية حسب اتفاقية عام ١٩٤٢ مع حكومة طهران

لكن السوفيات رفضوا الانسحاب من إيران عشية اندلاع الحرب الباردة وقاموا بالمساعدة على تأسيس جمهوريتين في منطقة نفوذهم العسكري داخل إيران، كانت أولاهما جمهورية أذربيجان بينما كانت الثانية جمهورية مهاباد في المنطقة الكردية من إيران.

تم إعلان ولادة (جمهورية مهاباد الشعبية الديمقراطية) بواسطة زعيم الحزب الديمقراطي الكردستاني في إيران قاضي محمد في ٢٢ يناير/كانون الثاني عام ١٩٤٦ وعاصمتها مدينة مهاباد، وشملت مساحتها ٣٠٪ من المساحة الإجمالية لكردستان الشرقية. وجاء إعلان تأسيس الجمهورية بعد بضعة أيام من قيام الحكومة الإيرانية بتقديم شكوى إلى هيئة الأمم ضد الاتحاد السوفياتي متهمة إياه بالتدخل في شؤونها الداخلية وعدم تنفيذ بنود معاهدة ١٩٤٢.

وكانت من نتيجة فشل الحكومة الإيرانية في حل الخلاف مع الاتحاد السوفياتي استقالة الحكومة الإيرانية، وتشكيل حكومة جديدة في ٢٧ يناير/كانون الثاني عام ١٩٤٦ برئاسة «قوام السلطنة»، وقد عمد هذا الأخير إلى استخدام الأسلوب السياسي لحل خلاف بلده مع موسكو، ومكث في العاصمة السوفياتية حوالي شهر، لكنه فشل في إقناع قيادة الكرملين بسحب قواتها.

انهيار الجمهورية

حصلت إيران على دعم بريطاني أميركي في مواجهتها السياسية مع موسكو، لكن انفراجا مفاجئا حصل في المواجهة، حيث أعلن الاتحاد السوفياتي استعداده للانسحاب من الأراضي الإيرانية خلال ستة أسابيع بعد حصوله على امتيازات نفطية في إيران وهي الامتيازات التي لم تجد طريقها للتنفيذ بعد ذلك بسبب رفض المجلس النيابي الإيراني لها.

وأصبحت إيران بعد الانسحاب السوفياتي جزءا من منطقة النفوذ البريطاني والأميركي، وكانت تصفية جمهوريتي مهاباد وآذربيجان جزءا من أولى نتائج هذه المتغيرات، إذ انه بعدما تأكد قوام السلطنة من حقيقة الموقف الأنجلوأميركي الداعم لإيران، وبانسحاب القوات السوفياتية قامت القوات الإيرانية في ديسمبر/كانون الأول عام ١٩٤٦ باقتحام جمهورية آذربيجان ثم بعد ذلك بأيام اقتحمت هذه القوات جمهورية مهاباد لتقضي على هذه الجمهورية الفتية، ثم لتقوم بعد ذلك وتحديدا في مارس/آذار ١٩٤٧ بإعدام قاضي محمد وعدد من معاونيه من قادة الجمهورية ومناضلي الحركة الكردية.

لم يكن شعار جمهورية مهاباد الانفصال بل الحصول على حق الحكم الذاتي رسميا داخل إيران. وشهدت التجربة التي استمرت نحو عشرة أشهر تشكيلات وزارية بزعامة قاضي محمد وقوات عسكرية محلية بزعامة مصطفى البارزاني (القائد الكردي العراقي بعد إخفاق تجربته في العراق عام ١٩٤٥).

وتمثل جمهورية مهاباد نقطة التحول في المطالب القومية الكردية من حيث الإعلان عن شكل من أشكال التنظيم الإداري السياسي، وإليها يعود الفضل في إنشاء أول مسرح كردي واستعمال اللغة الكردية في التعليم وجعلها اللغة الرسمية في الجمهورية وإنشاء جيش كردي وإذاعة كردية وتكوين نقابات مهنية وفي إغناء الصحافة الكردية والإصلاحات الزراعية والإدارية وفي إعطاء دور للمرأة وتطوير الفن الكردي وتحريك القضية الكردية دوليا .... إلخ.

وهناك بالطبع عوامل عديدة دولية وإقليمية وداخلية أدت إلى الانهيار السريع للجمهورية الوليدة، وتمثل أبرز العوامل الدولية في الصراع السوفياتي مع الغرب الذي استثمرته حكومة طهران، إلى جانب العوامل الداخلية المتعلقة بالمصالح الاقتصادية والاجتماعية للقبائل الكردية وعدم استطاعة الحزب الديمقراطي الكردستاني/إيران اعتماد سياسة دبلوماسية ناجحة في احتوائها فضلا عن الافتقار إلى إستراتيجية قومية مع أجزاء كردستان الأخرى

(تركيا، العراق، سوريا) إضافة إلى محدودية مساحة الجمهورية إلى جانب الارتجالية والعفوية والعاطفة القومية التي كانت من سمات هذه التجربة.

إقليم كردستان/العراق

ساهمت عوامل دولية وإقليمية وداخلية (عراقية وكردية) متداخلة في هذه التجربة، بدأت مع الاجتياح العسكري العراقي للكويت في أغسطس/آب ١٩٩٠ الذي قاد إلى حرب الخليج الثانية بين العراق وبين قوات التحالف من ٣٣ دولة انتهت بهزيمة عسكرية ووهن سياسي وأزمة اقتصادية عراقية.

وقد سعى التحالف الدولي إلى استثمار وجود المعارضة العراقية الناشطة آنذاك (ومن ضمنها الأحزاب الكردستانية) التي كانت مؤتلفة في جبهة سياسية وعسكرية منذ عام ١٩٨٧، فكان أن قادت هذه الجبهة في ٥ مارس/آذار ١٩٩١ انتفاضة شعبية مسلحة ساهمت فيها الأحزاب الكردستانية مع المليشيات العسكرية التي كانت تابعة للنظام السياسي العراقي (أفواج الدفاع الوطني) إضافة إلى قطاعات واسعة من الجماهير نتيجة استيائها من الممارسات الخاطئة للنظام السياسي العراقي في التعامل مع القضية الكردية وبالذات خلال الفترة من ١٩٧٥ إلى ١٩٩١.

واستقراء بانوراما الأحداث في هذه التجربة يشير إلى سيطرة الانتفاضة على معظم أجزاء كردستان/العراق خلال الفترة من ٥ إلى ٢١ مارس/آذار ١٩٩١، ولكنه بفعل عوامل دولية بدأ الخط التنازلي في سقوط مدن الانتفاضة (أربيل، السليمانية، كركوك، دهوك) في أيدي القوات العسكرية العراقية نتيجة عدم تكافؤ التوازن العسكري العراقي مع قوات الانتفاضة، ومن ثم بدأت الهجرة المليونية إلى الحدود الدولية (الإيرانية والتركية).

شعرت إيران وتركيا بخطورة الموقف عليهما، الأمر الذي دعا إلى مبادرة دولية لإنقاذ الموقف تجلت بوضوح في قرار مجلس الأمن الدولي ٦٨٨/١٩٩١ ومن ثم اعتماد النظام السياسي العراقي لسياسة الحوار . بإجراء مفاوضات مع أحزاب الجبهة الكردستانية في أبريل/نيسان وأكتوبر/تشرين الأول ١٩٩١، لكن تلك المفاوضات باءت بالفشل نتيجة عدم التفاهم حول موضوعات المناطق الجغرافية والتعددية السياسية.

وكانت نهاية المطاف بعد ذلك خروج الإدارات الحكومية العراقية في أكتوبر ١٩٩١ من مدن أربيل والسليمانية ودهوك لتشهد هذه المدن فراغا حكوميا تم ملؤه بسلطة الأمر الواقع لغاية مايو/ آيار ١٩٩٢، حيث جرت أول انتخابات تشريعية لبرلمان كردي في يونيو/حزيران ١٩٩٢.

تشكلت بعد ذلك أول حكومة كردية بين الحزبين الكردستانيين الرئيسين (الديمقراطي والاتحاد الوطني)، وبعد ذلك بدأت مرحلة جديدة على الصعيد الداخلي في بناء مؤسسات قانونية تجلت في جملة قوانين صدرت عن البرلمان خاصة بالوزارات وكيفية التعامل مع الوضع الجديد في إقليم كردستان بإطار قانوني وكل ذلك جرى في أجواء من حماية دولية للكرد في منطقتهم التي عرفت بـ(الملاذ الآمن).

ومهما يكن من أمر فإن التجربة هذه واجهت مشكلات عديدة تجلت فيما يأتي:

١-حصار دولي وعراقي كانت له آثاره الاقتصادية الصعبة على الرغم من المساعدات الإنسانية ولم يطرأ تغير ملحوظ على الوضع الاقتصادي إلا بعد صدور قرار مجلس الأمن الدولي ٩٨٦/١٩٩٦.

٢-عدم ارتياح إقليمي (تركي، سوري، إيراني، عراقي) من الأوضاع الجديدة في الإقليم تجلى في اجتماعات (طهران، دمشق، أنقرة) بدءا من عام ١٩٩٢ ثم وصل الأمر إلى حد التدخل بأشكال مباشرة وغير مباشرة .

٣-عدم وضوح السياسة الأميركية تجاه الإقليم وبالتالي ظل القلق من المستقبل سمة مرادفة للأوضاع الجديدة في الإقليم المتسمة بالضبابية السياسية ولم تتضح الصورة إلا بعد اتفاقية واشنطن ١٩٩٨ بين الفصيلين المتنازعين بوساطة أميركية.

٤-الصراع الحزبي المحتدم على الرغم من الائتلاف الحكومي، حيث وصل هذا الصراع إلى حد الاقتتال العسكري بين الحزبين الكرديين الرئيسيين، فأدى إلى شلل المؤسسات وغياب الشرعية القانونية (١٩٩٤-١٩٩٦)، ليؤول الأمر إلى إدارتين حكوميتين (أربيل، السليمانية). لكن وعلى الرغم من الوهن الذي أصاب البرلمان الكردي فإنه ظل المؤسسة الوحيدة القائمة بسبب استمرار محاولات تجديده ثم تفعيله بعد اتفاقية واشنطن ١٩٩٨.

٥-لقد اتسمت الحياة السياسية في تجربة الحكم في كردستان بتوفر مناخ من التعددية بين تيارات قومية ويمينية ويسارية في شكل أحزاب سياسية ساهمت بشكل أو بآخر من خلال صيغة التحالف مع الحزبين الرئيسين في تجربة الحكم، وبالتالي اتسمت التجربة بنوع من الانفتاح السياسي.

٦-إن نمط القبلية السائد في إقليم كردستان يختلف تماما عن الأنماط الأخرى من حيث التكوين والعلاقات والدور، حيث تركت التطورات السياسية والاقتصادية والاجتماعية بصماتها على مسار دور القبلية وطبيعة علاقاتها، وبالتالي تم احتواؤها في الإطار السياسي والقانوني والإداري لتنصهر إلى حد ما في بوتقة المرجعية القومية السياسية، حيث تتصدر الاهتمامات القومية الولاءات القبلية.

إقليم كردستان بعد الحرب

تسبب سقوط النظام السياسي العراقي في ٤/٩/ ٢٠٠٣ إثر الحرب التي شنتها الولايات المتحدة وحلفاؤها بانهيار المؤسسات الدستورية والقانونية في العراق ما عدا إقليم كردستان، وسرعان ما تنبه المجتمع الدولي إلى هذا الوضع الجديد، فكان أن صدرت قرارات مجلس الأمن الدولي (١٤٨٣ في ٢٠٠٣/٥/٢٢ و١٥١١ في ٢٠٠٣/١١/١٦ و١٥٤٦ في ٢٠٠٤/٦/٨) ، لتنظيم ترتيبات الانتقال السياسي في العراق.

وتجلت هذه الترتيبات في البدء بتجربة مجلس الحكم الذي أصدر قانون إدارة الدولة للمرحلة الانتقالية، ثم انتقال السلطة وإجراء عمليتين انتخابيتين خلال عام ٢٠٠٥ إلى جانب كتابة دستور دائم والاستفتاء الشعبي عليه، وفي كل هذه التطورات كان إقليم كردستان طرفا فاعلا في الأحداث.

وشهدت هذه الفترة تنسيقا بين الأطراف السياسية الكردستانية في إطار قائمة التحالف الكردستاني وكانت جزءا من انتخابات ٢٠٠٥/١٠/٣٠، حيث تشكل ثاني برلمان كردستاني، وكانت أيضا جزءا من التصويت على الدستور الجديد في ٢٠٠٥/١٠/١٥ وقبل ذلك المشاركة في تجربة مجلس الحكم والحكومة الانتقالية والانتخابات التشريعية العراقية. ويجد التفسير القانوني للموضوع نفسه في اتخاذ الكرد لشكل الاتحاد الاختياري في الدولة العراقية الجديدة القائمة على الأسس الديمقراطية والبرلمانية والاتحادية (الفدرالية) المثبتة في الدستور الجديد، أما التفسير السياسي فيجد نفسه في ظل الأوضاع الدولية والإقليمية التي يحذر فيها الكرد من إعلان استقلالهم.

وقد اتخذت خطوات لتوحيد الادارتين (أربيل، السليمانية)، في مقدمتها تشكيل حكومة مشتركة نالت ثقة البرلمان الكردي في السابع من مايو/ آيار ٢٠٠٦، الى جانب خطوات اخرى سبقت ذلك كاستحداث منصب رئاسة الإقليم.

وفي كل الأحوال فإن العملية السياسية الجارية في العراق ما هي إلا معادلة معقدة تتفاعل فيها عوامل داخلية تتجلى في الخارطة السياسية الداخلية والأوضاع الأمنية والاقتصادية والاجتماعية الصعبة، وعوامل خارجية تتجلى في الملف الإقليمي المعقد للموضوع (إيران، تركيا، سوريا، دول الخليج، الجامعة العربية) والملف الدولي (الولايات المتحدة وبريطانيا، منظمة الأمم المتحدة).

والقضية الكردية جزء من هذه المعادلة التي تتسم بالضبابية المستقبلية، ولكن الكرد على ما يبدو استفادوا من تجارب الماضي وبدأوا بصياغة تحالفات

مرحلية وإستراتيجيات مستقبلية مدروسة على أساس من توقع الاحتمالات والتحسب لها.

مناطق الكرد الأخرى

لا تزال سياسات الدول الأخرى (إيران، تركيا، سوريا) قائمة على الإحساس بأن قبولها للمطالب القومية الكردية فيها يعني تعرضها لخطر التجزئة ومن ثم تتعامل مع القضية من منظور الإنكار الدستوري والقانوني للحقوق القومية والتعامل بأسلوب استثنائي قائم على الأحكام العرفية والطوارئ، وعدم امتلاك أية رؤية ديمقراطية لمعالجة المشكلة، وفي الواقع فإن ذلك يشكل خطورة عليها في ظل التطورات الخارجية والداخلية وبالتالي يجب عليها اعتماد مراجعة لسياساتها وإعادة تقييم لأوضاعها في ضوء تجربة كردستان/ العراق، حيث لابد من اتخاذ سياسات واقعية وموضوعية.

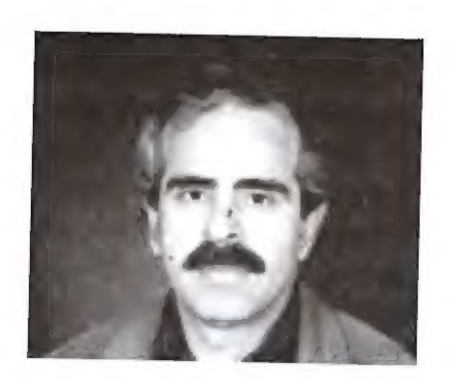
*أستاذ التاريخ في جامعة صلاح الدين/أربيل



الارهاب كبناء اجتماعي

تأليف: عادل باخةوان
من مطبوعات دار سردم للطباعة والنشر
٢٠٠٧

الكرد في بلاد مصر
(٢-٣)



د. محمد علي الصويركي
عمان - اتحاد الكتاب والادباء الاردنيين

الدور الكردي في مصر يتجدد مرة أخرى خلال القرن التاسع عشر

أولاً: الهجرة الكردية الى مصر

كانت مصر- إضافة إلى بلاد الشام- المهجر المحبَّب إلى الكرد منذ عهد الدولة الأيوبية (١١٧١ — ١٢٥٠ م)، إذ هاجر إليها خلال تلك الفترة آلاف الأسر الكردية، وانتشروا فيها من أقصى الجنوب إلى أقصى الشمال، وكانوا بين حاجب، وجندي، وموظف، وعالم، وتاجر، وإقطاعي، وبرز منهم نوابغ لعبوا دورا بارزا في تاريخ مصر السياسي والثقافي والفني(٤٠).

وبقي الكرد يتوافدون على مصر طوال العصور اللاحقة أيام المماليك والعثمانيين على هيئة جند وقادة عسكريين وحكام إداريين ، وشهد القرن التاسع عشر أيام العهد العثماني نزوح عناصر مختلفة من الترك والكرد والأرمن إلى مصر من بلاد الأناضول الجبلية من مدن ارضروم وسيواس وأورفا ومرعش وعينتاب وقيصرية وملطية، وكانوا حريصين على الانتساب إلى المناطق التي نزحوا منها، فنجد أسماء الأورفلي والمرعشلي والوانلي والمورلي...وما زالت هذه الأسماء مقرونة إلى اليوم ببعض العائلات المصرية، وان فترة حكم محمد علي باشا شهدت زيادة ملحوظة في عدد المهاجرين الترك إلى مصر وخصوصا من منطقة (قوله) موطن رأس محمد علي، وكانوا أكثر اتباعه إخلاصاً له، وأكثرهم زهواً وصلفاً.

كما وجدت في مصر عناصر كردية تمتعت بمكانة متميزة، هاجرت إلى مصر من مدن كردستان مثل أورفا ووان وديار بكر وماردين وارضروم، وقامت بدور بارز خلال وجودهم فيها، فكان لهم دور كبير في الحياة الاجتماعية والسياسية والعسكرية، وتلقبوا بالكردي نسبة إلى مناطق نزوحهم الأصلية، وتولى بعضهم مناصب عليا في الإدارة والجيش، وإن محمد علي باشا كان يرحب بهم في مصر، واعتمد عليهم في تثبيت أركان دولته، كما خصص الأزهر الشريف

رواقاً للكرد تخرج منه العديد من العلماء الكرد الذين رجعوا إلى كردستان حاملين معهم العلوم الأزهرية وساهموا في نشر الإسلام واللغة العربية..

وقد ظلت الأقليات العرقية في مصر من الأتراك والأرمن والشركس والكرد تتمتع بامتيازات كبيرة في الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية ردحا طويلا من الزمن وخصوصا أيام حكم محمد علي باشا وأحفاده من بعده (١٨٠٠-١٩٥٢م)، وكانت هذه الأقليات العرقية تشعر بأنها بدون جذور محلية من الناحية الاجتماعية، وانعكس ذلك على سلوكها الاجتماعي، فأصاب افرادها الشعور بالاستعلاء والتكبر، فتمتعت بمكانة اجتماعية متميزة، وكان ينتابهم القلق خشية الذوبان في الأغلبية، لذا بقوا متسلطين على الأغلبية المصرية حتى زحف الأوروبيون من الفرنسيين والإنجليز إلى مصر وزاحموهم على مواقعهم البارزة، وفي نهاية المطاف انتزعوا منهم أغلب امتيازاتهم السياسية والاقتصادية والإقطاعية، ثم ظهرت بعد ذلك عناصر محلية مصرية تعلمت وتثقفت وتمكنت من السيطرة على قيادة مصر بعد ثورة يوليو عام ١٩٥٢م، وانتهجت هذه القيادة نهج الإصلاح السياسي والاجتماعي والاقتصادي، فقضت على الإقطاع والملكيات الواسعة وانتزعت الوظائف العليا من هذه الأقليات التي كان أحفاد محمد علي يعتمدون عليهم في إرساء حكمهم وتثبيت سيطرتهم، وفي نهاية المطاف ذابت هذه الأقليات العرقية في الأغلبية المصرية ولم يبق لها من جذورها سوى الاسم العائلي، وبعض من الملاحم الجسمانية التي تشير إلى أصولهم الأولى(٤١).

الوجود الكردي في مصر اليوم

يعيش العديد من الكرد اليوم في مصر، وهم منتشرون في أماكن مختلفة تمتد من الإسكندرية شمالا إلى إسوان جنوباً، وقد انصهر القسم الأكبر منهم في البوتقة المصرية، ولا يزال الكرد القاطنون في المدن المصرية معروفين بأصولهم الكردية، ومنهم من يشغل مواقع بارزة، ومنهم الحكام والمحامون والصحفيون والمدراء والفنانون....

وهناك عائلات كردية استقرت في صعيد مصر تمارس حياة عادية لا تتميز عن بقية الشعب المصري، وهناك جمعية في حي شبرى بالقاهرة باسم « الجمعية الكردية» أسسها كرد الصعيد(٤٢)،كما يوجد العديد من الطلبة الكرد في جميع بلاد كردستان ممن تلقوا تعليمهم الجامعي في جامعات مصر وخاصة جامعة الأزهر الشريف.

ومن العائلات الكردية المعروفة في مصر عائلة «تيمور باشا» التي ينتسب إليها الكاتب احمد تيمور باشا، والشاعرة عائشة التيمورية، والأديب محمود تيمور. وعائلة بدرخان، والأورفلي، ظاظا، الكردي، وانلي، عوني، الكردي، الاباضية، خورشيد، آغا....

فعلى سبيل الذكر سكنت عائلة من آل بدرخان بمدينة الفيوم وعرفوا باسم (والي) لأنهم كانوا ولاة على هذه المدينة، لذلك اصبح لقب الوالي تسمية لهم ويعرفون بها، وعرفنا منهم سيد بك والي(بدرخان) الذي أرسل برقية تعزية من الفيوم يوم وفاة جلادت بدرخان بدمشق ، وسكن بعض من آل بدرخان في القاهرة، وهؤلاء البدرخانيون من أحفاد أمير بوتان الكردي بدرخان باشا.

وهناك العديد من أعلام مصر يعودون إلى أصول كردية أمثال أمير الشعراء احمد شوقي، والأديب محمود تيمور، والإمام المصلح محمد عبده، والمخرج احمد بدرخان، وعلي بدرخان، ومحرر المرأة قاسم أمين، والأديب عباس محمود العقاد، وعامر العقاد، احمد أمين، الدكتور حسن ظاظا، الشيخ عبد الباسط محمد عبد الصمد، احمد رمزي، درية عوني...

كما أن كثير من القرى المصرية يحمل لفظ الكرد، مثل « كفر الكرد»، و «منية الكردي»، و «قرية الكردي» مركز دكرنس بمحافظة الدقهلية بالوجه البحري. وتقول درية عوني: وهل يعلم سكان الزمالك، أن كلمة «الزمالك» هي كلمة كردية تعني مصيف

الملوك، ويقال بأنها كانت المكان الذي يصيف به الملوك الأيوبيين أيام حكمهم لمصر، حيث كانت هذه المنطقة تعج بالحدائق الغناءة في ذلك الحين.

ثانياً: سليمان الحلبي الكردي يقتل كليبر في القاهرة ١٨٠٠م

في شهر حزيران من عام ١٨٠٠ قام البطل الكردي سليمان الحلبي بقتل كليبر قائد الجيش الفرنسي والحاكم العام بمصر بعد عودة نابليون إلى فرنسا.

ولد هذا البطل الكردي المدعو سليمان محمد أمين أوس قوبار من عائلة عثمان قوبار والمشهور بسليمان الحلبي عام١٧٧٧ في قرية كُوكَانْ فوقاني «الجَزْرُونِيَّة» (التابعة لمنطقة عفرين في الشمال الغربي من مدينة حلب).

نشأ بحلب، ثم أرسله والده عام ١٧٩٧م إلى القاهرة ليتلقى تعليمه بالأزهر الشريف . وهناك توطّدت صلته بأستاذه الشيخ أحمد الشرقاوي .. الذي رفض الاستسلام للغزوة الفرنسية .. مساهماً في إشعال فتيل ثورة القاهرة الأولى يوم ٢١ أكتوبر ١٧٩٨. وكان سليمان الحلبي بجانب أستاذه الشيخ الشرقاوي عند اقتحام جيش نابليون أرض الجيزة ، ثم أرض (المحروسة - القاهرة).

وراح الغزاة الفرنسيون يذيقون الشعب المصري الويلات .. لذلك أججوا (ثورة القاهرة الأولى) ضد الغزاة انطلاقاً من منطقة الجامع الأزهر . وردَّ عليهم الغزاة بقذائف مدافعهم التي نالت من قدسية (المسجد الأكبر)، ودنسته خيول الغزاة باحتلاله .. وحكموا على ستةٍ من شيوخ الأزهر بالإعدام «منهم الشيخ الشرقاوي أستاذ سليمان الحلبي»، واقتيدوا إلى القلعة، حيث ضربت أعناقهم .. ثم انتشلت أجسادهم إلى أماكن مجهولة ..

وبعد تمكن الغزاة من إخماد ثورة القاهرة الأولى، تضاعفت مظالمهم، ولوحق كل مشبوه باسم الجهاد أو المقاومة الشعبية الوطنية المصرية. فاختفى من اختفى ، وهرب من مصر من هرب. وكان سليمان الحلبي .. ممن غادروا أرض مصر إلى بلاد الشام بعد الغياب ثلاث سنوات ، وتوجه إلى مسقط رأسه (قرية كوكان/عفرين)، فيلتقي بأحد قادة العثمانيين في حلب (أحمد آغا/ وهو من انكشارية إبراهيم بك)، فيأمره بالتوجه إلى مصر لأداء واجبه الإسلامي الجهادي.. وكلفه بمهمة اغتيال خليفة بونابرت الجنرال كليبر..

تابع سليمان الحلبي مسيرته حتى وصل إلى القدس، وصلى في المسجد الأقصى في مارس (آذار) عام ١٨٠٠ ، ثم توجه إلى الخليل حيث إبراهيم بك ورجاله في جبال نابلس . وبعد عشرين يوماً من إقامته في الخليل، سار في أبريل (نيسان) ١٨٠٠ إلى غزة في استضافة: ياسين آغا «أحد أنصار إبراهيم بك» في الجامع الكبير، وسلمه سليمان رسالة من أحمد آغا المقيم في حلب .. تتعلق بخطة تكليفه بقتل الجنرال كليبر.. نظراً لكون سليمان عنصراً من عناصر المقاومة.. التي تناضل في سبيل تحرير مصر من الغزاة.

وفي غزة .. سَلَّمَ ياسين آغا ٤٠ قرشا إلى سليمان الحلبي .. لتغطية نفقات سفره برفقة قافلة الجمال التي تحمل الصابون والتبغ إلى مصر، وليشتري سكينة من محلةٍ في بلدة غزة (وهي السكينة التي قتل بها سليمان، الجنرال كليبر).

استغرقت رحلة القافلة من غزة إلى القاهرة ستة أيام، وانضم سليمان ثانية إلى مجموعة طلاب الأزهر الشوام المقيمين في (رواق الشوام)، وكان منهم أربعة مقرئي القرآن من فتيان فلسطين أبناء غزة، هم: محمد و عبد الله و سعيد عبد القادر الغزي، وأحمد الوالي. وأعلمهم عزمه على قتل الجنرال كليبر، وأنه نذر حياته للجهاد في سبيل تحرير مصر من الغزاة .. وربما لم يأخذوا كلامه على محمل الجد.

وفي صباح يوم ١٥ يونيو ١٨٠٠.. توجه سليمان الحلبي إلى (بركة الأزبكية)؛ حيث يقيم الجنرال كليبر، وبعدما فرغ كليبر من تناول الغداء في قصر مجاور لسكنه ومعه كبير المهندسين الفرنسيين قسطنطين

بروتاين.. وكان سليمان قد دخل حديقة القصر، وتمكن من طعن الجنرال كليبر بسكينته أربع طعنات قاتلة. وتمكن كذلك من طعن كبير المهندسين ست طعنات في أماكن مختلفة من جسمه..

شاء القدر أن يقبض عليه، وأجريت له محاكمة عسكرية فرنسية قضت بإعدامه صلبا على الخازوق، بعد أن تحرق يده اليمنى، ثم يترك طعمة للعقبان، ونفذ فيه ذلك، في تل العقارب، يوم ١٨ حزيران ١٨٠٠م. وبقي جثمانه على الخازوق عدة أيام .. تنهشه الطيور الجوارح، والوحوش الضواري، وعلقت إلى جانبه رؤوس ثلاثة من علماء الأزهر- أصلهم من غزة - كان قد أفضى إليهم بعزمه على القتل، ولم يفشوا سره، وتم حرق أجسادهم حتى التفحم.

وكان ذلك بعد دفن الجنرال كليبر في موضع قريب من (قصر العيني) بالقاهرة.. باحتفال رسمي ضخم.. ثم وضع جثمانه في تابوتٍ من الرصاص ملفوفٍ بالعلم الفرنسي، وفوق العلم سكين سليمان الحلبي المشتراة من غزة. وقد حمل إلى باريس، عظام الجنرال كليبر في صندوق، وعظام سليمان الحلبي في صندوق آخر.

وعند إنشاء متحف (انفاليد ـ الشهداء) بالقرب من (متحف اللوفر) في باريس، خصص في إحدى قاعات المتحف اثنان من الرفوف: رف أعلى.. وضعت عليه جمجمة الجنرال كليبر، ورف أدنى تحته.. وضعت عليه جمجمة سليمان الحلبي، وإلى جانبها لوحة صغيرة مكتوب عليها: جمجمة المجرم سليمان الحلبي. والجمجمتان لا تزالان معروضتين في ذلك المتحف إلى اليوم. وما زال الخنجر الذي طعن به كليبر محفوظا في مدينة كاركاسون بفرنسا.

وهكذا قدم الحلبي حياته رخيصة من أجل الأخوة العربية - الكردية، وكان بطلاً حقيقياً، وفتى من شهداء الإسلام والحرية والوطنية (٤٣).

محمد علي باشا الكبير يؤسس مصر الحديثة

إن أغلب المصادر التي تناولت سيرة محمد علي باشا الكبير تذكر بأنه من جذور تركية أو ألبانية، لكن الحقيقة التاريخية الصائبة تؤكد كردية هذا القائد الكبير، من خلال ما اعترف به أحفاده فيما بعد، ففي عام ١٩٤٩ صرح حفيده الأمير محمد علي - ولي عهد الملك الفاروق ملك مصر آنذاك- لمجلة "المصور" المصرية في مقابلة أجراها معه أديب مصر الكبير عباس محمود العقاد بقوله : بأن جدهم محمد علي باشا كردي الأصل تعود جذوره إلى مدينة ديار بكر عاصمة كردستان تركيا، وأكد ذلك ايضا الأمير حليم أحد أحفاد محمد علي باشا، وقد نشرت هذه الاعترافات تحت عنوان"ولي العهد حدثني عن ولي النعم..." في مجلة (المصور) المصرية عام ١٩٤٩ وذلك بمناسبة مرور مئة عام على وفاة مؤسس مصر الحديثة محمد علي باشا، وقد جاء في متن المقال ما نصه:

"... وقال سموه في أمانة العالم المحقق: لا أعلم ولا أبيح لنفسي الظن فيما لا اعلم، ولكني أحدثكم بشيء قد يستغربه الكثيرون عن نشأة الأسرة العلوية (المنسوبة لمحمد علي)، فان الشائع أنها نشأت على مقربة من قولة في بلاد الارناؤوط (ألبانيا)، ولكن الذي اطلعت عليه في كتاب ألفه قاضي مصر على عهد محمد علي أن أصل الأسرة من ديار بكر في بلاد الكرد، ومنه انتقل والد محمد علي وإخوانه إلى (قولة)، ثم انتقل أحد عميه إلى الاستانة، ورحل عمه الثاني في طلب التجارة، وبقي والد محمد علي في قوله. وقد عزز هذه الرواية ما سمعناه منقولا عن الأمير حليم (أحد أحفاد محمد علي) انه كان يرجع بنشأة الأسرة إلى ديار بكر في بلاد الكرد"(٤٤).

ويعلق العقاد على هذا الكلام بقوله: "حسب بلاد الكرد شرفا أنها أخرجت للعالم الإسلامي بطلين خالدين: صلاح الدين ومحمد علي الكبير، وقد تلاقيا في النشأة الأولى، وفي النهضة بمصر، وفي نسب القلعة

اليوسفية إليهما (قلعة القاهرة)، فهي بالبناء تنتسب إلى صلاح الدين، وبالتجديد والتدعيم تنسب إلى محمد علي الكبير". وفيما يلي لمحة موجزة عن حياة محمد علي باشا باني مصر الحديثة:

وهو محمد علي باشا ابن إبراهيم آغا (١٧٦٩-١٨٤٩م): والي مصر، وباعث نهضتها المعاصرة، ومؤسس الأسرة الخديوية بها، ولد في قوله من أعمال الروملي (اليونان) سنة ١٧٦٩م، توفي والده وهو فتى، فكفله عمه طوسون آغا، ثم قتل، فكفله رجل من أصدقاء والده، فربي أميا لا مرشد له إلا ذكاءه الفطري وعلو همته، وكان يجاهر بذلك ويفاخر به.

كان محمد علي وكيل الفرقة العسكرية التي حشدت من (قولة) مع الجيش العثماني الذي جاء إلى الديار المصرية لإخراج الفرنسيين منها (١٧٩٨-١٨٠١)، ولما انهزم الجيش العثماني في موقعة أبي قير سنة ١٧٩٩، سافر رئيس تلك الفرقة إلى بلاده، وأقام محمد علي مقامه، ورقي إلى رتبة بكباشي.

بعد خروج الفرنسيين من مصر ١٨٠١م، طلب العسكر توليته على مصر حينما ضاق المصريون ذرعا بحكم الوالي خورشيد باشا، فبعث السلطان العثماني بفرمان بتوليته على الديار المصرية وكان ذلك سنة ١٨٠٥م.

قام أولاً بإنهاء سطوة المماليك في مصر، فدعاهم إلى القلعة لتوديع ابنه طوسون باشا الذي سيره لقتال الوهابيين في الحجاز، وبعد أن اجتمعوا في القلعة، أغلق الأبواب، وقتلهم عن بكرة أبيهم إلا واحدا تمكن من الفرار. واستطاع استئصال شأفتهم في اليوم التالي سنة ١٨١١م، ولما انقضى أمر المماليك وجه عنايته إلى إصلاح القطر المصري، واسترضاء الدولة العثمانية، ففتح السودان ١٨٢١-١٨٢٣م، واخمد ثورة الوهابيين في الحجاز بقيادة ابنه طوسون إلى الجزيرة العربية عام ١٨١١، وحملة ابراهيم باشا التي قضت عام ١٨١٨ على الدولة السعودية الأولى (١٧٧٤-١٨١٨).، وساعد العثمانيين على إخماد ثورة اليونان.

وقام ببناء جيش نظامي، وبناء السفن الحربية، وتحسين ميناء الإسكندرية، وبناء الجسور، وعمل الأسلحة الحربية، وترقية الزراعة والصناعة والتجارة والتعليم، واستعان بالأجانب وخاصة الفرنسيين، وعمل المصانع لنسج القطن والحرير، وإيصال المياه إلى الإسكندرية، وبناء سد أبي قير، والقناطر الخيرية التي لولاها لما أمكن زراعة القطن في الوجه البحري، وإرسال البعثات العلمية لأوروبا، وتأسيس المدارس.

ولم يكتف بما ناله من الملك في مصر، بل طمح إلى الاستيلاء على سوريا، وجهز جيشاً بقيادة ابنه إبراهيم باشا للاستيلاء عليها، وكان له ذلك، وطمع بفتح الأناضول، ففتح أضنه وقونية وكوتاهية ١٨٣٣، وصارت أبواب استانبول مفتوحة أمام إبراهيم باشا، وهددت عاصمة الخلافة في تركيا، لكن الدول الأوروبية وقفت إمام طموحاته، فقام بالجلاء عن جميع فتوحه بمقتضى معاهدة لندن ١٨٤١، وقررت أن تكون ولاية مصر له ولذريته من بعده، ويخرج من بقية سورية، وعاد ابنه إبراهيم باشا إلى مصر، وصرف همه إلى إصلاح البلاد المصرية والنهوض بها، وادخل بها إصلاحات كثيرة في جميع نواحي الحياة.

لكن دماغه كان قد كل وتولاه الاختلال، وصار يحسب الذين حوله خونة يقصدون الإيقاع به، فأعطيت السلطة لابنه إبراهيم باشا سنة ١٨٤٨م. وتوفي بالإسكندرية سنة ١٨٤٩م، ودفن بجامع القلعة، ولم تطل ولاية إبراهيم باشا سوى سبعين يوماً فتوفي قبل أبيه وهو في الستين من عمره، وخلفه في الولاية حفيده عباس الأول.

وفيما يلي أعضاء الأسرة الخديوية العلوية التي حكمت مصر(أبناء وأحفاد محمد علي باشا) من عام ١٨٠٥-١٩٥٢م:

*محمد علي باشا ١٨٠٥ -١٨٤٩

*ابراهيم باشا بن محمد علي باشا ١٨٤٨ (من يونيه إلى نوفمبر)

*عباس الأول بن طوسون باشا ١٨٤٨-١٨٥٤

*سعيد باشا بن محمد علي ١٨٥٤ -١٨٦٣
*إسماعيل باشا بن محمد علي ١٨٦٣-١٨٧٩
*توفيق ١٨٧٩- ١٨٩٢
*عباس حلمي الثاني ١٨٩٢-١٩١٤
*السلطان حسين كامل ١٩١٤- ١٩١٧
*السلطان احمد فؤاد ١٩١٧- ١٩٢٢
*ثم اصبح الملك فؤاد الأول ١٩٢٢- ١٩٣٦
*الملك فاروق الأول ١٩٣٦- ١٩٥٢ (٤٤)

القادة العسكريون والإداريون الكرد في عهد محمد علي باشا وأسرته

لقد اعتمد محمد علي باشا بشكل رئيس على القادة الكرد في تثبيت ولايته على مصر، وهذا يدل دلالة قاطعة على حبه لابناء جلدته الكرد أولاً، ومدى الإخلاص والوفاء الذي اشتهر به الكرد ثانيا، ومن هؤلاء القادة الكرد الذين خدموا بمعيته وبمعية أحفاده فيما بعد:

*القائد حجو بيك:

كان قائدا كرديا من الطراز الأول، والساعد الأيمن لمحمد علي باشا في تأسيس دولته، والقضاء على فوضى المماليك بمصر.

كان الفتى حجو = حاجو يبلغ الخامسة عشرة من عمره في مسقط رأسه (وان) في كردستان تركيا حينما طلب السلطان سليم الثالث العثماني من حكام الأقاليم والبلاد جمع أبناء الأعيان وزعماء القبائل وإرسالهم إلى الاستانة لتعليمهم فنون الحرب والأنظمة العسكرية الحديثة، فكان من حظ هذا الفتى السفر إلى الاستانة، ثم أدرنة، والانخراط في سلك الجيش النظامي الحديث، ولما تخرج حاجو في الجيش برتبة (يوزباشي سواري) كان الشغب ابتدأ بين الانكشارية وبين النظاميين من العسكر العثماني، فانتهز الفرصة وعاد إلى مسقط رأسه (وان) وأخذ يحدث صهره الشيخ عبيد الله بما ظهر في دار الخلافة من فساد الإدارة، وانتشار الفتن والدسائس، فهاله الأمر حينما سمع بذلك، وبينما الأمر كذلك إذا يخبر بنزول الفرنسيين إلى مصر، فكلف اليوزباشي حجو بجمع من يمكن جمعه من الجنود الكرد الأشداء المجاهدين في سبيل الله والالتحاق بجيش الصدر الأعظم يوسف ضيا باشا المكلف بالزحف على مصر وطرد الفرنسيين منها.

فيتم حجو بيك مهمته، ويجمع ألفاً من المجاهدين الأشداء ويتعين دليل باشيا(بيكباشي) عليهم، ويلتحق بجيش نصوح باشا كقوة غير نظامية. ثم يشترك حجو بيك في جميع الأعمال العسكرية التي حدثت بين الجيشين التركي والفرنسي في مصر.

ولما ارتد الجيش التركي أمام الجيش الفرنسي بقيادة (كليبر) إلى الخانكة سنة ١٨٠٠م، كان حجو يحمي مؤخرة الجيش العثماني المرتد.

ثم يختفي ذكر حجو بيك وجيشه حتى يظهر فيما بعد في أوائل عهد محمد علي باشا الذي كان معجبا به، ومقدراً لفضله في الحروب، وتدبير الأمور، حتى سماه(يلديرم حجو= حجو الصاعقة) لأنه أنقذ القاهرة من غارة المماليك عليها على حين غرة، كما هو مبسوط في تاريخ الجبرتي، ويصبح الساعد الأيمن لمحمد علي باشا في تأسيس دولته، والقضاء على فوضى المماليك بمصر(٤٥).

* المشير شاهين باشا

وهو المشير شاهين باشا ابن علي آغا الكردي الأصل المعروف بلقب «كنج»، وزير الحربية المصري في عهد محمد علي باشا.

أخذه والده إلى مصر في عهد واليها محمد علي باشا، فدرس في المدرسة العسكرية (سان سير) في باريس، والتحق بالجيش المصري، وتوجه مع هذا الجيش إلى الحجاز لتأديب الوهابيين، وهناك اظهر شجاعة فائقة، وتقدم شيئا فشيئاً في عهد عباس باشا وسعيد باشا. ورفع إلى رتبة قائممقام في عهد الوالي عباس باشا الأول. وحارب في القرم سنة ١٨٥٣ — ١٨٥٥م مع الحملة المصرية التي أرسلت لإسناد الجيش التركي، ورفع إلى رتبة (ميرآلاي) سنة ١٨٥٥م.

عين محافظا للقاهرة سنة ١٨٦٦، وأوفده الخديوي إسماعيل في تلك السنة ضمن بعثة عسكرية إلى فرنسا، ورفع إلى رتبة فريق، وحضر استعراضاً عسكرية أقامه الإمبراطور نابليون الثالث في باريس بمناسبة عودة الكتيبة السودانية التي أرسلت مع الجيش الفرنسي إلى المكسيك ١٨٦٧. وأوفد إلى السودان في هذه السنة نفسها للتحقيق في تمرد الجيش السوداني في كسلا وسواكن.

عين وزيرا للحربية المصرية سنة ١٨٦٩. وزار السودان مرة ثانية سنة ١٨٧١م لتفتيش السودان الشرقي. ثم أسندت إليه سنة ١٨٧٥ إدارة سكة حديد السودان التي قرر مدّ خطوطها من وادي حلفا إلى دنقلا.

تدرج في الرتب العسكرية حتى نال رتبة مشير، وتولى وزارة الحربية في وزارة محمد شريف باشا ١٨٧٩، وفي هذه السنة خلع الخديوي إسماعيل فذهب معه إلى نابولي بإيطاليا، وهناك أدركته الوفاة سنة ١٨٨٤م، ونقل جثمانه إلى مصر ودفن هناك(٤٦).

*عباس البازارلي:

وهو المعروف بالجندي، كان ضابطا كردياً التحق بخدمة محمد علي باشا والي مصر، واشترك في حرب السودان. كان مديرا سنة ١٨٣٥ – ١٨٣٥، وسنة ١٨٣٦ – ١٨٣٨. توفي بمصر سنة ١٨٣٩م(٤٧).

*تيمور كاشف:

وهو محمد بن إسماعيل بن علي الكردي المشهور بتيمور كاشف، كان من خاصة محمد علي باشا، وهو جد الأسرة التيمورية المعروفة في مصر. وهو من سلالة كردية كانت تسكن بلدة «بقرة جولان» في كردستان العراق. فارقها اثر خصام وقع بينه وبين أخيه والتحق بالجيش العثماني.

نزل مصر بعد انسحاب الفرنسيين منها سنة ١٨٠١، فوقعت بينهم وبين محمد علي باشا صداقة وألفة، حتى صار من خاصته، واعتمد عليه في كثير من شؤونه. مثل حادثة الفتك بالمماليك في القلعة. ولي عدة أعمال عسكرية وإدارية في مصر. ولما استولى محمد علي باشا على الحجاز ولاه إمارة المدينة المنورة لمدة خمس سنوات ١٨٣٧م، وكان آخر منصب إداري شغله في مصر منصب كاشف الشرقية. ومن هنا اشتهر باسم (تيمور كاشف)، بعد خدمة ربت على الأربعين سنة.

كان محمد علي باشا يدعوه إلى قصره بشبرا ويخاطبه بكلمة (اقداش) أي الأخ أو الرفيق. وكان على جانب كبير من التقوى، عادلا في حكومته، مع شيء من الشدة، ومثقفا يعرف الكردية والتركية والفارسية والعربية، حيث كان لثقافته تأثير كبير في نشأة ابنه (إسماعيل باشا تيمور)، وحفيدته (عائشة عصمت) نشأة أدبية. توفي عن عمر ناهز الثمانين عاما ١٨٤٨م، ودفن بجوار مقام الإمام الشافعي بالقاهرة(٤٨).

*إسماعيل رشدي باشا:

هو إسماعيل رشدي باشا ابن محمد بن إسماعيل بن علي تيمور الكاشف، الكوراني، الكردي: من كبار موظفي أسرة محمد علي باشا في مصر. نشأ في رغد من العيش، ومال من صغره إلى الاشتغال بالعلوم والآداب. تعلم التركية والفارسية، وبرع في الإنشاء التركي براعة بز بها أقرانه، فأعجب به محمد علي باشا واتخذه كاتباً خاصاً، ثم جعله وكيلا لمديرية الشرقية، فمديرا لبعض المدريات كان آخرها الغربية اكبر ولايات مصر.

ثم عاد إلى الديوان، وعمل رئيسا للجمعية الحقانية في زمن إبراهيم باشا، ثم رقي في ولاية عباس باشا إلى وكالة (ديوان كتخدا). ثم ناظراً على خاصته (الدائرة الآصفية). ورئاسة الديوان في عهد محمد سعيد باشا ١٢٧٥هـ. ثم ناضراً لخاصة ولي العهد محمد توفيق باشا مدة ستة اشهر حتى فاجأه اجله سنة ١٨٨٢م.

أما خلقه، فالحلم والتواضع مع الشدة، وفصاحة اللسان، والشغف بالعلم والعلماء، مولعاً بالمطالعة، شغوفا باقتناء الكتب. من أولاده النجباء: الشاعرة عائشة التيمورية، والعلامة احمد تيمور باشا(٤٩).

*الفريق إسماعيل حقي باشا (أبو جبل):

هو إسماعيل حقي باشا بن سليمان بن أبي بكر

المشهور بـ (أبي جبل): علمدار السلطان محمود خان من ولاية معمورة العزيز في الأناضول. من أسرة كردية الأصل.

كان والده قائمقاماً لبلدته، ولد سنة ١٨١٨م. وأرسله والده إلى مصر سنة ١٨٢٣، والتحق بمدرسة القلعة الحربية، وتخرج منها بعد سنتين، فانتظم في سلك الجيش وحارب في الحجاز في حملة إبراهيم باشا ضد الوهابيين. أبدى شجاعة وإقداماً حتى لقب بابي جبل، وجرح هناك.

عاد إلى مصر فشغل وظائف متعددة. ورقي إلى رتبة لواء سنة ١٨٥٠، وعين مديراً لقنا وأسنا. ونقل سنة ١٨٥٢م حاكماً عاماً للسودان خلفاً لرستم باشا. وفي سنة ١٨٥٤م حارب في القرم قائداً للواء المصري أمام سباستوبول، ثم أسندت إليه القيادة العامة للحملة المصرية.

عاد إلى مصر سنة ١٨٥٧م، وعين رئيسا لمجلس طنطا، فقائدا للمشاة، وأحيل على المعاش، لكنه أعيد عضوا بمجلس الأحكام، وعهدت إليه بعد ذلك مهمة قمع فتن عرب الفيوم والواحات.

عاد مديراً لقنا وأسنا، فرئيس المجلس العسكري بمصر ١٨٦٣م، فمديرا للغربية. ورفع إلى رتبة فريق، وعين عضواً بمجلس الأحكام، فمأمور عموم الملاحات ١٨٦٧، فمحافظاً لمصر. وأعيد عضواً بمجلس الأحكام ١٨٧٤، وأصبح وكيلا للمجلس ١٨٧٥، فأمين عموم بيت المال ١٨٧٦، فرئيس مجلس الأحكام ١٨٧٩، حتى إحالته على التقاعد ١٨٧٩.

وقد لازم الخديوي توفيق، وحضر المجلس الذي عقده في قصر رأس التين بالإسكندرية لمعالجة موضوع الثورة العرابية سنة ١٨٨٢م قبل ضرب الأسطول البريطاني للقلاع. توفي يوم ٢٥ نيسان ١٨٨٣م (٥٠).

*علي رضا بك المعروف بالكردي:

هو علي رضا بك المعروف بالكردي(١٨١٤ – ١٨٩٠م): ضابط عسكري وإداري في مصر والسودان .قدم إلى السودان مع أبيه في الحملة المصرية بقيادة إسماعيل كمال ثالث أبناء الوالي محمد علي باشا سنة ١٨٢٠، وانتمى إلى الجيش وهو غلام يافع، فلم يلبث أن أصبح «بلوك باشي» أي ضابطا في القوات الغير النظامية، وقد عهد إليه جباية الضرائب في المنطقة الشرقية للنيل الأزرق، فقام بتلك المهمة سنوات عديدة.

رفع إلى رتبة سنجق التي تعادل أمير لواء سنة ١٨٦٥، وقام بحركات عسكرية في سوق أبي سن بإمرة حاكم السودان العام، ثم عدلت رتبته إلى قائمقام، وعين حاكما لمقاطعة النيل الأبيض سنة ١٨٦٦ – ١٨٧١م.

حوكم بتهمة إساءة استعمال السلطة، ثم برئت ساحته. فأعيد إلى وظيفة حاكم النيل الأبيض ١٨٧٥م. وأخمد تمرد الشلوك. ونشبت ثورة المهدي فاشترك في مكافحتها في الجزيرة. وحوصر في الخرطوم سنة ١٨٨٤م، لكنه استطاع النجاة، وتولى بعد ذلك إمرة قوة غير نظامية لحماية حدود مصر الجنوبية في أثناء ثورة السودان، حتى أحيل على التقاعد ١٨٩٠. توفي بالقاهرة سنة ١٨٩٠م(٥١).

التحالفات الكردية – المصرية

خلال القرن التاسع عشر

إن نجاح محمد علي باشا في مصر واستقلاله عن الباب العالي، وقيام والده ابراهيم باشا بالاستيلاء على بلاد الشام وتهديده المباشر للخلافة العثمانية أيقظ الحس القومي لدى عن الكرد، وقامت بينهما تحالفات ضد الباب العالي، بل ساعدهم في بناء مصانع الأسلحة في راوندوز... وفيما يأتي عرض لهذا التحالف بين الجانبين:

أولاً: تحالف الأمير بدرخان مع ابراهيم باشا المصري.

استطاع أمير بوتان بدرخان بن عبدال خان الاستقلال بإمارته عن السلطة العثمانية في النصف الأول من القرن التاسع عشر، وتزعم حركة المقاومة ضد الدولة العثمانية، ومن اجل تحقيق سياساته اتصل بإبراهيم باشا المصري ابن محمد علي باشا

واتفق معه على توحيد قواتهما في مواجهة النفوذ العثماني، حيث توحد الطرفان في معركة(نزيب) قرب عينتاب وانهزم العثمانيون في البداية، ولكن تدخل الإنجليز والفرنسيين هو الذي منع هذه الهزيمة، حيث حدَّ هؤلاء من زحف ابراهيم باشا، ومعه قوات تابعة لأمير بوتان (٥٢).

ثانيا: تحالف ابراهيم باشا الملي مع الخديوي إسماعيل

في أواخر القرن التاسع عشر استطاع ابراهيم باشا الملي الاستقلال بإمارته الكردية في منطقة الجزيرة الواقعة اليوم بين سوريا وتركيا وتمتع بسلطة مستقلة عن الدولة العثمانية، وقام بحركة مسلحة ضد العثمانيين وانتصر عليهم، ونسج علاقات وطيدة مع الأسرة الخديوية الحاكمة في مصر، وتحديداً مع الخديوي إسماعيل، الذي توسط لدى السلطان العثماني لاصلاح ذات البين، وتيسير الأمور للأمير الكردي(٥٣).

ثالثاً: التعاون بين أمراء سوران وإبراهيم باشا المصري.

في عام ١٨٣٢ قامت ثورة سوران بقيادة مير محمد من سلالة صلاح الدين الأيوبي، أراد أن يقلد محمد علي باشا في مصر، فأقام جيشاً من عشرة آلاف فارس، وعشرين ألفا من المشاة، وأقام مصانع أسلحة في مدينة راوندوز في كردستان العراق حالياً بمساعدة مصر، واحتل كردستان، وآذربيجان الجنوبية، لكن الهجوم الثلاثي عليه من قبل روسيا وتركيا وإيران أخمد ثورته.

كما عرض أمير سوران الكردي كور باشا في سنة ١٨٨٣م على ابراهيم باشا عقد معاهدة معه ضد السلطان العثماني.

كردستان:

أول صحيفة كردية تصدر في مصر

نتيجة للتفاعل والتواصل المصري – الكردي اصدر الأمراء البدرخانيون المهاجرون من كردستان تركيا بعد ثوراتهم العديدة إلى مصر في أواخر القرن التاسع عشر وخصوصاً الأمير مقداد مدحت باشا حفيد بدرخان باشا أول صحيفة كردية في مدينة القاهرة باسم «كردستان» وذلك بتاريخ ٢٣ نيسان عام ١٨٩٨م، وصار هذا اليوم فيما بعد، عيداً للصحافة الكردية، إذ غدا حدثاً بارزاً في تاريخ الحياة الثقافية والاجتماعية والسياسية الكردية.

وتم نشر الجريدة بالتعاون مع شقيقه عبد الرحمن بك بدرخان، وكان صدورها بمبادرة شخصية منه لإدراكه بأهمية الصحافة في مجال التوعية لحياة شعب مضطهد محروم، وقد استمرت بالصدور حتى ١٤ نيسان ١٩٠٢، في حدود (٣١) عدداً.

وتعد هذه الجريدة الحجر الأساس للصحافة القومية، وغدت آنذاك الجريدة المعبرة عن أيديلوجية الحركة الكردية في نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين. وكتبت مقالاتها بلغة كردية جميلة سلسة وباللهجة الكرمانجية الشمالية «لهجة جزيرة بوتان». وكانت تصدر نصف شهرية، في أربع صفحات. وتناولت في صفحاتها شتى الموضوعات السياسية والأدبية والفكرية التي تهدف إلى تثقيف الشعب الكردي والانتباه إلى حقوقه القومية، ونالت شهرة واسعة ومرموقة في وسط المهاجرين الكرد والأرمن على حد سواء.

واشتهرت الجريدة في دمشق، وغدت نقطة انطلاق لتوزيعها في جميع أرجاء كردستان، وبالأخص في كردستان الجنوبية، وكانت السلطات العثمانية تحظر توزيع هذه الجريدة، فكانت ترسل إلى هناك بالطرق السرية. وكان قسم من هذه الأعداد يرسل إلى أوروبا ويوزع على المغتربين الكرد، وعلى الأوروبيين المهتمين باللغة الكردية وآدابها.

وفي مرحلة صدور الجريدة في القاهرة، كان لها هدف تنويري بحت، وهو نشر التعليم بين الكرد وتطوير ثقافتهم. ولقد جاء بقلم مقداد مدحت بدرخان في ملحق العدد الأول باللغة الفرنسية ما

يأتي: «أصدرت هذه الجريدة وقد وضعت نصب عيني هدف ترسيخ الاهتمام والحب في نفوس أبناء قومي إزاء التعليم، ولأمنح الشعب فرصة التعرف على حضارة العصر وتقدمه، وكذلك على أدبه... حيث أنا في مصر أريد أن أرى في كردستان النظام. ولا أبغي من صدور هذه الجريدة سوى خدمة مصالح شعبي وسعادته، ورفع المستوى الثقافي لبني جلدتي».

كما دعا فيها إلى توثيق العلاقات بين الشعبين الأرمني والكردي لما فيها من منفعة لمستقبلهما.

ونتيجة لبعض العوامل السياسية غيرت الجريدة مراراً مركز إصدارها، فقد طبعت الأعداد الثلاثة الأولى في مطابع «الهلال» بالقاهرة، أما العددان الأخيران فقد كانا مذيلين بعبارة: تصدر الجريدة في مصر وتطبع في مطبعة جريدة «كردستان». ثم انتقل مركز الجريدة إلى جنيف وفتحت مرحلة جديدة في تاريخها. وهناك تابع شقيق المحرر عبد الرحمن بدرخان إصدار الجريدة. وطبعت في مدن فولكستون ولندن، ثم في استنبول تحت إشراف ثريا بدرخان.

وأخيراً صدرت هذه الجريدة في كتاب خاص تحت عنوان «كردستان أول جريدة كردية ١٨٩٨-١٩٠٢»، من جمع وتقديم الدكتور كمال فؤاد بالحجم الكبير في (١٠٤) صفحات. علماً بأن الجريدة محفوظة الآن في المكتبة الحكومية بمدينة (ماربورك) بألمانيا الغربية(٥٤).

مطبعة كردستان

إن أول مطبعة تحمل اسم "كردستان" نصبت في القاهرة بجوار الجامع الأزهر الشريف، وتم فيها طبع العديد من الكتب الكردية، فطبع فيها فرج الله الكردي كتباً كردية وعربية، وقام محيي الدين صبري النعيمي الكانيمشكاني بطبع عدة مخطوطات لامعة(٥٥).

مصر ملجأ أحرار الكرد

أصبحت مصر في أواخر القرن التاسع عشر ومطلع القرن العشرين موئل أحرار الكرد الهاربين من الظلم والاضطهاد العثماني، فكانت القاهرة مركز النشاطات السياسية والفكرية والأدبية لشخصيات كردية بارزة أمثال أمين بدرخان، وثريا بدرخان، ومقداد بدرخان، ومحمد علي عوني، ومحمد حلمي.

فعندما أسس الكماليون تركيا الحديثة أصدروا فرمانا بنفي البدرخانيين الكرد من تركيا عام ١٩٢٢، فالتجأ الأمير أمين عالي بدرخان ونجله الأكبر (ثريا) إلى مصر، واستقر في القاهرة حتى توفي بها ١٩٢٦.

وكان الأمير أمين عالي بدر خان رجلا وطنيا وقوميا معروفا، حاول تحقيق أهداف بني قومه في الحرية والاستقلال. وكان لجهود ونضال ولديه الأميرين جلادت وكاميران دور كبير في خدمة اللغة والثقافة والقضية الكردية(٥٦).

وفي القاهرة لعب الأمير ثريا أمين عالي بدرخان (١٨٨٣-١٩٣٨م)، دورا كبيرا في خدمة القضية الكردية، فكان يتنقل من أجل ذلك من القاهرة إلى دمشق وحلب والعواصم الأخرى. وكان له الفضل في إصدار جريدة « كردستان» بمدينة استنبول بعد عميه (مقداد مدحت، وعبد الرحمن بك) بعد صدور الدستور العثماني عام ١٩٠٨، وفي القاهرة في أعوام ١٩١٦-١٩١٧. وكان يكتب في هذه المجلة تحت اسم مستعار هو «احمد أزيزي».

وفي عام ١٩٢٠ أسس في القاهرة (جمعية الاستقلال الكردي) بمؤازرة الطلاب الكرد المقيمين في القاهرة وممن يدرسون في الجامع الأزهر.

وترجم كتابه وطبع في القاهرة من الفرنسية إلى العربية وهو «القضية الكردية ماضي الكرد وحاضرهم» المنشور باسمه المستعار (د. بله ج شيركوه)، من قبل المرحوم محمد علي عوني عام ١٩٣٠(٥٧).

كما عاش في مصر المترجم والباحث الكردي محمد علي عوني السويركي، المولود في مدينة «سويرك» من أعمال ديار بكر في كردستان تركيا ١٨٩٧.

وقد قصد مصر لإكمال دراسته الدينية في الأزهر الشريف، ونال شهادته العالية. وحاول الرجوع إلى وطنه لكن السلطات التركية منعته بسبب أفكاره القومية،

فبقي في القاهرة. فعمل مترجما «للغات الشرقية» في قصر عابدين لدى الملك فاروق، وعهد إليه مهمة الأشراف على مكتبة القصر الملكي في القاهرة، وحفظ الفرمانات والوثائق التاريخية الرسمية التي يعود تاريخها إلى عصر محمد علي باشا.

وبحكم وظيفته وإطلاعه الواسع أصبح حجة في تاريخ الكرد وقضيتهم. فكان أحد مؤسسي جمعية (خويبون) الكردية في القاهرة وسورية بالاشتراك مع أبناء بدرخان. وكانت داره في القاهرة محجاً للطلبة الكرد يتزودون منه العون والإرشاد والمعرفة.

وكان يجيد اللغات الكردية والفارسية والتركية والعربية، ويحسن الفرنسية. لذلك أصدر في مصر أول ترجمة عربية لأمهات الكتب الكردية مثل «خلاصة تأريخ الكرد و كردستان» نشره عام ١٩٣٩. و «تاريخ الدول والإمارات الكردية في العهد الإسلامي» نشره عام ١٩٤٨. و«مشاهير الكرد» عام ١٩٤٧، وهو لن تأليف العلامة الكردي العراقي محمد أمين زكي. كما ترجم «الشرفنامة» من الفارسية إلى العربية عام لشرف خان البدليسي في جزءين، طبعته وزارة التربية والتعليم المصرية بعد وفاة المترجم. كما وضع رسالة عن «العائلة التيمورية» الكردية في مصر، وله دراسات ومقالات عديدة حول القضية الكردية .

توفي بالقاهرة ١٩٥٢. وفقد الشعب الكردي برحيله أحد أبنائه البررة العظام المناضلين بصمت وتواضع في سبيل تحقيق ما يصبو إليه من حياة حرة كريمة(٥٨).

وفي القاهرة طبع كتاب «نضال الكرد» تحت اسم مستعار هو «محمد شيرزاد» عام ١٩٤٦، وهو اسم مستعار لـ«زيد احمد عثمان».

رواق الكرد بالأزهر الشريف

كان للكرد رواق في الأزهر الشريف خاص بالطلبة الكرد وكانت له أوقاف قديمة ترجع إلى حوالي ثلاثمئة سنة، والرواق عبارة عن مكان واسع، يضم عدداً من الغرف للطعام والمنام، والمكتبة، والطلبة يحصلون على الطعام والكساء من الأغنياء والمحسنين، ومن الأوقاف المسجلة عليه.

يقال إن الأميرة الكردية (خاتون خان) من الأسرة الأيوبية وقفت ثروتها في خدمة العلم والدين وإنشاء المدارس،، ومن وقف هذه الأميرة انشأ رواق الكرد في الجامع الأزهر منذ مئات السنين، وتخرج منه مئات العلماء من كردستان (العراق، تركيا، سوريا، إيران، روسيا)، وكانوا بحق من ضمن من نشروا الدين واللغة العربية في تلك البلاد. وكانت له أوقاف متمثلة ببعض المنازل والمحال التجارية في مدينة القاهرة، تعود أجورها بالفائدة لرواق الكرد(٥٩). وكانت له مكتبة قيمة وقفها أهل الخير على الطلبة الكرد، ضمت إلى مكتبة الأزهر العامة في سنة ١٨٩٧.

ومن الذين تولوا مشيخة هذا الرواق الشيخ عبد الرحمن بن احمد بن محمد الذوقي الكردي الأزهري، نسبة إلى حصن الذوق إحدى نواحي ولاية (بدليس = بتليس) بكردستان تركيا الآن. ولد بها سنة ١٢٧٧هـ/ ١٨٦٠م، ثم قدم مصر لإتمام تحصيله بالأزهر الشريف، فمنعه شيخ رواق الكرد بالأزهر حينئذ من الانتساب إلى الرواق، بحجة انه حنفي المذهب، والكردي في زعمه يجب أن يكون شافعيا. وهكذا لبث إحدى عشرة سنة يجالد ويكافح إلى أن تمكن من الانتساب إلى رواق الكرد في (٢٥ ربيع الآخر ١٣١٣هـ)، واليه ينسب الفضل في فتح باب الرواق لعموم الكرد. ثم عين إماماً بمسجد الرواق العباسي بداخل الأزهر. تولي مشيخة الرواق وتنظر على أوقافه، وآخر من وقف على الرواق الكردي والتركي من رجال الدولة العثمانية الفريق إبراهيم ادهم باشا الأورفلي المصري من عشيرة الملية الكردية الضاربة في شرق وجنوب (الرها = أورفا) بكردستان تركيا.

وقد توفي الشيخ عبدالرحمن رواق سنة ١٩٤٠م، بعد أن قضاها في العبادة وخدمة العلم، وانجب أولاداً نبهاء جادين في أعمالهم في خدمة الحكومة المصرية(٦٠).

ومن تولوا مشيخة الرواق الشيخ عمر وجدي بن

عبد القادر الكردي المارديني، المصري (١٩٠١-١٩٩١م)، الفقيه، المتكلم، الزاهد. المولود بماردين في كردستان تركيا، وقد رحل إلى مصر، والتحق برواق الكرد بالأزهر الشريف،وتلقى العلم عن الشيخ محمد حبيب الله الشنقيطي، والشيخ محمد زاهد الكوثري وغيرهما واجازوه بما لهم وعنهم.

عمل مترجما في الإذاعة المصرية باللغة التركية، كما عمل شيخا لرواق الأتراك والكرد والبغداديين بالأزهر(٦١).

وقد قفل الرواق لاسباب غير معروفة في عهد الرئيس جمال عبد الناصر، بعكس الأروقة الأخرى التي ما زالت قائمة ألى اليوم، ويطالب الكرد الآن بإعادة فتح رواق الكرد الذي قفل تحت ضغط بغداد ودمشق ليعود إشعاع الأزهر الشريف مرة أخرى في ربوع كردستان.

الهوامش

(٤٠) احمد الخليل: مشاهير الكرد في التاريخ الإسلامي، احمد أمين، موقع سما كرد.

(٤١) حلمي احمد شلبي:الأقليات العرقية في مصر في القرن التاسع عشر، القاهرة: مكتبة النهضة المصرية، ١٩٩٣.ص١١، ١٢،١٣، ١٤، ١٨

(٤٢) صلاح بدر الدين: موضوعات كردية،١٠٩.

(٤٣) المعجم الجغرافي السوري المجلد الثاني ص ٣٠٦٦٨- آهالي قرية كوكان (أحفاد عمومة الشهيد سليمان محمد أمين أوس قوبار (الحلبي). الجبرتي:١١٦/٢-١٣٤، تاريخ الحركة القومية للرافعي:١٩٣/٢، محمد مسعود وعزيز خانكي، في الأهرام ٤و ٥ يولية ١٩٣٩، والكافي لشاروبيم: ٢٦٣/٣، الأعلام: ١٣٣/٢، ريحان رمضان في الحوار المتمدن (الإنترنت)، ع(١٠٩١)، ٢٧ /١/ ٢٠٠٥ ، موقع www.Syria kurds.com الإلكتروني.

(٤٤) مجلة (المصور) المصرية، الصادرة يوم ٢٥ نوفمبر عام ١٩٤٩ ،ص ٥٦.

(٤٤) الموسوعة العربية:١٦٦١/٢-١٦٦٢، أعيان القرن الثالث عشر:١١٥-١٢٠ ، هناك قول شائع بان اصل أسرة محمد علي من أصل الباني، ولكن الخديويين كانوا يعدون في مصر على الدوام أتراكا، لكنهم كانوا بحق في عواطفهم وآمالهم مصريين (دائرة المعارف الإسلامية:٢٢٨/٤) و قال الأمير محمد علي احد أحفاد هذه الأسرة عام ١٩٤٩ لمجلة المصور المصرية بأن أصلهم كرد من ديار بكر.

(٤٥)مشاهير الكرد:١٦٨/٢-١٦٩

(٤٦) أعلام الكرد:٧٥-٧٦ ، مشاهير الكرد:٢٥٠/١

(٤٧) أعلام الكرد:٧٣

(٤٨) تاريخ الأسرة التيمورية : ٦٧ ـ ٧٥ (الملحق بكتاب لقب العرب ، ١٩٤٨)، أعلام الكرد:٧٧

(٤٩) مشاهير الكرد: ١١٠/١، الأسرة التيمورية: ٧٧ـ٨٨، أعلام الكرد:٧٧

(٥٠)أعلام الكرد:٧٤-٧٥

(٥١)أعلام الكرد:٧٤

(٥٢) صلاح بدر الدين: موضوعات كردية، ١٤

(٥٣) صلاح بدر الدين: موضوعات كردية، ٩٨

(٥٤) موجز تاريخ الأدب الكردي المعاصر:٦٨، حول الصحافة الكردية لعز الدين رسول:١٩-٣٩، جليلي جليل: نهضة الكرد الثقافية والقومية،٢٩-٥٦

(٥٥)عدنان المفتي:الحوار العربي الكردي،٩٩

(٥٦) الأمير جلادت بدرخان:٢٣-٣٥

(٥٧) الأمير جلادت بدرخان:٢٩

(٥٨)الأعلام: ٦/ ٣٠٦، وله ترجمة في مقدمة كتاب «تاريخ الدول والإمارات الكردية في العهد الإسلامي» تقديم ابنه الأستاذ نجم الدين عوني. وابنته درية عوني كاتبة وصحفية لها كتاب «عرب وكرد» نشر في القاهرة عام ١٩٩٣م.

(٥٩) درية عوني: عرب وكرد، ١٨٥، صلاح بدر الدين: موضوعات كردية:١١٠

(٦٠) مشاهير الكرد:٢٠/٢-٢١

(٦١) تتمة الأعلام ٤٠٠/١

بحوث بأدب يهود العراق وثقافتهم
اشعار الزيارة للقبور المقدسة(١)
باللغة العربية اليهودية بين يهود بابل(٢)

اسحق ابيشور
ترجمة وتعليق: أ. د. طالب مهدي الخفاجي/ جامعة بغداد

حلو حلو للسوفير (٣) من اجل عزرا الكاتب

هذا الشعر – الأهزوجة الشعرية – وجد حاليا في كتب القصائد الغنائية ليهود العراق. لم يعثر عليها بخط اليد. في النص المطبوع باستثناء عنوان. القصيدة الغنائية مرتبطة بالذين يتذكرون الكاتب (أي النبي عزرا الكاتب)، والمتعلقة بحادثة الزيارة،ولعزرا الكاتب، ولمقامه كتب الشعر. أضف إلى ذلك، بالنصوص المطبوعة التي احتلت مكاناً مركزياً في موضوع الزواج والتهاني للعريس الموجودين في كل بيت من بيوت الشعر. والشعر الموجود في كتب القصائد الغنائية تحت عنوان (قصائد غنائية للعريس). وفيما يتعلق بالنص الشفوي الذي حصلت عليه من صالح الكويتي عن موضوع زيارة الأسابيع (الذي يسمع من أفواه يهود بابل) عند الزيارة للقبور المقدسة.والشعر كله مكرس لموضوع الزيارة. بالقصيدة يذكر قبر عزرا الكاتب، والقادمين إلى زيارته بالسفن. بين الزائرين يذكر يهود بغداد والموصل والبصرة، ويهود ثلاث مدن كبيرة بالعراق. أدناه نصان غنائيان، النصان مطبوعان، والنص الذي وصل إلينا شفوياً وترجمتها إلى العربية.

أ. النصوص المطبوعة

حلو حلو للسوفير
ياربي اطعينو مرادو
للعريس أنشا الله بالخير

حلو حلو للسوفير
جينا بليلة إلطمرا
حتى يطول بعمرا
بالعهد انشا الله بالخير
حلو حلو للسوفير

يابا اشعندي تبعه
من الملوك تسوه سبعه
هذا الحكي لتبعه
كل ليلي انشا الله بالخير
حلو

يناس لتلوموني
شفت العريس بعيوني
سهران لتعيروني
٤) بالصبي آنشا الله بالخير
حلو

شفتك بعيوني صدًيت
مثلك عريس مالطيت
سويها صفقه حيل وحيل
٦) بفديون عندو بالخير
حلو

هذه الفرحة بفرحتين
فرحة وجرت على العين
ربي يسلم الاثنين ٧)
بالعهد عندم بالخير
حلو حلو للسوفير

ب- نصوص شفوية منقولة عن صالح الكويتي.
حلو حلو للسوفير
وشقد حلو للسوفير

حلو حلو للسوفير
ربي أعطيهم مرادم
حلو حلو للسوفير
يحفظ ولادم بالخير
حلو حلو للسوفير

شرگت علينه إلگمرة
خوفي من نار إلطمرة
تحييها يهود البصرة
وبغداد وموصل بالخير
حلو حلو للسوفير

هاذي الفرحة بفرحتين
فرحة وشافت العين
يهود بغداد الصوبين
يحفظ ولادم بالخير
حلو حلو للسوفير
يحفظم عزرا السوفير

بمركب السبت جينه
عراك وشغب شطينة
العزيز ينور علينه
٨) جينة نزوغو بالخير
حلو حلو للسوفير

٥- هذه الأغنية – الأهزوجة – أوي منك، أوي منك)، وجدت في كتب (ساسون، ٢٤٦، عمود ٥)

يضم شعر شعب يهود العراق الذين اهتموا بالكتابة أو نسخوها في القرن التاسع عشر. هذا الشعر انحدر إلى أعماق النسيان ولم يجده اليهود الذين خرجو، من بابل حتى الآن. باعوا هذا الشعر أو جزءاً منه أو عندما سمعوا به حين كان حياً في حدود زيارات قبور المقدسين، أو بحوادث أخرى. هذا الشعر هو شكوى المرأة من زوجها على ماتتحمل من المتاعب التي نشأت في الطريق لزيارة قبر النبي حزقيال. القصيدة شعبية جداً بلغتها واسلوبها ومضمونها وبأجوائها ذلك انها وظيفة الشعر التي تضمنت عشرين بيتاً انشئت كل ثلاثة أو أربعة اسطر سوية وهي ليست مقفاة أو مكتوبة بإيقاع شعري. ومقدمة الأبيات المشتركة المكررة الوافرة الدائرة ليست صورة الشعر هدفه لغرض هذا الشعر الذي هدفه الزيارة، والحوار بين المرأة وزوجها. ولكن كلمات المرأة كلمات ادعاء ولا تعطي جواباً لزوجها كذريعة. وأخيرا تتوسل المرأة بزوجها لكي يقول كلمة ما. وهكذا جواب لها يعيد باختصار الجواب في حدود بيت واحد فقط. ووجد من خلال عشرين بيتاً القصيدة التي تذكر المرأة في تسعة عشر بيتاً والزوج في بيت واحد فقط. النغمة الوحيدة الباقية عن زوجها بصورة عامة كما تبدو هي انه يريد رفع ادعاءات زوجته من سجل كتابة لأجيال.

من القصيدة نتعلم وسائل الاتصالات التي انتهجت في تلك الحقبة عن مجيء الزائرين إلى قبر النبي حزقيال. انها كانت قصائد مدح (كرفان) التي تجرها البغال والمؤلم جداً استئجار الحمير لهذه الكرفانات. جزء من الألم يظهر من هذه القصيدة قصيدة (يزوار) اضطهاد اللصوص في قصائد الزائرين، التي لم يجدوا لها علاجاً. وهذا هو نص القصيدة بالعربية وترجمتها إلى العبرية.

أوي أوي منك
أوي منك يازوجي
عملة وعملتها بي

أوي منك ياغجال ٩)
ما قلتولك ما قلتولك
هل السنة ماروح للزيارة

آخ منك آخ منك
ما قلتولك ما قلتولك
١٠) الخان أروح للزيارة
جيب لي بغل اجره

أوف منك يارجال
جبتلي احمار أعرج
طول الدرب يمشي ويتعثر

آخ منك يارجال
آخ منك يارجال
قلتولك تعال
وامسك بقوة الحمار
خليني امشي برجلي

آخ منك يارجال
قلتم نزلو قلتم صعدوا
وهي مربوطة على الدابه ١١)

آخ منك آخ منك
هل السنة اش زيارة
وطلعتها من انفها

ما قلتولك ما قلتولك
منّيّ ميتين ومنك ميّ

١٣) ونخليها مسخنته

آخ منك آخ منك
عمله وعماتها بييّ
هذا الشغل الخوفني

ماقلتولك يارجال
هذا الشغل الخوفني
وطعت علينه بليّه

ماقلتولك يارجال
١٤) عينتونو لحرامي مشلح بشعفة١٥)
١٦) وزرك من تحت الدابة

آخ منك آخ منك
لمن وصلنه الكنطرة ١٧)
عثرت الدابه بييّ

أوف منك أوف منك
أوف منك يارجال
كلمتك الحلوه
بس كلمني ها المره

أوف منك يارجال
حسرة بقلبي قلتولك
لمن قلتولك اعلينو لتاجك ١٨)
ضيعنا العمامة

أوف منك أوف منك
أوف منك يارجال قلتم حميرم بيضا
هييّ حمارة سوده
حتى مابينو جنجيل ١٩)

آخ منك آخ منك
اخ منك يارجال
زركت المخدة تحتي
اوف منك اوف منك
اوف منك يارجال
هل السنة ايش زيارة
بس دا اوصل للحله
سمشلو كل شعري
آخ منك آخ منك
بس دا اوصل للنبي
ساضربك بلطماية
واشيد لك دادوشة

٦- قصيدة يزوار يزوار

القصيدة يزوار يزوار، وجدت بين كتب ساسون ٤٢٧، عمود ٦٢، وبها فقط، وليس لها ذكر لا بالمخطوطات وما أضافوا إليها. كذلك أضيف إليها حتى الان شيء ما مقرب إلى يهود بابل، ويذكر الشعر الذي سمعه في وقت ما.

هذه القصيدة التي برزت في الكتب في القرن التاسع عشر وكل مارأيناه هو قديم وكثير في تلك الحقبة والتي فضلت على الكتب التي أهملت إكليل القرن العشرين. هذه القصيدة منذ القدم أفصحت عن أسلوب شعري قائم على التذمر، إلا أن التذمر هنا لم يكن تذمر امرأة ضد زوجها إنما التذمر فقط ضد اللصوص في قصائد الزوار لقبر النبي حزقيال. وكما أشارت إلى اللصوص بأنهم ليسوا غرباء، إنما فقط أصحاب البغال الذين يدبرون المكائد والسرقات من الزوار. ويتضح في القصيدة للتذكر بملابس يهود بابل القديمة التقليدية التي ذكرت في القصيدة مثل،

الايزار والفينة، وهذا هو نص القصيدة وترجمتها إلى العربية:

زوار
ياخذو الفينه والايزار
وآنا لجيكم جاسوس
لأني بطمع لا بفلوس
راح الحيا والناموس
جبريني بفكت الايزار
يزوار

ونا لروح لزياره
وقارى الشعر سوى حقاره
طلعنه فوق المناره
٢٤) ونتش الفينة والايزار
يزوار

وجينه لسكندريه
ولحرامي مسووي نيه
وخذ الفينه والايزار

وجيته للمحا ويل
وصارت فزعه بين الفيجيل ٢٥)
ولحرامي قصيّر مطويل
زرك من جووا الحمار

لروح زياره بهليل
قطعنا ركاّبت٢٦) الخيل
وبدخيلك نبي حزقيال
تعوضلي فكّت الايزار
يزوار

القصيدة زنگولا خوش زنگولا

القصيدة تقرأ زنگولا خوش زنگولا (رقاقة بدبس لذيذة). وجدت هذه القصيدة في كتب (ساسون ٤٨٥/ عمود ٣١). هذه القصيدة الغنائية يتكرر فيها البيت الأول الذي يتعلق مباشرةً بجلب الانتباه إلى الزيارة. وبزيارتنا لزيارة النبي يحزاقيل، بينما بقيت أبيات القصيدة ملائمة لكل زمان ولكل حدث. وهذا نص القصيدة بالعربية وترجمتها إلى العبرية:

زنگولا خوش زنگولا
وزيارتنا مقبولا

زنگولا اشتريناها بفلسين
ونريد نزور نبي يحزاقيل
وأريدك انشأ الله بالخير
نفتح ونشرب بطولا ٢٧)

الف هلا بالهمطبل
منك يفوح العنبر
وانه عل فرطا مطدر
وخلي طولي علة طولا ٢٨)

يعجبني لطعد يمك
بدال الورد لشتمك
الله يخليك لامك
تسويلنا خوش زنگولا

أصلك رمل سيالي
خوان ومالك تالي
وانت العبت بحالي
زغّرت قدر الزنطولا

أصلك رمل مالومك
وهذا طبعك من يومك
تسكر وتشك بهدومك
كله من أكل الزنگولا

سليتني بسل العود
ومنك يبو عيون السود
كثر الحجي ماعود
ولا تحسبني مجهولة

طلبي يحبك ويريدك
شطايح بيدي وبيدك
قلبي مجبور ويريدك
دخلي طولي على طولك

الف هلة بيك يازين
واحطلك حرز من العين
مثلك بدر الطا منين
ولو افتح دكان زنگولا

شفته يمشي بظهرييه
عطشان ويريد لو ميه
بلله دصفي النيه
وطعمك بعسل زنگولا

القصيدة : المايزورة السلمان عمرة خسارة

هذه القصيدة معروفة حتى اليوم، ليست بخط اليد وليست مطبوعة إنما سمعتها شفوياً من صالح الكويتي بمناسبة عيد الشفوعوت (عيد نزول التوراة).وقد كتبت بلهجة أهل الموصل ويبدو لي — للمؤلف — انه بالأساس كانت قصيدة إسلامية انشدها المسلمون إثناء زيارة قبورهم المقدسة ٢٩). وحقاً وجدت أسسا لمعرفة ذلك بكتاب طبع مؤخراً ببغداد، وتم الاعتناء بها في ضوء المناهج الإسلامية في العراق.

في هذا الكتاب يصف المؤلف المهرجانات بزيارة المسلمين لقبر (سلمان باك) بالتفصيل. وبعد أن نشروا الرايات وعزفت الآلات الموسيقية انشدوا القصيدة.

الما يزور السلمان عمرة خسارة
سلمان راعي الشارة
والما يزوره السلمان عمرة خسارة

في ذلك الكتاب — المطبوع في بغداد — ليست هناك آثار لسطور أضيفت إلى هذا السطر، وليس هناك مايعرف أن وجدت أبيات هذه القصيدة عند المسلمين في العراق أم لا. على أية حال عند يهود بابل تشتمل هذه القصيدة على عدد من الأبيات والمضامين اليهودية المتميزة وفقط العنوان والأنشودة الغنائية التي تتكرر فيها المشتركات لقصيدة المسلمين، وقصيدة اليهود في العراق.

يلله يربعي أولاد ساره
والما يزور العزيز عمره خسارة

العزيز جينه أنزورك
العزيز جينه نشوفك
اليهود ابد متعوفك
والما يزور العزيز عمره خساره

اليهود بقلب فرحان
كل سنة يجون بزمان
دهلهلو ينسوان
والما يزور العزيز عمره خسارة

يايهود الله يخليكم
قلبي متولع بيكم
غالي الثمن يغريكم

والما يزور العزيز عمره خسارة

القصيدة النبي يانبي من اجل النبي يحزاقيل

أ- نص من كتب ساسون ٤٧٢، عمود ٥٤. من كتب ساسون ٤٧٢، والتي تقرأ (دفتر غنائي) (كراسة الأشعار) وتتضمن مجموعة تشتمل ٢٥٦ عمود إشعار مع أمثال يهود العراق, الذي كتب في المائة التاسعة عشرة. الشعر وجد على عمود ٥٤ وتشتمل ثلاثة أبيات (مقاطع) عن زيارة قبر النبي يحزاقيل، تفتح الاضوية، وترفع الرايات هناك، وهذا النص الشعري وترجمته إلى العربية:

النبي ياالنبي
تحفظ لي غيابي
نشعل شميع العسل
ونزورو لنبي

النبي زورونو
وشميع شعلولو
ينسوان هلهلولو
لمقام النبي

النبي زورونو
والرايات نشرولو
ينسوان غنو لو
لمقام النبي

ب. النص المطبوع

هذه القصيدة، تتضمن ثلاثة أبيات (مقاطع) بخط اليد أعلاه هي (الزيارة) لقبر النبي يحزاقيل، التي فقدت بمرور الزمن وهي القصيدة الوحيدة عن الزيارة فقط بقيت كقصيدة عن العرس وهو مظهر كما قيل في كتب الأشعار الغنائية المطبوعة في إطار مجموعة (الأشعار الغنائية للأعراس). الاعداء عملوا الشطب والحذف في البيت الثالث (المقطع الثالث) عن القبر المقدس، ورفع الرايات هناك، وأضافوا مقطعا بين المقطع الأول والثاني في ضوء النص المكتوب باليد الذي يتضمن العرس والبقية للزيارة زيادة على ذلك. واللقب ((النبي)) صُرِّف في المقطع الأخير ((لرب النبي)). وهذا هو النص الظاهر بالطبع وترجمته إلى العربية.

يانبي يانبي
احفظ لي غيابي
نشعل شميع العسل
ونزورو للنبي

يانبي ويانا
العريس ويانا
عندو وجبه مليانه
يحفظهو للنبي

النبي قولولو
وشميع شعلولو
ينسوان هلهلولو
ويا رجال صفقولو
لرب النبي

جـ - النص الشفوي عن صالح الكويتي

صالح الكويتي هو احد الموسيقيين المشهورين جداً في بلدان الشرق وفي الاوساط العربية على نحو عام، وعند يهود العراق خاصة. ان نشاطه الموسيقي المتشعب، للعزف على القيثارة كمؤلف وملحن لمئات القصائد الشعرية والألحان الشعبية.

اكتسب عنها شهرة كبيرة كممثل للقصيدة الشعبية (الأغنية الشعبية) في البناء الرحب للمفردة في العراق وخاصة للقصائد الشعرية ليهود العراق. القصيدة (يانبي يانبي)، أخذت عنه في إطار مناسبة

زيارة عيد الأسابيع (شفوعوت)في سنة ١٩٨٠. هذه القصيدة أتمها صالح الكويتي من مجموع أربعة مقاطع ووحدها وجمعها من نصين كما وصف أعلاه. إلا أن قيمة البيت عن العريس جاء هنا مقطعاً يتعلق بالإنسان في إسرائيل ومباركته. لذلك أن كل أبيات القصيدة مقدسة تحمل موضوع الزيارة نفسها، وليس هناك ذكر لمناسبات أخرى. ولكن ليس هناك قول بأنه لم تقع اختلافات بل حصلت المطابقة في المناسبات الأخرى. وكرر الكلمات مطابقة للمناسبات. وهذا هو نص الأبيات في ضوء حديث صالح الكويتي.

يانبي يانبي
تحفظ لي غيّابي
نشعل شميع العسل
ونزورو للنبي

النبي قولولو
وشميع شعلولو
سويها هلهولو
ليحزا قيل النبي
يانبي

يانبي ويانه
وشميع شعلولو
سويها هلهولو
ليحزا قيل النبي
يانبي

يانبي ويانه
يسرائيل ويانه
تحفظ ولادم بالخير
بحق النبي
يانبي

النبي زورونو
وبيارق نشرولو
ينسوان هلهولو
ليحزا قيل النبي
يانبي

تعليقات المترجم:

١- جاء في الصفحة الأولى قول المؤلف أشعار الزيارة للقبور المقدسة، ((هذه القصيدة الغنائية)) نقول من يذهب لزيارة القبور لاينشد القصائد الغنائية أولا، وثانيا يبدأ هذا الشعر (الأهزوجة) بالزنطولا وهي حلوى فهذه الأهزوجة لاتصلح للإنشاد بين القبور. ومما يلفت النظر إلى النص يتضمن الغزل الواضح مثل ((ألف هلة بهلمطبل)) أي ألف هلة بالقادم، ونص آخر يذكر ((خلي طولي على طولك وهذا غزل واضح.فهذه القصيدة لاتصلح أن تغنى أو تنشد عند زيارة القبور.

٢- قال المؤلف في الصفحة الأولى، ان هذه الأشعار باللغة العربية اليهودية. نقول: ليست هناك لغة عربية يهودية، إنما الصحيح هناك لهجة يهودية يتحدث بها سكان يهود بغداد، وربما يتحدث بهذه اللهجة يهود البصرة والموصل ومناطق العراق الأخرى.

٣- السوفير (٧٩٧٠) أي الكاتب والمقصود عزرا النبي.

٤- بالصبي: وهي تضرع إلى الله كي يرزق العروس صبياً.

٥- صفقه: أي التصفيق بالأيدي.

٦- انها تطلب من العريس أن يصفق بقوة، وهذا التصفيق كأنه فدية.

٧- الاثنين أي العروس والعريس.

٨- نزوغو أي نزوره.

٩- ياغجال أي يارجال.

١٠- الخان أي الان نذهب للزيارة.

١١- الدابة: الحيوان والمقصود الحمار.

١٢- أش زيارة: أي أن هذه ليست زيارة بسبب التعب ومعوقات الطريق وكثرة اللصوص.

١٣- مسخنته أي الربا.

١٤- عينتونو: أي رأيته بعينيَّ.

١٥- زرك: أي سحب نفسه بقوة من تحت الدابة وانهزم.

١٦- الطنطرة وهي القنطرة التي تصنع من جذوع النخيل والأخشاب وتوضع على السواقي لكي تعبر عليها الحيوانات والإنسان.

١٧- اعلينو لتاجك: أي ارفع تاجك والمقصود رأسك.

١٨- جنجيل: وهو الجرس الذي يوضع حول رقبة الحمار.

١٩- سملشو: أي سأقطع شعر رأسي كله.

٢٠- اللطمة: أي الضربة، وغالباً تكون اللطمة على الرأس أو الوجه.

٢١- دادوشة: أي الحلية.

٢٢- الفينة والايزار: الفينة لباس يوضع على الرأس وهي دائرية الشكل. أما الايزار فهو يشبه البطانية ولكن خفيف ويصنع من الشعر ويستخدم لغطاء الجسم حين يكون الجو معتدلاً. وتشتهر مدينة الحي في العراق بصناعة اليزر.

٢٣- نتش أي سرق وانهزم.

٢٤- الفيجيل: أي الرجال.

٢٥- رطابت الخيل: والمقصود الفرسان الذين يركبون خيولهم والمقصود: أوقفنا الفرسان (رطابة الخيل) ومنعناهم من نيل رغباتهم.

٢٦- نشرب بطولا: أي نشرب المشروبات الغازية بالبطل المصنوع من الزجاج وتلفظ هذه المفردة (بضم الباء والطاء) والمفردة من الانكليزية (Bottle).

٢٧- طولي على طولك: أي دعنا ننام سوية فيكون طولي مجاوراً وملاصقاً لطولك.

٢٨- قال المؤلف ان هذه الأهزوجة (المايزورة السلمان عمره خسارة) ينشدها المسلمون أثناء زيارتهم قبورهم المقدسة. الحقيقة هذا وهم من المؤلف فهذه الأهزوجة لاعلاقة لها بالزيارة المقدسة، إنما هي سفرة للراحة والمتعة يقوم بها بعض سكان مناطق بغداد إلى المنطقة التي دفن فيها الصحابي (سلمان باك). وكان الناس يخرجون على شكل مجموعات وهم يحملون معهم وسائل الطبخ. وقد أطلق على هذا التقليد الذي تقوم به تلك المناطق (بالهلاي) فما هو الهلاي؟ من احتفالات الربيع في بغداد في القرن الماضي والتي زال معظم آثارها وأوشكت الباقية على الاندثار هي (الهلاي) والهلال تعني النقر على الطبول وتجمع الناس حولها واصلها (الالاي) وهي من التركية ومعناها الكتيبة والأبهة وبعض العوام يقولون هلاي. وقبيل شهر آذار وفي ساعة مبكرة من صباح يوم يتفقون عليه، تقرع الطبول وتنقر النقارات في كل محلة من محلات باب الشيخ وفضوة عرب وقره شعبان وبني سعيد والمهدية والفضل والفناهرة وغيرها... فيجتمع أبناؤها ويشرعون بتحميل أمتعتهم على الحيوانات (من بغال وحمير) وفي البرشقات – وهي عربة خشب مستطيلة الشكل يجرها حصانان، وهي من دون سقف للنقل وتصنع محلياً – أو بواسطة الدواب النهرية حيث تتراكم على سطحها نسوة وفتيات وصبيان. وعند وصول الجماعة الأولى مع الخيم وأدوات الطبخ، يشرع شباب ورجال كل محلة بنصب خيم محلتهم في محل يتخيرونه لهم... وفي الأيام التالية تتوافد مواكب المحلات إلى ناحية (سلمان باك) بأعلامهم الكبيرة المنشورة وتتعالى أصوات الطبول والنقارات والدفوف بين هوسات كثيرة مختلفة منها :

المايزوره السلمان عمره خسارة

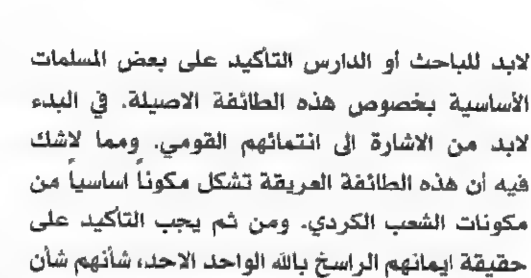
سلمان راعي الشارة... والما يزوره السلمان عمره خسارة

قبل الخوض في الكتابة حول أهل الحق ومعتقداتهم،

ثقافة اهل الحق ومعتقداتهم

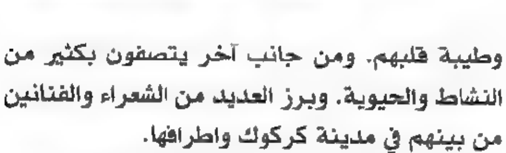


معتصم سالەیی



لابد للباحث أو الدارس التأكيد على بعض المسلمات الأساسية بخصوص هذه الطائفة الاصيلة. في البدء لابد من الاشارة الى انتمائهم القومي. ومما لاشك فيه أن هذه الطائفة العريقة تشكل مكوناً اساسياً من مكونات الشعب الكردي. ومن ثم يجب التأكيد على حقيقة ايمانهم الراسخ بالله الواحد الاحد، شأنهم شأن باقي بني البشر يوجهون وجهتهم نحو السماء.

اهل الحق منتشرون في كثير من أجزاء كردستان. ففي بعض الأجزاء من كردستان ايران يطلق عليهم (يارسان) او (اهل الحق). وهناك مجاميع كبيرة منهم يقطنون في مدينة كركوك واطرافها في منطقة كرميان. ويتواجد قسم منهم ايضاً على اطراف مدينة الموصل. ويطلق عليهم في العراق تسمية (الكاكائية).. اجمالاً ليس من الجائز ان نطلق على هذه المجاميع تسمية (العشيرة). لأن العشيرة ترمز الى مجموعة من القرى المتجاورة التي تتواجد في منطقة محصورة وفي رقعة جغرافية معينة. لكنه من المعلوم بأن أفراد طائفة أهل الحق او الكاكائية متناثرون في الكثير من البقاع في كوردستان. كل من يعاشر الطائفة الكاكائية في مدينة كركوك واطرافها، يتلمس مدى صدقهم



وطيبة قلبهم. ومن جانب آخر يتصفون بكثير من النشاط والحيوية. وبرز العديد من الشعراء والفنانين من بينهم في مدينة كركوك واطرافها.

كانت مناطق تواجد هذه الطائفة الاثنية واسعة في الازمان السابقة، ابتداءً من مناطق كركوك وكرميان والسليمانية، ومروراً بكردستان ايران وانتهاءً بالمناطق الفارسية والاذرية في ايران، لكن بمرور الزمن تقلصت اماكن تواجدهم. ونحن الآن لسنا بصدد الخوض في تفاصيل تلك الظاهرة والاسباب الكامنة وراءها...

هناك فئة اخرى انشقت عن صفوف اهل الحق، ويتواجدون الآن بكثافة في بعض مناطق كردستان ايران ويسمون بـ(علي اللهية). هذه الفئة ظهرت وتبلورت ملامحها نتيجة لتأثيرات غلاة اهل التشيع في ايران على افكارهم وتوجهاتهم. خرجت تلك الجماعة عن المسار الحقيقي لأهل الحق وانحرفت عن المبادئ الاساسية لمعتقداتهم. تدعي تلك الفئة بأن الامام علي بن ابي طالب مازال باقياً على قيد الحياة ويعيش داخل قرص الشمس[1].. يقول بعض الباحثين بأن اسس هذا المبدأ ترجع الى فترات عبادة الاله (ميهر) والتي كانت شائعة بين الاقوام الآرية. وكانوا يعتقدون

بأن الإله (ميهر) أو (ميترا) الهندية تعيش داخل قرص الشمس[٣]..

يتكلم اهل الحق او الكاكائية باللهجة الكورانية. هذه اللهجة شائعة في بعض مناطق كردستان ايران. وانها ايضاً شائعة في مناطق هورامان بطرفيها العراقي والايراني. واللهجة الزازائية المنتشرة في بعض مناطق كردستان تركيا وهي ايضاً تدخل ضمن اللهجة الكورانية. والكرد من الشبك في اطراف مدينة الموصل يتكلمون ايضاً بهذه اللهجة. وهناك بعض العشائر الكردية في مدينة كركوك واطرافها يتكلمون باللهجة الكورانية كعشائر الزنكنة وروژبياني والكاكائية وغيرهم. كانت اللهجة الكورانية اللهجة الرسمية لامارة (اردلان) وكانت ايضاً اللهجة الرسمية لامارة (بابان) في فترة معينة من تأريخ هذه الامارة الكردية.

كثير من مشاهير شعراء الكرد كتبوا قصائدهم الحية باللهجة الكورانية امثال: (خاناي قوبادي ١٧٠٤ — ١٧٧٨) و(مولوي ١٨٠٦ — ١٨٨٢) و(بيساراني ١٦٤٣ — ١٧٠١) و(ولي ديوانه ١٧٥٤ — ١٨٠١) وكتب الشاعر الكلاسيكي الكردي الشهير من اهل الحق (بابا طاهر الهمداني ٩٣٧ — ١٠١٠)م قصائده باللهجتين اللرية والكورانية معاً.

في مدينة كركوك واطرافها برز العديد من الشعراء من الذين كتبوا قصائدهم باللهجة الكورانية امثال (رنجوري الكركوكي ١٧٥٠ — ١٨١٠) و(ملا فتاح الجباري ١٨٠٦ — ١٨٧٦) و(فقي قادر الهموندي ١٨٣٠ — ١٨٩٠) و(ميرزا شفيع جامريزي ١٧٧٦ — ١٨٣٦) ومحاك ونوحي ورشيد آغا زنكنة وغيرهم[٣]..

الشعراء الكاكائية في مدينة كركوك واطرافها، من الذين كتبوا قصائدهم باللهجة الكورانية، فأعدادهم كثيرة ولايسعنا ألا أن نذكر أسماء بعض منهم امثال: (خليل منور) و(هجري دەدە) و(عباس حلمي كاكەيى) و(يوسو ساوك) و(سيد محمد بارام) وهناك العديد من الكتاب الكاكائية في الوقت الحاضر أمثال: (فلك الدين كاكەيى) و(هردويل كاكەيى) و(هاشم عاصي).. وغيرهم..

واهل الحق يطلقون احيانا على انفسهم (يارسان). هناك العديد من الاراء لتفسير هذه التسمية. هناك من يرى بأن تلك الكلمة مأخوذة من اسم (يار سولَتان) والذي يعتبر احد شخصياتهم التأريخية المقدسة. وهناك من يقول بأن كلمة (يارسان) تعني (يارستان) على وزن كلمة كردستان، وتأتي بمعنى منطقة اهل المحبة والمودة.. وكلمة اهل الحق واضحة ولاتريد التوضيح.. وتسمية (الكاكائية) مأخوذة اصلاً من كلمة (كاكه) الكردية والتي تعني الاخ الكبير. وهذه الكلمة تمتد جذورها الى اعماق سحيقة من التأريخ. فإن عدداً من حكام كردستان القدماء تلقبوا بكنية كاكا او كيكا مثل كاكي حاكم خوبوشكيا خلال مطلع الالف الاول قبل الميلاد. الكاشيون الذين يعتبرون اجداد الكرد، حكموا في منطقة لورستان الكردية الحالية. احد ملوكهم كان يسمى (اكوم كاك ريمي) الذي استطاع لأول مرة ان يحكم في بابل، والذي انتهز فرصة الغزو الحيثي فأثبت حكمه هناك في حدود (١٥٩٠) قبل الميلاد[٤]..

الميديون القدماء (٧٠٠ — ٥٥٠) قبل الميلاد، كانوا يضعون كلمة (كەی) قبل الاسماء وبالاخص الطبقات الحاكمة منهم. وهذه الكلمة تعني (كيو) الكردية أي الجبل. ومن الناحية المجازية كانت تعني (الاخ). على سبيل المثال هناك (كيخسرو) أي (كاكه خسرو) و(كيكاوس) و(كيخودا)[٥].

سنة (٩٣٤) ميلادية اشار (المسعودي) في الجزء الرابع من كتابه (مروج الذهب)، الى طائفة كردية كانت تقطن في الجبال بإسم (كاهكاهي)[٦]..

الشعب الكردي بشكل عام مدين من الناحية الادبية والثقافية الى الشاعر (بابا طاهر الهمداني ٩٣٧ — ١٠١٠)م. لأن اشعاره وقصائده تشكل اولى المصادر الاساسية للادب الكردي المدون. كان الشاعر شخصية بارزة من شخصيات اهل الحق او (يارسان) في زمانه. بالرغم من انتماء الشاعر الى طائفة اهل الحق، لكنه

وقع بشكل جلي تحت تأثيرات المسار الصوفي للاسلام. كانت طائفة الشاعر تتكلم باللهجة الكورانية، الا أنه استخدم في ثنائياته الشعرية اللهجة الكورانية واللهجة اللرية في آن واحد. ونظراً لكون الشاعر بابا طاهر ذا منزلة عالية لدى اهل الحق واهل (يارسان)، لذا وضعت ثنائياته الشعرية كتضمين من اجل التعظيم والتقديس في هوامش مسودات الكتاب المقدس (سرنجام) لدى طائفة (يارسان). يقول المستشرق المعروف (مينورسكي) بأنه وجد ثلاث عشرة من ثنائيات الشاعر بابا طاهر في ذلك الكتاب المقدس[7].

كلمة (باوه) او (بابا) تحمل معاني سامية لدى اهل الحق. ليومنا هذا تتواجد الكثير من المدن والاماكن في كردستان تحمل هذه الكلمة مثل: (باوه محمود) و(گويز لي بابا) و(باوه نور) و(باوه شاسوار) و(باوه فتي) و(بابا گرگر) او (باوه گورگور). كل هذه الاماكن كانت في الازمنة الغابرة مناطق يارسان او اهل الحق.. المؤرخ الكردي (توفيق وهبي بك) يقول بأن الباباتيين اصحاب امارة (بابان) الكردية، يرجع مصدر اسمهم الى كلمة (بةبة) ومن ثم تحولت الى (باوه). وهذا يعني حسب رأيه بأن امراء بابان كانوا من الطائفة الكاكائية[8]..

يتناول الاستاذ توفيق وهبي في بحثه جبل (پيرەمەگرون) والذي يستقر في قمته قبر بنفس الاسم. ويذهب في بحثه قائلاً بأن ذلك القبر في الاساس يعود لشخصية كاكائية باسم (پير عەنبەر كدروون)، لكن بمرور الزمن تحول الاسم الى (پيرەمەگرون)[9]..

يمكن القول بأن لطائفة اهل الحق تأريخا عريقا، لكن مع تقادم الزمن طرأت تغييرات كثيرة على معتقداتهم. على سبيل المثال يمثل سلطان اسحاق (سان سهاك) شخصية بارزة ومشهورة لديهم. والآن يقع مرقده في قرية (شيخان) بالقرب من (نوسود)[10]. يعتقد البعض من اهل الحق بأن الشخصية المعروفة (بابا علي الهمداني) القادم من مدينة همدان ووالد كل من (شيخ عيسى) و(شيخ موسى)، قد انجب فيما بعد نجله شيخ عيسى ابناً بإسم (اسحاق). وحسب رأيهم الخاص فإن (سلطان سوهاك) هو نفس شخصية (اسحاق)... ويعتقد بعض من الباحثين بأن (سلطان سوهاك) ماهو الا (استياك) آخر ملوك الماد ويقع قبره الآن في قرية (شيخان)..

يقول الكاتب (ايوب رستم) في كتابه القيم (يارسان) حول معتقدات اهل الحق قائلاً: (احد الاسس الرئيسية في دينهم هو الاحتفاظ بأسرارهم. وافشاء اقل الاسرار من شؤون دينهم يعتبرونه جريمة بشعة. وكل من يقوم بهذا العمل يعتبر خارجاً ومرتداً عن الدين ويوصف ذلك الشخص بالمكروه والمقرز..)[11].

تعتبر الطائفة الاثنية اهل الحق او يارسان او الكاكائية، جزءاً اساسياً من كيان الشعب الكردي ويتميزون بحبهم لوطنهم وشعبهم، وحافظوا على اصالتهم على مر الدهور والعصور. وهم اناس يتصفون بالصدق وصفاء النوايا ونقاء المزايا. وهم ايضاً موحدون ويؤمنون كباقي البشر بالله الواحد القهار، لذلك يتطلب بذل المزيد من الجهد وايلاء الكثير من الاهمية لأجل الحصول على المعلومات حول معتقداتهم. وعلى الدارس او الكاتب ان يكون منصفاً واميناً عند دراسته لتأريخهم العريق. المحور الاساسي في دينهم هو التمسك بالحق وعدم الانحراف عن الحقيقة، نتيجة لكل هذه الاسباب يسمون بأهل الحق.. كما هو معلوم بأن مناداة منصور الحلاج بعبارة (انا الحق) ادت الى مقتله. ومعاصرو تلك الشخصية الصوفية للأسف لم يدركوا ماكان يقصد بتلك العبارة.. وكلمة (الحق) كانت تشكل جزءاً اساسياً من مناجاة العلويين لربهم في حلقات الذكر.. وظهرت في النصف الاول من القرن العشرين حركة دينية بإسم (حقه) او (هقه) في كردستان العراق[12]. ويعتقد البعض بأن تلك الحركة الدينية كانت لها علاقة فكرية وتأريخية مع طائفة اهل الحق.. الشيء المتعارف عن اهل الحق بأنهم يطلقون شواربهم ومحرم عليهم ان يقربوا آلة المقص من شواربهم. وتشاركهم في هذه الميزة الطائفة

الدرزية في سوريا ولبنان. لربما هناك قواسم مشتركة لدى الطائفتين وهي بحاجة الى الكثير من البحث والدراسة والتوغل في اعماق التأريخ...

لدى دراستنا لمسارهم التأريخي، نجد الكثير من شعرائهم قد تغنوا بحب الخالق، وناشدوا العامة والخاصة بالتمسك بمبادئ الحق وعدم مجانبة الحقيقة. والأخذ بسبل ومسالك الحقيقة حسب اعتقادهم تشكل الضمانة الحقيقية للوصول الى الخلاص والنجاة. ضمن قصائدهم واناشيدهم ونصوصهم الروحية تطالعنا كثيراً كلمة الحق. ويتضح لنا بأن كلمة (يارسان) قد وردت قبل اكثر من اربعمئة سنة قبل ميلاد (سان سهاك). على سبيل المثال ضمن القصائد المثنوية للشاعر (شا خوشيني اللورستاني) نجد كلمتي (الحق) و(يارسان). ويقول الشاعر:

يارسان وەرا يارسان وەرا
راى هەق راسيەن براتان وەرا
پاكىو راستىو نيكىو رەدا
قەدەم وەقەدەم تا وەمەنزلكا[13]

الهوامش:

١. ايوب رستم. يارسان. السليمانية ٢٠٠٦ ص(٥٧).
٢. توفيق وهبي بك. الآثار الكاملة. اعداد: رفيق صالح. الجزء الاول. السليمانية ٢٠٠٦ ص ٨٨ — ٨٩.
٣. معتصم ساڵەيى. الشاعر الكلاسيكي الكوردي ملا فتاح الجباري. مجلة الصوت الآخر. اربيل ٢٤ كانون الثاني ٢٠٠٧.
٤. الدكتور جمال رشيد احمد. ظهور الكورد في التأريخ. الجزء الاول. دار آراس للطباعة والنشر. اربيل ٢٠٠٣ ص (٥٥٨ — ٥٥٩).
٥. عباس سليمان سمايل. ميژووى ناسناوو مروڤى كورد. وزارة الثقافة. اربيل ٢٠٠٤ ص (٤٠).
٦. ايوب رستم. يارسان.. ص (٥٥).
٧. الدكتور معروف خزندار. ميژووى ئەدەبى كوردى. دار آراس للطباعة والنشر. اربيل ٢٠٠١ ص (١٨٨).
٨. مذكرات مأمون بن بيكه بك. نقلها الى العربية: (محمد جميل الروژبيانى) و(شكر مصطفى). مطبعة المجمع العلمي العراقي. بغداد ١٩٨٠ ص (١٦).
٩. توفيق وهبي بك. الآثار الكاملة... ص (٣١٤).
١٠. محمد حمه باقي. ميژووى موسيقاى كوردى. دار آراس للطباعة والنشر. الطبعة الثانية. اربيل ٢٠٠٢ ص (٤٨).
١١. ايوب رستم. يارسان... ص (٤٤ — ٤٥).
١٢. محمد علي سلطاني. رابەرينى عەلەويەكانى زاگرۆس. ترجمة: (حسن عبد الكريم) و(كمال رشيد) السليمانية ٢٠٠٣ وزارة الثقافة ص (٢٤٢).
١٣. ايوب رستم. يارسان... ص (٥٣).

«بدون» سوريا او مايسمى بـ«الاجانب» الكرد وقوى المجتمع المدني

الجزء الثالث

تمهيد:

في الجزءين السابقين من دراستنا (نشرا في المواقع الالكترونية وفي بعض الصحف) تحدثنا عن علاقة الكرد -التنظيمات الكردية- بالمجتمع المدني، وتحدثنا كيف أن الحركة الكردية قاربت قوى المجتمع المدني عند الممارسة العملية، وربما في كثير من الأحيان تماهت هذه الحركة(الكردية) في نشاطها مع نشاط قوى المجتمع المدني في أكثر من محور. في هذا الجزء خصصنا دراستنا إلى أهم قضية عالقة بين السلطات والحركة الكردية الا وهي قضية منتزعي الجنسية السورية من الكرد. سوف نسلط الضوء على هذه القضية، وكيفية تعامل حركات وقوى المجتمع المدني وكذلك السلطات المتعاقبة معها، وسنعرّج من خلال دراستنا إلى تداعياتها وعواقبها وتأثيراتها على الضحايا الكرد وعلى الحركة الكردية وعلى سمعة السلطات السورية على المستوى الدولي والداخلي.يمكن القول إن القضية أصبحت تحدي المرحلة بالنسبة للكرد وبالنسبة لبعض الفاعلين في حقل المجتمع المدني وبالنسبة للسلطات أيضاً!

والحق أن هناك تفاوتا في الرؤى عند مقاربة القضية سنقف بالتفصيل عند كل جوانبها، لكن من أين تبدأ قصة المجردين الكرد من الجنسية ؟

كيف طبق هذا الإحصاء؟

قد لا يستغرب القارئ انه بعد أواسط الخمسينيات من القرن المنصرم بدأت ماكينة الشوفينية تعمل دون هوادة في المنطقة وزاد فعل هذه الماكينة بعد حصول الوحدة بين سورية ومصر وعندما فرض جمال عبد الناصر أفكاره وحزبه على جميع السوريين، الأمر الذي أدى بالقوميين العرب إلى التفكير في محو قوميات أخرى في الوطن العربي و "صهر جميع القوميات في بوتقة الأمة العربية "عمرها مع عمر الوحدة.لا يخفى على احد أن حكومة الوحدة وأنصارها أرادت أن تختزل كل الاتجاهات الفكرية بالناصرية وكل القوميات بالقومية العربية، ولعل كرّاس الملازم

أول محمد طلب هلال بعنوان:"دراسة عن محافظة الجزيرة من النواحي القومية والاجتماعية والسياسية " خير دليل على الشوفينية الفظيعة التي تمارس في المناطق الكردية.

سأورد هنا نقطتين أو مثالين وهما يكشفان خطط وفكر القوميين العرب (الشوفينيين) ليكون فيما بعد مدخلا لاضطهاد الكرد ومصادرة حقوقهم.

يقول الملازم أول محمد طلب هلال في مقدمة كراسته: ".. ان الحاحي الذي حدا للإسراع بها هو الظروف الخاصة التي تمر بها محافظة الجزيرة اليوم وخطورة المرحلة الحالية لما للأحداث الجارية في شمالي قطرنا العراقي الغالي من أثرومدى تأثير تلك الأحداث على هذه المحافظة المجاورة من أثر "، وفي نقطة أخرى يقول طلب هلال: ".. فهذه الكراسة إن هي إلا مشروع دراسة أو محاولة لمشروع دراسة، على أنها تعطي خطوطا عريضة مع مقترحات احساسي يقول: ضرورية جدا للإطلاع وتكوين فكرة على درجة من الوضوح لكي يتسنى للمسؤولين وضع الخطة لأنه باعتقادي أن الأوان قد آن لوضع خطة راسخة لهذه المحافظة وتنقيتها من العناصر الغريبة كي لا يبقى الاغيار ومن ورائهم الاستعمار يعثون فسادا في هذه الرقعة الغالية ذات الثروة الكبيرة من الدخل القومي وخاصة ان روائح البترول قد أخذت تفوح فيها وفي حقولها (رميلان –وقره شوك) مما يزيد في تعقيد المشكلة." وكون طلب هلال يمهد لشيء اكبر يريد أن يقطع الكرد من أصلهم فهو يكذّب كل الوثائق والحقائق لذلك نراه يقول:"..ليست المشكلة الكردية الآن وقد أخذت في تنظيم نفسها إلا انتفاخا ورميا خبيثا نشأ أو أنشئ في ناحية من جسم هذه الأمة العربية وليس له أي علاج إلا بتره "، ويقول طلب هلال: "ونعود بالتالي إلى وضع الخطة اللازمة بذلك حيث ان الخطر الأول والأخير في الجزيرة وشمال العراق هذا فقط ويهون كل خطر إلى جانب هذا الخطر الذي اخذ طريقا مشابها تمام المشابهة إلى طريق اليهود في فلسطين من تدفق الهجرات إلى الجزيرة بأسماء وأشكال مختلفة.حتى أصبح ما ينوف فمن الكرد هم على ١٦٠ ألف كردي كلهم جاءوا وفق مخطط مدروس. هو إسكان اكبر عدد من الكرد في الوطن المزعوم وإملاء كل فراغ." راجع مقترحات محمد طلب هلال بشأن إفراغ منطقة الجزيرة من الكرد[١]. ويسرد لنا الأستاذ حميد حاج درويش كيف أن ريح الشوفينية فاحت في الجزيرة وكيف أن بعض الجهات الحكومية لم يعيروا أي اهتمام بالولاء الذي قدمه الكرد لها و بدأت تفكر بتصفية الكرد أو اضمحلالهم في "الجسم العربي " يقول درويش:"بعد إجراء انتخابات في ظل حكومة حيدر الكزبري[٢] وبالرغم من تأييد الكرد له لا لأنه يمثل الوجه الديمقراطي بل لأن الشخص أتى بعد ممارسات وقمع حكومة الوحدة، حيث شكل الكرد وفدا كبيرا من السياسيين ووجهاء عشائر المنطقة وأرسل إلى العاصمة ولقاء برئيس الوزراء الجديد وتقديم الطاعة له وتنبيهه أن الكرد سيكونون معه حينما يرون أن لا فارق بين المواطنين الكرد والعرب[٣] فان الحكومة التي أتت بعد اجراء الانتخابات فكرت بطريقة أخرى»، يقول درويش: "نبهت الانتخابات النيابية التي أجرتها حكومة الانفصال في الأول من كانون الأول عام ١٩٦١ القوميين العرب والاتجاه الشوفيني في الحكم وهم وحسب بعض الوثائق كانوا أقوياء ومتأثرين بروح القومية بعد إسقاط حكومة الوحدة وبعد تأثرهم بأفكار الناصرية والبعثية بالشكل العصبي بان منطقة الجزيرة ستكون للكرد إذا بقي الوضع الديمغرافي على حاله خصوصا بعد أن كسحت الأصوات لصالح المرشحين نورالدين ظاظا والشيخ محمد عيسى محمود والمرشحين لحزب "البارتي" ومن هنا لم تبق الاتجاهات الشوفينية في الاوساط السياسية والحكومية مكتوفة الأيدي وبثوا في الأوساط المجتمعية في الجزيرة ثقافة عنصرية ورددوا مقولات مثل "الخطر الكردي" وهناك من قالوا بان الكرد عملوا ليكونوا الأكثرية في الجزيرة

وأتوا بالكرد من العراق وتركيا ومقولة كانت تردد بان "منطقة الجزيرة امتلأت من المتسللين الكرد من تركيا والعراق"[4].

ثمة من يرى بان هذه الأجواء حيث إفرازات النظام الشمولي و تاريخ النظام الشمولي في سوريا لا تبدأ مع تسلم البعث الحكم فحسب بل قبله وتحديدا بعد حصول الوحدة بين سورية ومصر وبعد أن أراد الناصريون بموجب اتفاق بين الحكومة السورية وجمال عبد الناصر على أن لا نشاط سياسيا غير الحزب الناصري فرض بيئة شوفينية في المنطقة، الأمر الذي ساهم ببروز سياسات قومية متشنجة ومنغلقة على ذاتها قاصدا إزالة كل خصوصية مختلفة مع العرب في مصر وسورية وكان الكرد احد الضحايا لهذه المواقف القومية العربية.

*بداية المشكلة: في الحقيقة أن قصة المجردين الكرد من الجنسية بدأت مع اليوم الذي بدأت السلطات السورية بإجراء إحصاء استثنائي[5] وليوم واحد في منطقة الجزيرة السورية وعلى أثره تم تجريد، ومن خلال هذا الإحصاء السيئ الصيت تحريم ما يقارب (١٥٠) الف كردي أي ٢٠٪ من مجموع السكان الكرد السوريين تقريبا، وكلهم كانوا تقريبا حاملي الجنسية السورية و منهم من كان قد تبوأ المناصب الإدارية -الموظفون والعسكريون- في الدولة، ولا نستغرب أن نجد أناسا قدموا تضحيات جمة دفاعا عن هذا الوطن الذي لا يؤويهم الآن، ومع السنين وصل عدد الذين لا يحملون الجنسية السورية الى حوالي ٢٥٠ ألفا، وهؤلاء يعيشون اليوم على أطراف المدن الكبرى في سورية مثل دمشق، حلب، اللاذقية، ومنهم من بقي في قرب مناطقهم الأساسية القامشلي والدرباسية وعامودا، الحسكة، المالكية، والقحطانية. وفي ١٩٨٠ جرد كرد الجزيرة من جنسيتهم حتى سلمتهم السلطات ورقة بيضاء صغيرة الحجم تشير إلى أن صاحبها لا يملك اسماً متوفراً في لوائح سجلات العرب السوريين الخاصة بالحسكة. وفي ١٩٨٠ استبدلت هذه الورقة (بيضاء) بورقة أخرى حمراء اللون صادرة عن دائرة الشؤون المدنية في وزارة الداخلية.حيث تعرّف هذه الورقة (الحمراء) صاحبها على أنه "أجنبي" ولا تخوله السفر خارج البلاد بموجبها. (راجع نشرة البوصلة العدد التاسع - مقال الأستاذ مصطفى حايد). إذا بعد سنين سيتحول المجردون من الجنسية إلى صنفين، صنف ما يعرف اليوم بـ"أجانب أو أجنبي" وصنف "المكتوم"، والمكتومون لا يسمح لهم بدخول أبنائهم إلى المدرسة إلا بموافقة الأمن السياسي وفي حال الحصول على الموافقة فإنهم لا يستطيعون متابعة الدراسة بعد المرحلة الأساسية و وضعهم أسوأ بكثير مما هو عليه وضع الأجانب المسجلين. ويمكن تصنيف الأطفال على أنهم مكتومون عندما تنطبق عليهم إحدى هذه الحالات الثلاث: إن كانوا أطفالا لأحد الكرد السوريين "الأجانب" الذين يتزوجون بنساء سوريات الجنسية، او لـ"اجانب" متزوجين من مكتومين، أو لشخصين مكتومين. وعلى خلاف الكرد السوريين "الأجانب"، فالأطفال المولودون نتيجة هذه الأصناف الثلاثة من الزواج لا يحملون البطاقات الحمراء الخاصة بالأجانب وغير مدرجين في لوائح تسجيل السكان الرسمية.

*كشرط مسبق: يمكن القول ان القضية الجنسية أصبحت مفتاح أي علاقة بين الكرد والسلطات السورية المتعاقبة، ويقيس الكرد شكل علاقة السلطة بهم من خلال تعاطيها مع مسألة المجردين من الجنسية، كنوع من الشروط المسبقة.

بهذا الشكل بدت قصة المجردين الكرد من الجنسية الوطنية معقدة وشائكة، ولعلها كانت، ومازالت اعقد المشكلات الوطنية، وكادت تكون حلولها مستحيلة بالرغم من ادعاء السلطة بأنها مقبلة على إيجاد حلول لهؤلاء "البؤساء" الكرد،والحق أن هذه المشكلة طغت على نشاط الحركة الكردية، وكادت تصبح القضية المركزية لديها، حيث، وفي كثير من المراحل قضية الجنسية أخذت صدارة الاهتمامات في النشاط الحزبي، ولا نستغرب بان الحركة الكردية قيّست

رغبة السلطة ومقاربتها للقضية بمدى تجاوبها معها واعتبرتها شرطا ضمنيا في حصول أي لقاء بينها وبين السلطات، بمعنى أن القضية أصبحت مفتاح أي علاقة بينها وبين السلطة، والحق في الفترة الأخيرة كان الكرد يعرفون موقف السلطة من الكرد من خلال شكل تعاطيها مع ملف المجردين والمكتومين، فعندما يتحدث مسؤول حكومي عن المجردين من الجنسية إيجابياً يتجاوب الكرد مع النظام هذا في وقت لم يمنع الكرد بقطع أملهم في الحصول على الجنسية في ظل النظام الحالي.

وبرغم ذلك، ثمة من يرى من الكرد بأنه لو كانت هناك إرادة حقيقية لدى السلطة لكانت قد حلّت هذه المشكلة.والمسألة لا تحتاج كل هذا التكليف خصوصا وان الرئيس وعد في أكثر من مناسبة لحل ملف الجنسية ويبرر هؤلاء بالقول: إن كلام الرئيس ينفذ وبيده كل السلطات ثم إنجاز هذه المهمة يتطلب التوقيع من الرئيس فقط، وفيما بعد يصبح من شغل اللجان، لذا فالأمر ليس صعباً كما يحلو للسلطة أن تظهر للرأي العام[٦].والحق أن غالبية المراقبين لا يرون بان هناك أي مؤشر بأن السلطة جادة في حل هذه المسألة كاملة، الاستنتاج الأساسي لدى متابعي الوضع هو أن السلطة لا تريد حلّ هذه المسألة.

في الواقع وقع على الآذان بان هناك نية لدى السلطات أن تقوم بإعطاء الجنسية لـ٧٥ ألف كردي، لكن هذا أيضا لن يحصل بسهولة، حيث هناك من يتحدث عن أن شروط الحصول تعجيزية، فمثلاً، سمعنا في الآونة الأخيرة في دمشق أو حلب كانت السلطات الأمنية هي المخولة للقيام بتحريات عن المواطنين الذين يعيشون في حال "الأجانب"، وهناك من تحدث عن حلول جزئية حيث عدد من المجردين قاموا بتسجيل أسمائهم وهناك من اطلع على شروط الحصول لدى مخاتير الأحياء التي تتواجد فيها الكرد مثل حي ركن الدين أو في إحياء أخرى في دمشق أو حلب ويصفونها بأنها تعجيزية.

في الحقيقة أن سياسة الإحصاء الاستثنائي سيئة الصيت عانى الكرد منها كثيرا وربما كلفت الكرد الكثير ولا نستغرب انها كانت سببا لفشل عدد من العائلات، حيث هناك من طلق زوجته وهناك من تبرأ من أولاده والاهم أن كل الأولاد لا أب لهم ولا أم قانونيا لأن لا سجل يحوي اسمهم، وعندما نتمعن في أسباب عزوف الشباب عن التدريس أو في أسباب الهجرة نرى أن احد الأسباب الأساسية هو الإحصاء الاستثنائي، ومثلا: يرى البعض أن أحد أسباب الانتحار في المناطق الكردية هو الجنسية، الوضع صعب بالنسبة لهم فالذي يدرس لا يستطيع أن يتوّظف ولا يستطيع الاستفادة من شهادته، ولهذا نرى أن كل الكرد يعتبرون أن هذه القضية هي قضيتهم وليست متروكة فقط للذين حرموا منها هذا عدا عن انه يشكل عبئا ثقيلا على بقية الكرد لأنهم رأوا من واجبهم الأخلاقي أن يكونوا إلى جنب أبناء جلدتهم.

في الحقيقة أن الحركة الكردية كانت قد اهتمت جل الاهتمام بهذه المسألة ولعل كاد يكون محل اهتمام وحيد لديها في طيلة تواجدها كقوى سياسية والآن وتحديداً وبعد أن حصلت تغييرات على المستوى العالمي وظروف دولة سوريا والإقليمي وظهور ثقافة شعبية على السطح في أوساط الكرد مثلا قد نجد أكثر من تنظيم سياسي كردي يقول إننا لا نطلب الجنسية وإن قضية الكرد ليست هي الجنسية وأخذ هذا التنظيم يحارب التنظيمات الكردية التي تتواجد في "إعلان دمشق"، وقد تسمع الآن مقولات ما كنت تسمعها من قبل مثل الكف عن طلب الجنسية فمثلا احد الأشخاص سرد لكاتب الأسطر بالقول: "استغرب أن الأحزاب تطلب الجنسية، فالجنسية لم تعد هذه المسألة المهمة، ويجب أن نذكر أن في الباطن الكردي شيء اسمه كردستان " ويتابع بالقول: "إننا نطالب الهوية السورية والدولة لا تعطينا، إنما في فلسطين فإسرائيل تعطي هوية والفلسطينيون رفضوا هوية إسرائيلية". ويا للمفارقة! والحق برز تياران في وسط

الحركة الكردية تيار لا يميز بين الحكومة البعثية والحكومات السابقة، وتيار يميز بين الحكومة البعثية ومجمل القوميين العرب.التيار الأول أراد أن لا يحمل البعث مسؤولية الجنسية فقط رأى أن أخطاء البعث هي المداومة على ابقاء حال الكرد المجردين من الجنسية، ومن هنا كانت له ملاحظات على الحركة التصحيحية ويرى بأنها ناقصة والتصحيح لم يكن كاملا، أما التيار الآخر فلم يميز بين البعثيين للحركة التصحيحية والبعثيين اليمينين الآخرين، ورأى بان ما قامت به السلطات السورية كان محل ارتياح أو قبول لمجمل القوميين العرب ويدعم حجته بأنه لو كان غير ذلك لرأى الكرد من ينتقد السياسة العنصرية وهذا الموقف القومي المتشنج والنابذ للمختلف في الخصوصية أثر على مجمل الحركات السياسية والتنظيمات والنقابات في البلاد وحال دون فضح سياسات الحكومات المتعاقبة والمواقف العنصرية لها.

في الحقيقة أن الحركة الكردية اهتمت بالقضية الجنسية جل اهتمام، ولعلها كادت تكون محل اهتمام وحيد لديها في طيلة تواجدها كقوى سياسية، وأرادت الحركة الكردية من خلال "اجانبها" تعرية السلطة والنظام وإظهار النظام للرأي العام بأنه شوفيني وعنصري ومستبد وأن ابسط حق للإنسان وهو حق المواطنة لا يتمتع به الكرد، وكانت هذه النقطة تعتبر نقطة ضعف النظام وصارت نقطة القوة للقوى السياسية الكردية، وكما قلنا سابقاً إن الكرد تعاملوا مع هذا الوضع على أساس أنه موضوع الخلاف الوحيد بينهم وبين السلطة، والسلطة ايضاً وضّحت للرأي العام أن لا معاناة للكرد غير أمر واحد وهو بضع آلاف من الكرد يعانون من فقدان الجنسية».

***المجتمع المدني وحال المجردين من الجنسية:**

وماذا عن الديمقراطيين وفاعلي المجتمع المدني وكيف تعاطوا مع قضية المجردين ؟ في الواقع هناك نوعان من الديمقراطيين وفاعلي المجتمع المدني، النوع الأول محسوب على السلطة وهذا النوع لم يعلنوا تضامنهم مع ضحايا الإحصاء إنما اظهروا أيضا أنفسهم بأنهم من أنصار إعطاء الجنسية لهم كالبرقاوي وطيب تيزيني. والنوع الآخر مثقفون وفاعلو المجتمع المدني وهؤلاء بدأوا يتعاطفون مع الكرد ومع مشاكلهم وللحقيقة أنهم انضموا إلى قافلة التعاطف بعدما اعترفت السلطة بان هناك مغبونين وهناك مشكلة الجنسية وهذه المشكلة تؤثر في علاقة الكرد بالسلطة.هذا النوع من المثقفين مثلهم الآن مثل الحركة الكردية وأصبحت قضية الكرد كمفردات لقاموسهم الخطابي وأنهم لا يتركون محفلا إلا ويعرون السلطات،والحق كل هؤلاء هم الآن يشتغلون في مجالات حقوق الإنسان ومراكز بحثية عن الديمقراطية والمجتمع المدني فمثلا يقول مصطفى حايد في إحدى مقالاته عن حال المجردين: "كان الإحصاء جزءاً من مخطط شامل لتعريب شمال شرق سوريا ذي الغالبية الكردية على طول الحدود السورية – التركية والمتعارف عليه باسم "الحزام العربي" بحيث تم استبعاد ١٥٠,٠٠٠ كردي وتوطين العرب مكانهم في حزام يمتد بطول ٣٧٥ كم وبعرض ١٠-١٥ كم ابتداء من رأس العين شرقاً وحتى المالكية قرب الحدود السورية العراقية" ويتابع بالقول:" يواجه الكرد السوريون المولودون مع بطاقات التعريف كـ"الاجانب". صعوبات هائلة في حياتهم اليومية، فهم محرومون من تملك أرض أو منزل أو القيام بتجارة، ولا يمكنهم التوظف في المؤسسات أو المشاريع الحكومية ولا يمكنهم مزاولة مهنة الطب أو الهندسة، ولا يستفيدون من المشافي العامة، ولا يمكنهم الانتخاب، كما أنهم لا يستطيعون الزواج بشكل شرعي من مواطنات سوريات، ولا يستطيعون السفر خارج البلاد لعدم امتلاكهم جوازات أو وثائق سفر" ويرى حايد:" إن تجاهل هذه المسألة أو المماطلة في معالجتها يؤدي إلى تأجيل حياة هؤلاء "الأجانب" والمكتومون الذين ما زالوا يطمحون لاستئناف حياتهم، والمضي

نحو مستقبل أفضل ضمنته لهم كل المواثيق والأعراف الدولية، وأكدته الحكومة السورية في تقريرها الثالث للجنة المعنية بحقوق الإنسان بأن اعتبرت الكرد "مندمجين بالمجتمع السوري" وبـ"عدم وجود إجراءات تمييزية ضدهم". (راجع مصطفى حايد في الموقع الالكتروني لمركز دمشق لدراسات حقوق الإنسان). وهناك نوع آخر من المتعاطفين لكن للكرد عليهم تحفظات ولعل التحفظات على شكل الخطاب،هؤلاء ينظرون إلى القضية الكردية في هيئة بأنها محصورة فقط بالقضية الجنسية، بمعنى آخر اختزل هؤلاء القضية الكردية بحصول الكرد على الهوية السورية، والمقصود بالهوية هي البطاقة التعريفية وليست الهوية بمعناها الاشمل والأصح. بيد أنه يفترض على هؤلاء تبني القضية لأنهم الوحيدون لهم مجال الحركة كونهم يعملون في وسط الخط واقصد أنهم محسوبون على الأحزاب اليسارية كالتيارات الشيوعية، ومثلما ما نعاتب الشيوعيين والديمقراطيين منهم نعاتب الفاعلين في حقل المجتمع المدني وهؤلاء أيضا قصروا بحق المجردين من الجنسية لأن وضعا كهذا الوضع هو لب مهامهم،وكان من الأفضل لأنصار المجتمع المدني أن يجدوا فرصة لإثبات وجودهم كقوى فاعلة ساعية لبناء المجتمع المدني، ومن المنطقي هنا أن لا نركز على المؤسسات و النقابات السورية لأن ثمة التباسا يحكم بالمسألة حيث وعند إسقاط مفهوم المجتمع المدني على هذه المؤسسات فنجد أن هذه المؤسسات ليست مؤسسات المجتمع المدني لأنها مؤسسات تابعة للحكومة أو تابعة لحزب البعث الحاكم في سورية بمعنى آخر أن هذه المؤسسات (النقابات و الاتحادات) هي جزء من الحكومة ومن هنا ثمة شرخ واسع بين مؤسسات المجتمع المدني حيث تعمل هذه المؤسسات بشكل مستقل وتترك مسافة دائما بينها وبين الحكومة وتداخلاتها إنما ومن العيب أيضا حتى الفاعلين وأنصار المجتمع المدني الحقيقي في هذه المؤسسات الحكومية أنهم لم يهتموا أيضا بوضع المجردين من الجنسية مع أن وضع هؤلاء بيّن وأمام الأنظار. بيد أن الصحف الشيوعية في "الجبهة الوطنية التقدمية اهتمت بين فترة وأخرى بضحايا الإحصاء لكن تحت مسميات أخرى، تحت مسمى أجانب الحسكة لا المجردين الكرد من الجنسية أما بالنسبة لأنصار المجتمع المدني الفعليين فهم اهتموا بوضع هؤلاء وتبنوها واعتبروها إحدى القضايا الوطنية لا تحتمل التأجيل.

***السلطة:** يمكن القول إن السلطة في ٢٠٠٤ اعترفت أن هناك مشكلة كردية في سوريا لكن تجنبت السلطات أنها كمشكلة سياسية بقدر ما انها اختزلت في المحرومين الكرد من الجنسية، وبالرغم من تقول بأنها " تحمي كل الأشخاص المقيمين على أرض الدولة من التمييز، بصرف النظر عن العرق أو الأصل أو الدين أو الجنسية دون أي تفريق" وتعتبر بان "الكرد مندمجون بالمجتمع السوري ولا توجد إجراءات تمييزية ضدهم" إلا أن الواقع غير هكذا فالسلطات أهملت وضع هؤلاء كثيرا وهي بتأخيرها لإيجاد الحل تزيد إلحاق الضرر بضحايا الإحصاء.

والحق انه في المرحلة الأخيرة أصبحت مسألة المجردين من الجنسية مشكلة السلطة أيضا فأصبحت سؤال كل سائل إعلامي أو دبلوماسي أجنبي وعربي للسلطات السورية ولمرة ظهرت هذه المسألة على صفحات الصحف العربية والسورية أيضا في حين كانت المسألة مسكوتا عنها، وحتى في أحداث القامشلي بدت السلطات وأرادت أن تقول إن المسألة الأساسية هي مسألة المجردين من الجنسية[٧]. بمعنى آخر أن هذه المسألة حضرت بقوة في المفردات الإعلامية والدبلوماسية السورية وكذلك الشعبية،ففي زيارة الرئيس بشار الأسد إلى الجزيرة كان احد المواضيع الأساسية في لقاءات الرئيس مع الفاعليات الشعبية وعندما عقد البعث مؤتمره الأخير تحدث الإعلام والسلطة عن إمكانية حل المسألة وعدا عن التقارير والمراسلات بين السلطات والمنظمات الدولية كان موضوع الجنسية للكرد احد أهم المحاور لدى الإعلاميين العرب والأجانب. لكن

ماذا كانت الأجوبة؟

سأل الصحفي التركي الرئيس بشار الأسد[8] بان موضوع الكرد مطروح" للنقاش في تركيا بشكل جدي لأنه عندنا مشكلة كردية في تركيا.. وأعتقد أن هناك مشكلة كردية أيضا في سورية.. على سبيل المثال أولئك الذين لا يملكون حق المواطنة والقاسم المشترك بالنسبة لتركيا فيما يخص المشكلة الكردية هو حزب العمال الكردستاني التركي.. تركيا تحاول أن تجد حلولاً ديمقراطية من خلال تصريحات رئيس الوزراء أردوغان لحل المشكلة الكردية ديمقراطياً وسياسيا، هناك تغيير أيضاً في المفهوم السوري لحل المشكلة الكردية داخل سورية على سبيل المثال" فيجيبه الرئيس بشار الأسد بالقول: "هناك شيء ثابت هو أولاً أن الكرد جزء أساسي من النسيج الاجتماعي في منطقتنا وليسوا جزءاً مصطنعاً.. يجب أن نضع هذا الموضوع بعين الاعتبار.. ولكن علينا أن نفصل العمليات الإرهابية أو الأحزاب المتطرفة عن المشكلة الكردية.. الإرهاب يجب ألا يرتبط بمشكلة شريحة معينة في أي مجتمع من المجتمعات.. النقطة الثانية بالنسبة لنا في سورية أن المشكلة الكردية هي مشكلة تقنية لها علاقة بإحصاء حصل في عام ١٩٦٢ ولم يكن هذا الإحصاء دقيقاً من الناحية التقنية.. ولم تكن هناك مشكلة سياسية ولو كانت هناك مشكلة سياسية تجاه الموضوع الكردي لما حصل الإحصاء في الأساس.. لذلك بالنسبة لنا في سورية نقوم بحل هذه المشكلة أيضاً تقنياً لأنه لا توجد أية موانع سياسية.. لكن جانبا آخر أذكر به هو أن هذا الموضوع يرتكز على القاعدة الوطنية وعلى تاريخ سورية الذي لم يتغير في الماضي منذ الاستقلال ولن يتغير في المستقبل".

وفي جانب آخر ينفي ناجي العطري - رئيس الوزراء السوري- في حوار له حينما يسأل: "ماذا عن مشكلة أو أزمة أو قضية الكرد؟" فيقول العطري: "لا أعتقد أن هناك ازمة للكرد...، أنا أسميها تحديات. الكرد هم جزء من نسيج الشعب السوري، منذ القديم كان هناك من أصول كردية رئيس الجمهورية ورئيس الوزارة وغيرهم. نحن ليست لدينا مشكلة أو عقدة تجاههم فهم داخلون في نسيج المجتمع السوري، وصلاح الدين الأيوبي فخر كل العرب. خلال الآونة الأخيرة بدأت مجموعة من الأحزاب المدفوعة من الخارج تحاول أن تمزق هذا النسيج تحت مقولة هناك وطن كردي "حلم". الأمن القومي التركي لا يسمح بهذا الموضوع لأن منعكساته خطيرة، والأمن القومي السوري لا يسمح أيضاً. أخوتنا العراقيون الكرد لا يسمحون بذلك، حتى الرئيس جلال طالباني هو نفسه لا يسمح بهذه الأمور ولكن ما يجري من تشجيع على هذا الموضوع القصد منه هو تفتيت ما أمكن في نسيج المجتمع السوري وفي لحمة هذا الشعب، والشيء الذي صار في شمال العراق اكبر دليل. نحن لدينا مشكلة إحصاء العام ١٩٦٢، ومن بين المقررات التي اتخذت في المؤتمر القطري العاشر إعادة النظر في موضوع الإحصاء وهذا يمنح حق الجنسية لمجموعة من السوريين من أصول كردية الذين ولدوا في سورية في فترات سابقة قديمة وهذا مطلبهم الرئيس. أما الكرد الباقون الذين قدموا من تركيا والعراق سنعالجها كما تعالج في كل دول العالم أوضاع الوافدين إليها. هؤلاء ليسوا سوريين بل جاءوا من دول الجوار ودخلوا سورية. هنا اللعب صار بين مجموعة الأحزاب في إثارة مجموعة من القلاقل كما حدث في شمال سورية، نحن يهمنا الإحصاء وهؤلاء عددهم يتراوح بين ٨٠ ألفا إلى ٩٠ ألفا. وهناك جزء كبير منهم رحل إلى شمال العراق. أريد أن أقول إن الكرد جزء من نسيج الشعب السوري ومن تكوينه، وتكوين الشعب السوري تكوين متعدد وحضاري فعندما كنت محافظاً في حمص كنت ألمس هذا التكوين وهو كالسجادة العجمية متمازجة الألوان، في محافظة حمص تسع طوائف متعايشة مع بعضها. عندما جاء البابا قال: المثال الحي للتعايش بين مختلف الأديان هو سورية". والحق عدا عن المسؤولين والمحللين السياسيين السوريين والذين يعبرون عن

الراي الرسمي للسلطات فهذا الحديث كان له الحضور في مؤتمر حزب البعث - وهو حتى الآن قائد الدولة والمجتمع حسب الدستور السوري- كثيراً ونقل بأنه قد قرر بإعطاء الجنسية (وليس إعادة عندما نقول إعادة لأن الجنسية انتزعت من الكرد غصباً عنهم حتى احد الضحايا كان نائب رئيس أركان)، في الحوار الذي اجرته قناة "الجزيرة"مع الرئيس بشار " وفي عدد من الخطابات واعتبر الرئيس بأن الظروف الفنية أصبحت عائقة وكذلك عدم وجود فراغ لدى القيادة لإنجاز هذه المهمة"[9].

وعود السلطات كانت كثيرة ولعل آخر ما سرب عن إمكانية إعطاء الجنسية وحل مسألة المجردين والمكتومين كان في لقاء جمع نائبة الرئيس السوري الدكتورة نجاح العطار بسكرتيري ثلاثة احزاب كردية[10] ومن بعد ذلك بأسبوع مع عدد من المثقفين الكرد، وصرح ناطق باسم المثقفين بأنه " اتسم اللقاء بالإيجابية والجدية، تم فيه الحوار حول واقع الثقافة الوطنية السورية والتعددية الثقافية التي ينبغي الإقرار بها واقعاً. واستعرض الوفد مظاهر الثقافة الكردية السورية وتجلياتها على صعيد الدوائر المعنية كوزارات الثقافة والإعلام والتربية والتعليم العالي والشؤون الاجتماعية والعمل. وعرض الوفد صورة شاملة عن واقع التعامل الرسمي مع الثقافة الكردية، وقدم مقترحات مهمة لتحسينه وتصحيحه، بهدف ترسيخ الوحدة الوطنية[11]. واخر من صرّح من قبل الدولة كان على لسان الرئيس بشار الأسد حيث اعتبر الأسد أن الحل آت لكن بدا وكأنه حل جزئي حيث سيحل جزءا من مشكلة فاقدي الجنسية، لكن من جانب آخر شمّ الكرد رائحة التهديد، حيث اعتبر الرئيس بان مسألة الكرد وحل حالهم مرتبطة بحل وضع المحرومين من الجنسية ومن جهة أخرى استبعد الرئيس إعطاء الجنسية بالنسبة للمكتومين، بقوله "من جانب آخر موضوع إحصاء ١٩٦٢ كان هناك أيضاً عدم معرفة بالنسبة للكثيرين في سورية ما مضمون هذا الموضوع والأشياء الأخرى التي تطرح.

كنت في زيارة لمحافظة الحسكة عام ٢٠٠٢ في شهر آب، والتقيت بكل الفاعليات من مختلف الشرائح من دون استثناء تحدثوا عن هذا الموضوع، قلت لهم، لا توجد مشكلة، سنبدأ به. طبعاً كنا في ذلك الوقت في بدء المرحلة التي بدأت فيها الولايات المتحدة بالتحضير لغزو العراق، وكنا في مجلس الأمن وكنا في قلب المعركة، لم يكن هذا الأمر أولوية، كان عمره أربعة عقود، سرنا به بشكل بطيء، ولكن كنا نتحرك، وأتت حرب العراق وأتت الظروف المختلفة التي أيضاً أوقفت الكثير من الأمور بالنسبة للإصلاح الداخلي، إلى أن وصلنا إلى عام ٢٠٠٤ وحصلت أحداث الشغب في محافظة القامشلي، ولم نكن نعرف تماما ما خلفية هذه الأحداث، لأن البعض حاول استغلالها لأهداف غير وطنية، ولكن لاحقاً اتضح بأن هذه الأحداث هي أحداث شغب لا علاقة لها بأي طرح غير وطني، ولو أن البعض حاول استغلالها. مع ذلك تم إيقاف الموضوع لإعادة دراسته بشكل واضح على خلفية هذه الأحداث، وأعدنا تفعيله في العام الماضي بمبادرة من الدولة، قمنا بإعادة تفعيله طالما أن الأحداث مرت ومر الزمن وواضح تماماً أنه لا توجد حالة غير وطنية"[12].

وفي الحقيقة أن الكرد ما زالوا ينتظرون تحقيق هذا الحلم ولا احد يعرف السر الذي تخفيه السلطات بعدم حل هذه المسألة، وجل ما نفهمه هو أن السلطة تريد أن تؤخر حل هذه المسألة إلى حين تتضخم المسألة وتتبلور في الأوساط الكردية وتتحول لكي تصبح الهم الوحيد للكرد و تأخذ حجما اكبر من الحجم الطبيعي بمعنى أن تتحول إلى قضية مركزية لدى الكرد، وعندها تحل السلطات هذه المسألة لتظهر للعالم بان المشكلة الكردية انتهت!!.

هوامش:

١-كراس "دراسة عن محافظة الجزيرة من النواحي القومية والاجتماعية والسياسية" للملازم أول محمد طلب هلال الصادر في ١٩٦٣، ومحمد طلب هلال أصبح بعد انقلاب آذار ١٩٦٣ عضو القيادة القطرية لحزب البعث العربي الاشتراكي ووزير التموين،ثم أصبح سفير سوريا في بولونيا.والكراس متوفر لدى غالبية الأحزاب الكردية.

٢-حيدر الكزبري كان احد اقطاب انقلاب وانفصال الوحدة في ٢٨أيلول ١٩٦١ وهو كان برتبة مقدم قائد قوات الهجانة.

٣-راجع كتاب"أضواء على الحركة الكردية في سوريا" لأمين عام الحزب الديمقراطي التقدمي الكردي في سوريا عبد الحميد حاج درويش.

٤-المصدر نفسه.

٥-جرى الإحصاء السكاني ليوم واحد وبموجب المرسوم الجمهوري ٩٣ الصادر في آب/أغسطس ١٩٦٢ وحرم ١٥٠ الف كردي من الجنسية السورية، في الوقت الحالي عددهم يتراوح ما بين ٢٠٠ ألف و٣٦٠ ألف شخص (حسب الأحزاب الكردية).

٦-كل لقاءات مسؤولين الكرد (زردشت محمد عضو المكتب السياسي لحزب الوحدة الديمقراطي الكردي وفيصل يوسف عضو المكتب السياسي للديمقراطي التقدمي الكردي وغيرهم) مع السلطات ومع أعضاء القيادة القطرية لحزب البعث أو مع مسؤولين آخرين مثل نجاح العطار و مصطفى طلاس (كان يشغل منصب وزير الدفاع) موضوع البحث هو حصرا عن الجنسية وأوضاع المكتومين. وكذلك لو عدنا قبل أيام مثلاً عندما كان هناك حديث عن لقاء الرئيس مع وجهاء العشائر، فالمذكرة التي قدمت إلى القيادة القطرية بدلاً من الرئيس كان فحواها موضوع الجنسية.

٧-كان رئيس النظام السوري بشار الأسد وأركان نظامه قد تعهدوا في أكثر من مناسبة بحل هذه القضية ولكن إلى هذه اللحظة لم يفوا بتلك الوعود.

٨-الرئيس بشار الأسد في حديث إلى محطة تلفزيون "سكاي نيوز" التركية في ١٧-١٢-٢٠٠٥،وأجرى الحوار معه سرداد آك اينان.

٩-في حوار معه في ٢٠٠٥/٥/٢٢ لم يتح لنا معرفة اسم الجريدة أو قناة التلفزيون لكنه منقول من موقع انترنيت كردي(عامودة).

١٠-استقبلت نائبة الرئيس السوري للشؤون الثقافية الدكتورة نجاح العطار في دمشق يوم الخميس ثلاثة مسؤولين كرد، حيث تباحثت الدكتورة العطار مع كل من عبد الحميد درويش سكرتير الحزب الديمقراطي التقدمي الكردي في سوريا ونذير مصطفى سكرتير الحزب الديمقراطي الكردي في سوريا (البارتي) وطاهر سفوك سكرتير الحزب الوطني الديمقراطي الكردي في سوريا، حول قضية الكرد المجردين من الجنسية، وطلبت رأيهم حول هذا الموضوع.

١١-استقبلت السيدة الدكتورة نجاح العطار نائب رئيس الجمهورية العربية السورية للشؤون الثقافية في ٢٠٠٦/٧/٦ في قصر الضيافة بدمشق وبحضور عراب اللقاء الدكتور أحمد برقاوي وفداً من المثقفين الكرد المستقلين ضم أعضاء الوفد كلا من: الدكتور سربست نبي،د. فاروق اسماعيل، د. آزاد حموتو، د. محمد علي عبدي،د. ميديا محمود، عبد الرزاق أوسي،صالح بوزان، علي جزيري، إبراهيم اليوسف، خالد جميل محمد، خوشناف حمو، أحمد إسماعيل إسماعيل، ديا جوان.

١٢-مقتطفات من خطاب القسم الأخير للرئيس بشار الأسد.

تجنيات هرمز ابونا على تاريخ بدرخان باشا



د. فرست مرعي

مما لا شك فيه ان الكثير من الرموز والقادة التاريخيين لبعض الأمم يكونون بمثابة طواغيت وسفاحين لأمم أخرى تتقاطع مصالحها السياسية والاقتصادية والجغرافية وغيرها مع الامم صاحبة الرمز والتاريخ البطولي، وأمتنا الكوردية ليست في هذا المجال نشازا، فقد تعرضت خلال حقب تاريخها الطويل للمنظورين اعلاه، فهي من جانب تعرضها الى الظلم والتعسف على يد سفاحين وظلمة على سبيل المثال لا الحصر (الشاه عباس الصفوي ممثلا عن الفرس، ومصطفى كمال أتاتورك ممثلاً عن الترك، وصدام حسين عن العرب).

ومن جانب آخر فقد تعرضت الأمة الكوردية ورموزها التاريخية من أمثال صلاح الدين الأيوبي وبدرخان بك وعبد السلام البارزاني وإسماعيل آغا شكاك ومحمود الحفيد والشيخ سعيد بيران إلى حملات عديدة من الدس والتشويه واللاموضوعية على يد كتاب ومؤرخين وصحفيين من ابناء القوميات الصغيرة التي يشاركون السكن والعيش في كوردستان (بلاد الكورد) بجانب الكورد، وعلى الرغم من معرفة هؤلاء بالظلم التاريخي الذي وقع على كاهل الكورد وانهم ربما كانوا الضحية الكبرى في منطقة الشرق الأوسط على أقل تقدير، فانهم مع ذلك اصبحوا أي الكورد في نظر اولئك بمثابة جلادين وطواغيت في الوقت نفسه — وهذا قياس مع الفارق وغير منطقي فالانسان لا يكون ضحية وجلاداً في آن واحد.

فالأمة أو الشعب الذي تعرض الى ظلم تاريخي متراكم يحس أفراده بعاقبة وسوء الظلم، لذلك لا نعدو الحقيقة اذا قلنا ان اعمالاً كهذه عندما تنسب الى شعب ما فانها لعمر الحق لا تعدو ان تكون بمثابة إرجاع الحقوق الى أهلها، وأبرز مثال على ذلك ما نلاحظه في مسألة منطقة كركوك فرغم معرفة الجميع بعائديتها الى كوردستان جغرافية وتاريخاً وديموغرافياً (سكانياً) وحضارياً ' فإنهم مع ذلك يتهمون الكورد بتكريد منطقة كركوك وظلم المجموعات السكانية

الأخرى من تركمان وعرب وكلدان وآشوريين وغيرهم تمهيداً لتسليم العراق وانشاء دولة كوردية، علماً بأنهم رأوا بأم اعينهم خلال الأربعين سنة الماضية ما حل بالكورد من تشريد تهجير وقتل مازال غالبية الجيل الذي رافق هذه الالوان الصارخة من الظلم على قيد الحياة.

والكتاب الذي بين ايدينا هو (تاريخ الآشوريين بعد سقوط نينوى – الجزء السادس) وهو عبارة عن موسوعة ظهرت الى الآن منها ثمانية أجزاء بقلم الكاتب (هرمز آبونا) وهو مسيحي عراقي الأصل كندي السكن والجنسية حاليا، علما أنه من ناحية الاصل من سكنة قصبة القوش الواقعة في جنوب كوردستان على مسافة اربعين كيلومتراً جنوب مدينة دهوك، وهي قصبة غالبية سكانها من المسيحيين الكلدان وتحيط بها عدة قرى كوردية إيزدية.

ومما تجدر الإشارة إليه أن الكاتب هرمز موسى ابونا كان في الأصل موظفا (مساحاً) في مديرية طرق محافظة نينوى، ولكنه أصيب بلغم ارضي أثناء عمله في شق الطرق العسكرية التي كان نظام صدام حسين يقوم بإنشائها في الجبال والهضاب الكوردية المنيعة تمهيدا للقضاء على الحركة التحررية الكوردية التي كانت تقاوم مشاريعه، وتعمل في الوقت نفسه في تلبية مطالب شعب كوردستان في التحرر وتقرير المصير، وتم نقل هرمز أبونا إلى بريطانيا لتلقي العلاج على نفقة الحكومة العراقية في عام ١٩٨٢، وقيل في أحد مواقع الانترنت التابع للحزب الآشوري الديمقراطي فرع سوريا انه استغل الفرصة وواصل دراسته في جامعة إكستر في لندن وتخصص في التاريخ وحصل على شهادة الدكتوراه، وكان موضوع أطروحته (القبائل الآشورية المستقلة في تياري وهكاري وعلاقتهم بالكرد والأتراك)، رغم انه لم يحصل على تخصص أولي (جامعي) في التاريخ، يؤكد حصوله على شهادة جامعية في الحقوق ومن ثم الدكتوراه في التاريخ .

وغني عن القول ان المهندس المسيحي العراقي (نبيل يونس دمان) ابن صديق والده أشار في رده على هرمز أبونا في مقاله تحت عنوان (قراءة هادئة في كتاب الآشوريين بعد سقوط نينوى لهرمز أبونا) إلى انه أي (هرمز موسى أبونا) كان من المساحين الجيدين في المنطقة الشمالية من العراق (كوردستان الجنوبية)، وانه أثناء عمله كمهندس فان زملاء هرمز أبونا من المهندسين والفنيين أشادوا به وبعمله كمساح جيد، لذا فللباحث أن يتساءل كيف استطاع المساح هرمز أبونا أن يحصل على شهادة الدكتوراه في التاريخ من جامعة إكستر البريطانية ؟ فأي القولين هو الصحيح!

ومهما يكن من أمر ففي الجزء الخامس من موسوعته تطرق المؤلف (هرمز ابونا) الى وطن القبائل الآشورية المستقلة في تيارى وحكاري (هكاري) والأقاليم الآشورية المحيطة بها، أي أنه بهذا العنوان الضخم ألغى تاريخ وجغرافية كوردستان من الوجود بجرة قلم، ولنا حديث آخر معه في غير هذا المكان.

أما موضوع بحثنا فيتركز على المجلد السادس من الموسوعة كما اسلفنا تحت عنوان الصفحة الداخلية (مذابح بدرخان بك في تيارى وحكاري ١٨٤٣- ١٨٤٦) المطبوع في دار المنتدى للطباعة والنشر في مدينة ديترويت- مشيكن في الولايات المتحدة، وفي البداية يشكر المؤلف كلا من (الدكتور ايشو مرقص) من شيكاغو على دعمه للمجلد السادس، كما يسجل شكره وتقديره للأخوة والأخوات في الجمعية الأكاديمية الآشورية في شيكاغو.

Assyrian Academic Society – Chicago على دعمهم لهذا المجلد وشراء ١٠٠ نسخة منه، ويشكر في الوقت نفسه (فؤاد منا) صاحب ورئيس تحرير مجلة المنتدى الصادرة في ديترويت- مشيكن على عنايته واهتمامه بطبع هذا المجلد ودعمه.

كما أن اهداءه يتضمن مغزىً آخر خطيرا دونكم نصه "الى بناة الحضارة وحملة مشاعل المعرفة والايمان من الآشوريين[1] والكلدان[2] والسريان[3] ضحايا مجازر ومذابح الغزاة والطامعين بأرضهم المعطاة في

كل زمن ومكان أهدي هذا المجلد".

وقبل البدء في رد تخرصات هرمز ابونا وتجنيه على الحقيقة أود الاشارة الى نقطة مهمة يجب على الهيئات الكوردية جميعها في داخل الوطن وخارجه الانتباه اليها وهو أن هناك حملة منظمة من أعداء القضية الكوردية تسعى بشتى الوسائل الى الحط من المنجزات الكوردية في العقد الأخير من القرن العشرين وغايتها في ذلك هي اضعاف الموقف الكوردي من خلال الصاق التهم والأباطيل بالرموز والتاريخ الكورديين عسى ان تكون الطلقة الأخيرة في جعبتهم لأنهم يعرفون أكثر من غيرهم أن الزمن القادم هو زمن كوردي لا محال وأن الكورد سيحصلون على حقوقهم التي حرموا منها لمئات السنين، وأنهم رغم ذلك سيكونون منصفين مع الآخرين أو بعبارة أخرى مع القوميات الاخرى التي تشارك الكورد السكن على أرض كوردستان وتحديداً مع المسيحيين وهذا ما يتجلى واضحاً لهم على أقل تقدير في مناسبتين عسى ان تنفع الذكرى، الاولى: الفرق الذي وجدوه بين العيش في كوردستان تحت ظل حكومة اقليم كوردستان وبين حياتهم في ظل النظام الديكتاتوري البائد، والثانية: بعد استشراء الارهاب ومحاولته التضييق عليهم بالاغتيال والطرد مما أدى بهم الى ترك مناطق سكناهم في وسط وجنوب العراق والالتجاء الى كوردستان حيث الأمان والدعة. ورغم ذلك فما زالت حملاتهم الاعلامية والسياسية تترى وستترى حتى يكلوا هم ولانكل نحن، لأننا أصحاب قضية وإن كنا لا نتنكر لحقوقهم التي منحها الله سبحانه تعالى لهم وتم بموجبها سن قوانين وانظمة تضمن لهم العيش الكريم في ظل أجواء من علاقات الاخوة والصداقة وأساليب الحوار الحضارية واحترام الخصوصية الاجتماعية والثقافية للجميع.

يقول هرمز ابونا: "ففي وقت بحثنا (أواسط القرن التاسع عشر) كانت الخارطة الأثنية والدينية، قد تغيرت بشكل حاسم لمصلحة الغزاة المستقرين (الكورد) وطالت عمليات استقرارها جميع المناطق والاقاليم التي شهدت أيام مجد وعظمة الشعب الآشوري خلال عشرات القرون. ففي اواسط القرن المذكور اشار عالم الاثار البريطاني الشهير هنري لايارد Sirhenry layard الى هذه الحقيقة ، فذكر : "بان الاشوريين في حدياب (منطقة اربيل) ، وجبال اشور (تياري وحكاري وطور عبدين) هم البقايا الوحيدة من السكان الاصليين لبلاد ما بين النهرين ، اما البقية (يقصد الكورد) فغرباء".[4]

ان هذه المنطقة التي ذكرها هرمز ابونا نقلا عن الاثاري والجاسوس البريطاني هنري لايارد هي كوردية لحماً ودماً بإجماع المؤرخين اليونان والرومان والعرب والفرس والترك قبل الكورد ، ولمن اراد المزيد فعليه بالمؤلفات المدونة في الحاشية[5].

وبصدد الاتهامات التي الصقها هرمز ابونا بالزعيم الكوردي بدرخان بك يقول ما نصه : ((وكما هو معلوم فان الفترة المحصورة بين ١٨٤١ – ١٨٤٨ كانت فترة عاصفة في تاريخ القبائل الاشورية المستقلة (النسطورية والكلدانية والسريانية - الباحث) حيث سادتها حالة الصراع الذي كان تمهيداً لحملة المذابح الدموية الرهيبة التي سنشير اليها والتي قام بدرخان بك خلالها بقيادة تحالف لم يسبق للكرد أن اختبروه وشمل كرد تركيا وايران رغم كل التناقضات والعداء القائم المستحكم بين زعمائهم .

وبمساعدة الاتراك، وبالتعاون المشترك مع المبشرين قاموا بهجوم كاسح على القبائل الاشورية المستقلة بعد ان مهدوا لنجاح حملة الغزو. والتحالف الكردي بقيادة بدرخان بك زعيم كرد بوتان في هجومه على القبائل الاشورية في تياري وحكاري اقترف اولى المذابح الجماعية في التاريخ الانساني الحديث والتي لم تتم الاشارة اليها من قبل اي جهة او مرجع غربي او شرقي عدا ما ورد من اشارات عابرة في المراسلات الدبلوماسية للعديد من الدول الاوربية ولاسيما بريطانيا، روسيا، فرنسا، وما كان قد اشار المبشرون المعاصرون. وظلت مأساة الشعب الاشوري طي النسيان،

ووضعت احداثها المروعة على الرفوف العالية بعيدة عن الاهتمام الواجب لكشف الحقيقة وبيان حدود المأساة التي تعرض لها هذا الشعب[6].

السيد هرمز ابونا يناقض نفسه بنفسه،فبينما كان جل اعتماده على المصادر الغربية في ايراده لبعض اوهامه بخصوص الانتهاكات المزعومة التي ارتكبها الكورد بقيادة بدرخان بك ضد القبائل النسطورية المتمركزة في مقاطعة هكاري، نراه يؤكد على وجود اشارات عابرة هنا وهناك في مراسلات الغربيين ،فضلا انه ذكر ان الاتراك ساعدوا الزعماء الكورد فيما يسمى اقترافهم المجازر ضد القبائل النسطورية، رغم انه سيذكر فيما بعد نصوصاً اخرى تؤكد على الخلافات الحادة بين الجانبين الكوردي بقيادة بدرخان بك والجانب العثماني (ومنذ ذلك التاريخ(1831م) فان ثلاثة اطراف رئيسي كان لها تاثير مباشر في تقرير حاضر ومستقبل الشعب الاشوري (النسطوري والكلداني) وقبائله المستقلة وهي:

اولاً : الاتراك ، ثانياً : الكرد، ثالثاً :المبشرون الغربيون ورغم التناقضات والخلافات التي كانت قائمة بين الاطراف الثلاثة المذكورة الا ان المصلحة المشتركة جمعتهم لاتخاذ موقف موحد بالنسبة للقبائل الاشورية بهدف القضاء على استقلالها واخضاعها للحكم التركي المباشر[7])).

الكاتب يحاول استدرار العطف من خلال الايحاء بوجود القبائل النسطورية وسط التجمعات الكوردية، فضلاً عن التكهن ان هذه التجمعات الكوردية قد استقرت او بمعنى اخر جاءت الى المنطقة بعيد معركة جالديران(1514م) بقوله : ((لقد كان الموقع الاستراتيجي لوطن القبائل الاشورية المستقلة وسط التجمعات الكردية التى استقرت في المنطقة بعد معركة جالديران سنة 1514م قد مثل حالة استثنائية لعملية الزحف الكردى التي شهدتها بلاد آشور (كوردستان) خلال القرون الماضية وما ترتب عليه من تغيير في الخارطة الديموغرافية للمنطقة))[8].

وفى تناقض صارخ يذكر بان الوجود الاشورى كان يمثل رمز التحدي والمقاومة لعملية الغزو الكوردى لأراضي القبائل الآشورية،وان الكورد أرادوا بغزوهم لأراضي القبائل الآشورية ربط مواطن الكورد في بلاد فارس بلاد مابين النهرين من خلال القفز على المعطيات الجغرافية والتاريخية والاركيولوجية (الاثارية) ومعطيات الواقع انذاك ومن خلال نصوصه قبل هذا الموضع وبعده ((الا ان عملية الزحف، والاستقرار الكردي هذه كانت قد توقفت عند حدود وطن القبائل المستقلة الامر الذي شكل حالة شاذة بانسبة للكرد ممثلة باقلية دينية وعرقية تعيش مستقلة وسط تجمعاتهم وتحول دون اتصالهم الجغرافي/الديموغرافي لمجموعاتهم القاطنة في ايران (كوردستان ايران) والمستقرة في اعالي ما بين النهرين (كوردستان العثمانية) هذا الوجود الاشوري مثل رمز التحدي والمقاومة لعملية الزحف الكردي المشار اليها ولاسيما اذا ما علمنا بان موقع وطن القبائل الاشورية كان يمثل القلب بالنسبة الى الخارطة الجيوبوليتيكية لاستقرار الكرد في بلاد ما بين النهرين واولئك الذين كانوا اصلاً في بلاد فارس(كوردستان ايران)[9].

وعندما يصل الكاتب الى الفصل الثاني الذي يعنون له (مذابح بدرخان بك سنة 1843) وهو بيت القصيد يفتح هذا الفصل بكلام للقنصل البريطاني في الموصل مع غيره من القناصل والمبشرين للصراع الذي دار بين الكورد وجيرانهم النصارى من النساطرة وغيرهم حسب كلام المؤلف نفسه في الصفحات القادمة.

((ان المذبحة التي ارتكبها الكرد ضد النساطرة هي عار في جبين الانسانية)).[10]

والكاتب يقع في تناقض صارخ عندما يذكر في بداية الفصل السابع كلاماً منسوباً الى مراسل جريدة لندنية مانصه: «ان المسؤولين عن المذبحة هم المبشرون جورج بادجر (الكنيسة الانجليكانية البعثة التبشيرية الامريكية والمبشرون الكاثوليك)).[11]

وفي تناقض آخر لا يقل عن سلفه فإن عنوان

الفصل الذي بدأ فيه المبشرون ودورهم في المذابح"[١٢]، فمرة يتهم بدرخان بك بالمذابح ومرة السلطات العثمانية (التركية) وتارة المبشرين الأجانب، ولا يعقل أن يتعاون (المبشرون) المسيحيون مع الكورد الساعين في ايقاع مجزرة! بالنساطرة المسيحيين. فالكتاب مليء بنصوص ورسائل تثبت تعاون بطريرك الطائفة نفسها وملوكها (رؤساء القبائل النسطورية) مع هؤلاء المنصرين (المبشرين) والرحالة والدبلوماسيين الغربيين في تنفيذ مخططات الأخيرين وبالتالي منع قيام كيان سياسي كوردي من خلال الايقاع بين الامارات الكوردية والدولة العثمانية وهذا ما اثبتته الوقائع فيما بعد.

يقول البطريرك مار شمعون أوراهم في رسالة له الى رئيس اساقفة كانتربري في شهر آب ١٨٤٩ يشكو مأساة المبشرين قائلاً: "كنا نعيش بسلام قبل مجيء المبشرين الأمريكان... والآن يجب أن نكون حذرين منهم"[١٣]

ومما تجدر الاشارة ان الباحث اللبناني جورج قرم يعترف بأن سياسة المبشرين خلقت العداء بين الاسلام والمسيحية"[١٤], والكاتب في معرض تعريفه بالمبشر البريطاني جورج باد جر يؤكد بانه "أهم مبشر أرسلته انكلترا الى اتباع الكنيسة الشرقية من حيث تأثيره في مجرى الأحداث التي حصلت للقبائل الآشورية مباشرة بعد أول زيارة له كان قد قام بها سنة ١٨٤٢, ومما تكشفه الوثائق البريطانية فإن مهمة إيفاده الى القبائل الآشورية كانت قد تمت بالتنسيق مع وزارة الخارجية البريطانية، وظل طوال فترة تواجده بالمنطقة على اتصال دائم بالسفير البريطاني في استنبول مزوداً اياه بتقارير ذات طبيعة سياسية أكثر مما هي دينية"[١٥]. وعلى أية حال فإن القلعة التي بناها المبشر الأمريكي كرانت في قرية آشيتا"[١٦] بدعم من الكنيسة الأنجيلية البريطانية كانت في واقع الأمر هي السبب الرئيس في الصراع الذي جرى بين الكورد وبين القبائل النسطورية، ولاسيما بعد ان تقوى النساطرة بالارساليات التنصيرية البريطانية والأمريكية، فضلاً عن ذلك أن البطريرك مار شمعون أوراهم في رسالته الى السفير البريطاني في العاصمة العثمانية استنبول في ١٤ كانون الثاني سنة ١٨٤٤ يحاول استجلاب عطف السفير مؤملاً مساعدته ودعمه لأبناء طائفته، كما يذكر في الرسالة المساوئ التي الحقها المبشرون بابناء شعبه من النساطرة، حتى يعلم هرمز ابونا وغيره بأن أعداء النساطرة ليسوا الكورد وإنما هم المنصرون (المبشرون الغربيون) وسندرج نص الرسالة لأهميتها: " إن اعداءنا الذين يطلقون على انفسهم اسم المسيحيين هم في الواقع رسل دجل (يقصد المبشرين)، وهم مسرورون جداً مما حل بنا من نكبات ومصائب، ويقولون عني (لقد خذله الرب وليس هناك من يستطيع ان يخلصه)، ويعتقدون انه بامكانهم ان ينتصروا علينا في وقت محنتنا وشدتنا هذه. وهم يبذلون الجهود الحثيثة بارسال الوكلاء بين ابناء شعبنا المشرد ويقومون برشوتهم بالملابس والنقود لكي ينتزوهم من كنيستهم في مسعى محموم لعزل شعبي عني. وهذا ليس بمستغرب فانهم يستطيعون تضليل حتى(.....) من خلال نواياهم الشريرة وكلام التملق المعسول. ثم يورد اقتباساً من الأنجيل (ويل للأشرار الجشعين... ابنة بابل...)[١٧]، شيء واحد أتوسل من سعادتكم وهو ان لا تلهونا لأن مساعدتكم لنا هي كل ما نملكه، وهي قوتنا الوحيدة التي نواجه بها أعدائنا يعني الكورد)[١٨].

ويبدو من خلال استقراء النصوص المارة الذكر ان الكاتب يحاول لي النصوص من خلال اتهام بدرخان بك وابناء شعبه الكوردي بالقيام بارتكاب مجازر بحق النساطرة، وينسى ان الكورد المسلمين والنساطرة والطوائف الأخرى من المسيحيين عاشوا في سلام وأمان ووئام ووفاق طيلة القرون الماضية، ولما حل المنصرون الغربيون (المبشرون) بين ظهرانيهم حدث ما حدث لذا فان المبشرين وحدهم يتحملون نتيجة هذه الأعمال وان عليهم تقديم الإعتذار لاتباع الكنيسة النسطورية (الآشوريين الحاليين) مع تقديم ضمانات

وحقوق مادية تتحملها ميزانية الدول الغربية المعنية بهذا الشأن كبريطانيا وأمريكا وفرنسا.

ويبدو ان تحامل هرمز ابونا على الأمير بدرخان يرجع بدون شك إلى التقارير والرسائل التي بثها في مؤلفاتهما كل من الجاسوس والرحالة البريطاني هنري لايارد والمبشر البريطاني الآخر بادجر حول سياسة بدرخان بك المعادية للقبائل النسطورية، ولكن من جانب آخر فان العديد من الباحثين الأجانب يؤكدون بان لبدرخان صفات سامية ميزته تحديدا عن بقية الأمراء الكورد المعاصرين له كبعد النظر، والتسامح الديني في تعامله مع الجماعات غير المسلمة وخاصة المسيحية منها. أضف إلى ذلك أن شهادة لايارد تناقضت إلى حد كبير مع شهادات عدد من المعاصرين له الأجانب وخاصة المستر (رايت) والمستر (بريث)، وهما من رجال الإرسالية الأمريكية في اورمية الذين دعاهما بدرخان بك لزيارة مقره في دار كوله في شهر حزيران من عام ١٨٤٦م . وقدم هذان الرجلان (افضل واكمل صورة عن بدرخان) على حد تعبير المؤرخ الارمني سافرستيان لانهما كانا ضمن عدد محدود من الزوار الأجانب الذين شاهدوا ولمسوا عن قرب التحسن الكبير في الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية والسياسية في المناطق الكوردية المستقلة الخاضعة لحكم الأمير بدرخان[٩] ونظرا لكونهما مبشرين مسيحيين أمريكيين، لم تكن لهما مصلحة شخصية في إعطاء صورة ايجابية عن شخص كان الموظفون البريطانيون (وعلى رأسهم رسام نائب القنصل البريطاني في الموصل, وستيفنز القنصل البريطاني في طرابزون) يتهمونه جهارا بمعاداة المسيحية.

وأكد لوري المبشر الأمريكي الآخر على الأمن الكبير الذي وفره بدرخان للمسافرين في المناطق الكوردية المستقلة وتحديدا للأجانب ومن بينهم مراسل فرنسي ودبلوماسي فرنسي ورحالة روسي. وينقل القنصل الروسي في تبريز نيكيتين في كتابه (الكرد) أحدى الشهادات الارمنية التي أكدت أن الأمير بدرخان (كان يمارس سياسة دينية مثالية وكان يعد نفسه بمنزلة زعيم روحي في المناطق المحررة من الاحتلال التركي) . بهذه الصورة تتناقض شهادة عدد من رجال الإرسالية الأمريكية والزوار الأوروبيين تماما مع ادعاءات لايارد حول تعصب بدرخان الديني وتعصب سلطته.

الهوامش والمصادر

١-الآشوريون: المقصود بهم في هذا الموضوع اتباع الطائفة النسطورية الذين يتبعون القديس نسطوريوس في اعتقادهم والا فان الكتاب الآشوريين يطلقون على جميع المسيحيين في العراق الآشوريين.

٢-الكلدان هم بالاصل كانوا نساطرة ولكنهم انضموا الى الكثلكة وسماهم البابا ديوجينيس الرابع في القرن الخامس عشر الميلادي بالكلدان المتحدين وهم يعتبرون انفسهم قومية خاصة، ويعد الكلدان من أكثر الطوائف المسيحية عدداً في العراق ومقرهم الرئيس يقع في بغداد.

٣-السريان هم من اتباع المذهب المنوفيسيتي (أصحاب الطبيعة الواحدة ويتواجدون في منطقة الموصل وتحديداً في قرة قوش وبرطلي وبعشيقة وقد انقسموا الى فرقتين بتأثير المبشرين الكاثوليك مثلهم في ذلك مثل النساطرة والكلدان وهما السريان الارثوذوكس والسريان الكاثوليك.

٤-الآشوريون بعد سقوط نينوى: مطبعة الفاغرافيك، شيكاغو الطبعة الاولى ١٩٩٩، ص ٤

٥-فلاديمير مينورسكي: الكرد ملاحظات وانطباعات، دار الكاتب بيروت الطبعة الأولى، ترجمة د. معروف خزندار، درايفر: الكرد في المصادر القديمة بغداد مطبعة الديواني، ص ٣١- ٣٥ ترجمة فؤاد حمه خورشيد، ابو الحسن البلاذري: فتوح البلدان، المكتبة التجارية مصر، ص ٣٢٧ مراجعة رضوان محمد، ابن الأثير: الكامل في التاريخ. بيروت ج، ص٥٢٤، ياقوت الحموي: معجم البلدان، دار صادر بيروت ١٩٧٩، مج ٣ ص ١٥٨، محمد امين زكي: خلاصة تاريخ الكرد

وكوردستان منذ اقدم العصور التاريخية حتى الآن، بغداد الطبعة الثانية ١٩٦١، ج١ ص ٤١، توفيق وهبي: أصل الكرد ولغتهم، مجلة المجمع العلمي الكردي، بغداد، العدد، مج٢ ١٩٧٤، ص٨- ٩.

٦-الآشوريون بعد سقوط نينوى- مذابح بدرخان بك في تياري وحكاري ١٨٤٣- ١٨٤٦، مج٦ ص٥-٦

٧-هرمز أبونا: الآشوريون بعد سقوط نينوى، مج٦ ص٨.

٨-المرجع نفسه، مج٦ ص ٢٨، والغريب انه يحدد طول كوردستان العثمانية بـ١٠٠ ميل طولاً، ويدخل مدينة سنه (سنندج- كوردستان) ضمن كوردستان العثمانية، علماً ان سنه كانت عاصمة كوردستان الفارسية والايرانية ومازالت. الباحث.

٩-المرجع نفسه، مج٦ ص ٢٨

١٠-المرجع نفسه، مج٦ ص ٣٨

١١-المرجع نفسه، مج٦ ص ١٦٢

١٢-المرجع نفسه، مج٦ ص ١٦٢

١٣-المرجع نفسه، مج٦ ص ١٦٣ الهامش نقلاً عن Anderson,l

١٤-تعدد الاديان وأنظمة الحكم، بيروت، ص ٢٧٦

١٥-هرمز أبونا المرجع السابق، مج ٦ ص ١٦٣ الهامش ٤

١٦- المرجع نفسه، مج٦ ص ١٨٣، تقع هذه القرية على مقربة من الحدود الدولية العراقية التركية خلف جبل شاراني مقابل قريتي بيده وأوره التابعتين لعشيرة برواري بالا في منطقة ناحية كاني ماسي على بعد ٢٥ كم شمال غربي قضاء العمادية.

١٧-لم يكمل الكاتب هذا النص من الانجيل لانه يحوي اتهامات فاضحة بحق هؤلاء المبشرين.

١٨-هرمز ابونا: المرجع السابق، مج ٦ ص ٢٥١- ٢٥٢.

١٩-جليل جليلي: من تاريخ الإمارات الكوردية في الإمبراطورية العثمانية في النصف الأول من القرن التاسع عشر، ترجمة محمد عبدي، ص ٢١.

«رستم حيدر»
سيرة حياته
واسباب وتدعيات اغتياله



محيي الدين محمد يونس

الشخصيات السياسية وبسبب دورها السياسي تتعرض حياتهم للاخطار العمدية العديدة ودوافع الاعتداء تكون عادة متنوعة. ومن بين هذه الدوافع دافع العداء والحقد الشخصي بسبب ماتصيب مصالح بعض الاشخاص من اضرار من جراء موقف مسؤول حيال مسألة عامة او خاصة وما يتبع ذلك من حصول رد فعل لهذا الموقف يتخذ شكل حقد شخصي عند بعضهم على ذلك المسؤول ويترجم هذا الحقد عند البعض الاخر الى عمل عدائي وقد يستغل هذا الامر من قبل جهات سياسية او غير سياسية لغرض تنفيذ مخططاتها بهدف تصفية هذه الشخصية السياسية وحادث اغتيال رستم حيدر وزير المالية في الحكومة الملكية العراقية بتأريخ ١٨ كانون الثاني ١٩٤٠ تدخل في اطار هذا النوع من دوافع الاعتداء.

وقبل البدء بسرد مجريات حادث الاعتداء على حياته واسباب ذلك لابد من وقفة تأمل في سيرة حياة هذا الرجل السياسي.

سيرة حياته:

ولد محمد رستم حيدر عام ١٨٨٩ في مدينة بعلبك اللبنانية وكان اصل عائلته من العراق وتنتمي الى قبيلة بني اسد.

تخرج من المدرسة الملكية الشاهانية في اسطنبول في عام ١٩١٠ ثم سافر الى باريس لاكمال دراسته وتم له ذلك في عام ١٩١٢ وعاد الى مسقط رأسه. وبما انه كان من الاعضاء المؤسسين للجمعية العربية الفتاة فقد التحق بالامير فيصل في ١٩١٨/٨/١٠ عندما كان الاخير على رأس الحملة العسكرية المتجهة الى سوريا ولبنان وفلسطين لطرد الجيش التركي بدعم مباشر من القوات البريطانية..

استمرت ملازمة رستم حيدر للأمير فيصل في سوريا ورافقه بعد ذلك عند قدومه الى العراق في ١٩٢١/٦/٢٣ واصبح سكرتيرا خاصا له بعد تتويجه ملكا على هذه الدولة الحديثة ثم تقلد بعد ذلك منصب رئيس الديوان الملكي ثم وزيرا للمالية في ١٩٣٠/١٠/١

وكان ذلك بداية تقلده سبع حقائب وزارية مختلفة في فترات منقطعة ولحين اغتياله في عام ١٩٤٠ في ديوان وزارة المالية في العاصمة العراقية بغداد..

وقبل التوقف عند هذا الحد من سيرة حياة هذا الرجل بانتهائها لابد من الاشارة الى مسألة مهمة ومبهمة من حياته تخص انتماءه القومي من خلال الاجابة عن هذا الاستفسار هل كان رستم حيدر كرديا؟

قبل سنوات نشرت احدى الصحف المحلية وضمن زاوية اعلام الكرد بحثا عن سيرة حياة رستم حيدر باعتباره علما من اعلام الكورد واستندت الصحيفة في ذلك الى:

١-ورود ذكره في الصفحتين ٢٢٧ و ٢٢٨ من كتاب تأريخ مشاهير الكورد الصادر عام ١٩٨٧ في طهران ومؤلفه الباحث المعروف (بابا مردوخ روحاني) الذي اعتمد بدوره على:

أ-كتاب الاعلام لـ(خير الدين الزركلي) الجزء السادس/ ص ٣٦٠.

ب-مجلة (ماد) العدد/ ٢ سنة ١٩٤٥ باللغة الفارسية/ ص ٢٧.

٢-كما عولت الصحيفة على اسمه المركب (محمد رستم) واسم والده (علي حيدر) وبان ظاهرة الاسماء المركبة كانت شائعة في ذلك الوقت في مجتمعنا الكردي ولا شأن للمجتمع العربي بتداولها.

اما من حيث انتسابه الى قبيلة بني اسد العربية فيذكر المرحوم المؤرخ الدكتور مصطفى جواد في بحثه الموسوم (جاوان قبيلة كردية منسية) بان هذه القبيلة الكردية كانت حليفة لقبيلة بني اسد حيث اشتركتا معا في الدفاع عن مصالحهما وفي بناء مدينة الحلة وفيها محلتهم (محلة الكرد) كانت معروفة بهم منسوبة اليهم منذ القدم.

وكان لانقطاع هذه القبيلة عن منشئها ونزوحها عن مناطقها الاصلية واختلاطها مع القبيلة العربية المذكورة والقبائل الاخرى اثر كبير في ذوبان عدد كبير من العوائل الكردية من القبيلة الجاوانية الشهيرة في قبيلة (بني اسد) العربية اما المؤرخان الكرديان المرحوم ملا جميل روژبياني والدكتور حسام الدين علي غالب النقشبندي فيعقبان على ماذهب اليه



المرحوم الدكتور مصطفى جواد في بحثه الملمح اليه، الاول فيما يتعلق بموطنهم الاصلي فينوه بان مناطق سكناهم الاصلية كانت تبدأ من همدان الى الاهواز ومن مندلي الى الزاب، وخلال السنوات التي تلت بروزهم كقوة ضاربة انحدروا الى مناطق شهربان، دسكره، بلدروز، مندلي، كوت، وحول مدينة بغداد وجنوبها وتعايشوا مع قبيلة بني اسد حتى وصل الامر بهما للتعاون في بناء مدينة الحلة الحالية وذلك في عام ٤٩٧ هـ.

اما الثاني فيعلق على الموضوع نفسه ويضيف ان

قبيلة جاوان كانت سنية المذهب ومن اتباع الامام الشافعي الا انهم تشيعوا بحكم البيئة والاختلاط والمصاهرة.. وبعد هذا السرد لحياة هذا الرجل.. هل نستطيع ان نحدد انتماءه القومي او بالاحرى ان نقول عنه بانه كان كرديا.

ومما لاشك فيه بان الاجابة عن هذا التساؤل تقودنا الى البحث عن معاناة امتنا الكوردية من ظاهرة خطيرة الا وهي انسلاخ وهجرة الادمغة الكوردية لتندمج في كيانات القوميات الاخرى مثل العربية والفارسية والتركية بحكم اختلاطها القسري وغير المتكافئ وخدمتها هذه القوميات افضل من ابنائها الاصليين.

ان هذه الظاهرة السلبية لها اسبابها الذاتية والموضوعية ولم تأت عن فراغ اذ مارست الدول الاقليمية التي جرى تقسيم كوردستان عليها ارضا وشعبا بشكل قسري بموجب معاهدة سايكس بيكو السرية عام ١٩١٦ هذه السياسة بشكل مبرمج ومنذ زمن طويل وسياسة التعريب التي مارستها الحكومات العراقية المتعاقبة وكانت اقساها ممارسات نظام صدام حسين في هذا المجال وبشكل لافت للنظر ووفق برنامج واضح وعلني مدروس خير دليل على هذه السياسة الشوفينية.

وما نهدف اليه من ذلك ان نجيب عن التساؤل ونقول بان رستم حيدر كان كورديا لكن كان ضمن هذه الظاهرة التي شملته كما شملت المئات من الشخصيات البارزة في كافة مجالات الحياة والذين لايمكن حصرهم لكثرة عددهم.

اغتيال رستم حيدر:

كانت الساعة تشير الى الحادية عشرة قبل ظهر يوم ١٨ كانون الثاني ١٩٤٠ وبينما كان وزير المالية رستم حيدر جالسا في مكتبه الرسمي دخل عليه (حسين فوزي توفيق) وهو مفوض شرطة مفصول وقدم له كتابا واثناء قراءته توجس الوزير من المذكور شرا غير انه لما هم بالخروج من مكتبه صوب الباب اطلق المذكور عليه من الخلف رصاصة من مسدسه اصابته في خاصرته اليسرى.

اعتقل الجاني ونقل المجني عليه الى المستشفى الملكي حيث لفظ انفاسه الاخيرة بعد اربعة ايام من اصابته وكان اعزب وفي الحادية والخمسين من عمره ودفن في المقبرة الملكية في بغداد.

لقد خلقت هذه الجريمة مشاكل سياسية وطائفية واجتماعية على نطاق واسع وانتشرت الاشاعات والاقاويل حول الدوافع والاسباب الحقيقية لاغتيال المذكور وعما اذا كانت هذه الجريمة سياسية او شخصية فتوزعت الاتهامات في الاتجاهات ووفق الدوافع الآتية:

اولا: الدافع الشخصي/ حيث يروي السيد جميل الاورفلي حاكم تحقيق منطقة الرصافة آنذاك بانه تلقى خبر الاعتداء على حياة وزير المالية وانتقل فورا الى المستشفى الملكي الا انه تعذر عليه استجوابه لكونه تحت تاثير المخدر وخطورة حالته الصحية فتوجه الى بناية مديرية الشرطة العامة لكون الجاني كان موقوفا في احدى غرفها وقام باستجوابه بحضور المدعي العام السيد (معروف جياووك) ومدير الشرطة العام السيد (وجيه يونس) وقد اعترف الجاني اعترافا صريحا بمحاولته اغتيال الوزير المذكور لعدم اعادته الى وظيفته التي قد وعده بها ولكن بدون جدوى وانه بعد ان يئس من وعوده اقدم على اغتياله دون ان يحرضه او يعاونه او يشترك معه اي شخص اخر..

ثانيا: الدافع السياسي/ يمكننا ان نحصر اتجاهات هذا الدافع في السببين الآتيين:

١/في نهاية الثلاثينيات من القرن الماضي شهد العالم صراعا محموما بين المانيا الهتلرية وحلفائها ودول الحلفاء فاتخذ هذا الصراع اشكالا وصورا عدة، فالاضافة الى الصراع العسكري والسياسي والاقتصادي حاولت كل جهة كسب واستمالة الدول الاخرى الى جانبها قبل الحرب العالمية الثانية واثناءها لغرض

تعزيز قوتها العسكرية والمالية وقد كان العراق بموقعه الجغرافي الاستراتيجي وموارده النفطية الغزيرة محط انظار طرفي الصراع ولاسيما الحكومة الالمانية التي بذلت جهودا مكثفة من خلال المنظمات الخيرية والاستكشافية والعلمية المتواجدة داخل العراق التي افلحت في عملها وكسبت العديد من الشخصيات السياسية والعسكرية والدينية وتأليبها ضد سياسة الحلفاء وخاصة بريطانيا التي كان لها باع طويل في مضمار السيطرة على دول الشرق الاوسط ومن ضمنها العراق بموارده وامكانياته الهائلة وفي هذا المجال يقول العقيد (جيرالدي غوري) المستشار العسكري في السفارة البريطانية في العراق حينذاك (ان المؤامرة الالمانية التي كانت تعمل في الخفاء لم تظهر الا في شهر كانون الثاني ١٩٤٠ يوم اقدم ضابط شرطة سابق يعطف على الالمان على قتل (رستم حيدر) صديق فيصل الاول ومستشاره ومن اكثر اعضاء الحكومة اعتمادا وخبرة).

٢/لاتخلو دولة من دول العالم من ظاهرة الصراع على السلطة والنفوذ بين رجال السياسة والعسكريين وبصور تتساوق ونوع النظام السياسي المطبق فيها فقد يتم عن طريق الانقلابات او المؤامرات ويظهر هذا الصراع في الدول الديمقراطية من خلال صناديق الاقتراع وما يكتنفها من اتفاقات وتلاعب وتزوير.

ان الصراع السياسي في العراق ومنذ قيامه في عام ١٩٢١ اتخذ اشكالا والوانا عديدة ولم تزل للظفر بالسلطة والتنعم بامتيازاتها المختلفة. ويلاحظ بان نوري السعيد كان طرفا في معظم الصراعات التي كانت تنشب عندئذ بحكم كونه يتمتع بامتيازات كثيرة وفي هذا السياق يتطرق السيد (ناجي شوكت) احد اقطاب التيار القومي العربي ومن رؤساء الوزارات المتميزين في مذكراته الى ان (ان نوري السعيد بعد ان قضى على خصومه السياسيين الواحد بعد الاخر بالقتل والسجن والابعاد عن المناصب الوزارية لم يبق من ينافسه على الزعامة غير رستم حيدر الذي كان احق برئاسة الوزارة لولا جنسيته السورية).

ومن ثم يستطرد قائلا: (كان نوري السعيد يخشى شخصيتين. شخصية تنافسه في صداقة بريطانيا، واخرى تنافسه بوطنيتها وصدق اخلاصها لبلادها) لقد كان رستم حيدر يمتلك هاتين الصفتين الاولى: اخلاصه وولاؤه المطلق لبريطانيا باعتبارها الحليف المثالي والصديق الوحيد والثانية: وطنيته واخلاصه بمقاييس السياسيين المرتبطين بالسلطة في ذلك الوقت بالاضافة الى علاقته وقربه من العائلة المالكة.

وتأكيدا على هذا السلوك عند نوري السعيد نقتطف من الرسالة الموجهة من رشيد عالي الكيلاني الى الملك عبدالعزيز بن سعود مايلي (فنوري باشا مسجل لدى الانكليز انه صديقهم الحميم ويعتمدون عليه وكل ما يقوله لهم يصدقونه بلا تردد فهو لايريد ان يبقى اي شخص يمكن للانكليز ان يعتمدوا عليه، يريد احتكار صداقتهم واعتمادهم عليه) وهناك احداث ووقائع واكبت الحدث المذكور وتثير الشكوك وتعزز الاعتقاد في هذا الاتجاه ويمكننا التطرق اليها على سبيل الاستشهاد بها وهي تدخلات (نوري السعيد) في جميع مراحل وادوار التحقيق والمحاكمة وتنفيذ الحكم مما اثار حفيظة الكثير من السياسيين داخل السلطة وخارجها وافرزت ردود افعال مختلفة تباينت بين رفع الشكوى والاحتجاج وتطورت الحالة الى استقالة الوزارة واعادة تشكيلها مجددا من قبل (نوري السعيد) بدون وزير العدلية (صبحي الدفتري) الذي كان من اشهر المحتجين على هذه التدخلات:

أ-بعد انتهاء التحقيق واعتراف الجاني اعترافا صريحا بأنه القاتل، وانه لاشريك له في هذه الجريمة وفي مساء يوم الحادث وقبل مغادرة حاكم التحقيق حضر رئيس الوزراء وطلب منه ان يتركه يختلي بالمتهم وحيدا، حيث تم له ما اراد واختلى بالمذكور نصف ساعة تقريبا وبعد منتصف الليل طلب الجاني قرطاسا وقلما وسجل اعترافات جديدة بخط يده اتهم اشخاصا بتحريضه على ارتكاب جريمة قتل

وزير المالية وهم الوزيران السابقان ابراهيم كمال وصبيح نجيب والمحاميان نجيب الراوي وشفيق نوري السعيدي والمتصرف (المحافظ) المفصول احمد عارف قفطان، ومدير الشرطة العام السابق حسن فهمي.

ب-بعد صدور قرار الحكم باعدام القاتل هرع (نوري السعيد) الى وزير الدفاع (طه الهاشمي) وألح عليه التعجيل في تنفيذ القرار وان يجري ذلك عند الفجر وفي ساعة مبكرة وفسر طلبه هذا في رغبته ان لايسمع احد مايكشفه المجرم في لحظاته الاخيرة من اسرار عند تنفيذ الحكم والذي لم يبلغ به الا قبيل شنقه بدقائق وبحضور الجماهير التي احتشدت لتشاهد عملية الاعدام بخلاف رغبة (نوري السعيد) في تنفيذ الحكم بصورة سرية، حيث صحت توقعاته اذ كان القاتل يصرخ باعلى صوته وهو يقاد الى المشنقة (ان نوري السعيد هو السبب.. نوري السعيد هو اللي ورطني) واستمر في ترديد هذه العبارة حتى لحظة اعدامه.

وكان الجاني قد كتب قبل اعدامه رسالة الى (نوري السعيد) يعظمه فيها ويسبغ عليه احسن الصفات ويلتمس منه تحرير رقبته ليكون عبدا مطيعا وظهيرا قويا له.

واخيرا يذكر (خلدون الحصري) في مذكراته (لقد هز هذا الحادث نوري السعيد من اعماقه واصبح في وضع نفسي صعب عد مقتل رستم حيدر موجها ضده ويستهدف شخصه بالذات فتقدم باستقالته الى البلاط في شباط (١٩٤٠) الا ان التحقيقات حول ملابسات القضية كشفت فيما بعد ان لنوري السعيد دورا في مقتل رستم حيدر فهو من جهة قد تخلص من ابرز منافسيه على السلطة ومن جهة اخرى استطاع ان يوجه ضربة مؤلمة الى خصومه من خلال تحريضه القاتل على توريطهم في الحادث.

ثالثا: الدافع الطائفي/ لايمكن استبعاد الدافع الطائفي المستهدف لحياة رستم حيدر والذي كان شيعيا ويجاهر في الدفاع عن حقوقهم قولا وعملا وفي هذا الصدد يرى السيد (توفيق السويدي) احد رؤساء الوزارات العراقية بان رستم حيدر (سار في السياسة الطائفية الجعفرية لاعتقاده ان الاكثرية هم الجعفرية بعيدون عن الحكم منذ زمن بعيد). اما السيد (طه الهاشمي) فانه يجيز في مذكراته قيام عملاء المانيا في العراق بتحريض القاتل على اغتيال (رستم حيدر) ليحدثوا شغبا بين الشيعة والسنة كما ان نتائج افرازات هذا الحادث واثاره في الجانب الطائفي برزت من خلال مطالبة الشيعة باجراء محاكمة عرفية مباشرة لكل من لهم علاقة بالحادث. اما البقية من اعضاء الوزارة وابناء السنة بصفة عامة فقد ارادت تطبيق الاجراءات الاعتيادية مما حدا بالسيد (صالح جبر) وزير الشؤون الاجتماعية في ذلك الوقت الى تقديم استقالته من الوزارة احتجاجا على عدم اجراء تحقيق كامل في القضية، واخيرا يرى الاستاذ (مجيد خدوري) ان مقتل (رستم حيدر) يجب ان يعزى الى تفاقم الحزازات الطائفية وان بقي سببه المباشر غامضا.

الخاتمة:

قدم القاتل (حسين فوزي توفيق) والمتهمون بالتحريض على اغتيال (رستم حيدر) كل من صبيح نجيب وابراهيم كمال وعارف قفطان ونجيب الراوي ومحمد صالح الجعفري الى المجلس العرفي العسكري في معسكر الرشيد في ١٩٤٠/٣/٣ وبعد سلسلة طويلة من المرافعات المكثفة والسريعة وفي صباح يوم ١٩٤٠/٣/٢٠ اصدر المجلس المذكور قراره بالحكم على المجرم حسين فوزي توفيق بالاعدام شنقا حتى الموت وفق المادة ٢١٤ من قانون العقوبات البغدادي وبرأ المتهمين الموقوفين معه عن تهمة التحريض على القتل وبعد اسبوع واحد فقط من صدور قرار المحكمة وفي ساعة مبكرة من فجر يوم الاربعاء ١٩٤٠/٣/٢٧ نفذ حكم الاعدام شنقا بالقاتل على المشنقة التي نصبت في وسط ساحة باب المعظم في بغداد وبحضور حشد كبير من المواطنين الذين جاءوا لمشاهدة عملية الاعدام، حيث بقيت جثة القاتل معلقة على المشنقة وانزلت في تمام الساعة

التاسعة من صباح ذلك اليوم لتدفن ويدفن معها سر اغتيال هذا الرجل العصامي والذي:

مجده العرب لدوره في خدمة القضية العربية

وكرمه الكورد واعتبروه علما من اعلامهم

وخسرته الطائفة الشيعية باعتباره مدافعا مخلصا عن حقوقهم.

ومهما بذلنا من جهود في التقصي والبحث بعد مرور هذه المدة الطويلة يصعب علينا تحديد اسباب ودوافع اغتيال هذا الرجل لتباين الآراء وتعددها وتناقضها بحسب ما تمليه الاهواء والمصالح.

ولا سبيل امامنا في الوصول الى هذه الغاية سوى استنتاج الحقيقة وتحديد السبب والباعث بعد ازاحة الغموض والتعتيم من خلال قراءة موضوعية لسطور هذا التقرير.

المصادر:

١-نجدة فتحي صفوة/ مذكرات رستم حيدر/ بغداد ١٩٨٨.

٢-صحيفة وطن الشمس/ العدد ١٤ في ١٩٩٦/٦/٢٢.

٣-د. مصطفى جواد/جاوان قبيلة كردية منسية/ مجلة نوروز العراق/ العدد ١٩٨٨/٥.

٤-عبدالرزاق الحسني/ تاريخ الوزارات العراقية/ ج٥/ بغداد ١٩٨٧.

٥-د. عصمت السعيد/ نوري السعيد/ رجل الدولة والانسان/ لندن ١٩٣٢.

٦-احمد فوزي/ اشهر الاغتيالات السياسية في العراق في العهد الملكي/ بغداد ١٩٨٧.



اسس التوتاليتارية

تأليف: هانا آرنيت

ترجمة: حمه رشيد

من مطبوعات دار سردم للطباعة والنشر
٢٠٠٧

أرض كردستان..
بداية الصراع بين الشرق والغرب

جمعة عبدالله

صراع الامبراطوريات السومرية –البابلية- الآشورية لم يتعدى محيط الشرق. لكن الذي حدث ان احتل مكدونيا وأجزاء من اليونان من قبل الامبراطور كورش الاخميني قسرا مما حفر قادة مقدونيا من العسكريين والمفكرين في كيفية التخلص من هذا الاحتلال. ان تم الاعداد والتخطيط لهذا الغرض لكن بشكل اوسع اي استثمار الغور لاغراض اقتصادية، فكرية، فنية، عمرانية وسخر لهذه العملية اكبر حملة علمية اعلامية من جميع الاختصاصات ومن الشواهد على ذلك حاليا (المسرح اليوناني) في مدخل مدينة بابل كذلك مدينة هراة (في سيستان)، اسكندرية (كولا شكيرد)، واسماء الاسكندرية في مصر، بلاد الرافدين، ليديا (الاسكندرونة)، مدينة سلوقيا في المدائن. واستنتاجي ان جعل الحرب الآلية لتنفيذ تلك المشاريع والافكار في التحري والتنقيب والابداع والانشاء ونتيجة لاستقرائي لهذا الغزو على يد (غازي الشرق) الاسكندر الكبير اني اعتبره اول مستشرق استطاع ان يغير مجرى احداث التأريخ بمفاهيمه وطرحه الجديد، ويصح قول نابليون بأنه (امام الفاتحين) كون الاخير قلد سلوك الاسكندر في غزو مصر ومن نتائج هذا الغزو واكتشاف حجر الرشيد (اي حل رموز اللغة الهيروغليفية الفرعونية/ الكتابة الصورية) ويمكن اعتبار الاستشراق ثلاثة انواع منها الدولة بارسال مجموعة لاغراض تجارية ومنها علمية معلوماتية واهداف اخرى.

بحثي هذا يتطرق الى معلومات قد تكون على شكل مقارنة بين حدثين كبيرين بين الموحد (كورش الاخميني) والاسكندر الكبير المقدوني.

عودة الاسكندر الى (پر پولس) عن اخطر ممر صحراوي خال من المفازات كلها احقاف وفلوات حير الفكرين في الغاية في سلوك هذا الطريق الوحش الخليجي.

الاسكندر عاش في القرن الرابع قبلا الميلاد (٣٢٠ ق.م) وذو القرنين (كورش الاخميني) في القرن السادس ق.م (٥٥٩). وقد حكما كلاهما المنطقة الممتدة من مقدونيا الى هضبة البنجاب (خمسة انهر) ويسمى السند عبر سمرقند.

وهنا تجب الاشارة الى ثلاثة اعمال رئيسة تعتبر بحق في اعظم الانجازات في التأريخ وحتى الوقت الحاضر، اختلف حولها المؤرخون ردحا من الزمن حول نسبة الاعمال الى اي منهما وهي:

سور الصين، جدار مضيق داريال، وجدار دربند في سلسلة جبال القوقاز.

مسور الصين انشئ لنفس غرض انشاء جدار مضيق داريال، وذلك لصد هجمات اقوام منها يأجوج ومأجوج. وليس هناك ما يشير الى ان سور الصين نفذ من قبل الاسكندر او ذي القرنين. وهذا يعني ان تنفيذ السور قد تم من قبل حكام الصين انفسهم لكونهم اعلم بطبوغرافية ارضهم وحدودها علما بأن السور يتطلب من المواصفات المعقدة مايعجز عن تنفيذه غيرهم (من ناحية ارتفاع وعرض السور نقاط رصده والقلاع اضافة الى ان الطول يبلغ ٨٥٠٠ كم وهذا يتطلب امكانيات بشرية هائلة وعشرات بل مئات السنين في ذلك الوقت).

اما جدار مضيق داريال المبني من قبل (ذي القرنين) فهذا يتطلب دراية ومعرفة وجهدا بشريا وفنيا وذلك (لاستعمال الحديد والنحاس في المضيق) ولاسيما ان الفتحة المطلوب غلقها واقعة في سلسلة جبال القوقاز المعقدة.

منغول/ يواشي: ويخبرنا التأريخ عن قبيلة اخرى في هذه البقعة كانت تعرف باسم «يواشي» والظاهر ان هذه الكلمة مازالت تحرف عند الامم حتى اصبحت (يأجوج) في العبرية.

منغول = منكوك بالصينية القديمة

متكوك = منجول بالفارسية

= ماطوك بالعبرية

ميكاك باليونانية

والممتد اثني عشر الف كم في مقياس الخريطة والتي تمتد بين (بحر قزوين والبحر الاسود). لحماية الامبراطورية الفارسية من اقوام المغول (ياجوج ومأجوج) اما جدار دربند والذي يعد في زمن آنوشيروان ضمن سلسلة جبال القوقاز والذي حدث بينه (جدار دربند) ومضيق داريال الجدال، واختلف المؤرخون حول بناء جدار المضيق الى ان تم تنسيبه بعد دراسة ميدانية شاقة وموفقة من قبل العلاق ابو الكلام آزاد.

فارس/ ومادي:

كانت ايران قبل الميلاد (٥٦٠ ق. م) متكونة من القسم الجنوبي فقط تسمى بفارس اما القسم الشمالي فكان (مادي) وقد نطق بها اليونان (ميديا) والعرب (ماهات) ومن القسمين تكونت ايران مملكة متحدة لاول مرة في التأريخ وانشأت في آسيا الغربية امبراطورية جديدة.

اما ماجاء في كتاب العلامة ابو الكلام آزاد:

.. فنحن والحال هذه مضطرون الى الاستعانة بما كتبه مؤرخو اليونان وحدهم من احوال (كورش) ذي القرنين. اما المأخذ الفارسي فلم يبق منه الآثار الايرانية القديمة اهمها لوحات داريوش التي كتبت بالخط المسماري والتي حل رموزها علماء القرن التاسع عشر وأهم من كل ذلك تمثال كورش نفسه الذي عجزت ايدي الزمان عن العبث به وهو يعلن من الفي وستمئة سنة بلسان الصامت: تلك آثارنا تدل علينا فانظروا بعدنا الى الآثار.

اما مؤرخو اليونان فثلاثة منهم فضلوا فيما كتبوه عن كورش وهم اسم كورش باللغة البهلوية (گوروش) بالكاف الفارسية وسماه اليهود بكورش او خورش اما العرب فقالوا (قورش) كما بخده في (الآثار الباقية) للبيروني هرودوتس، وتي سياز، وزينفون. وقد اعتبر هيرودوتس حقا ابا المؤرخين. فقد ولد الرجل ٤٧٤ ق. م اما تي سياز فاشتغل بالطب وكان طبيبا امبراطوريا في البلاط الفارسي. وأما زينفون فكان فيلسوفا يونانيا من تلاميذ سقراط، وظل قنصلا ببلاد ايران مدة طويلة.

ان معظم آسيا الغربية كانت عرضة لهجمات قبائل (سي تهين) المغولية في القرن السادس ق. م وان الزمن الذي وقعت فيه هذه الهجمات بغتة هو زمن ذي القرنين (كورش). فلابد ان تكون هذه القبائل (سي

تهين) هي لالتي سميت باسم يأجوج ومأجوج، ولصد غاراتها بنى ذو القرنين السد الحديدي، فقفل هذا السد الطريق الذي كان يسلك هؤلاء الهمج لشن غاراتهم على آسيا الغربية، فأصبحنا لانسمع لهجماتهم صدى بعد.

ولقد ادعى بعض المفسرين المسلمين بان الاسكندر المقدوني هو ذو القرنين الوارد ذكره في القرآن الكريم. في حين يدعي مفسرون آخرون، وهم قلة كذلك، بان المعني بالآية الكريمة هو قورش الكبير، مؤسس الامبراطورية الفارسية الاخمينية، الذي عاش قبل الاسكندر بحوالي مئتي عام. وهذه الفئة الاخيرة هي التي قد تكون اقرب الى الصواب. فلم تكن اخلاق الاسكندر ودافعه لتؤهله، بمفاهيم الاسلام، لان يذكر وينوه به بقول كريم، وذلك في حين تمثلت الانسانية ومكارم الاخلاق في حياة قورش وتصرفاته، ويكاد يكون نفسه من بين جمع عظماء الازمنة القديمة، وحده الذي تؤهله سيرته ومزاياه ليكون ذو القرنين المعني بالنطق الكريم. وكان الاسكندر وثنيا اما الذي يتحدث عنه القرآن فهو مؤمن بالله، موحد معتقد بالبعث والآخرة.

وكان قورش بالنسبة للاسكندر، البطل النموذجي والقائد المثالي، ومصدر وحيه وتصوراته، والقدوة له في فتوحاته وسياسته ومعاملته للشعوب. وقد نجح الاسكندر بعض الشيء في جهوده للاقتداء باعمال بطلة وسلوكه، لكنه ظل مقصرا عنه الى حد كبير، في المجالات الانسانية والمعاملة والسلوك الشخصي. لقد كان قورش خاليا في كل مايعيب او يكاد، في حين كان الاسكندر مدمنا على الخمر، شاذا في علاقاته الجنسية، يقتل على الشك والريبة.

وقد قتل قورش في ساحة الحرب، ومات الاسكندر على الارجح مسموما. كان الاسكندر كذلك حتى وفاته عام ٣٢٣ ق. م وهو ابن ثلاث وثلاثين سنة.

ولقد انتصر في جميع حروبه، لم يخسر معركة قط. ولقد ابتلي بجنون العظمة في آخر ايامه، بتأثير انتصاراته ومغانمه، واندفع الى تقليد الفرس في اللباس والمراسيم. وقد ورث الاسكندر عن ابويه معظم محاسنه وعيوبه.

وكان ولاشك تلميذا نابها فوعي جيدا ما اشربه وتلقاه مضيفا الى ذلك شخصية آسرة. وشجاعة خارقة، ونظرة صائبة قلما تخطئ، واقتناصا للسوانح خطفا، وآخذا للخصم من حيث لاينتظر وحزما وسرعة قرار وبت ومحبة من الجند وتعلقا بشخصه، وفي كل هذا وكفاية ما يحتاجه المرء ليكون قائدا عظيما وفاتحا كبيرا، ومغامرا ناجحا. زد على ذلك ان الاسكندر المقدوني كان والحظ حليفين، بمعنى ان الطوارئ والاحداث كانت تأتيه غير معاكسة.

لقد اطاح بالامبراطورية الفارسية الاخمينية التي اسسها قورش بطله وانموذجه، وكانت اكبر واعظم دولة على وجه الارض.

وقد وصل الاسكندر بجيوشه فاتحا في الهند حتى نهر الهندوس (السند) ووضع الاسس لقيام عالم اغريقي في ممالك اقليمية متعددة. كان في حياته القصيرة موضوعا لحكايات واقاصيص عجيبة غريبة، وصار بعد مماته بطلا من ابطال الاساطير.

كان منذ حداثته متفوقا في التكتيك الى درجة مدهشة، وكان استراتيجيا رائعا في الحذق والبراعة والابداع.

ومع انه لم يكن حاملا لرسالة حضارية يستوحي منها خطوته وتصرفاته، فقد كان رغم ذلك ذا تأثير وابداع حضاري عفوي عظيم. ولقد كانت له جوانبه الانسانية، المستوحاة من دوافع عملية ذرائعية، على عكس معلمه ارسطو، الذي كان يدعوه الى حصر الحضارة الاغريقية وعزلها كي لاتصاب بعدوى البربرية في العوالم الاخرى. والذي كان يحثه على معاملة غير الاغريق معاملة العبيد. نرى ان الاسكندر المقدوني وضع خطة وأعد له جميع المستلزمات. وكان بجيشه هيئة اركان مؤلفة من الشعب التالية:

امانة السر، المحفوظات واليوميات، المخططات والمشاريع، مسح الاراضي، مصلحة الجغرافية، والتأريخ. وكان يرافق الجيش، علاوة على ما تقدم، عدد من الخبراء

والعلماء المختارين لاغراض البحوث والاستكشاف. فقد كان الاسكندر في المعركة اول المهاجمين، وكان يرتدي البسة واعتدة بالوان خاصة تجعله مميزا ومشاهدا من جميع من هم في الميدان اعداء واصدقاء، ولم تكن شجاعة الاسكندر الخارقة ابدا حصيلة اختلال عقلي ومرضي صحي، وانما كانت نتيجة لاعتقاده وقناعته بانه ابن الالهة (زيوس). ومن اهم المعارك الهامة التي خاضها وأعد لها خطة على التوالي:

١-كرانيكوس (نهر كوكاباش) ٣٣٤ ق. م.

٢-ابسوس ٣٣٣ ق. م[1].

٣-كوكميليا (تصغير نهر الكومل) الموقع/ اربيل/ دەشت هەولێر.

٤-حصار مدينتي صور وغزة.

التكتيك والاستراتيجية ايام الاسكندر

العلاقة بين التكتيك والاستراتيجيا:

التكتيك هو علم خوض المعارك، ويختص بميدان المقاتلة، و ترتيب القوات، واستخدام الاسلحة، وتنفيذ الحركات والاجراءات لحالتي الهجوم والدفاع. كما يعرفه كارل كلوزويز (تنظيم وادارة المعارك المنفردة في حد ذاتها) في حين ان الاستراتيجية هي مزج المعارك المنفردة بعضها مع بعض)، بتعبير آخر، هي اعداد خطة الحرب، وتقرير المسير المقترح لمختلف الحملات والساحات التي تتألف الحرب، وتأمين مطالبها ومستلزماتها، وتنظيم المعارك المقرر اجراؤها في كل حملة وساحة.

طريق الاسكندر:

مقدونا- طروادة- ساردیس- ليديا- نهر هاليس- قبادوقيا- طوروس- طرطوس- ايسوس- صور- غزة- الاسكندرية- واحة سيوا- دمشق- بلاد مابين النهرين- اربيل (كوكميليا)- شوشه- شرس ثولس[1] ممر قزوين- جرجان- صراد ثارثيا- خراسان- هراة- سيستان (في خراسان)- خندهار- هندكوش (قاتل الاعداء).

ممر كوشان (قرب ممر خيبر) — بلاد الصغد (جزء من الامبراطورية الميدية)- بين بحري امودريا- وسربدريا- البنجاب (خمسة انهر)- دلتا السند[1] كراتشي- غوائر- اسكندرية (كولا شكيرد) — بندر عباس- شرس ثولس (العودة من طريق الخليج) الى عاصمة فارس.

اللوجستيك لدى الاسكندر:

كانت تواجه الاسكندر مسائل تموين معقدة من تجمع للمؤن والامدادات ونقلها وتوزيعها. كانت تتطلب تفكيرا سليما، وتخطيطا بعيد المدى، واستعدادا على المديات القصيرة ليكون باستطاعة الجيش ان يتحرك من مرحلة الى اخرى ولما كان اللوجستيك هو تحريك الجيوش واطعامها، وانزالها وتجهيزها، وامدادها، فان الاسكندر كان بالتأكيد على قدر عظيم من الحنكة والبراعة في هذا المجال.

كان الاسكندر يخطط لتحركاته بناء على تنظيم لوجستيكي سليم وعلى اساس دراسة ومعلومات للطبيعة الجغرافية والاحوال الجوية السائدة، من حر وبرد وثلوج وامطار.

خصال كورش العامة:

كيف كانت عاداته وخصاله؟ وماذا شهد به مؤرخوا اليونان؟ في نشأتها؟ والى اي مدى تتفق مع ماذكره القرآن؟ لاينبغي لنا ان ننسى الامر الواقع وهو ان المؤرخين الثلاثة الذين كتبوا عن كورش لم يكونوا من قومه. ولا من ابناء وطنه ودينه بل كانوا من اليونان ليس هذا فحسب بل لم يكونوا من اصدقائه ومحبيه. هزم كورش ليديا. وهزيمة ليديا كانت في الحقيقة هزيمة لقومية اليونان ولحضارة اليونان ولدين اليونان ثم خلفه داريوش واردشير فاغارا على بلاد اليونان نفسها.

... فما كان ينتظر في مثل هذه الظروف العدائية في رجل يوناني ان يغني باناشيد المرح لعدو شعبه اللدود. ويطلق العنان لقلمه فيجري بالثناء عليه.. (ومليحة شهدت بها ضراتها والفضل ماشهد به الاعداء) ويقول هيرودتس «كان كورش» ملكا كريما جوادا سمحا للغاية. لم يكن حريصا على جمع المال كغيره من الملوك بل كان حرصه على الكرم والعطاء. يبذل

العدل للمظلومين ويحب كل مافيه خير للبشر)).

ويقول زينفون: «كان ملكا عاقلا رحيما. اجتمعت فيه مع نبل الملوك فضائل الحكماء. همته تفوق عظمته. وجوده يغلب جلالته. خدمة الانسانية شعاره وبذل العدل للمظلومين ديدنه. حل فيه مكان الكبر والعجب، التواضع والسماحة)).

حرب بين ميديا وليديا:

بينما كان نبوخذنصر (٦٦٧-٥٦٠ ق. م) ملك بابل، في سياق احتلال اليهودية، قام حليفه الحديث (سياكسار) ملك الميديين (٦٣٣-٥٨٤ ق. م) باحتلال المناطق الواقعة شرقي نهر هاليس (قزل ارمق) عند البوسفور. وصارت ميديا بهذا الاحتلال على تماس مباشر مع ليديا. وادى ذلك الى نشوب الحرب بين البلدين انتي سلم.

علاقة ذي القرنين بزردشت:

لم ير التأريخ القديم الا دعوتين تدعوان الى التوحيد في العالم الوثني وهما دعوة الخليل عليه السلام في الشعوب السامية ودعوة زردشت في الشعوب الآرية.

... اذا نظرنا الى الشواهد التأريخية نكاد نقطع بان كورش (ذا القرنين) كان يدين بدين زردشت اي انه كان يتبع الدين الذي جاء به زردشت الشهير ذلك قبول العلماء رأي الاستاذ كلرنر (ان زمن زردشت لايتجاوز ستة قرون قبل الميلاد)، فيكون زردشت وكورش قد عاشا في عصر واحد.

كانت شخصية كورش ثورة على الميول العقلية والاخلاقية لعصره، وانا لانجد لخصاله الروحية والاخلاقية معينا في البيئات العيلامية والآشورية والبابلية فلابد انه استقرأ من معين آخر، ومما لاريب فيه انه وجد هذا المعين من تعاليم زردشت الاخلاقية (هومت) و (هوفت) و (هورشت) اي صدق النية، وصدق القول، وصدق العمل.

وهذا هو اساس تعاليم زردشت الدينية. فان كان ذوالقرنين يدين بدين زردشت، اي بالدين الزردشتي ويثبت له القرآن الايمان بالله واليوم الآخر، ليس هذا فحسب، بل يجعله من الملهمين من عند الله. افلا يلزم من هذا ان دين زردشت كان دينا الهيا؟

اسم كورش باللغة البهلوية (گوروش) بالكاف الفارسية وسماه اليهود بكورش او خورش اما العرب فقالوا (قورش) كما تجده في (الآثار الباقية) للبيروني.

ان اول ما وصف به القرآن ذا القرنين، هو قوله: «انا ملكنا له في الارض وآتيناه من كل شيء سببا»، واتيناه من كل شيء سببا».

نرى في سورة يوسف انه يقول:

«وكذلك مكنا ليوسف في الارض»، اي جعلنا يوسف متمكنا في ارض مصر، وذلك لان يوسف عليه السلام وصل الى حكم مصر بطريقة عجيبة غير معهودة.

الهوامش:

١-ارض كردستان/ بلاد الكرد تشمل الاسماء الآتية: ليديا، كاردوخ، ميديا، بلاد الجبل، كوهستان، العراق العجمي لورستان.

٢-ايسوس: تعني الرها، اورفا، عاصمتها اسروهينا منها اشتق اسم السريان وهي مصدر اللغة العربية مع الارامية تركت كونها وثنية.

٣-الدلتا: تعني باليونانية حرف (D) اي مجمع الانهر.

٤-پر پولس: عاصمة الفرس، پرس = فارس، ثولس تعني مدينة، كما في طرابلس، قسطنطين ثولس (اي مدينة القسطنطينية).

٥-بلاد الصغر: جزء من الامبراطورية الميدية التي اصبحت جزء من الامبراطورية الاخمينية.

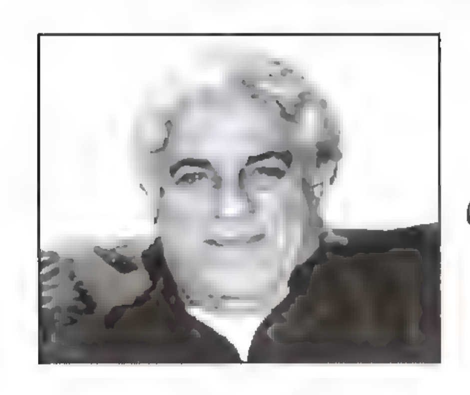
٦-م/ بعد النصر الكبير للاسكندر في المعركة الفاصلة ان سار آلاف الاميال الا يعني هذا قوة الملاحظة الاستطلاع والبينة على معلومات مفصلة عن المنطقة؟ ووضع الصورة على العمله في بعض المستعمرات اضافة الى الاستخبارات والابداع.

المصادر:

ذي القرنين/ ابو الكلام آزاد

الاسكندر المكدوني الكبير/ العقيد محمد اسد الله صفا

ثلاث قراءات حول نص «الكردسي» للشاعر شێركۆ بێكەس



الشعر وأنسنة الاشياء كرسي شێركۆ بێكەس الشعري

ياسين نصير

١

الكرسي، نفسه
وضع قرب عرش الله،
منتظرا،
ان تقعد عليه... أخيراً
الحرية.

يمثل الكرسي في الثقافة الشعبية المنزلة والمقام، فهو الكائن الذي يرفع الآخر عن الأرض فيعطيه وجاهة، ومن هنا اصبح الكرسي ملازما للسلطة، لكنه وهو يعيش حياة متنقلة وبوظائف مختلفة اكتسب ألسنة الجالسين عليه وتعرف على افكارهم ونواياهم وحاجاتهم .كرسي شيركو بێكەس وهو يتجول في ربوع كردستان، بێكەس وديانها وجبالها، سجونها ومقاهيها، بيوتها وأزقتها يعيد تشكيل الصورة البانورامية لما مر على كردستان من حروب وحب وحياة خفية ومصادفات ولغة يومية تنبت في الحقل كما تنبت في الزقا والسجن وساحات القتال. و بنص شعري نثري مسرحي تشكيلي قصصي يتحدث الكرسي عن الذين مروا في حياته مستذكرا طعم حواراتهم، وانتصاراتهم وهزائمهم. هذه الحكاية التي يضعها الشاعر على لسان الكرسي وهو يرفع جلساءه عن الأرض، إنما يعيد تشكيل ذواتنا المتأرجحة بين القعود والنهوض. كلنا لا نشعر بان الكرسي الذي يحاورنا بصمت هو كائن مثلنا يولد ويهرم ويموت وكما البشر يموتون من الاستعمال كذلك الأشياء، وتبقى الأرض تلد الشجر الأخضر بانتظار فأس النجار كي يصنع منه كرسي العرش ليجلس عليه السجين والقهوجي والسكران والشاعر والعابر، الرجل والمرأة، الطفل والطير، ليروي بعد ذلك حكاية المنتظرين للحرية.

قصيدة شيركو بيكەس واحدة من تلويحة اليد المشرعة في فضاء التجربة الشعرية، تقتنص الرياح والمطر، الضوء والظلمة، لتعيدها لغة وأساليب نثر وحوار وصور علينا كما لو كنا جميعا رواة .

يعود الشعر إلى مصدره الطبيعي الطبيعة وافعال

الناس، حيث الصورة لغته، والراوي أداته،والحكاية سياقه. أما مادته الشعرية فهي الأشياء في علاقتها بالإنسان.الشاعر شيركوبيكه س احد عمالقة الشعر الكردي المعاصر يعيد تركيب الصورة الكونية لهذه العلاقة في إطار أنسنة الأشياء المحلية ليسكبها بالحياتي والمألوف اليومي لأناس اصدقاء وعابرين ومجهولين، استنباتا للغة متداولة ولصور معاشة وكأنه يعيد تركيب أحاسيسنا من جديد بعد أن دخلت الأشياء نتيجة التقدم مناطق جديدة من الوعي المركب. وفي إطار الشعر التعبيري الذي يجمع بين الرومانسية والواقعية محملاً بالجمالية التي تستمد خزينها المعرفي من الطبيعة، نجد شيركو، وهو يجسر الهوة بين الأشياء والإنسان، يحلق بنا في بنية درامية يطرح فيها الحياة اليومية المليئة بالمتناقضات بطريقة حوارية تارة وسردية تارة أخرى وكلها تحت هيمنة الشعر. قصيدة الكرسي واحدة من القصائد التي تعيد بنية المنثور الحياتي وتنقله إلى مراتب الجمال،هي قصيدة الأشياء أثناء احتدامها بالطبيعة حيث يشكل : الشجر والنجار والكرسي ثلاثية كونية دائرية: حيث الشجر رمزالميلاد والنجار صانع الحياة والكرسي ثقافة الناس، وكأننا في إطار من جدلية السيرورة والتغيير.

تعيدني هذه الطريقة الشعرية المنفتحة النص إلى قدرة الشاعر على المزج بين حقول معرفية كثيرة، مشفوعة ببعد فلسفي تجريبي وبطاقة تأويل كبيرة على تحويل معارفنا الطبيعية إلى ثقافة وعلى استنطاق الأشياء بما يجعلها حاملة لمشكلات الإنسان المعاصر.

أمام اعيننا قتلوا الماء
أمام أعيننا
نصبوا للهواء والضوء مشنقة
أمام أعيننا
تهادت أشجار هرمة
حتى جواء
تحت سفح الجبل
أمام أعيننا
مثلوا ببنات الصفصاف
أطالوا ظمأ الكرم حتى ملت
مالذي لم يفعلوه؟ ص ٤٢

هذه الطريقة التي اعتمدها الشاعر الكبير طاغور ونالي والسهروردي وعمر الخيام وغيرهم جعلت شيركو وريث الممالك المنتجة بمؤونة الرحيل إلى عالم الأحياء معيدا عليهم دراما الوجع الكردي وهو يواجه موجات التهجير والحروب العبثية، هذه الطاقة التي تجمع بين حكايات مضت وحكايات تؤلف للتو يشعرنا بيكه س أن العالم صغير ويكفينا أن نستمع لحكاية اي شيء منه كي يوصلنا إلى عمق المأساة التي عاشها الشعب الكردي، فالكرسي الذي يحكي لنا مأساته، نحكي له أيضا قصتنا ومأساتنا أيضا، ثمة دوران في القول يصاحب دوران رحلة الركسي في الأماكن. لكنه وهو يقول يستمع أيضا، هنا تتداخل عناصر الحكاية لتصنع قصيدة أو مسرحية أو سردا شعريا أو قطعة موسيقى، فالنص يتفتح ليس كثوب العروس ليحتوي ما يحيط به ويجعل جسدها طاقة مؤولة على الإتساع والحضور، بل لانه الغطاء الذي يستر كل عيوبنا وفضائحنا وليغمرنا ببياض كوني شعري يشعرنا أن الكائن/ الجسد الذي يغطيه هو نحن. كانت طريقة لرحلة فكرية/ زمنية/ مكانية أعاد الشاعر فيها تركيب أحاسيسنا بالعالم عن طريق الشعر. هل هي رحلة نحو الذات؟أم طريقة للدوران خلف الحقائق بحثا عن الجذور؟ ام لاهذا ولاذاك، بل هي طريقة فرضتها سعة النص بحيث يمكن أن ترى الحدث بأساليب تحمل الشعرية وتوظفها لأغراض الدمج بين ما هو شيئي مكاني بما هو إنساني.بعد هذه التجربة الفريدة ندخل عالما من بناء الشعرية الحديث وهو أن القصيدة الحديثة وهي تستنطق الكائنات جميعها ما عادت بشكل فني واحد.فالشكل الحر يؤسس قدرة على تعدد القراءات،والمخيلة افتراضية دائما بالرغم من تشبعها بالواقعي تمنح القارئ سعة في التأويل،

فالرحلة مع الكرسي مذ كان جزءا من شجرة ثم في سيرورته الحياتية وهو يدخل بعلاقات مكانية وإنسانية تمكن من أن يكون الشاعر نفسه يستبطن لسانه ورحلته.

رأيت هنا
بعض الفراشات الهاربة
من عجاج الحكومة،
بضعة اشعار "بيكه س"وبضعة مقامات"ره شول"
وبعض أخشاب" سعيد النجار"
دخلت هذا الممر
رأيت بنفسي
الفراشات كلمات
والمقامات سواقي
الاشعار طيورا
الاخشاب عصيا
لعلم الشمس
ذاك اليوم
حط عليّ الغمّ

يتعامل الشاعرمع ثيمة الرحيل والحرب لجعلهما الأداة الأكثر مباشرة مع حقله الشعري لقدرتها على استيعاب مشكلات الإنسان السياسية والفكرية في مرحلة متغيرة. فنحن لسنا أمام حكاية كرسي يتنقل من مكان إلى آخر، ولا أمام كرسي يتحسس من يجلس عليه ويمارس معه شبقه الجنسي والعاطفي والوجداني ، ولا مع كرسي يجاور آخر فيحكي له ما جرى بعد أن ينفض الجالسون عليهم، ولا مع كرسي اتخذ آخر صديقا له فتبادل الرواية، ولا أمام أدوات النجار التي صيرته كرسيا بذوائب عرش، ولا مع استعمالاته وأغراضه، وقدرته على الصبر والتحمل، بل مع حكايته وهو يبني علاقاته مع الأشياء الأخرى، مذ كان غصنا في شجرة، إلى أن أصبح أداة وسلاحا للثورة. هذه الطاقة العملاتية الكامنة في الأشياء تولد طاقة لغوية في بناء النص الحديث كي يخرج من الرومانسية التي تتسم فيها طبيعة الجبال والذهنية التي تفترض حالات محلقة إلى تراجيديا الميدان الفعلي لطبيعة الصراع الذي خاضته الشعوب. إنها طاقة المقعد الذي يجعل من تناوب الجلساء عليه رحلة في الافكار ومن تنقله من مكان إلى آخر رحلة في الكشف عن الأغراض، هذا الكون الشعري المكاني يحيل كل من يلامسه إلى بنية شعرية تفتح نوافذ في المخيلة في أحالته الأشياء إلى بوتقة من سيرورة كونية دائرية تشترك معنا في الهموم والمشكلات، طاقة المقعد واحدة من طاقة السكون المتحرك، من الصمت الفاعل، من تجربة حسية مختزنة الزمن. وبامكان الشاعر ان يكشف عن جوانب كثيرة في اهمية المقاعد وتاريخها عندما يعيد تشكيل رحلة الشيء ممتزجا بالإنسان. هذه الطريقة الجديدة/القديمة، واحدة من أفعال المخيلة الشعرية الحديثة بقدرتها على استبات المخفي في الحكاية ذات الجذور القديمة في الثقافة الشعبية. فالكرسي تكوين تراجيدي مكاني تتداول عليه الازمنة وترحل عبره الامكنة بينما جلساؤه متكررون، غائبون، وراحلون.

في الطريقة إلى فهم الأشياء لابد لك من معرفة الله، هذا الروح المطلق الذي يدخل مسامات كل الأشياء فيوطنها لغة الحب والعمل. لم أجد صورا ابلغ من أن تصبح الأشياء عاشقة ولهة بما يحيط بها. والكرسي الذي يحتضن قيثار الموسيقي، ويهمس له عن اسم صاحبة، هي طريقة لدخولنا نحن القراء إلى الاسرار. ثمة توق حقيقي توفره لنا الطاقة الشعرية لدى شيركو في انه يجعل الأشياء قريبة من الله. في هذه المنطقة من السرد نجد الكون صغيرا والعالم مضمنا الأشياء المؤنسنة،وتصبح الميثولوجيا حكاية منفتحة أما نحن فنتعالى إلى حيث تكون الشعرية الحديثة طريقة لفهم العلاقة بين الأشياء والآلهة.

يقول العاشق:
إن اردت أن اجلب الى اعماقي
امواج البحر او الخرير
والعواصف ...
اجلبها،

لكن حينها

....

....

يتضخم صمتي.

قد لا تكون الترجمة كافية لنقل الصورة الشعرية بابعادها البلاغية إلا أنها قادرة على شحننا بما هو شعري، وهذه امكانية هائلة أن تحس بالأشياء قبل أن تستعملها فـ "التار" وهو يصدر لحنا أو الاوركوديون وهو يوضع على الكرسي والعازف وهو يجلس على الكرسي والقدم التي تمسك بالثوب، أو الجالس النكد والجالس المرح كلها اجزاء في حكاية أكبر هي حكايتنا نحن حيث الشاعر يستبطن الأشياء كلها ليقول عبرها عما نعانيه.

٢

قد تكون طريقة شيركو بيك س واحدة من طرق فتح النص على اساليب قول جديدة، وهذا ما يحصل في الكرسي وفي قصيدة القلادة ومن قبلها في مضيق الفراشات وغيرها، وهو كمايبدو تمرين شعري طويل مكنه من أن يضمن النص مقاطع نثرية هي اشبه بالاقصوصة ومقاطع حوارية هي اشبة بالمسرحة، لكني ارى في هذه الطريقة المتظافرة الأنواع انفتاحا قلقا على تجربة يراد منها أن تكون لغة الكرسي إشارات أوسع من لغة الحوار أو السرد. هنا قد ندخل في إشكالية المعنى لا إشكالية الشكل وهي أن الشاعر لا يقصد التعامل المسبق مع الأشكال التعبيرية كي يضمن قصيدته فيها بقدرما فرضت مناخات القصيدة ودراميتها هذه تعدد الأساليب، وعلينا أن ندرك ونحن نعالج هذا النص أن اللغة يجب ان تختلف وليست طريقة رصف الجمل فقط. كما كنت افضل أن يكون النص السردي متلاحما وليس مقطعا كالقصيدة والنص المسرحي حوارا بمشاهد وليس سياقا عابرا في النص، صحيح أن هيمنة بنية القصيدة تضعف الأساليب الأخرى ولكننا أمام تجربة نريد تأكيدها ليس بالمحتوى اللساني، بل بالشكل الفني وهو ما يجعل المكانية للنص طريقة أخرى في بنية القصيدة الحديثة.





ترجمة: سامي أبراهيم داوود



«كرسي» شێركۆ بێكەس

شوقي بزيع - الحياة

يتمتع هذا الشاعر الكردي المعاصر بقدرة فائقة على تحويل العالم برمته الى مادة شعرية لا تخمد جذوتها. ويكاد يكون، مع توأمه الآخر سليم بركات، المعادل الشعري للقضية الكردية المخضبة بالآلام والدماء والدموع منذ عشرات السنين. وعلى رغم أنه نذر شعره للدفاع عن حق شعبه في الحرية والعيش بكرامة إلا أن هذا الشاعر لا يكتفي بالوقوف عند جثامين الشهداء وهول المجازر ووطأة القهر بل يحاول التنقيب في تضاريس تلك الجبال الشاهقة والأودية السحيقة التي يقطنها الكرد عن معنى للأمل والبطولة والرجاء الملبد بالعثرات.

يقف قارئ شيركو بيكه س مذهولاً أمام قوة مخيلته وغزارة صوره وموهبته الاستثنائية القادرة على وصل أطراف عالمه الممزق عبر شبكة مترامية من التشابيه والمجازات والاستعارات. وهو إذ يفعل ذلك لا يقع في التهويل اللفظي والإنشائية الوصفية ولا يجنح في المقابل الى الافتعال وعرض المهارات البلاغية بل تعصمه من ذلك قوة العاطفة وصفاء السريرة وتوهج العبارة واضطرام الوجدان. كما أن شعره، على محليته الظاهرة، لا يقف عند حدود المكان الضيق والبيئة المغلقة على ذاتها بل يتدرج في رسم دوائره واهتماماته ليطاول الانسان في أربع رياح الأرض وليلامس المشترك الجوهري بين الأمم والأعراق كلها. ومن يقرأ كتابيه «إناء الألوان» و «سفر الروائح» وكثيرا غيرهما لا بد من أن تستوقفه قدرة الشاعر على استنطاق الحواس والذهاب بها بعيداً من متناول الجسد لتحلق كل حاسة في فضاء تخييلي ورؤيوي لا حدود له. كما يمتلك الشاعر خاصية الغناء المرهف والإنشاد المتصل بصوت الجماعة مازجاً بين الذاتي والموضوعي وبين حميمية الناي وقرع الأجراس العالية، بحيث يحلو للكثيرين أن يروا في تجربته المعادل الكردي لتجربة بابلو نيرودا التشيلي ومحمود درويش الفلسطيني وغارسيا لوركا الإسباني. والميزة الأخرى في شعر بيكه س هي تركيزه على مواضيع معينة في دواوينه المختلفة وذهابه الى

أعماق هذه المواضيع حتى لتبدو قصائده الطويلة شبيهة بالملاحم المعاصرة.

لا تشذ مجموعة شيركو بيكه س الأخيرة «الكرسي»، والتي نقلها الى العربية سامي إبراهيم داوود، عن سياق أعماله الأخرى ذات البؤرة الواحدة والنفس الطويل. فهو يقلب فكرة الكرسي على كل وجوهها وحالاتها بدءاً من الشجرة التي انبثقت عنها في غابته الأم ووصولاً الى ولادته على يد النجار وانتقاله من صاحب الى صاحب تبعاً للمصادفات والأقدار التي تحدد مصيره. ويحرص الشاعر في هذا العمل على تلوين أسلوبه وتعديله وفقاً لضرورات السرد أو الوصف أو استكناه الحقائق الوجودية المتصلة بموضوعه متجولاً بين الشعر والقص والنثر والحوار المسرحي، ما يجعل الكتابة أقرب الى النص المفتوح منها الى أي شيء آخر.

في تقصّيه لموضوعه يتنقل بيّكه‌س كثيراً بين الضمائر المختلفة كالمتكلم والمخاطب والغائب، الأمر الذي يمنح أسلوبه حركية دائمة وقدرة على التشويق ومجانبة الملل. فهو يبدأ بعض المقاطع السردية بالعبارة المألوفة والمنسوبة الى المجهول «يحكى أن...» قبل أن يتابع مجرى حياة الكرسي وتنقلاته بين الفقراء والأغنياء، بين الصعاليك والسلاطين وبين الأطهار والآثمين. والكرسي وفق بيكه س «لا يتذمر أو يتطلب/ لا يغضب أو يثرثر/ فقط أمر واحد ينغّص على قلبه/ إذ ههنا لا تعرفه النساء/ ولا يأتين لاحتضانه يوماً... ومع ذلك فقد تأخذه البهجة/ كلما اقتعد الشعر عليه». وفي مقاطع أخرى يقيم الشاعر أحاديث وحوارات على لسان الأخشاب التي لم تكد تخرج بعد من عهدة النجارين، حيث يتمنى بعضها لو يتحول الى معرض للكتب وبعضها الآخر الى خزانة لغرفة الفتاة وبعضها الى طاولة في مرقص أو سرير عريض لزوجين، حتى إذا اكتملت صناعتها لم يقع أي منها في الموقع الذي تمناه لنفسه ولم تجر رياح مقاديرها وفق ما اشتهته سفن أحلامها المجهضة، «فذلك الذي كانت أمنيته أن يكون معرضاً للكتب/ صار خزانة ثياب/ والذي أراد أن يكون سرير زوجين/ صار لسوء حظه خشباً لغسل الموتى/ والذي أمنيته أن يكون مجذافاً/ جعلوه مشنقة».

إلا أن شيركو بيكه س لا يقف عند هذه الحدود وحدها. فمن خلال سيرة الكرسي يروي سيرة بلاده ومأساة تمزقها بين الأمم والأوطان. كما يروي سيراً لأولئك الرجال الطامحين الذين جهدوا للوصول الى كرسي السلطة حتى إذا جلسوا عليه تحولوا الى طغاة وأباطرة وجلادين لشعوبهم. ويروي سيراً أخرى للشعراء والفنانين والمبدعين الذين كانت كراسيهم تسترق السمع بلهفة لتزداد ما عثروا عليه من كنوز الموسيقى والشعر والألحان النادرة. لكن الطريف في الأمر أن بيكه س يقيم الكراسي في بعض الأحيان مقام البشر فيجعل بعضها مرهفة الإحساس ورفيقة الشاعر في حين أن بعضها الآخر يتصف بالبلادة والغباء والمهانة: «توجد كراس ذليلة/ لا تخجل من أي شخص يقعد عليها/ وإن كان جلاداً». وإذ يتجول الشاعر داخل عوالمه الخشبية تلك مستنطقاً سرائرها وأحوالها ومضيّقاً المسافة بين المقاعد والقاعدين فوقها يرى في نهاية المطاف بأن ثمة كرسياً واحداً لا يزال شاغراً وسط ملايين الكراسي التي تملأ العالم، «إنه الكرسي الذي ينتظر بفارغ الصبر أن تجلس عليه الحرية».



شێرکۆ بێکەس
في ديوانه الجديد «الكرسي» الشاعر الذي يندف قطن الزمن بأصابع انفاسه



فاطمة المحسن

مايكتبه شيركو بيكه س يعبق برائحة الشرق البعيد، فهو شاعر شرقي بامتياز، والشرق هنا هو الزمان الغامض والسري الذي تمتد تلافيفه في ذاكرة الحكايا، حيث كل شيء تسكنه أرواح القصص وتدب فيه حياة غير مرئية.

شيركو بيكه س لايصل كله عبر الترجمات، ودواوينه الأخيرة تحفل بالغرائب من المفردات التي يجتهد فيها المترجم الكردي أن يكون عربيا أكثر من العرب، فيأتي بما لايفهمه ضليع بالعربية مثل: الجثالة والقعيث والقماعيل والخث وسواها من العجائب التي يضع المترجم لها فهرسا ليتعرف القارئ عليها. ولا نفهم لماذا لايستعين الشاعر بأديب عربي كي يحرر دواوينه المترجمة، كما العادة في كل ترجمات الشعر في العالم.

مهمة قراءة ديوان مثل ديوانه الأخير(الكرسي) تكتنفها بعض العوائق للأسباب المذكورة، غير ان علاقة الكردية بالعربية تمكّننا من الأمساك بنبض الشعر المميز الذي يفيض بسحر أجوائه. ديوانه الصادر عن دار المدى بترجمة سامي ابراهيم داود، انتقالة في شعره من طابعه الرعوي والإسطوري الى اليومي والمعيش،ولكن كما هي الحال في شعر شيركو يتحرك النص ضمن دينامية تساعد على إنتشاره في متوالية تأويله. فهو يمسك بتورية واحدة تبدو للوهلة الأولى بسيطة ومحدودة الفاعلية، ولكنه يدخلها الى عالم من التولدات المتعاقبة لتتسع حركتها في مجرات من الصور الذهنية والأفكار والانطباعات.

«الكرسي» يتحول الى محمول لمواضيع وقضايا يتم بيانها من خلال ما يقوم فيها بدور كأنسي وروح وفكرة واعتقاد،حيث يلبس أقنعة مختلفة وتوكل اليه مهمات بمقدورها تجاوز المعنى الظاهري الى ترسيمات عقلية ووجدانية، وهنا تبرز ثروة الشاعر اللغوية ومهارته في صناعة الاستعارة.

يفتتح شيركو مسرحه بصوت الشاعر وهو يتوحد مع كرسيه، وخطابه حكاية تروى ويتناقلها الناس، وعبارة (يحكى أن) فاصلة يضعها ((لذلك الجدّ النقّاش/ أهدى من جسده/ لعرس سيد (الأردلانيين) وزوجته (مه شرف) رقعة شطرنج بني)).

لا الاسطورة ولا التاريخ و تبّدل الفصول في الطبيعة، تكفي كي يكمل الشاعر اغنيته الناقصة، فلمسات فرشاته سريعة محكومة بالإنتهاء، ولكن كرسيه الجوال مثل الشاعر الذي تمنى ان يكونه، ينقله الناس من مطرح الى مطرح ليصبح شاهدا وساردا ومتفكرا.

يسأل الصحافي الكرسي عن أصله وفصله، ثم عن رأيه في الناس فيبدأ من حيث يقلق الشعر ويعترض ((ربيع السنة الماضية، أقام أحد الأحزاب حفلا كبيرا هنا/ إبتدأ بخطبه قائلا/ هذه الأرض جنة العالم/ هنا مهد الحضارة والمدنية/ قال: الوطن نور العين/ الغريب أنهم حين غادروا/ تركوا للجنة القذارة/ والوطن مزبلة)). يتسع مشهد الإعتراض عند شيركو لينتقل من الأعداء القادمين من مكان آخر، الى المقيمين فيه. فجيوش العصف التي لاتبقي ولا تذر، ليست وحدها التي تستولي على الأرض والضرع، بل ((يوجد بيننا من هم شرهون جدا للظلم/ يريدون أن يستولوا على الهواء والماء/ وطيور السماء/ كما ترى، فهم يستولون على أراض كثيرة/ ساقية تلو أخرى/ يلتهمون حتى المسيل/ ولا يرتوون.)).

شيركو بيكه س هذه المرة يدّون مارأى وسمع من سيرته الشخصية، فناعه كرسي يتنقل من مكان الى آخر،ومن موضوع الى فكرة ومن خطاب الى تأمل في الطبيعة وتغير الفصول، شانه شأن فلاح يحرث حقلا يستقر في مخيلته، ولكن السليمانية وفايق بيكه س والشعراء الذين حفظهم والحوادث التي رآها في الهجرة والإقامة، تدوّن بما يشبه السيناريو المسرحي.

العلامة التي يستخدمها الشاعر ترتبط بموجب الوظيفة الدلالية بالطبيعة،فالذي يوجهها شاعر رعوي ورومانسي، ولكن مضامينها تتفرع الى مركّبات تعبيرية مختلفة تشمل حياة المدينة وحوادثها وتصبح تلك الحياة صورا للمعاني التي تنتجها. وهي في الغالب ليست مزدوجة او متخالفة كي تولّد حالات مركبة،فالجزء يحيل الى الكل ولا خروج عن التوقعات، حتى ان بعضها يبدو بيانات بسيطة، مثل تلك التي تقول (("بيكه س" أنت زمهرير جسد/ يتوجع صدأ وسمّا/ لكن،في روحك ربيع/ أحلى من فردوس الله،/ نبصر بعيون الضوء/ ذاك الربيع/ نشمه بأنف الطفولة)).

يبقى الشعر حائرا لحين مايرتب مسرح حواره،ويتولى صوت الكرسي إدارة تلك الحوارات، ويشتغل التناص هنا في مقاطع لشعراء كرد ومسرحيين عالميين وموسيقي مسيحي يعزف على آلة « التار». كلهم يروون قصة الثقافة في كردستان، غناء الطبيعة ولغط الناس وذائقة الفنون واغتراب الوطن وحيرته، فيختصر صوت العاشق كل ذلك الكون: ((أنا العاشق/ لابد أن أندف/ بأصابع أنفاسي/ قطن هذا الزمن./ لتحلق الكلمات/ وتستحيل العبارات ريشا/ للرياح التائهة،المشردة/ التي لابيت لها/ ولا معجم.)).

الكرسي شخصية مشاركة في تلك المشاهد، وفي بعض المقاطع يتحول الى سارد غائب، غير ان الشاعر نفسه هو الذي يدير « وجهة النظر»، وهنا بمقدورنا الإمساك بمقولات في الديوان تتواشج وتتفاعل، بعضها ثقافي تمثله شخصيات الفنانين والأدباء، وبعضها سياسي وتمثله الحوادث ورجال الجيش والأجانب، وبعضها إجتماعي ويمثله صوت الفقراء وكاتب العرائض الذي ينقل همومهم. ولكن الخطاب الجامع لكل هؤلاء هو الهوية الكردية التي ينوّع الشاعر عليها، والمكان المهدد بالفناء، والتواريخ التي ينبغي أن تبقى محفورة في الذاكرة. وجهة النظر هذه تكاد تشكّل ناظم شعر شيركو الذي يحتاج أن يخرج من سجنها كي لايكرر نفسه.

(تاريخ الادب الكردي)
للبروفيسور معروف خزندار
جولة خاطفة، وبضع ملحوظات نقدية



جلال زەنگابادی

«إني رأيت أنه لايكتب أحد كتاباً في يومه إلاّ وقال في غده:

لو غُيِّر هذا لكان احسن، ولو زِيد هذا لكان يُستحسن،

ولو قُدِّم هذا لكان أفضل، ولو تُرِك هذا لكان أجمل.

وهذا من أعظم العِبَر، وهو دليل على إستيلاء النقص على جُملة البشر»

العماد الأصفهاني

ليس الأدب الكردي بجذوره الضاربة في القرن السابع قبل الميلاد،والذي ترقى بواكيره الناضجة إلى مطلع القرن التاسع الميلادي، ليس أقل عراقة وأصالة من أكثر وأقدم آداب الأمم الحية في العصر الحديث، وللتدليل على ذلك؛ لاندحة هنا من الإشارة إلى بدايات نشوء أوسع الآداب العالمية إنتشاراً في عصرنا الحديث(علماً بأن التواريخ الآتية تقريبية، وتختلف نوعمّا من مصدر إلى آخر):

الأدب الصيني (القرن ١٤ ق.م)، الأدب اليوناني (القرن ١٠ ق.م)، الأدب الفارسي (القرن ٧ ق.م) الأدب الهندي (القرن ٦ ق.م)، الأدب العربي (القرن ٥م)، الأدب الأرمني (القرن ٥م) الأدب الإنكليزي (القرن ٨م)، الأدب الياباني (القرن ٨م)، الأدب الفرنسي (القرن ٩م) الأدب التركي (القرن ٩م)، الأدب الألماني (القرن ١٢م)، الأدب الإيطالي (القرن ١٣م) الأدب الإسباني (القرن١٣م)، الأدب الدانماركي (القرن١٥م)، الأدب البرتغالي (القرن١٣م) الأدب الروسي (القرن١٦م)، الأدب الأمريكي (القرن١٨م)، الأدب السويدي (القرن١٨م) الأدب الشيلاني (القرن١٨م)، الأدب المكسيكي (القرن١٩م)، والأدب النرويجي (القرن١٩م).

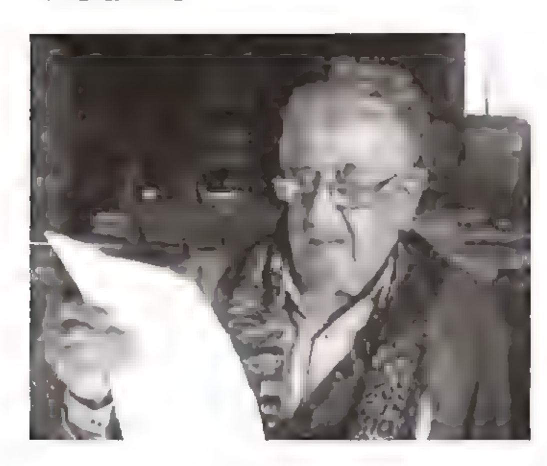
ورغم قدم الأدب الكردي وغناه بنصوص إبداعية كثيرة يضاهي بعضها عيون الآداب العالمية،ظل لأسباب ذاتية وموضوعية،أهمها:غياب اللغة الأدبية الموحدة،إضافة إلى إنعدام دولة كردية موحدة لأجزاء

كردستان من قبل ومن بعد،ظل رهين التشرذم اللغوي والتقوقع في الغيتو وشبه مجهول حتى في أقرب اللغات والآداب إليها!في حين أن اللغة الكردية رغم تدوينها بثلاث أبجديات(العربية،اللاتينية والسيريلية)مثل البنجابية بأبجدياتها الثلاث(للسيخ والهندوس والمسلمين)تعد افضل حالاً بكثير من اللغة الصينية مثلاً؛حيث تعاني من مشكلات،بل معضلات أضعاف ما في اللغة الكردية،أبرزها وجود تسعة وأربعين ألف حرف لاتنتج» سوى أربعمئة وإثني عشر صوتا ممكناً»!

ومن الأسباب الأخرى لغيتو الأدب الكردي إنعدام حركة ترجمة منظمة عن الكردية إلى اللغات الأخرى حتى من قبل أبنائها أنفسهم!ناهيكم عن شبه إنعدام للمعاجم الضرورية والأنتولوجيات الأدبية والدراسات المعمقة والشاملة الشافية حتى التي تغطي تاريخ الأدب،وهنا تكمن الأهمية الفائقة لـ(تاريخ الأدب الكردي)للبروفيسور خزندار،الذي يقيناً سدّ إحدى الثغرات الكبيرة في المكتبة الكردية،ومهّد السبيل أمام المترجمين؛لما يضمه من دراسات وبيوكَرافيات ونصوص شعرية مختارة.

وقبل البدء بجولتنا الموعودة في هذا السفر الكبير؛ لابد من تعريف خاطف بمؤلفه،مع انه غنيّ عنه في الوسط الثقافي الكردي.

ولد الأستاذ الدكتور معروف خزندار عام (١٩٣٠) في اربيل، واكمل فيها مرحلتي الإبتدائية والمتوسطة،والمرحلة الإعدادية في كركوك،ثم تعرّض للسجن،وبعدها تعيّن موظفاً في أربيل،ثم أبعد إلى مدينة الكوت،ومن ثم قبل طالباً في قسم اللغة العربية بكلية الآداب-جامعة بغداد،وبعد تخرجه تعيّن مدرساً للغة العربية في كركوك،وبعد بضع سنين سافر إلى روسيا وأمضى فيها ثماني سنوات؛حتى حاز على درجة الدكتوراه عام١٩٦٧وبعدها عاد إلى العراق،وعمل مدرساً في جامعة بغداد قرابة ثلاث عشرة سنة،منذ ١٩٦٨حتى إحالته على التقاعد في ١٩٨٢وفي ١٩٨٣سافر إلى



الجزائر وعمل مدرساً حتى١٩٨٨في معهد اللغة والأدب العربي بجامعة عنّابة،ومن ثم عاد إلى كردستان،حيث عمل أستاذاً في كلية الآداب بجامعة صلاح الدين منذ مطلع تسعينيات القرن الماضي..

منذ ١٩٤٥ حتى ١٩٩٩ نشر الأستاذ خزندار (٢١كتاباً، مؤلفاً ومترجماً) ثم توّج عطاءه بـ(تاريخ الأدب الكردي) ومن تآليفه وترجماته:

*الوزن والقافية في الشعر الكردي/١٩٦٢ بغداد (بالكردية)

*تاريخ الأدب الكردي الحديث/١٩٦٧ موسكو (بالروسية)

*فرسان مريوان الإثنا عشر،وخمس عشرة قصة أخرى،ترجمة إلى الروسية/١٩٦٨موسكو

*الأكراد، تأليف: مينورسكي، ترجمة وتعليق عن الروسية إلى العربية/ ١٩٦٨ بغداد

*ألمان كردي وقصص أخرى/١٩٦٩بغداد(بالكردية)

*ديوان نالي ومعجم نالي،دراسة وتحقيق/١٩٧٧ بغداد (بالكردية)

*الرحالة الروس في الشرق الأوسط،تأليف:ب.م. دانتسيغ/ ترجمة عن الروسية إلى العربية/١٩٨١ بيروت

*كُرديادة،ملحمة شعرية/١٩٨٥لندن(بالكردية)

*الأدب الروسي وقضية باسترناك/١٩٩٩ أربيل

(بالكردية)

ومازال الدكتور خزندار عاكفاً منذ١٩٩٢على كتابة مذكّراته، التي ستبلغ بضعة أجزاء، متوخياً تقديم سيرته الذاتية (الحياتية والثقافية) المتواشجة مع بيئته الإجتماعية منذ أواسط ثلاثينيات القرن العشرين حتى وقتنا الحاضر،بصورة بانورامية شاملة، فدام ظله؛•ليتحف المكتبة الكردية بسفر مذكراته وأسفار أُخَر...

***

يقع (تاريخ الأدب الكردي) في (٣٨١٥ صفحة من القطع الكبير) بأجزائه السبعة الصادرة خلال السنوات (٢٠٠١-٢٠٠٦) عن (دار آراس للطباعة والنشر) وهو يتناول تاريخ الأدب الكردي المدوّن،منذ نشوئه قبل أكثرمن ألف عام حتى١٩٧٥وقد حقق البروفيسور خزندار بهذا العطاء الكبير أحد أكبر مشاريع عمره؛ إذ توّج بهذه الثمرة الكبيرة جهوده ومساعيه لما يزيد عن نصف قرن في البحث والدراسة، إذ ان محاولاته الأولى في هذا المضمار تعود إلى السنوات(١٩٥٠-١٩٥٣)ثم نشره لأطروحته لنيل الدكتوراه(تاريخ الأدب الكردي الحديث)بالروسية،وبعدها مارس التدريس في جامعة بغداد،ومن ثم بجامعة عنّابة،حيث خطا فعلياً أولى خطوات تنفيذ مشروعه..

لاشك في أن مثل هذا المشروع الضخم تكتنفه الصعاب والمشاق الجمة؛ ولاسيما في غياب المصادر والمراجع العلمية الموثوق بها، التي يمكن الركون إليها باطمئنان؛ولذا فقد إستند الأستاذ خزندار(حسب تصريحه في مقدمته)بصورة أساسية إلى إجتهاده الخاص،مستقرياً نصوص الأدباء كمبدأ جوهري؛بغية إستنتاج التأرخة وتقييمها لتثبيت مايعده صائباً،وإهمال مايعده خطأً في رأيه؛فقد أهمل من الشعر القديم ما تأكد من فبركته حديثاً ويتعذر الحصول على أصله الحقيقي، وكذا الحال مع كل شاعر قيل انه قد نظم أشعاراً كردية،لكنها ضاعت،ولم تبق سوى ترجماتها في لغات أخرى.كما أنه أهمل التقييمات غير الموضوعية لآثار العديد من الشعراء؛لما وراءها من أسباب ذاتية أو سياسية وغيرها،بل ولم يأخذ بآراء المستكردين على علاّتها.ثم انه لم يقدم إلاّ الأدباء الذين كتبوا باللغة الكردية(بأية لهجة كانت)وبذلك فقد أهمل الأدباء(الذين هم أصلاً من أرومة كردية)في اللغات العربية والفارسية والتركية.والذين يتجاوز عدد الأعلام البارزين منهم عدد أعلام موسوعته البالغ(١٧٠علماً:١٥٥شاعراً و١٥كاتباً)ومن مبادئه الجوهرية أيضاً أنه لم يستقص كثيراً في تمحيص تواريخ ميلاد ووفاة الأدباء،ولم يستطرد في مناقشتها.ولقد إتبع قاعدة معيّنة لتبيان بدايات النضوج الشخصي والإبداعي لكل شاعر من القدماء،ألا وهي إضافة عشرين سنة إلى تاريخ ميلاده؛لتحديد مشواره الإبداعي وموقعه في عصره.كما انه(حسب تصريحه..)شدد على المقارنة بين نصوص الدواوين والأشعار المطبوعة ونسخها المخطوطة،واختار أفضل النماذج كما لو أنها(مختارات من الشعر الكردي)طبعاً بلهجاتها الأصلية بعد التدقيق والتحقيق،ونقل بعضها من(اللهجات: الكَورانية،الكرمانجية الشمالية واللرية)إلى(اللهجة الأدبية الكرمانجية الوسطى)وهي مشفوعة بالتحليل والتقييم شكلاً ومضموناً،مع تثبيت تواريخها أحياناً.ولم يتوان البروفيسور خزندار عن إيراد والكشف عن(المسكوت عنه في الأخلاق والإجتماع والسياسة)كالأشعار الإيروتيكية للشيخ رضا ونالبند،وأشعار الهجو المقذع لهذا الشاعر أو ذاك،وكذلك إمتداح الحكام كمديح حمدي(١٨٧٨-١٩٣٦)للملك فيصل الأول،ومديح عبدالله گوران لفيصل الأول وعبدالكريم قاسم.ومن الملحوظ أنه قد إستخدم المصطلحين(الكلاسيكية)و(الرومانتيكية)وغيرهما... حتى وإن كانت لاتتطابق بالضبط في مدلولاتها مع مثيلاتها في أوربا؛حيث تكمن العلة في إختلاف البيئة الثقافية الكردية عن سواها في نشوئها وسياق تطورها التاريخي...وقد سعى ألاّ يتجاوز حدود(تاريخ الأدب)إلى(النقد الأدبي)و(الأدب المقارن)رغم أنه لايمكن تفادي تداخل وتقاطع هذه المجالات في مثل

هكذا عمل،إذا تغيّا مؤلفه تحقيق هدفه الجوهري على الوجه الأفضل،ألا وهو أن يصبح(تاريخ الأدب الكردي)هذا مصدراً ومرجعاً علمياً أكاديمياً مدرسياً وإنسكلوبيدياً(حسبما يطمح إليه)ولاغرو في ذلك،فهو يتميّز عموماً بقلة الأخطاء العلوماتية والمطبعية وغيرها.ناهيكم عن أنه مزدان بـ(٤٣بورتريه و٩٣صورة للأدباء)و(٧صور،٤منها لصفحات مخطوطة من ديوان الجزيري و(مم وزين)خاني وغلاف ديوان سالم وكتاب(الشروح الشمسية في علم المنطق) وصورتين لضريح بابا طاهر.

لقد إستند البروفيسور خزندار إلى مئات المصادر والمراجع باللغات: الكردية، العربية، الفارسية، الروسية، التركية، الإنكليزية، الفرنسية، والألمانية، حتى الإيطالية، مثبتاً بيبلوغرافياتها في ختام كل جزء من أجزاء سفره (لكن بدون الإشارة الدقيقة إلى أرقام الصفحات...) مع فهرسيّ الأعلام والجغرافيا.

وهنا لابد من التذكير بجهود وأفضال جمهرة من محققي ومعدّي دواوين الشعراء القدماء،والكتاب والباحثين والمصنفين وغيرهم ممن أثرت ثمرات جهودهم المشهودة (تاريخ الأدب الكردي) للبروفيسور خزندار، بصورة مباشرة أو غير مباشرة، فلولاها، لما إكتنز سفره هكذا، وعليه وجبت الإشارة إلى بضعة كتب والعديد من أبرز أسماء ذوي الفضل في مضامير البحث والتحقيق والدراسة والنقد والأدب المقارن وغيرها:

١-محفل الأدباء الكرد/ أمين فيضي/ ١٩٢٠ إستانبول

٢-الشعر والأدب الكردي/ رفيق حلمي/ ج١ (١٩٤١)/ ج٢ (١٠٥٦) بغداد

٣-تاريخ الأدب الكردي/ علاءالدين سجادي/ ١٩٥٢بغداد

٤-الشعراء الكرد/ صادق بهاءالدين آميدي/ ١٩٨٠بغداد

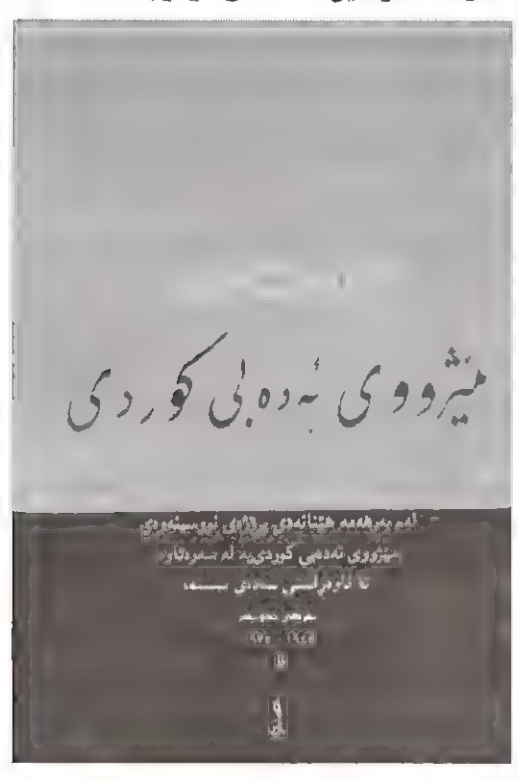
٥-تاريخ الأدب الكردي/ د.قناتي كُردو/ ج١ (١٩٨٣)/ ج٢ (١٩٨٥) إستوكهولم

٦-المدخل لدراسة الأدب المدوّن باللهجة الكرمانجية/ تحسين إبراهيم الدوسكي/ جزءان ١٩٩٣ دهوك

٧-تاريخ الأدب الكردي/ صديق بوركيي صفي زاده/ جزءان ١٩٩٦ تبريز

وفيما يلي، وحسب الفسحة المتاحة، ماعلق من الأسماء بذاكرتي، التي قد تخذلني أحياناً؛ فعذراً لمن لم يرد إسمه:

الملاّ عبدالكريم المدرس/ محمد علي قَرَداغي/ محمد الملاّ كريم/ محمد أمين هوراماني/ فاتح الملاّ كريم/ بابا مردوخ روحاني/ مسعود محمد/ محمد أمين كاردوخي/ حزني موكرياني/ گيو موكرياني/ كاكي فلاح/ كليم الله توحدي/ عبدالرقيب يوسف/ مام هەژار/ محمد أمين بوزأرسلان/ الشيخ محمد الخال/ د.عزالدين مصطفى رسول/ د. محمد



موكري/ د.كريم الأيوبي/ د.محمد نوري عارف/ د.امين مُتابجي/ د.عبدالله آكَرين/ شكور مصطفى/ محمد أمين عثمان/ د.مسعود كتاني/ د.عزيز كَردي/ د.شكرية رسول/ د.محمد بكر/ محمد امين زكي/ مصطفى نريمان/ كريم شارَزا/ عثمان هورامي/ عمر معروف البرزنجي/ محمد أمين عصري/ عبدالخالق علاءالدين/ اميد آشنا/ اميد كاكه رش/ جمال محمد امين/ هردويل كاكائي/ آزاد عبدالواحد/ أورديخان جليل/ جليلي جليل/ برويز جيهاني/ ماليسانج/ إسماعيل بادي/ سعيد ديرشي/ د.ابراهيم شوان/ ريبوار سويلي/ د.احمد ملا/ د.عبدالله حداد/ د.كمال ميراودلي/ والمستكردات: م. ب. رودينكو/ جويس بلو/ ز. س. موسيليان/ وسميرنوفا...

وهنا لابد من الإشارة إلى فقرة مؤثرة جداً للبروفيسور خزندار، في مقدمة الجزء الأول،معبراً عن مشاعره بمناسبة إنجاز مشروعه، مشيراً إلى ثلاثة أعزاء راحلين، كانت ذكراهم وأطيافهم تلازم دوماً ذهنه وخياله، منذ شروعه بمشروعه حتى إتمامه،الا هم:أولاً والده الذي أبدى توقه في أواخر أربعينيات القرن الماضي إلى رؤية كتب ولده، لكنه رحل عن الدنيا ولم تتحقق أمنيته.والثاني هو رفيق حلمي الذي كان يحثه«أكتب لنا تاريخ أدبنا،وسوف أكتب لك مقدمته» لكنه رحل ولم يره.أمّا ثالثهم فهو توفيق وهبي الذي قال له «أود أن تجمع كل النصوص الكردية الجميلة؛ إذ لايجوز أن يكتب تاريخ الأدب واحد أو إثنان فقط، أنظر إلى الأمم الأخرى كم من كتب تاريخ الأدب عندها...» وقد رحل أيضاً ولم يره»ومع ذلك فأنا سعيد، لكوني إستطعت أن أحقق أمنياتهم، حتى ولو بعد رحيلهم عن دنيانا،مادام المبتغى هو الشعب الكردي الذي سيبقى خالداً...»

الجزء الأول

صدر عام (٢٠٠١م) بـ(٣٣٩ صفحة) وقد غطى به الدكتور خزندار تاريخ الأدب الكردي المدوّن، منذ نشوئه حتى القرن الرابع عشر الميلادي ،معرّفاً بـ(١٣ شاعراً +نصوص مختارة) إبتداءً بالشاعر الصوفي بابا طاهر الهمداني (٩٣٧-١٠١٠م) وانتهاء بالشاعر اليارساني بابا جليل ددواني (١٤٧٨-١٥٦٠م) مروراً بشعراء اليارسان(أهل الحق)الآخرين ، خلال (٩٠١- ١٦٠٠م) وأبرزهم : بيرشاليار(١٠٠٦-١٠٩٨م)،شاخوشين(١٠١٥-١٠٧٤م)،سلطان إسحق(١٢٧٢-١٣٨٨م)،عابدين الجاف(١٣٢٠-١٣٩٤م)وبابا يادكَار (١٣٥٩-١٤٨٠م)على ثمانين صفحة.

ولقد مهّد البروفيسور خزندار على(١٨٠صفحة من هذا الجزء)لسفره الكبير تمهيداً عامّاً،بفصول تناول فيها جغرافية كردستان المجزآة بين(تركيا،إيران،العراق،سوريا وقفقاسيا)مؤكّداً على كونها وحدة جغرافية واحدة رغم الحدود المصطنعة في الماضي القريب،كما أشار إلى أمكنة اخرى إستوطنها الكرد منذ قرون: قونية في تركيا، وخراسان، شيراز، بلوجستان في إيران، وحلب في سوريا، وأرمينيا وجيورجيا وتركمانستان وأوزبكستان وكازاخستان وأفغانستان... وكذلك الملايين من الكرد القاطنين في العواصم والمدن: بغداد، طهران، أنقرة، دمشق، عمّان وبيروت...

ثم قدّم موجزاً لتاريخ الكرد وأوضاعهم في العصور القديمة والوسيطة والحديثة..ومن ثم قدّم تعريفاً للغة الكردية ولهجاتها،وديانات الكرد ومعتقداتهم وحياتهم الإجتماعية والثقافية،وصحافتهم ونواديهم ومنظماتهم الإجتماعية،وأشار إلى أعمال المستشرقين (المستكردين)الذين تناولوا بالبحث والدراسة الكرد وكردستان على شتّى الصُعد.

ولم يفت الدكتور خزندار أن يقدّم معلومات موجزة عن بدايات الأدب في العالم القديم، ولاسيما الأدب الشرقي والأدب الإغريقي،والكتب السماوية كنصوص أدبية راقية..

وعليه فقد أصبحت هذه الفصول بمثابة مقدمة عامة لهذا الجزء وسائر الأجزاء من بعد...

الجزء الثاني

صدر عام (٢٠٠٢م) بـ(٤٦١ صفحة) يتناول فيه البروفيسور خزندار تاريخ الأدب الكردي من القرن

الرابع عشر حتى القرن الثامن عشر الميلادي،مقدّماً(١٣ شاعرا)بعد لمحة تاريخية مركّزة عن الأوضاع السياسية في كردستان،وخاصة موطن الكرد(الكَورانيين)ثم يقدّم أبرز الشعراء باللهجة الكَورانية(السائدة قرونئذ كلهجة أدبية في بقاع واسعة من كردستان الكبرى)بدءاً بالشاعر الصوفي (الحروفي) الملاّ بريشان (١٣٥٦-١٤٢١م) وانتهاء بالشاعر رنجوري(١٧٥٠-١٨٠٩م)مروراً بالشعراء: عيل بك الجاف (١٤٩٢-١٥٥٣م)، بيساراني (١٦٤٣-١٧٩١م)، ألماس خان (١٧٠٢-١٧٧٨م)و ولي ديوانه (١٧٤٥-١٨٠١م).

ثم ينتقل الدكتور خزندار إلى تناول نهضة الأدب الكردي في شمال كردستان باللهجة الكرمانجية،التى أصبحت لهجة أدبية مدوّنة منذ أوائل القرن السادس عشر الميلادي،وبعد التمهيد..يقدّم أبرز شعرائها،مبتدئاً بعلي الحريري(١٥٣٠-١٦٠٠م)ومختتماً إيّاهم بيرتو الهكاري(١٧٥٦-١٨٢٥م)مروراً بالملاّ الجزيري(١٥٦٧-١٦٤٠م)،احمد الخاني(١٦٥٠-١٧٠٧م)والملاّ باتي(١٦٧٥-١٧٦٠م)

وفي الجزء نفسه يتناول الأستاذ خزندار ظهور الرواية الشعرية(المنظومات القصصية)إبّان القرن الثامن عشر الميلادي،في كلتا اللهجتين الأدبيتين السائدتين(الكَورانية والكرمانجية)قرنئذ،ومنها:(ليلى والمجنون)لمحمد قُلي الكندولي،(ليلى والمجنون)لحارث البدليسي،و(يوسف وزليخة)لسليم سليمان.

ومن ثم يتناول د.خزندار الأدب المدوّن لـ(اللُّر)بصفتهم إحدى الأرومات الأصلية في تكوين الشعب الكردي،وبعد التعريف بموطنهم وتاريخهم ولهجتهم..يقدّم إثنين من شعرائهم،وهما:قاضي منكَورة وكادي شهمير.

الجزء الثالث

صدر عام (٢٠٠٣م) بـ(٤٣٩صفحة) يغطي به البروفيسور خزندار الحقبة (١٨٠١-١٨٥٠م) مقدماً أهم ثمار النهضة الشعرية في جنوب كردستان وفي ظل الإمارة البابانية،التي يتناول أوضاعها السياسية والإقتصادية والإجتماعية والثقافية،مع بروز الحركة الصوفية(الطريقتين القادرية والنقشبندية)بدراسة مركزة،ثم يقدم عشرة شعراء بادئاً بنالي(١٨٠٠-١٨٥٦م) ومختتماً بعبدالرحيم مولوي (١٨٠٦-١٨٨٢م) بعد تقديم الشعراء: سالم (١٨٠٥-١٨٦٩م)، كردي (١٨١٢-١٨٥٠م)، غلام رضا أركوازي (١٧٧٥-١٨٤٠م)، ميرزا شفيع جامريزي (١٧٧٦-١٨٣٦م)، صيدي هورامي (١٧٨٤-١٨٤٨م)، سيّد براكه (١٧٩٥-١٨٧٣م)، كوماسي (١٧٩٨-١٨٧٨م)، والملاّ الجباري (١٨٦-١٨٧٦م) وهنا تجدر الإشارة إلى ان نالي وسالم وكردي يعدّون أعلام النهضة الشعرية باللهجة الأدبية الفتية آنذاك، الا وهي السورانية (الكرمانجية الجنوبية، والأصح: الكرمانجية الوسطى) أمّا الباقون فأشعارهم باللهجة الگورانيه (الهورامانية) التي كانت ماتزال سائدة أدبياً في بقاع واسعة من إنتشار اللهجة الأدبية الفتية.

وأخيراً ينتقل بنا الأستاذ خزندار الى شمال كردستان،لتقديم أحد أبرز شعراء الكرمانجية الشمالية،الا وهو وداعي(١٧٩٠-١٨٥٠م).

الجزء الرابع

صدر عام (٢٠٠٤م) بـ(٦٤٤ صفحة) ويغطي الحقبة (١٨٥١-١٩١٤م) يقدم فيه المؤلف (٢٩ شاعرا وشاعرة) ممن يمثلون نهضة الأدب الكردي،في مناطق:أردلان،موكريان،سوران وكَرميان)بعد لمحة دراسية تمهيدية لنشوء وأوضاع الإمارات الكردية (الأردلانية، الموكريانية والسورانية) ومن أبرزهم: حاجي قادر (١٨١٦-١٨٩٧م)،فقي قادر هموندي(١٨٣٠-١٨٩٠م)،محوي(١٨٣١-١٩٠٦م)،الشيخ رضا طالباني(١٨٣٧-١٩١٠م)،وفائي(١٨٤٤-١٩٠٢م)وسالم سنه (١٨٤٨-١٩١١م)

ومن ثم ينقلنا البروفيسور خزندار إلى خراسان،ليقدم لنا جعفر قُلي زنكَلي(١٨١٤-١٩٠٥م)شاعر كُرد خراسان وتركمانستان.

الجزء الخامس

صدر عام(٢٠٠٥م)بـ(٥٨٩صفحة)يعرّف فيه الدكتور خزندار بـ(١٧شاعراً و٣كتاب)ناشطين خلال الفترة(١٩١٤-١٩٤٥م)وكدأبه يمهّد لتقديمهم بدراسة مركزة لأوضاع الكرد وكردستان المجزأة،والنضال القومي التحرري،وكذلك اثر الحربين العالميتين العظميين وإنعكاسهما في الشعر والنثر الكرديين،اللذين شهدا حقبة نهضوية وتجديدية في المضامين والأشكال الفنية،كما يتطرق إلى إنعكاس صورة الشيخ محمود الحفيد(١٨٨٤-١٩٥٦م)ملك كردستان،في قصائد الشعراء: احمد فوزي، بيخود، ناري، زيور، قانع، فايز وخالصي. أمّا أبرز شعراء هذا الجزء وكتّابه فهم: پيرەميرد (١٨٦٧-١٩٥٠م)، زيور (١٨٧٥-١٩٤٨م)، سيف القضاة (١٨٧٧-١٩٤٤م)، أمين زكي بك (١٨٨٠-١٩٤٨م)، شكري الفضلي (١٨٨٢-١٩٢٦م)، حزني موكرياني (١٨٩٣-١٩٤٧م)، أحمد مختار الجاف (١٨٩٨-١٩٣٥م)، عبدالواحد نوري (١٩٠٤-١٩٤٤م)، فائق بيكس (١٩٠٥-١٩٤٨م) ويونس دلدار (١٩١٨-١٩٤٨م).

الجزء السادس

صدر عام (٢٠٠٥م) بـ(٦٣٤ صفحة) وهو يغطي قرابة نصف الفترة (١٩٤٥-١٩٧٥م) ولذا ميّزه البروفيسور خزندار بعلامة (A) وفيه يعرّف الأستاذ خزندار بـ(٢٧شاعراً و٣كتّاب) بعد أن يقدم لمحات عن أوضاع الكرد في وكردستان بكل أجزائها في (تركيا، إيران، العراق وسوريا) وفي روسيا، أرمينيا، جيورجيا، آذربيجان وتركمانستان، ويركز على الأدب الكردي في قفقاسيا (أرمينيا وجيورجيا) وسوريا، كما يتناول صيرورة الشعر الكردي وتطور النثر الفني الكردي والتأليف المسرحي والدراما الشعرية، خلال الفترة المذكورة أعلاه. أمّا أبرز الشعراء والكتّاب المعَرَف بهم فهم: بيخود (١٨٧٨-١٩٥٥م)، كمالي (١٨٨٦-١٩٧٤م)، رحمي هكاري (١٨٩٠-١٩٥٨م)، أحمد نالبند (١٨٩١-١٩٦٢م) توفيق وهبي (١٨٩٢-١٩٨٤م)، أثيري (١٨٩٥-١٩٦٢م) كاميران بدرخان (١٨٩٥-١٩٧٩م) عرب شمو (١٨٩٥-١٩٧٨م)، نوري الشيخ صالح (١٨٩٦-١٩٥٨م)، قانع (١٨٩٨-١٩٦٥م)، رفيق حلمي (١٨٩٨-١٩٦٠م)، ويصالي (١٩٠٢-١٩٧٢م)، حقيقي (١٩٠٢-١٩٩٨م)، جگەرخوێن (١٩٠٣-١٩٨٤م) وعبدالله گۆران (١٩٠٤-١٩٦٢م).

الجزء السابع

صدر عام (٢٠٠٦م) بـ(٧٠٨صفحات) وبعلامة (B) إستكمالاً لتقديم شعراء وكتّاب الفترة (١٩٤٥-١٩٧٥م) وهم (٤٠شاعراً و١٠كتّاب) ومن أبرزهم: عثمان صبري (١٩٠٥-١٩٩٣)، أمين عبدال (١٩٠٦-١٩٦٤)، علاءالدين سجادي (١٩٠٧-١٩٨٤)، بختيار زيور (١٩٠٨-١٩٥٢)، حاجي جندي (١٩٠٨-١٩٩٠) جاسم جليل (١٩٠٨-١٩٩٨)، وزيري نادري (١٩١١-١٩٤٦)، قدري جان (١٩١١-١٩٧٢)، حسن قزلجي (١٩١٤-١٩٨٤)، شاكر فتاح (١٩١٤-١٩٨٨)، إبراهيم أحمد (١٩١٤-٢٠٠٠)، علي عبدالرحمن (١٩٢٠-١٩٩٤)، مام هەژار (١٩٢٠-١٩٩١)، معروف البرزنجي (١٩٢١-١٩٦٣)، محرم محمد أمين (١٩٢١-١٩٨٠)، هيمن كردستاني (١٩٢١-١٩٨٦)، شامي كرماشاني (١٩٢٣-١٩٨٧)، محمد مولود (١٩٢٧-١٩٨٧)، ديلان (١٩٢٧-١٩٩٠)، علي فتاح دزّيي (١٩٢٨-١٩٩٢)، كامران موكري (١٩٢٩-١٩٨٦)، حسيب قَرَداغي (١٩٢٩-١٩٩٧)، بيربال محمود (١٩٣٤-٢٠٠٤)، جلال ميرزا كريم (١٩٣٥-١٩٩٣)، دلشاد مريواني (١٩٤٧-١٩٨٩) وجميل رنجبر (١٩٤٨-١٩٨٠).

الملحوظات النقدية

وبعد جولتنا الخاطفة،حان تثبيت بضع ملحوظات نقدية،يتوخى بها العبد الفقير ويتغيّا تأكيد مقولة(العماد الأصفهاني)المفتتحة لهذه المحاولة(القرائية والنقدية)،عسى ولعل أن تفيد البروفيسور خزندار(دام ظله)في زيادة وتنقيح سفره في طبعة لاحقة،ناهيكم عمّن ينبري لتأليف شاكلته:

*بالإستناد إلى ماوصفه د.خزندار بـ(الإجتهاد الشخصي)،خرق النهج الموضوعي المطلوب من مؤرخ

أدبي،من شأنه أن يتصف بالحياد في إطلاق الأحكام،دون إنحيازات عاطفية تفضي بالباحث إلى مزالق لاتحمد عقباها.وهذا لايعني نفي(الإجتهاد...)فهو مطلوب،لكنه غيركاف في هكذا مؤلف(تاريخ أدبي،وليس جنساً أدبياً يعتمد على الموهبة والإلهام...) إذ انه يستوجب غربلة المزيد من المعارف والمعلومات المتراكمة،بغية الوصول إلى الدقة المطلوبة،طبعاً مع الإشارة الدقيقة إلى المظان،أي إلى جهود السابقين.لكنما البروفيسور خزندار بانتهاجه لـ(لزوم مالايلزم)قد أحرج نفسه فعلاً،إذ اضطر غير مرة أن يخالف نهجه،ليأخذ من هذا وذاك بدون الإشارة الدقيقة إلى المصادر،بينما كان المفروض به ألاّ يركن إلى ذكر المصادر بصورة عمومية في نهايات الأجزاء فحسب،وإنما أن يلتزم بالعرف الأكاديمي في الإحالات إلى أرقام صفحات المصادر،او يثبتها في نهاية كل فصل حسب العائدية(كما فعل صديق صفي زاده...)وذلك ينسحب أيضاً على المخطوطات،وفقاً لما تقتضيه الأمانة العلمية والأدبية والضوابط الأكاديمية،التي لايجهلها باحث ومحقق أكاديمي كبير مثل البروفيسور خزندار!

*لقد غابت أسماء بارزة ومهمة عن هذا السفر،كان الأولى بالأستاذ خزندار ألاّ يهملها،لكونها أكثر حضوراً وتأثيراً في سوح الأدب الكردي من عشرات الأسماء التي حظيت باهتمامه،وهي ضئيلة الحضور والتأثير في حركة تطور الأدب الكردي.ونجزم القول ان (تاريخ الأدب الكردي) لايمكن أن يتكامل إطلاقاً بدون أكثر الأسماء الواردة أدناه، ولو في جزء ثامن بعنوان (ذيل الأدب الكردي) طبعاً بإضافة أعلام من اللر إليها:

شمس الدين الأخلاطي البريفكاني/الملاّ محمود بايزيدي/خالد آغا الزيباري/الملاّ منصور گيرگاشي/بكر بگ أرزي/الشيخ طه مائي/طاهر شوشي/نورالدين بريفكاني/حسني بامرني/ممدوح بريفكاني/غياث الدين نقشبندي/طاهر رشدي/جلادت بدرخان/حمكي توفي/أنور مائي/علي سيدو گوراني/قناتي كردو/حسن هوشيار/صبري بوتاني/محمد أمين بوز ارسلان/صادق بهاءالدين آميدي/موسى عنتر/سعيد ايبو/د.نافع عقراوي/محمد أمين عثمان/د.مسعود كتاني/مكسيم خمو/الملاّ خليل مشختي/سلمان كوفلي/علي بردشاني/مولانا خالد الشهرزوري/مستورة كردستاني/درويش نوروز/الملاّ عباس كاكائي/گيو موكرياني/آية الله مردوخي/نجم الدين ملا/الشيخ احمد شاكلي/جميل صائب/محمد أمين منگوري/رحيم قاضي/مسعود محمد/مصطفى نريمان/الملاّ جميل روزبياني/شكور مصطفى/إسماعيل رسول/محمد الخال/زكي هناري/محمد توفيق وردي/محمد أمين بگ الجاف/عبدالخالق معروف/سواره إيلخاني زاده/سيّد طاهر هاشمي/د.كريم ايوبي/د.علي گلاويز/ د.محمد موكري/سعيد ناكام/كاكي فلاح/أمين علاءالدين نقشبندي/لطيف حامد/عبدالجبار جباري/د.عبدالرحمن قاسملو/كاردو گلالي/نبرد الجاف/جلال تقي/أميد آشنا/ حسين عارف/ساجد آواره/جلال محمود علي/مصطفى صالح كريم/كاك مم بوتاني/حمه فريق حسن/أحمد سالار/جمال شاربازيري/شيركو بيكس/عبدالله بشيو/حمه كريم عارف/د.كاوس قفطان/عزيز ملاّرش/عبدالله سراج/محمد موكري/خسرو الجاف/رؤوف بيگرد/شيرزاد حسن/صلاح عمر/كاروان عبدالله/أحمد محمد إسماعيل/رؤوف حسن/سلام منمي/محمد رشيد فتاح/محمود زامدار/جليل كاكه ويس/حمه سعيد حسن/فرهاد شاكلي/لطيف هلمت/هاشم سراج/محمد باوكر/أنور محمد طاهر/صلاح شوان/رفيق صابر/عباس عسكر/جليل محمد شريف/سالار إسماعيل أمين/حسام البرزنجي/رضا سيد گل البرزنجي/آسو حسن/سامي شورش/أبوبكر خوشناو/عبدالرحمن مزوري/د.بدرخان السندي/د.أنور قادر محمد/محمد حمه باقي/نوزاد رفعت/محسن آواره/د.فرهاد بيربال/د.مصطفى زنگنه/حسن سليفاني/محسن قوجان/خليل دهوكي/نزاد عزيز سورمي/قُباد جليزاده/غفور صالح عبدالله/محمد البدري/احمد

تاقانه/كريم دشتي/دلشاد عبدالله/فريد زامدار/سعدالله بروش/جلال البرزنجي/بروز آكريي/خبات عارف/إسماعيل البرزنجي/عباس عبدالله يوسف/أنور مصيفي/سرفراز نقشبندي/أحلام منصور/نجيبة أحمد/جبار جمال غريب/شيرين. ك/نزند بكَ خاني/أرخوان/كزال أحمد/و زيلا حسيني..

من الواضح جداً أن البروفيسور خزندار قد فسح مجالاً للمرحومين دلشاد مريواني وجميل رنجبر،المجايلين لأكثر هؤلاء المغيّبين عن(تاريخ الأدب الكردي)لسبب واه جداً،ألا وهو كونهما راحلين!ثم كيف يبرر تغييب العديد من القدماء الراحلين ومن ذوي الشأن في الأدب الكردي؟!

*(اللر وأدبهم المدوّن)يطالعنا هذا العنوان الكبير للفصل السابع عشر،من الجزء الثاني،لكنما المطروح على الصفحات التسع(٤٣١-٤٣٩)لايشفي الغليل قطعاً،حيث لم يقدم د.خزندار سوى شاعرين مع قصيدتين لهما،ألا وهما:قاضي منكَوره و شهمير لر،علماً أن هنالك العشرات من الشعراء اللر ذوي المستوى المرموق،ولاسيما في حقبة سيادة وإزدهار(الكَورانية)كلهجة أدبية رائجة وواسعة الإنتشار،في بقاع أردلان ولرستان وكَرميان وشهرزور وإيلام...منذ نشوء طائفة اليارسان(أهل الحق)حتى الربع الأول من القرن الماضي،بل هنالك آثار راقية كالشاهنامه الكردية، وهشيارنامه، ومنظومة خورشيد وخاور، ودارجنكَه...ولابدحة هنا من إيراد عدد من الأسماء البارزة،التي لايمكن تجاهلها أو تناسيها لإستكمال هكذا سفر:

منوجهر كوليوند/فخرالدين لر/سيّد نوشاد/مير نوروز/أثيرالدين أماني/شايق لرستاني/شاكه ومنصور/علي دوست/تركه مير/خان الماس لرستاني/الله مراد هرسيني/ميرزا شكرالله فيلي/الملاّ حقعلي سياهبوش/محمد صفر بخش/مينا آينوند/الملا عوضعلي سياهبوش/أمان الله خان رشيدي/سيّد منصور مشعشعي/محسن كوليوند/ميرزا أصغر كَرداني/شاهرخ كاكاوندي/الملاّ صالح دزفولي/كرم رضا زينلخاني/الملاّ نامدار/داري ساري/الملاّ خضر المندلاوي/د.إيرج خالصي.

*لم يلتزم البروفيسور خزندار بنهجه الذي إختطه في تسلسل تقديم الشعراء والكتاب على أساس الأسبقية في التولّد،وهو النهج الصائب لإتساق التتابع والترتيب في مصنفات تاريخ الأدب،فطالما خالفه بعد الجزءين(الأول والثاني)باتخاذه تواريخ الوفيات لأسبقية التقديم،أي اخذ يقدم الأصغر عمراً على مجايليه الذين عاشوا أطول عمراً منه، وإن مجرد إلقاء نظرة خاطفة على أسماء الشعراء وتواريخ ميلادهم ووفياتهم الواردة في هذه المقالة،سيبيّن مدى النشاز واللخبطة في التسلسل والترتيب،فمثلاً،لاحصراً،قدّم حمدي(١٨٧٨-١٩٣٦)على صافي(١٨٧٣-١٩٤٢)وقدّم دلدار(١٩١٨-١٩٤٨)على قانع(١٨٩٨-١٩٦٥)،وعليه ثمة لخبطة مربكة جداً للقراء الإعتياديين،بل حتى لغيرهم،إذ لايجدون هذا الأديب أو ذاك في الجزء الذي يتوقعون وجوده،وإنما في جزء آخر..وهكذا دواليك!ولذا من الضروري جداً إعادة ترتيب التسلسل التاريخي لمواقع الأدباء حسب تواريخ تولداتهم،كي يصح الإتساق التاريخي في(تاريخ الأدب الكردي)إنما الكيل بمكيالين يفضي دائماً إلى المزالق والمآزق على كل الصُعد.

*لم يلتزم الدكتور خزندار بنهجه المبدئي بالإقتصار على تقديم الأدباء الراحلين،وإنما خالفه فقدم الشعراء الأحياء:هردي(الذي توفي بعد صدور الجزء الأخير...)و هيدي و دلزار،وهذا يدخل في خانة(الكيل بمكيالين)لأنه أهمل إيراد العديد من الأدباء الراحلين والأحياء الذين يستحقون بجدارة منزلاتهم على صفحات سفره المرموق،وقد أوردت أسماء الكثيرين منهم في الفقرة الأولى من هذه الملحوظات.

*لم يتقص الأستاذ خزندار المعلومات الجديدة عن بعض الشعراء فيما يتعلق بتواريخ تولداتهم ووفياتهم وآثارهم،الإستقراء وإستنتاج المعلومات الصحيحة،فعلى سبيل المثال أثبت شهرام رجب زاده أحد محققي

رباعيات بابا طاهر(وبحثه مترجم من قبلي إلى العربية والكردية،ولم ير النور بعد)أثبت بأن العديد منها هي لشعراء عاشوا بعده،فضلاً عمّا لفّق باسمه،كما حدث أيضاً للخيّام...وإن(فريدون)ليس والده،وإنما هو شاعر لُري من كُرد شيراز،عاش بعده بقرون،ثم إن تاريخ وفاة بابا طاهر(١٠١٠م)غير صحيح حتماً،إذا ما أخذنا بنظر الإعتبار رواية محمد بن علي بن سليمان الراوندي في(راحة الصدور وآية الشرور)عن لقاء باباطاهر بطغرل بك في(١٠٥٦م)وهنا تجدر الإشارة إلى أن د.خزندار قد أورد عام(٩٧٣م)تاريخاً لميلاد بابا طاهر،بينما التاريخ المعهود في أغلب المصادر هو(٩٣٥م)ولاندري بأيّ دليل ثبت إختياره؟وثمة مثال آخر على عدم الدقة في إيراد هكذا تواريخ،وهو تاريخ ميلاد الشاعر قانع،فهو(١٨٩٨م)في جزء،و(١٨٩٩م)في جزء آخر!

وعلى سبيل المثال أيضاً،حقق الأديب محمود لوندي(من كردستان تركيا)في تاريخ وفاة الشاعر نالي،مستنداً إلى مصدر باللغة التركية يؤكد تاريخ وفاته في(١٢٩٠هـ)=(١٨٧٣م)وليس في(١٨٥٦م)وذلك في دراسة له بالكرمانجية الشمالية-بالأبجدية اللاتينية،وهي منشورة في العدد الثاني(١٩٩٢)من مجلة(وان)الصادرة في السويد،وقد نقلها وضاح جلال زنكَابادي إلى الأبجدية العربية،ونشرها ملحق(الأدب والفن)لجريدة(برايه تي)في العدد(١١٣)/(١٩٩٩/١/٢٩).

*معلوم أن عدد الصفحات المخصصة لكل أديب مرهون بأهمية دوره،لكنما لابد من الحد الأدنى من التوازن؛فكلا السخاء والتقتير يخلخلانه،فمثلاً حظي كل من فقي طيران،خاني ونالي بـ(٧٠صفحة)والشيخ رضا بـ(٦٥صفحة)والملاّ الجزيري بـ(٦٠صفحة)بينما لم يحظ مولوي بأكثر من(٤٥صفحة)و كَوران بأكثر من(٤٠صفحة)رغم إستحقاقهما أكثر وأكثر،وثمة إجحافات كثيرة مثل هذين،حيث ان هناك من لم يحظ بأكثر من ثلاث صفحات!

*لم يول الدكتور خزندار إهتماماً يذكر بالنصوص الإيزدية،ولم يقدم منها مختارات ضرورية،كما فعل مع طائفة اليارسان؛ويعد هذا ثغرة كبيرة في سفره.

*يفتقر(تاريخ الأدب الكردي)إلى الشواهد النثرية الكافية كالقصص القصيرة والمقالات...أسوة بالشعر،بحيث يمكن تسمية سفره بـ(تاريخ الشعر الكردي،أو شعراء كرد و قصائد مختارة،وهو الأصوب والأكثر إنطباقاً على مضمونه).

*تبلغ نسبة عدد شعراء السفر(٩٠٪)بينما تبلغ نسبة عدد الكتاب فيه(١٠٪)والأخيرة نسبة ضئيلة؛وتكمن العلة في نسيان أو تناسي أو تجاهل البروفيسور خزندار للعديد من الكتاب الذين أوردت أسماء بعضهم في الفقرة الأولى من الملحوظات(بخط أسود)ثم ان تاريخ الأدب حسب إطلاعاتي لايقتصر على الموتى،كما الحال في(تاريخ الشعر الإسباني،خلال القرن العشرين/أندرو ب.دبيكي/ت:علي إبراهيم منوفي/٢٠٠٥ المشروع القومي للترجمة-القاهرة) كما أنه ليس حكراً على الشعراء وكتاب القصة والرواية والمسرحية...!لكنما د.خزندار قد ضيّق دائرة(تاريخ الأدب...)بحيث تصح تسمية مصنفه بـ(تاريخ الشعر الكردي)أو(مختارات من الشعر الكردي)طبعاً بعد إضافة العشرات من الشعراء المهمين المستحقين وحذف ضئيلي الحضور والتأثير والأهمية من مؤلفه،أو الإشارة العابرة إليهم،كما في تواريخ الآداب العالمية... ويقيناً لو أن البروفيسور خزندار كان يقدم الأدباء المتولدين حتى نهاية العقد الخمسيني من القرن العشرين،دون التمييز بين الراحلين والأحياء،لكان يقترب(تاريخ الأدب الكردي)من طموحه وطموحنا إلى الكمال المنشود.ولكن للأسف الشديد أهدر أستاذنا خزندار المزيد من وقته وجهده في تقديم العشرات من الشعراء غير المهمين؛لمجرد بضع قصائد أو شذرات لهم في هذا الكشكول أو ذاك!

*تبدو الفصول التي تناولت إنعكاس الحربين العظميين في الشعر الكردي،وانعكاس صورة الشيخ محمود الحفيد في قصائد عدد من الشعراء كمباحث

مستقلة أصلاً،لكنها جاءت تجميعية متراكمة أشبه مايكون بالدراسات والبحوث في كتابه(في موضوع الأدب الكردي)الشبيه بالكشكول،والذي قام بمناقلة بعض مافيه إلى(تاريخ الأدب...)كشعر اليارسان.ولابد من التساؤل هنا:هل يقتصر الشعر الكردي في القرن العشرين على عكس صورة الشيخ محمود من بين قادة التحرر القومي-الوطني الكردي؟فإذا كان الجواب بالنفي،فلماذا لم يتناول البروفيسور خزندار صور الزعماء الكرد الآخرين كالشهيد قاضي محمد والقائد الفذ مصطفى البارزاني مثلاً؟!

*لقد أهمل البروفيسور خزندار إستخدام(علامات الترقيم) في تدوين النصوص الشعرية، ولاسيما القديمة التي يتعذر تلقيها وفهمها بصورة صائبة ومرضية بدونها؛لأنها بمثابة الإشارات المرورية الدالّة.ومع ذلك فقد اضطر إلى اللجوء إليها غير مرة!

*الملحوظ عدم وجود بورتريهات أو صور لبعض الشعراء أمثال:الملاّ بريشان/ألماس خان/ولي ديوانه/ رنجوري/أديب/و شكري الفضلي،ناهيكم عن شعراء اليارسان...ثم ان عدة بورتريهات غير موفقة في إستحضار ملامح الشعراء المقصودين كبورتريه الشيخ رضا(ص٢٧٧ج١)وثمة خطأ في(ج٤)في وضع بورتريه الشاعر(ثاني)بدلاً عن بورتريه الشاعر(حاجي قادر)وقد أشار المؤلف نفسه إليه.

**نتيجة خطأ فني(مطبعي)غابت أسماء أعلام وأمكنة عن الكشّافين،وخاصة في(ج٤)وقد أشار أيضاً د.خزندار إليه.

***ثمة ملحوظات عديدة أخرى،لايسعها الحيّز المتاح لهذه الجولة التعريفية والنقدية المتواضعة،ومع ذلك إرتأيت إيراد بضع ملحوظات مهمة عن هذا السفر،إستكمالاً للفائدة المبتغاة،وهي للباحث والمحقق الأستاذ الكبير محمد علي القرَداغي،وقد وردت ضمن مقال نقدي في مجلة(كاروان،ع٢١٢/٢٠٠٧)تضمّن أيضاً بضع ملحوظات نقدية مشتركة بيننا،غير اني إكتفيت بما فاتني وما لم يكن في وسعي الكشف عنه:

*ثمة عدة معلومات خاطئة في (تاريخ الأدب الكردي) فمثلاً، لاحصراً، يعد د.خزندار (مهدي نامه) منظومة قصصية، في حين أنه كتاب يتناول العقائد والأفكار (ص٣٢/ج٣)

*لم يفلح د.خزندار في رصد إرهاصات نهضة اللهجة الكرمانجية الوسطى كلغة أدبية؛فقد عدّ كتاب(مهدي نامه)باكورتها في القرن الثامن عشر،بينما هنالك ماهو أقدم منه بقرابة أربعين عاماً،وهو(تذكرة العوام)للملاّ محمد سيوجي،وهو الشاعر المتخلّص بـ(جفائي)

*أخطأ د.خزندار في ضبط عدد من الأبيات الشعرية،كما حصل في تدوينه لبيت(نالي)،حيث ثبت كلمة(ئه جبالي)بدل(ئه جبالي):

"چەند واسیعە ئەم زیهنە؟ ئەفلاکی تیدا رەهنە

ئەجبالی لە لا عیهنە، ئەدواری لە کن بەشمە»

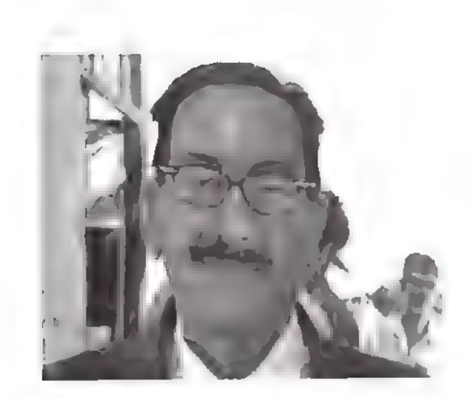
-ما أوسع هذا الذهن؟ الأفلاك رهينة فيه

الجبال عنده عهن، الأدوار لديه صوف»

*أخطأ د.خزندار في فهم أبيات شعرية هنا وهناك، ومنها: أبيات للشاعر(مولوي) باللهجة الكَورانية، وتكمن العلّة في إستناده إلى مناقلة (بيره ميرد) لها إلى الكرمانجية الوسطى (السورانية) منظومةً بتصرف أو بسوء فهم لمضامينها.

وختاماً أقول ان سفر البروفيسور خزندار يستحق العديد من الوقفات النقدية والتقريظ والإغناء بالملحوظات الهادفة؛في سبيل تدوين تاريخ أجمع وأدق للأدب الكردي منذ نشوئه حتى نهاية القرن العشرين...ويظل الكمال للباري عزّوجل وحده.

Zangabady@gawab.com



ثنائية الداخل/ الخارج في قصص سيامند هادي

فاضل ثامر

في قصص (سيامند هادي) الثلاث (عودة رجل من الظلام) و (الغرفة التي انتحر فيها صديقي) و (رحيل الام الكبيرة في الثلاثاء) ثمة قواسم مشتركة مدهشة، تكاد تجعل منها (ثلاثية) او متتالية لثيمات سردية متقاربة فثمة داخل/ خارج دائما. الداخل هو الغرفة التي يطل منها البطل على العالم الخارجي، وهي في الغالب، معتمة، غامضة، تضخ مرئيات و احاسيس قاتمة ويجتاح البطل احساس بالاختناق داخلها ورغبة في مغادرتها نحو فضاء اوسع هو الخارج. الخارج دائما هو هذا الفضاء اللامتناهي الذي يطل خلال نافذة الغرفة الوحيدة، وهو رمز للحرية، والخلاص من كوابيس العلبة الحجرية المعتمة (الغرفة بجدرانها الكالحة).

في قصة (عودة رجل من الظلام) تتحول الغرفة الى كابوس مخيف يحد من افق تخيل البطل: (ابتعاد الفراشة عن المصباح ودورانها في سماء الغرفة اوقفا خياله، ورأى الغرفة وكأنها شبكة تعيق آماله..) وظل البطل يحول نظره من الغرفة (الداخل) الى النافذة (الخارج). حتى (سقف الغرفة كان مراقبا على حرية اماله ومانعا لتحليق طير خياله) وتتحول الغرفة فجأة الى (عجلة الزمن).

تذكرنا بالعالم الذي تخيله (هـ. ج ويلز) يطل خلالها البطل على مشاهد ومرئيات متبدلة وسريعة في جريانها. كأن الزمن يسيل و يركض بسرعة، واحس البطل بانه بدأ ايضا يشيخ (وللحظة التفت الى ملامحه وجسده، ورأى شعر لحيته قد طال وبدأتا تشيبان، وتبين له ان اعواما من عمره قد مضت). وبعد ان مزقه الاحساس بالملل (من النظر الى الجدران حوله)، شعر بأن الباب والنافذة قد (صارا مثل ورق ممزق)، وبأن اشباح الغرفة تحاصره وتطارده فاضطر في النهاية الى الهرب من الغرفة وتختتم القصة بهذه الجملة الدالة (فغطى عينيه بيده وهرع صارخا وتخلص من الغرفة) وهكذا ينتصر الخارج وتنحل ثنائية الداخل/ الخارج. ومن الجلي ان الغرفة قد

تحولت الى معادل موضوعي للكابوس المركب الذي هيمن على وعي البطل والذي حصره في /داخل/ معتم ومدمر يشده دائما الى زمن الماضي الذي يود التخلص منه والانطلاق نحو زمن المستقبل، وهذا لا يتحقق الا بالخروج من شرنقة الغرفة نحو /خارج/ مليء بالصور والحياة والحرية.

في قصة (الغرفة التي انتحر فيها صديقي) تهيمن مفردة (الغرفة) على عنوان القصة ذاته، وتصبح بؤرة مكانية مولدة للحدث ذاته، فهذه الغرفة هي التي شهدت انتحار صديقه، ولذا ظلت الغرفة تتراءى له ملطخة ببقع الدم. وبالاشلاء البشرية الممزقة هنا وهناك (لم استطع ان التفت الى تلك الغرفة التي كنت اعتقد بأن الدم يفور منها نحو السماء) كانت الغرفة بمثابة حقيبة مليئة بالاسرار واللقى والذكريات، وهي تذكرنا بشكل ما بالغرفة التي يدخلها بطل محمد خضير في قصته (المملكة السوداء):

(كان صديقي معلما، وقد تم تعييننا في هذه المدينة وسكنا معا في تلك الغرفة، الغرفة التي كانت مليئة بالذكريات و كانت تبدو لي مثل صرة مليئة بالحوارات و التأملات).

هذه الغرفة تمثل ايضا الطرف المهم في ثنائية الداخل/ الخارج. فالغرفة هنا كابوس اسود مقيت، لكن بصيص الامل كان يطل دائما من الخارج وبالذات من خلال جدرانها الزجاجية ونوافذها المستطيلة: (وجدرانها من الزجاج ومن خلالها كنا نرى افق الحوادث اليومية.. وكانت شبابيكها مستطيلات من النور..) وبعد ان يعيش البطل حالة كابوسية متصلة تتداخل فيها الحقائق والاوهام يبحث له عن ملاذ في الهرب من الغرفة، رمز (الداخل) نحو فضاء (الخارج) المضاء بوهج الحرية، ولذا تكون الضربة الاخيرة من الحركات او الوظائف السردية بتعبير رولان بارت تتمثل ايضا في فعل مغادرة الغرفة، تماما مثلما فعل سابقا بطل (عودة رجل من الظلام) (لهذا لم استطع ان ابقى في تلك المدينة بعد وفاة صديقي). (كما لم



استطع ان ابقى في تلك الغرفة، دون ان التفت واترك المدينة الى الابد) هكذا يصبح الخروج من /الداخل/ الغرفة قطعيا لا مع الزمان (الماضي) فقط بل مع المكان ايضا.

في قصته (رحيل الام الكبيرة في الثلاثاء) تصبح الغرفة اكثر شفافية واقل عدوانية. لكنها تظل مستودعا للاسرار والاحزان والتأوهات، ويظل الخارج الذي كان يطل عليه من الشباك رمزا للحرية والانطلاق. فالبطل يبدو كأنه عابر سبيل يخطو خطواته مشغولا بتنظيف الشباك الذي يطل على الزقاق.. وظل الشباك يرمز دائما الى ما هو مجهول والى (فضاء الحكايات التي كانت ترويها جدته لأبنه):

(بعد موتها، وفي ليالي الشتاء خاصة يتذكر جدته وهي جالسة وسط الغرفة وتروي لابنه حكايتها).

ويتحول فضاء الخارج المطل من خلال الشباك الى نقيض للموت وطريق الى المستقبل:

(في الامسية التي أخبروه بالنبأ، أرسل خياله وهو يقوم بتنظيف الشباك الى المستقبل). نافذة (سيامند هادي) هنا هي صورة أخرى للنافذة التي كانت تطل منها بطلة جيمس جويس في قصته القصيرة الموسومة (ايفلين). فهذا الشباك ذاته هو الذي نقل له نبأ وفاة جدته مساء الثلاثاء وهو الشباك ذاته الذي نقل له خبر الفاجعة الاخرى بوفاة ولده ليتحمل وزر

موتين: موت جدته التي تأخر في ايصال الدواء اليها، وموت ولده الناجم عن اهماله وتركه دواء الجدة في متناول يدي ولده:

(وعندما كان مشغولا بتنظيف شباك الغرفة فجأة دخلت نفس المرأة التي اخبرته بالموت وكانت امسية الثلاثاء ايضا. وقطعت خيوط خياله، وبنفس متقطعة أخبرته نبأ موت ابنه).

واضافة الى ثنائية الداخل/ الخارج التي تهيمن على قصص سيامند هادي الثلاث نجد ثيمة حياتية مركزية في هذه القصص، هي ثيمة الموت، فجميع القصص تكاد تتمحور حول هذه الثيمة المهيمنة. ففي قصة (رحيل الام الكبيرة في الثلاثاء) يكون موت الام الكبيرة (الجدة) هو الحدث المركزي الذي تجتمع عنده كل خيوط السرد والوصف والاستذكار، واذا ما ابتدأت القصة بموت الجدة فهي ايضا تنتهي بموت ثان هو موت الابن الذي مات بسبب تناوله دواء الجدة. ويتحول الموت هنا الى بنية مولدة اخرى: بنية لاعادة تنظيم المشاعر والافكار والذكريات والاحزان تسهم في الكشف عن خصوصية البطل. وفي قصته (الغرفة التي انتحر فيها صديقي) يتخذ الموت صفة انتحار مؤلم ومفزع، ويتحول الموت هنا الى لازمة كابوسية تحمل تنويعات ورؤى بصرية مجسدة للدماء والاشلاء المقطعة. يمكن القول ان الموت يتحول الى سمفونية حزينة وباكية تتحكم في حركة البطل المركزي وأفعاله ومشاعره. أما قصة (عودة رجل من الظلام)فمليئة بمشاهد الموت والفناء والزوال. في هذه القصة كل شيء ايل الى الفناء المفاجئ: فالاشجار تموت، وتصفر أوراقها ثم تتساقط في غمضة عين، وتموت الفراشة التي كانت تدور حول مصباح الغرفة وتتناثر اجزاؤها التي تغدو مثل قطعة قماش محروقة، حتى الشمس كانت تموت مرات ومرات، بل ان الباب والنافذة صارا مثل ورق ممزق، وتختتم مشاهد الزوال هذه باستذكار مشهد موت جده، فيشعر بالاختناق والرغبة في الهرب من هذه الرؤى الكابوسية التي ولدتها هذه الغرفة: (كان مشغولا بالبحث عن سبحة جده لكي يبقيها عنده للذكرى في ذلك الحين، التفت الى الوراء، رأى شبح جده في احدى زوايا الغرفة، فغطى عينيه بيديه وهرع صارخا وتخلص من الغرفة). هكذا تتحول ثيمة الموت الى مهيمنة رؤيوية وشعورية وفكرية ضاغطة على وعي أبطال هذه القصص الثلاث بطريقة لافتة للنظر. أما من الناحية البنيوية والفنية، فالقاص يعتمد على استثمار طاقة المنولوج الداخلي لبطل مركزي منفرد، يكاد يكون واحدا، أو متماثلا في جميع القصص الثلاث. فالبطل مثقف او متعلم يجيد القدرة على التأمل والتفلسف واستحضار المرئيات، وهو غالبا ما يلجأ الى تجميد سيولة الزمن، والفعل الخارجي لاتاحة الفرصة للذاكرة بأن تمتد عموديا و افقيا لاستدراج مشاهد الماضي في شباك السرد في فعل قصصي دال يصب في مجرى تشكيل البنية السردية وتمظهرات الخطاب القصصي المختلفة. ولأن القصص الثلاث تنطوي على بطل مركزي واحد في كل منها، فقد اعتمدت كل قصة على ضمير سردي واحد, ففي قصتي (عودة رجل من الظلام)و (رحيل الام الكبيرة في الثلاثاء) هناك توظيف لضمير الغيبة (هو)، وهو ضمير يقترن بتيار الوعي او الشعور لدى البطل المركزي. لكن هذا الضمير الغائب يكاد يكون في واقع الامر صورة مموهة لضمير المتكلم يطلق عليه تودوروف (أنا الراوي الغائب) وصورة أخرى لما يسمى في السرديات الحديثة بـ(المونولوج الداخلي غير المباشر) وينجح هذا الضمير في تفعيل آلية المونولوج لعرض المرئيات والاحداث التي لا توجد لذاتها، وانما توجد من خلال وعي فردي محدد، هو وعي البطل المركزي: الرائي بالعين و البصيرة في وحدة بين الماضي و الحاضر والمستقبل من خلال عملية تبئير محددة. أما قصة (الغرفة التي انتحر فيها صديقي) فتوظف حصريا ضمير المتكلم منذ استهلالها حتى نهايتها (عندما كنت مدليا حقيبتي على كتفي، لم استطع ان التفت الى تلك الغرفة) وهذا الضمير يمنح

القارئ الاحساس بالوثوقية لانه يمثل شهادة سردية من الدرجة الاولى ويتيح الفرصة للاحداث والصور والذكريات بأن تمر خلال بصيرة ووعي البطل المركزي الذي يبدو اكثر سيطرة على حركة الخارج بوصفه (الفاعل) والمؤثر الذي ينتقي احيانا المشاهد، لكنه احيانا يجد نفسه خاضعا لارادة الخارج وتقلباته واملاءاته.

ويمكن القول ان توظيف ضمير المتكلم تارة وضمير الغائب تارة اخرى في قصص (سيامند) الثلاث قد وفر فرصة لخلق آلية لتنظيم الوعي والمشاعر بطريقة خاصة قريبة الى حد كبير من منحى الوصف الموضوعي المحايد. فالبطل المركزي هنا هو مجرد مراقب يدون ويراقب مايرى وما يسمع ولا يتدخل في ذلك بإسقاطات سيكولوجية مباشرة، فالبطل المركزي ينقل ما يرى ببرودة ولا مبالاة وموضوعية، ويذكرنا الى حد كبير ببطل رواية (الغريب) لألبير كامو. اذ كان (ميرسو) ينقل لنا صورة موت أمه ببرودة وحيادية ودونما تأثر سايكولوجي، بل يواصل ممارسة حياته وأفعاله بعيدا من الوقوع تحت اسقاطات سايكولوجية لفعل الموت ذاته.

ومع ان ابطال القصص الثلاث يتحدثون عن وقائع ترتبط بالموت، لكننا بسبب طريقة تدوين الحدث موضوعيا وحياديا، لا نشعر بهيمنة مشاعر الحزن والاسى او الشجن على العوالم السردية. فما يحدث هو مجرد وقائع باردة، مجمدة، تمر خلال (فلتر أو مصفى) خاص لتتحول الى أفعال ورقية متخيلة تقطع سياق التماهي والتقمص والتعاطف من طرف القارئ او المتلقي، وهي لعبة سردية دقيقة يديرها القاص الحداثوي (سيامند هادي) بمهارة وذكاء مؤكدا قدرة متميزة على القص بعيدا عن المباشرة والصراخ والشعارات والمباشرة، وهو ما يجعله يلج بهدوء بوابة الحداثة في السرد الحديث.



بدون دماء

رواية

اليساندرو باريكو

ترجمة عن الانجليزية: آزاد برزنجي

من مطبوعات مطبعة رنج

السليمانية - ٢٠٠٧



تضرع للعزلة

هيوا قادر

ترجمة: نوزاد احمد اسود

إلهي، دعني ارك عاريا
ايقظ الشجاعة النائمة تحت جلدي
كي اسحب سفينتك من بحر الدماء
نحو ساقيتي المضيئة،
دعني ارم للمرة الاخيرة
دروع حروبك وسيوفك المدمية، في النار..
دعني الاّ اعشق عظمتك
وان احب صغرك
وأعبد عظمتك نائيا عن الخوف،
دعني ار ملامحك ببساطة
كحبة خوخ وكخيط حرير
وان اشم رائحتك من ماء شعير أخضر،
دعني ار لون تمردك دون توجس
من وردة وحيدة مرمية في المزبلة،
دعني احس بنعومة اصابعك
في هبوب نسيم،
دعني إلهي ان نسمع نبضات قلبينا
حينما احتضن الارض بإطمئنان، وأنام،
إلهي ، دع كل واحد منا يرك بشكل مختلف
ودعنا نعتبرك إلهنا جميعا،
إلهي امنح نورك لجميع العشاق في الارض
كي لاتقتلنا العزلة.

* من مجموعته (تفاحة حمراء) الصادرة في مؤسسة اراس للطباعة والنشر سنة 2004.

كله للهباء،
لما يشبه اللعثمة فيه

هوشنگ الوزيري - امريكا

(الى أحمد عبدالحسين واقفا وكله في الزوال:
-"هذا اخر النهارات نتصفحه سويا")

كإبتهاج القسوة بعقيدة تسرقه في وضح الغيب إربا إربا
ربما مثل حنين العتمة وهي تشعل جمال كل سر سكنها
ذات خجل بهي
أعني نحيلا كالفرح المستعصي على نكهة نهاره
هكذا هو: وصف يتصدع بضجة اليأس..
بلذة السرد، مختبأ في ألم اللعثمة، يقبض على الغيم الشارد
من رواته- هم مثله يجيدون تهجي فقه كهوف تتقدم كهولتها
المباركة "أكراد الله" نحو شمسهم الاخيرة- حين يؤججون
ما يشبه الكلام عن ربيع مغلق يتعثر على عتبة فمه
ليسيح على ما كان الابد الغابر منشغلا بقتله
عن الجسد يستدل ببراهين زهده المنطفيء على عشق
لن يألفه، أو
عن صبي يرمقه المقهى وهو يرمي نرد جناله بوجه المكان
على مرأى من الهواء المنقبض بجالسيه المعطوبين..



مع ذلك
أليست اللعثمة ضرورة في وصف فكرة السعادة؟
بهذا تعثر المكان بألقه وشب فضيحة.
وصاخبا مثل وصية الاب المنحني على وجع بيته
ينصرف رحيم لبلاغة تشفيه من النهلر كله
تاركا عباءة لالنهارة ذاته تنفض إرث الامس النائم
عن ضحكة العائلة بصباحاتها الغفيرة.
بقشعريرة من يستخير منتظرا اعتقال ايماءة تدله على راياته
يفتح احمد البيت على دفتيه باحثا عن الكتب القديمة
وبين الكراسي عن ميتة الاب البهية ووصيته،
عن مصحف يشفي فزع يده حين تشير الى صلاة الام
توزع دعاءها على الغرف بين أبنائها
بينما كوثر لم تزل تبدد أصابعها وهي ترفو فزع المكان فيه
بل ترفو أحمد كله بما يؤرخ معطفه الذي يسرده للخزانة
مقهى مقهى في كتاب العائلة..
....
كل هذا عله يتماثل للنطق
عله يتماثل للزوال..





كيف حصل كل هذا؟!

ميديا رؤوف بێگەرد - دانمارك

الى من كنت انتظره هنا
حين كان هو ينتظرني هناك
الى من هدّ علي المناخات
علقت روحي بمطرك
علني اصل انفاسك هذه الليلة
اوراق خريفك
غمرتني بالقبلات
استحالتني الى طفلة
عاشقة
كبلتني قبلاتك
تلاشيت
توحدت انفاسي
بانفاسك
الآن
في هذه اللحظة المتأخرة من الليل
عرفت اني
احببتك منذ الولادة الاولى
لحظة ولادتي وولادتك
ادركني الموت
صار اقرب من نفسي الي
الموت هنا
وخريفي يعانق خريفك
الموت هنا
وانا اصارحه بعشقك
ربما يقتنع
لاسميك ابديتي
بيوت صغيرة جدا
عبثا اتيه في الشوارع والارصفة
لان البيوت للعشاق فقط
البيت بيت
حين لايسكنه احد
من قال لك اني نضجت، كبرت
ها انا اسقط للمرة الالف
كم كانت البداية مدهشة
وكم كانت هاوية
النهاية...
نبضات قلبي خفيفة هذه الايام
لا احلم بشيء

ولا اطير
ولا حتى ارتمي في حضن احد
الا هو وحده لا شريك له
كنا نحن؟
ام غيرنا
يحلمون بما نحلم
ما اسم تلك الايام
وما اسم هذا اليوم
كيف كان يومك هناك
وانا هنا
يقينا كان جميلا
ويقينا كنت ادفن هنا
مسكين قلبي
ما ان يطمئن
حتى تراه يسقط
يبعثرني
واريده
الآخر يلملمني
ولا اطيقه
معك
يصبح الشارع بيتا
امنحك المزيد من الاعوام
لايكفيك عشرون عاما
لتقولها
لولا المطر لجعلتك........
بارعا في الحب
كما كنت بارعا في الكذب، وانتظرك
متاكدة
انك لن تأتي ابدا
يتساقط عشقك كالخريف،
ولا امراة تجيد لملمته غيري
بموتي
سأجعل الموت يحتضر
واجعل الرب يطلب مني السماح

دعوته ضيفا
وانا طفلة
لم يحضر الا متأخرا
ومتأخرا جدا..
تكاثرت الذئاب من حولي
ربما اعود اليك
او اتناثر في الهواء
حلمت بك
كبر الحلم
اصبح بعمر خريفي
اخيرا التقيتك
وضيعتك!
لم يولد بعد
من يريد ان ينام بحضوري
او من يقول
انتظري
لو كنتَ الها
لانتفضت
وتمردت عليك
فما بالك وانت من البشر
مبعثرة انا
ألملم نفسي
اتبعثر واتجمع
متيقنة مجيئك
لتلملم نثاراتي
من اين لك كل هذا الليل؟
وما اسمك
آسفة
لأني نسيت
يطالبون الانبياء بالمعجزة
حتى يؤمنوا بهم
جعلتك الها وآمنت بك
دون ان اطالبك بشيء.



من خلال تحرياتي عن العشق

هێرۆ كورده - كركوك

ترجمة: محمد صابر محمود

هذه المرآة القاتمة.. هي صديقتي
تعرضني على شاشتها كمثل شبح..
أمّا جسدي هذا،
فما هو إلاّ نكدٌ.. يسجن روحي.
هّيا اتبعني يا أثقل الأجساد طراً
اتبعني..
لستُ أدري على وجه الدقة
أقتفي أثر مَنْ!؟
في هذه الظلمة الحالكة، يتوارى جسدي برمته.
ثقلتْ جفوني.. وآفاق رؤيتي ظلام في ظلام.
مُحالٌ بَعد الآن،
أن تحط نظراتي على تحكم القمم مثل الصقور..
مُحالٌ أن تتراقص الأنوار مرة أخرى،
على جسد عذريتي!!
مُحالٌ يا متنفسّي.. مُحال!!..
أنا في هذه الليلة الليلاء، أقتفي أثر المستحيل.
في هودج ظلمات الليل أو من قلبي الجفول.

الليلة.. تطلع النجوم من سماوات كياني،
وفي نفس هذه الليلة بالذات.
تترعني بالضجيج و بالصرخات...!
وإذ أُقبلُ للقياك،
يجمّد الجليد قدمي.. روحي يغطيها الصقيع.
أطلْ عليَّ في منافي هذا العشق..
إلقِ نظرة.. لترى كيف تهيم روحي الولهى وراءك؟
وإذ أنظر بعينين زائغتين،
ثمة التماعة تتوامض من خلال ظل ظليل،
لاتكاد تبين.. تُشبه بريق عينيك.
متى التقيك.. متى.. متى!؟
الليلُ جثة منتنة.. تسير معي جنباً إلى جنب!!
سيماء هذا العشق في نفق هذا الليل الدامس،
لاتني تشحب وتشحبُ،
والوصول إليك يستحيل أكثر فأكثر!!.
لقد وهنت خطاي كلياً..
تُرى بعد كم من القرون التقيك!؟؟

كم.. وكم!؟ .
جسدي المقرور يوشك أن يخمد،
وراسي يستحيل عشاً للأطيار..
تعالَ.. لتمتصَّ جراحات روحي!..
في غمار الأيام الضبابية..
وفي قتامة الأعوام..
عيناي تبحثان عنك بلا هوادة
تُرى؟.. أين أنتَ يا صديقي، وأين تكون؟
من بوّابة ايّ نهار؟..
ومن خلال ايّ فصلٍ.. أزورك؟!
لقد أودى البحث عن آفاق عينيك،
بزهرة شبابي!!
ها انا ذا حاملةٌ الآن جثتي على منكبي..
أُقبلُ نحوكَ رويداً، رويداً
بقدمين حافيتين ملطّختين بالوحل!!
يا صديقي..
لم تقل لي أبداً.. أين أنت؟
هيا.. بادرْ وقل لي أين أنت.. أين تكون!؟
كي أخيط على قامتك شعاع الشمس،
وأسرج لك النجيمات!!
أيُّ عصرٍ هذا ياتُرى؟
وأيُّ زمانٍ!؟
ينبغي انْ أبحث عنك قرناً،
من دون أن القاك؟
يُراودني تفكيري دوماً، إنّك من أين أتيت؟
وكيف أستقرّ بك المقام من دون إذن!؟
بين نياط قلبي!!
تعالَ إذن.. هيّا أطلْ بهامتك..
تقدّمْ.. بادرْ بخطوة من لدنك..
افتح ذراعيك لاحتضان هذا العشق..
لاتُغالِ في إحراقي أكثر!
إنّك أنت وحدك حياتي.. و وحدك موتي..
أنت السرمدي و الأبدي في وقت واحد!
أنت البداية والنهاية لعشقي.

لقد حولتني خطاي في أتون هذا الضباب القاني العسير،
إلى قطب للمعارك والفوضى
مَنْ بوسعه أن يعدّد خفقات قلبي؟!
مَنْ يتجرأ على مشاهدة جثة عشقي،
الذي مات قبل الأوان.. مَنْ .. مَنْ؟!
تعالَ.. أطلْ عليَّ لحظةَ..
أوصدْ نوافذ تجوالي و دوراني،
وافتح بوجهي نوافذ طمأنينتي ، أو زلزلْ كياني!..
جسدي منهك يعاني الانحلال..
يا صديقي.. تُرى كم من الأعوام الأخرى،
تجرجني وراءك!.. كم .. كم.. وكم...؟
مثخنٌ جسدي بالجراح،
تتفجرّ منه الدماء من كل جانب،
سوف يحيلني عشقك الليلة إلى قطب لنزيف الدماء.
دمي يغسل جفاف جسد الليل..
لطالما قطعتُ متاهات الصحاري الواسعة
حتى تحولتُ إلى بخار ابتلعتني السماء!!
روحي تتراكض لهذا السد الميت.
لا أنت تظهر من ركن ولا الشمس.
حتى تنتهي شجون هذا البحث وهكذا بات الليالي.
ظلي يأبى ان يتبعني.. وخطاي تتخلّف عني
روحي سئمتْ من جسدي،
تبحث عن باب للخلاص.
خطواتي المتلاحقة خلال الضباب
جعلتني اغتاظ من العشق!!
تعالَ يا صديقي تعالَ !!
ادفني في ركن من زاوية..
استخرج وثائق الحب من جيوبي
يا فلذةَ من كياني..
إنّك لم تبح لي قط أين أنتَ؟
ومن أين جئت؟!
إلى ايّ شطر توّل وجهك؟
يا صنور وحيي.. متى سألتقي بك؟
كيف؟ .. ومتى؟ يا متنفسي متى!؟



حلم حراس المقبرة

قصة: آرام كاكەی فەلاح

ترجمة: كاوه حسن محمد

أي قرار مجنون هذا الذي غير معالم هذه المدينة؟! قرار صدر على مائدة الطعام، من قبل محافظ المدينة، قلب كل الحياة كالبراميل رأسا على عقب، قرار جاء بعد الشبع، المحافظ لم يكن يعرف ما سيؤول اليه من عواقب وخيمة، دوّن في دفتر ذكرياته انه لم يكن يعرف أخذ القرار كل هذا المأخذ ويفقد زمام امور الحياة، وإلا ما كان يتخذ مثله بتاتا ومافكر به اصلا، وما كان عليه الاصغاء الى شلة من حراس القبور، حينما جاءوا في امسية متأخرة، مع يافطاتهم مجتمعين امام عتبة بيته، وبشكل مسالم قاموا بالقاء هتافاتهم (ليحيا وليمت) مع اطلاق الصفير.

حاول رجال الامن ابعادهم وتفريقهم، ولكنهم اخرجوا رسالة مطالبين بارسلها الى المحافظ ليطلع عليها، انهم لا ينوون اقامة ثورة او اية اعمال شغب، ويقومون بهذا العمل فقط لخدمة المدينة وجمالها، وليس له اية علاقة بالدول المجاورة والاجنبية والامبريالية.

كان هو يحشو آخر لقمة في فمه عندما جلبوا له الرسالة لم يدعوا ان يبتلعها بسهولة: (نحن بعض من حراس القبور نلتمس من حضرتك، ان تفتتح لنا مقبرة جديدة، لأن قبورنا قد امتلأت بالتمام، فليس هنالك مكان لاي شخص، واذا لم تنفذ لنا هذا الطلب ، عليك ممانعة الموت، لذا عليك أن تقرر بمنع موت اي شخص في المدينة، لقد دون في دفتر ذكرياته (بدا له بأن الحياة هكذا سوف تكون جميلة) (كان يريد ان تكون هذه المدينة اولى المدن في الارض التي لا يموت فيها الناس) في هذه الامسية المتأخرة، تناقلت جميع القنوات الخبر مرددة: (ليس بامكان اي شخص الموت بشكل اعتيادي، اذهبوا وتهنأوا بالعيش.. نتمنى لكم عمرا مديدا.. والذي يموت سوف يدان وعلى عاتق العائلة بعد الوفاة دفع اموال طائلة للدولة).

انتشر الخبر كالصاعقة في ارجاء المعمورة، تلك الليلة وحتى الصباح لم يدخل النوم جفن احد، كتب محافظ المدينة انه كان مغتبطاً حينما اتته هذه الفكرة.. (في الحقيقة اردت ان اخدم ابناء هذه المدينة). وفي الصباح الباكر ارسلت له المئات من البرقيات والتهاني من قبل السادة المسؤولين والمدراء الكبار. (طوال حياتي لم انل

كل هذا التقدير مثلما نلته الآن).

مضى اسبوع كامل، حتى صدقوا بان هذا الخبر صحيح وليس باكذوبة، خاصة بعد ان مات بعض الناس وتكفلت عوائلهم بديون باهظة، دخل خوف كبير في نفوس الجميع.. الويل لمن مات احد اقربائه،عليك أن تبيع اثاث بيتك بابخس الاثمان،وأن ترمي وتبيع ذكرياتك الجميلة على ارصفة الشوارع، واذا لم يكن المال كافيا لهذا الغرض، فعليك أن تقضي جل حياتك داخل الزنزانات.

مات المئات جراء هذا الحزن والقهر، لأن الموت كان ممنوعا عليهم، والبعض الآخر مات خوفا من الموت وما سيتحمله ذووهم من عبء الديون، فلن يكون بمقدورهم تسديدها، في الحقيقة ان منع الموت ادى الى موت اكثرية الناس، وان الناس بشكل من الاشكال عندما ضجروا من الحياة، كانوا يستعدون للموت، قاموا بجمع مايلزم من المال، وكل واحد منهم وضع لنفسه حصالة نقود من الخشب وكتب عليه بخط اسود كبير.. نقود الموتا.. ليحيا الموتى.. لتسقط الحياة.

والذين كانوا يؤمنون بدخول الجنة بعد الحياة، فهموا على حين غرة ان دخول الجنة سوف يكلفهم الشيء الكثير.

عند ولادة اي طفل ومنذ قطع حبل صرته، كانوا يحزنون لموته ويجمعون له المال، كلما امتلأت الحصالة بالنقود يتشوقون اكثر لتحضير انفسهم للموت، امسى الموت اكثر حلاوة واكثر اقترابا من ذي قبل، وقلة المال تدخل الحسرة الى قلوبهم، الكثير من الناس لقوا حتفهم جراء القهر لانهم مبذرون وعاجزون عن جمع المال، آلاف الناس كانوا حزانى لانهم لم يتمكنوا الحصول على قبر كي يتمددوا فيه بكل هدوء، فقد تركوا البلد بحاله وعلى حدوده الباردة اهدوا ارواحهم للموت وللاسلاك الشائكة المغتربة.

اللعنة على مثل هذه الحياة، التي لا توجد فيها نافذة صغيرة، لترنو على موت مجاني، لم يكن باستطاعة اي شخص ان يجرؤ على اقامة العزاء، دفن الاموات بدون انسياب الدموع اصبح من عادة هذا المكان، كان عليك ان تموت في التخفي.. وان تبكي في الخفاء تحت الفراش.. وان تبكي في الاماكن الاكثر عتمة لئلا تكتشف.

الموت بكل مأساته المرعبة امسى من الكوميديات الكبيرة، كل الناس كان مرادهم الاول والاخير هو الموت والحصول على قبر واحد ولا شيء أكثر. لم يتبق من الحياة والحب شيء ولا حتى ذكريات الطفولة والطهر والعفاف.

لقد تغيرت معالم المدينة بشكل لا يصدق، لم يكن احد يبذر حتى فلساً بشكل عشوائي، بل كان كل واحد يجمع الأموال ، بدل ان يقتني بها الحياة، كان يشتري الموت، لم يذهب اي شخص الى زيارة الآخرين، لأن الضيوف لم تكن تقدم لهم الفواكه، كالسابق، كانوا يقدمون لهم حب وردة الشمس واللوز المر، اكثرية الناس بسبب عدم تمكنهم الحصول على المال كي يموتوا، بدأت تستشري مهنة السرقة، وخاصة بعد ان اعتقل بعض اللصوص واعترفوا بكل خجل في المحكمة، انهم قاموا بذلك كي يحصلوا بثمنه الموت، برّأتهم المحكمة وافرج عنهم.

فنتازيا الموت، ما فتئت تزداد بالجملة، كثير من الناس كانوا يموتون وذووهم يشقون اجساد ضحاياهم بالسكاكين، كي يثبتوا بانهم قتلوا، ويؤخذ بهم نحو صالة المختبر وهنالك تكشف الحقائق، وبمبلغ باهظ يرشون حقيقة قتلهم ويعودون للبيت والضحكة لاتفارق افواههم. العثور على عمل داخل صالة المختبر، كان حلم كل شاب، في اقصر وقت كنت تجمع المال ليس لموتك وحسب، بل كان باستطاعتك شراء المئات منها، سابقا في العهد المنصرم كان اكثرية الناس يموتون بالنوبات القلبية، ولكن في الوقت الحالي، فان اكبر الكوارث ليس لها اي تأثير.. ولا يحرك ادنى الاحاسيس، الفتيات والنساء يحرقن انفسهن ولا ينبس احد ببنت شفة وقد تغيرت

حلاوة ونكهة الغرام. سابقا كانت نبضات قلوب العشاق تتسارع على المئة لمجرد تلقي رسالة واحدة ، اما الآن فان آلاف الرسائل والمغازلات وثني الاوشحة ومئات القبلات لا تؤثر على الافئدة قيد انملة، ولم تكن ابدانهم تقشعر على أثرها.

في قرار عاجل، وعلى مائدة الطعام، تسنى للمحافظ ان يعيد النظر في القرار، حيث يتيح للعجائز والشيوخ ان يقضوا نحبهم بعد عمر يناهز المئة عام. بعض من الذين بلغ سنهم ما فوق التسعين وكانوا قليلي العدد، والذي كان مصيرهم حتى حينذاك غير واضح ومعقد، ومن العجيب انهم بقوا على قيد الحياة. كانوا متلهفين لذلك اليوم السعيد، حينما يصل سنهم الى مئة عام ويموتون بكل هدوء وطمأنينة. عندما يصل عمر احدهم الى مئة عام عند طلوع الفجر، كان يقضي نحبه مسرورا وسعيدا اثناء الليل. ويجمع من حوله الابناء والاحفاد والاقارب، كانوا في حيرة من امرهم فلم يكن بمقدورهم البكاء واقامة العزاء، بكل هدوء يجسلون امامه ويترقبون ساعة الجدار، منتظرين حلول الساعة السادسة، كي يكون بكاؤهم ونحيبهم مجانا، لم يكن للدموع ذلك السحر كالماضي، كنت ترى شابا، كان ابن البارحة، لم تكن تعرف كيف اصبح شعره أبيض بهذه السرعة، وكأنه يناهز الخمسين .

كل واحد من جانبه كان يدفع مبلغا طائلا كي يزيد من عمره ويحصل على بطاقة الشيخوخة، عندما كانوا يسيرون في الطرق، يحدبون ظهورهم كي يبدوا مسنين، حتى وصل الأمر الى انعدام الشباب في المدينة. وكان المحافظ متيقظا الى هذه الامور، وقد دون في مذكراته، انه نادم كثيرا على هذا القرار، ولكنه لا يستيطع ان يتراجع عنها. لانه يخشى ان يموت الناس فرحا. عندها لن يبقى في المدينة الا القليل. سكان المدينة من اكبرهم الى أصغرهم كانوا مدركين ندم المحافظ، وكانوا مدركين ايضا طيلة اسبوع يبحث المحافظ مع رجاله بخفية عن اماكن حراس القبور كي يعاقبهم، ولكن حتى هذه اللحظة لم يمسكوا ايا منهم.

هناك من يقول ان بعض الاشخاص قد رحلوا وهجروا المدن والبلاد خلسة، والبعض الآخر يقول على ما نظن ان حفار القبور وبشكل خفي قد حفروا لانفسهم قبورا في السر. لايعرف المرء كيف يعيش.. ولا يعرف كيف يموت. الكل في الانتظار، ولا يعلمون أنهم ينتظرون اي شيء.

المصدر: الصور تتكرر- ومجموعة قصص اخرى- السليمانية ٢٠٠٣ للقاص: آرام كاكەی فلاح



الاوراق لا تأتي في خريف الرغبات

تحسين گەرمیانی

[سواء كانت الرياح عاصفة أو لطيفة/وقفت دوماً/يحدوها الأمل/هناك فقط/يستقر بصرها/لا يبدو ثمة سحر في مكان آخر].. (توماس هاردي)

***

..كل أصيل تنتظر..!!

***

..وكل ليلة تغفو على نفحات عذبة تبثها حيثما تقف كلمات تشرق بضياء أشواق ملتهبة،كلمات كلها سحر تثمل روحها وتمهد برغبة ضارية لبساط الريح أن يترجل من علياء أمانيها ليأخذها إلى حيث الأشياء الضائعة،شموع لا تموع،قناديل وهديل،تتهرأ أسمال كهولتها،صبية تسترخي على رمل شاطئ دافئ ومن حولها نوارس تحكي لا تبكي وشمس حياة لا تغيب..!!

***

..كل صباح تستيقظ هواجسها،جسدها على سرير ناعم نابض،أسراب عصافير من على قضبان شبّاك غرفتها تغزل حول نول النهار بساط فرحها،نسمات عذبة ورقصات،تنتابها قشعريرات سرور تثملها،هواء عليل يعيد ترتيب أوراق عمرها،نشطة..تهرول لتحتضن كل فرحة تباغتها..!!

***

..مجنونة..عجزت الأحلام تلبية رغباتها..!!

..معروفة..لا نداء صرع غرورها..!!

..فاكهة يانعة..لا يد تمكنت - من بستان الحياة - قطفها..!!

.. فتاة انتبذت مكاناً علياً،عيون تهاجم..ثغور تتوسل..عاشقة ظلّت لموج البحر..ومثل سفينة بلا ربّان أسيرة تائهة تمرح..!!

***

..مصيبة غزت بيت مسرات،طوت بعباءة صهيل وعويل(ام) ماتت قبل ان تكحل عينيها بما يستعد في مملكة أحشائها للهبوط من عرش النزوات،(أب) سقط من صدمة الفقدان،و(بنت) رأت مالاً وجاهاً حين وعت ومشت،لا تأكل إلاّ بدلال،لا تنام إلاّ على اغنيات،ويوم شبّت عن الطوق،صلابة تطبعتها،غرور سربلها بلباس تمرد ونفور،لا ليلها ليل ولا نهارها نهار،كبرت على عجل من غير امل وأهل..!!

***

..مذعورة تراقب ما ترى..!!

..صبيّة تائهة وحشد قناصين مهرة يلقون أشراك الرغبة،اينما تكون مراصد من نار تلتهم هذا السحر الماشي،أين تتجه سفينتها،قراصنة بالمرصاد،سراب أبدي يجذبها،عينان في الأفق تغريان وتهربان،تناغيان بلوعة وحرائق،عينان رأت فيهما طفولتها،رأت سويعات البحبوحة المفقودة،لسانها مشلول،عواطف تستحيل إلى طيور نادرة تنطلق من أقفاص روحها،عينان مرفأ راحة وسهر،هاجس يلح كلما تنفرد،أو ترخي فتنتها على سرير حلم عجزت أن تفك مغاليقه..!!

***

..من جاءها بوردة التواضع..؟؟ من شرخ رداء عزلتها..؟؟تتداعى قلاعها الرصينة،تتناثر أوراق غرورها،الذعات مقلقة وحلوة،أسمال تلقائية تقيم رشاقتها،تمشي وكلها سرور،تمشي وترقص ، كلها يفاعة وغزل،ليل طويل تركب سفينته،نهار جميل تعانق روتينه،حصان يخب،من مكان قريب يتناهى صهيله،تسمع وقع سنابكه،تهرول الساعات والفارس المأمول قريب لكنه لا يهل..!!

***

..كل ليلة تزحف خيوط من ضوء،هلاميّة ولاذعة،تلتف وهي تغزل بوداعة حولها شرنقة،تشم رائحة فارس لبيب،تدغدغ أغوارها همسات وسنانة وتشعر بلمسات أنامل رقيقة،تركض داخل غرفتها،تضحك وترقص،نائمة كانت هذه المسرات،من حجبها عن النعيم..!! تشم الورق،تضمها بانتشاء إلى صدرها،تتناثر الكلمات وتنطلق خيول تصهل إلى فضاء الروح،تستحيل إلى يمامة تحلق وهي تجتهد لالتقاط نثار الفرح السابح على أديم الحياة..!!

***

..في عزلتها،ما كانت تشعر في لحظة ما،أن الحياة كفة للفرح..كفة للحزن،كفتاها كانتا فواكه من شجرة الثراء لا تنقطع،قلبها ما خدشه طيف غضب عابر،تمضي..لا يعنيها ما ترى أو ما يجري من حولها،ها..هي تغترب في دنيا كانت وحدها أميرتها،تزيح بأنوثتها المستفيقة جبال ثلوج تجمدت سنوات الغرور قبل أن تباغتها سفينة خلاص متواضعة،ركوبها نعيم لا يزول،شيء ما نابض وودود،مثل نغمات هداهد أوان التزاوج،مثل نسمات صباحات الربيع ترطبها ندى الأشجار،مثل سريان ماء زلال في جوف صائم،تلهث،تريد أن تلتمس معين الضوء المنبعث،هذا الفرح المباغت،ظامئة تلهث والعمر أضحى قطاراً يهرب ..!!

***

..فيما مضى،كانت تحلق بمجرد عيون ترصدها،أو لسان يفلت ترنيمة آهة على مصاغيها،وصفوها بالمتعالية،وقالوا :المشؤومة..!!الم تصغ لقال وقيل،متمسكة ظلّت بتاج شموخها،تزداد صلابة وعناداً، تهرب من واقعيتها،عوالم وحدها قاطنتها قبل أن تهبط من علياء الغرور إلى أرصفة المتشردين،إلى منزويات عشّاق

فقراء،تمشي بين دروب ليالٍ تفضي إلى موائد تجتمع حولها حالمات يبذخن جواهر الدنيا من أجل قبلة من شفتي حبيب..!!

***

..طيف مسها وتركها هائمة تنوح،أين ماضيها البريق ..؟؟..أين ثبات نظراتها وشموخ شخصيتها..؟؟..ها.. هي نادمة تسقط وتتلمس دربها،ريح تدخل غرفتها وتسلمها حشد رغبات وطويل مسرات،تقف..وهي تطلق بالونات ماضيها المترسب من أنفاق صدرها،لا مجوهراتها تصالح عنقها أو جيدها،لا مالها يوقف ينابيع حزنها،لا قصرها المنيف يقوّض من كوابيس نحوها ـ كل لحظة ـ تزحف،ساهمة ساهرة وموج ضوء يلعب بها..!!

***

..أوراق..كل صباح تأتي وتسكنها،فيها تراتيل سرور،فيها أغنيات مغايرة لما سمعت،تريق بين كفيها عسل حياة غريبة وأسرار ثمينة،أوراق..لا تعرف من يجلبها،ربما خادمتها،ربما الريح،لا يعنيها ذلك،هيّ مشغولة بما فيها من ملابسات تجتهد لهدم قلاعها،تغفو قبل أن تصحو وهي ترتجف،تغزوها هواجس ومداخلات ظنون،تحاول ملء إرادتها أن تعرف مصادر مطر هذا الورق الهاطل في خريف عاجل،عبثاً تحاول أن تلغيها أو إقرار بلا تصديقها،بادئ ذي بدء أعياها الكفاح ،ترجلت من مملكتها ورأت نفسها قانعة تركب سفينة ـ فيما مضى ـ ظلّت تركلها للريح..!!

***

..مرضت ووجدت نفسها في مشفى،حاولت أن تستوعب حجم إعيائها،حاولت أن تقف على سر الصحوة فيها،وكلما تشعر بدنو مخالب الموت،ثمة أوراق تنقلها الريح تحط قربها وتحقنها بمرح لا ينتهي،أسرار حياة نادرة،صحت من وعكتها ووجدت نفسها من جديد تسهر وتمشي في الليل بحثاً عن بصيص ضوء من مكان ليس ببعيد يناديها،يشع بألق ونشوة في مكان ما من أغوارها..!!

***

..يجيء دائماً..كلما تخلو،تكاد أن تراه،تشعر بهمساته..بلمساته،يمضي صوب ينابيع دافئة،تمشي وكلها لهفة ولوعة،كلها يقين،ستلقي قشرة كهولتها وترتد ـ هكذا تزمع ـ بين أحضانه إلى براءة طفولتها،ستمر ـ هذا يقينها ـ بسنواتها البائسة،تقصي تمرداتها،ترخي حبل عواطفها وتبكي في حضرة هذا الفارس المتيم،الشموخ يغدو في أرض الحلم تعاسة،هذا ما اعترفت به،بدأت تقر أنها كانت حياة ترف خاسرة،ترغب فك هذا اللغز،والبدء من جديد،تجهل منبع هذا السر الهابط في زمن مسروق،شيء أقوى وأعند..أروع وأخلد،هو موجود،محسوس وملموس،يأتيها بشكل متواصل،يلجم وحدانيتها بحبل فرح يدوم،فرح رافقها أينما كانت وتكون،تهش وتبش نسماته رغم عذوبتها،لم ترغب بذخ شيء من أوقاتها الربيعية للوقوف على هذه التحرشات الودودة،قانعة كانت بما كانت عليه،بإصرار وعناد تركب موج كل بحر مهما كانت ضراوة الريح..!!

***

..قالت المرآة: الحياة ضاعت..!!
تقول الأوراق: ما زال الأمل قائماً..!!

***

..عيون اليوم لا تجرحها،عيون اليوم تدمع،بالأمس القريب كل عين كانت طلقة ثاقبة وكل ثغر كان يفقد صراطه القويم كلما تمشي،زمن ليس كما كان،كلمات ترقيها وتدفعها صوب غيوم لا تمطر،تتراكم الأوراق،تارة

تهملها وطوراً للريح تلقيها،اجنحتها كسولة،عيناها لا تقرآن الأشياء، تولد الفصول وترحل، تورق الأغصان وتذبل،يباغتها إعياء يشلها،كلما تحاول أن تقرأ شيئاً من أوراق عمر توالد من بعد سبات،أوراق فارس استفاق في كيانها في خريف باكر..!!

***

..فيما مضى أيضاً..لم تتحرر،ظلّت تتعالى،كلما تصل حزمة أوراق معطرة،بريد يأتي مع إشراقة كل يوم،البلابل واثقة تغرد،تشقشق بلا ملل أو كلل عصافير البيت،ورود تتفتح لتحرر دفقات عطور واختلاجات مكنوناتها،ترى بعين القلب المطر الورقي السابح،لكن مشاعرها زوارق ورقية تطفو على بحر واقع من سديم،بريد يأتي بطرق مغايرة،تارة تقوم الريح بإيصاله،مرات تجد الأوراق بين مناقير العصافير،تهبط لتحطها بين يديها،كل صباح حين تبكر النهوض لتتوسط جنينة قصرها المنيف،تنهض من غير صرف انتباهه أو نظرة وترحل،أوراق تتبعها،تطير من حولها،أينما تكن،في فراشها..في مركبتها..في لحظات تجوالاتها،على سرير نومها،ومرات كانت تكتشف أوراقا تندلق من حقيبتها..من تحت وسادتها..كانت تهز رأسها ببلادة وكانت من فرط تعاليها تضحك..!!

***

..قلق يحاصرها،نوم يخاصمها،شمس لا تمسها بجدائل دافئة،عصافير ما عادت تمنح نغماتها كما كانت،وحدها بقلق تجابه رياح تعاسة تهب،وأرهاط كوابيس تمطر،تريد أن تعرف ما الذي حصل،تقف أمام نافذة غرفتها،ليل لم يعد كما كان،سجادة حالكة بلا نجوم،غفت النسمات وذبلت بغتة أغصان فرح الكبرياء،ما عادت الأوراق تمطر،صباحات فقدت حلاوتها،تفتح حقيبتها،تهرب إلى جنينة قصرها،لا ريح تحمل البريد،عصافير هجرت عادتها وموسيقى تشع من مكان ما،مكان يدغدغ،فارس قريب يلاطف من وراء حجاب،أين تجده..؟؟تريد أن تبكي وتعلن بجهر الصوت هزيمتها،ستبكي أمامه،تريده..ستركع أن وجدته،هذا ما أعلنته صائحة من نافذة غرفتها ودون اعترافها الليل والنهار،تواصل بحثها بجنون ولوعة،وكل صباح تجدها خادمتها،جثة ذابلة عند عتبة باب حديقة المنزل..!!

***

..عاشق غيور ظلّ يمطرها بلا ملل وابل أوراق..!!

..عاشق ظلّ برغبة يركب قطار الريح،وينثر للحياة حقائب تدلق أوراق..!!

..عاشق اختفى وتركها عصفورة بلا مأوى،عشها وابل أوراق..!!

..بحثت في قواميس العاشقين،فتشت رفوف ماضيها،كل من باغتها بتعجب أو نظرة وله،عشرون عاماً والبريد ظلّ رغم تغاضيها يمر،لم توقف..؟؟ (تصرخ أغوارها)..تندفع وهي تتكئ على كل مسند يسندها،شيخوخة تبتلعها،لا أوراق تأتي في خريف الرغبات..!!

***

..ضباب ..بياض،وجدت نفسها على سرير كئيب،غشاوة وهذيان(أوراق ..أوراق)تهذي، أوراق..كانت تشعرها وتلهمها بأنوثتها وإنسانيتها،أوراق..كانت تذكي فيها فيما مضى نيران فرح مستديم..(أوراق ..أوراق)..كلما تصرخ تهرع ممرضة ودودة،تهز رأسها..تحقنها بمصل مهدئ ،تتركها جثة تخمد على مهل..!!

***

..تحدق بذهول..!!

..صورة شخص يبتسم معلقة أمامها منتصف الجدار ..!!

..وجه صبوح..عينان ناطقتان وثغر منفرج يمطر بلا انقطاع وابل أوراق..!!

***

..رغبات تستفيق..نيران تخمد..أغنيات تنبعث..قلب عاجز..وأوراق من غير توقف تهطل..!!

ـ ما الذي يشدك إليه..؟؟ (قالت الممرضة)..

ظلّت تنحت بصرها وهي تطارد رفوف أوراق تطير وتهطل عليها..

ـ كان مغرماً بقاتلة..!! (أردفت الممرضة)..

ضوء ينهمر،نداء يستفيق..طفولة تسترد براءتها..أوراق تندلق..وعمر صار قطاراً لا يتوقف..!!

ـ روى مشاعرها بدمه..!!(صاحت الممرضة)..

(أوراق..أوراق)..عويل وصهيل،ريح تباغت وعصافير تضج..زرعت الممرضة إبرة المغذي في ذراعها..!!

ـ عشرون عاماً ظلّ يكتب لها..!!

..(صاحت الممرضة،قبل أن تصفق الباب بغضب..)..!!

***

..آخر ما نطقت به وهي تنحت بصرها في الصورة الماثلة أمامها على جدار الردهة :

ـ هو ..هو ..هو..هو ..و..و..و..و..وووووووه ..!!

***

..(ما تقوله النسوة في تجمعاتهن..!!)..

..لحظة ماتت انتشلوها من بين ركام أوراق كانت تندلق من عينيه..

..لحظة شيعوها كانت أوراق مثل الطائرات تطير خلف الموكب..

..لحظة واروها الثرى،أمطرت الغيوم أوراقا غطت قبرها..

..أوراق كانت تنطلق من عيني طبيب وسيم خجول،كان طبيبها الخاص،عشرون عاماً ظلّ يكتب لها رسائل إعجاب ورغبة أن يكن لها وتكن له،قبل أن يقتله اليأس..!!

***

** من المجموعة القصصية(ثغرها على منديل) الحائزة على جائزة الإبداع لمسابقة ـ ناجي نعمان الثقافية في لبنان ـ للعام ٢٠٠٧.

***

الجلاد المقدس وكشف المستور

مسرحية "خاتم"

يوسف يوسف

أجمل ما في النصّ المسرحي الذي ينجزه محيي الدين زنكنه، قدرته على إدهاش المتلقي:قارئا كان أو متفرجا. وهذه واحدة من أهم الصفات التي تمتاز بها مسرحياته، التي يحرص فيها على تقديم كل ما هو غير مألوف من الثيمات. وحتى في حالة كونها ثيمات متداولة، فإن النصوص التي يكتبها، تظل الدهشة هاجسها الذي لا يتنازل عنه، لكن في هذه المرة عبر خلق الشكل المسرحي الذي يحقق غايته إبان وقوع صدمة التلقي، التي تعدّ شاغلا يجهد نفسه في سبيل أن تكون ناجحة ومؤثرة.

زنكنه وكما عرفناه في مسرحياته، يحملنا معه إلى تلك التضاريس والمجاهل التي تتشكل منها جماليات النصّ، وهي جماليات لا يقدر على الوصول إليها غير اولئك الذين يحرصون على الامساك بجمرة الابداع، حتى وإن كانت ستكتوي بها أيديهم. وزنكنه إلى جانب هذا، صاحب باع طويل في التأليف المسرحي، وله إرث في هذا الميدان يجعله واحدا من أبرز وأهم مؤلفي المسرح في العراق. وهكذا تصبح الكتابة عنه، نوعا من المغامرة إن لم يكن صاحبها يمتلك اهم شروط القدرة على كشف تجليات النصوص التي أنجزها، وذلك لأن فقدان هذه القدرة، لن يمكن الناقد من تقديم رؤية مقنعة.

ما سبق يعني أننا أمام تجربة مكتملة وناضجة، ولا يباعد بينها وبين التجارب المسرحية الراقية، أي حاجز يمنعها من مضاهاة غيرها من التجارب التي يشار إليها دوما على أنها نصوص مسرحية عظيمة الأهمية. ومسرحية(الخاتم)* التي نتوقف أمامها في هذه المقالة، محاولين الكشف عما في طبقاتها الداخلية، واحدة من هذه النصوص، التي تعدّ الكتابة عنها تحديا، وطريقا في الوقت نفسه لمعرفة شروط الكتابة الناجحة وأبجدياتها التي على المؤلف استخدامها، وهي الكتابة التي يعتبر محيي الدين زنكنه أحد أهم وجوهها في المسرح العراقي عموما، جنبا إلى جنب مع عادل كاظم، ونور الدين فارس، ويوسف العاني وسواهم، وفي المسرح الكردي كذلك، على الرغم من استخدامه العربية في التأليف، وتقديم ثيمات أقرب ما تكون إلى الثيمات الانسانية العامة منها إلى الثيمات الكردية، وهذا مما يحسب لصالح فنه المسرحي، وليس

ضدّه كما قد يتصور البعض من أصحاب النظرة القاصرة وغير القادرة على إصدار أحكام نقدية صحيحة ومؤثرة.

يشير الظاهر من المسرحية إلى انها تصوّر بعض جوانب حياة الخليفة العباسي هارون الرشيد، ذي السمعة الطيبة، والمكانة العالية ، بصرف النظر إن كنا نتفق مع هذا القول أم نختلف معه. وهو اختيار كما سنرى لاحقا، أفاد النصّ، وارتقى به، من حيث إن زنكنه أراد تخصيب المسرحية ، باستحضار التاريخ، ومعالجته بفنية كبيرة، وعلى غرار الآخرين من الكتاب، الذين يبحثون عن الجلال في التاريخ، وعن إشراقاته المبهرة. ومما يلفت الانتباه في المسرحية، رغبة الرشيد بشراء خاتم من أحد كبار التجار، جاء هو الآخر مع المدعوين إلى قصر الخليفة. قد يكون الخاتم من الذهب، وربما من معدن آخر، وهو بحسب ما يدل عليه ، مما يستخدم لتزيين أصابع اليد. على أنه من الأفضل لمعرفة النصّ والكشف عما في أحشائه، عدم الاستسلام لمثل هذا التفسير، الذي نظنه سطحيا وساذجا، قد يفقد النص الكثير من عناصر جماله، التي لا تنحصر في القشرة الخارجية، المضللة في الغالب للمتلقي ذي القدرة التقبلية المتواضعة. ومن بين ما يعنيه هذا، وجوب الأخذ بمبدأ التأويل، ومعرفة الأقنعة التي يستخدمها المؤلف لإيصال ثيماته، وبالتالي الكشف عما تخفيه وراءها بهدف تقديم حكم نقدي تكون فيه على صواب.

وعلى هذا فما دمنا بصدد الحديث عما تحت القشرة لاكتشاف المستتر تحتها وفي أعماق النص، فإن ما قد يظنه المتلقي مجرد تصوير الغاية منه تقديم جوانب من حياة الرشيد بهدف إمتاع المتفرج، إنما هو ظن خاطئ، وتفسير غير دقيق لكل ما سيراه يتحرك أمام عينيه، ويتحدث على مسمع منه، إذ ان المؤلف الذي وصل إلى أرفع درجات الحكمة بعد تجربته المسرحية الواسعة، يسعى إلى ما هو أكبر شأنا. وإلى هذا فإن زنكنه الذي يتخفى وراء شخصيات وأحداث يختارها بعناية، يقوم بتفكيك بنية السلطة، التي هي في المعنى الموازي، بنية الدولة العباسية، التي تمّ النظر إليها وتفكيكها من مدخل فترة حكم هارون، وليس من أي مدخل آخر. وهنا وبعد جريان الأحداث، سوف يكتشف المتفرج المفارقة المدهشة، وذلك السرّ الذي دفع زنكنه لاختيار هذه الفترة من حياة الدولة العباسية وليس غيرها، ذلك لأنه يريد إيصال ثيمة هامة يقول فيها: إذا كانت المصائب التي نراها فوق خشبة المسرح هي الانعكاس الحقيقي لأفضل فترات الدولة العباسية، وإذا كان الخليف الذي نرى أفعاله هو هارون الذي يتوقف المؤرخون أمامه باعجاب شديد، فماذا عن بقية الفترات، وماذا عن الآخرين من خلفاء بني العباس؟ وغير هذا ايضا، فإننا ومن خلال اكتشاف تفرعات الصراع إبان حركته الطبيعية، سوف نصل إلى التخمين بأن الخاتم ليس هو فقط ما يتزين به البعض على الرغم من صحة هذا القول، وإنما هو بما لا يقبل الشك كذلك، المدخل الذي اختاره المؤلف للكشف عن المخفي من سلوك هارون وحياته، وهو سلوك الحاكم الذي يظهر للناس غير ما يخفي، ويتظاهر بالتقى والورع في حين أنه ليس كذلك. أي أن المؤلف أراد تصوير نزوات الحكم، بطريقة ذكية تبتعد كل البعد عن العسف، والتدخل بحياة الشخصيات وحركتها، فيتركها تتصرف كما يحلو لها هي التصرف، وليس كما يحلو له هو أن يراها تتصرف.

بل وبما لا يبتعد عن هذا الفهم، فإن بنية المسرحية، وما تفضي إليه المشاهد التي يتشكل منها عمودها الفقاري، ومثل ذلك أيضا ما يحيل إليه المشهد الاستهلالي، جميعها تؤكد صحة ما نذهب إليه من التفسير، الذي نرى فيه أن الغاية الرئيسة تتمثل في تقديم صورة لهارون-الدولة، تختلف عن تلك الصورة التي تقدمها له بعض كتب التاريخ، والمؤرخون المنحازون للدولة العباسية، بصرف النظر إن كنا سنتفق مع المؤلف فيما يذهب إليه مخياله أم نختلف معه. وهذا يحتم علينا ابتداء عدم النظر إلى أي من

مشاهد المسرحية بمعزل عن بقية المشاهد، ومثل هذا أيضا، فإن المقاربة الناجحة إلى النصّ، تحتّم عدم النظر إلى هارون مسرحية الخاتم-هارون المتخيل، بمعزل عن هارون التاريخ- هارون الواقع، وذلك لأنها جميعها تقتحم المخيال، من حيث شاء المتلقي أو لم يشأ، وربما بالقوة نفسها، بالاضافة إلى أنّ الرابطة التي تجمعها ببعضها أقوى من أن تمزقها أية محاولة من هذا النوع.

لا نقصد من الاشارة إلى مشهد الاستهلال التلميح إلى أي من الحالات التي قد يعدّها البعض عسفا يمارسه المؤلف، من أجل أن يفرض على المتفرج طريقة للتفسير محددة، ولكن في الحدود التي نفهمها من هذا المشهد الذي يؤسس لطريقة فهم السمرحية وتفسيرها تفسيرا صحيحا، فإن زنكنه يضع هارون الرشيد في وسط ولاة الأقاليم، وقادة الجيش، وسواهم من كبار التجار والموسرين الذين جاءوا تلبية لدعوته، محمّلين بالهدايا كذلك. هذا ما يمكن أن نفهمه من ظاهر المشهد- تقديم الهدايا الثمينة لهارون الرشيد. ولكن ليس هذا هو التفسير الدقيق الذي يمكننا الركون إليه والأخذ به، والاطمئنان إلى ما سيحملنا إليه من تحليل. وفي مقابل هذا فإننا بحاجة إلى تفسير آخر، نقنع المتلقي به، وبصوابه، خصوصا ونحن نعرف أنّ المؤلف لا ينسخ واقعا حرفيا، وبالتالي فإننا وباتجاه البحث عن مثل هذا التفسير، لا بدّ أن نبحث عن حقيقة هارون في مكان آخر من المسرحية، تماشيا حتى مع ضرورة عدم تجزيء النص والنظر إلى المشاهد التي يتكون منها باعتبارها كتلا مستقلة عن بعضها، وهو ما سنكتشفه في المشهد الذي يقول فيه للسيّاف (مسرور)، بعد أن يكون هذا السيّاف قد أخبره بأنه على استعداد لتنفيذ كل أوامره بالقتل: لا..لا.. ليس في مثل هذا اليوم، وأنا مول وجهي شطر المسجد الحرام. بماذا أجيب جدي رسول الله.. لا..لا

ولأنّ حقيقة هارون الرشيد ليست هنا في هذه الكلمات المصقولة، وإنما في مكان آخر يظهر لنا فيه سلوكه، فإنه علينا المضي في بحثنا عنه، حتى تكون صورتها واضحة وغير مشوشة أو ضبابية. ونحن في هذا الافتراض، إنما ننطلق من الاقتناع بأن لسانه في هذا المقطع، هو نفسه لسان كل اولئك الذين يصلون إلى كراسي الحكم باستخدام الزعم الديني، الذي عن طريقه يتظاهرون أنهم من نسل النبوّة، وفيهم تتجلى ظلال الله في الأرض. إننا في هذا البحث، نحقق من جانب آخر، شرط عدم تجزيء النصّ، وعدم النظر إلى أي مشهد باعتباره بنية درامية منفصلة عن سواها، أو متنا مستقلا عن سواه من المتون. وحتى فإن الكلمات التي يقولها هارون للسيّاف، لا تخفي موافقته على القيام بما أظهر استعداده للقيام به (لا..لا..ليس في مثل هذا الوقت)، ولكنه، وهذا ما تفضي إليه بنية اللغة، يريد أن يقوم السيّاف بذلك الفعل- القتل في يوم آخر، ليس هو يوم استعداد الرشيد للذهاب إلى مكة المكرمة لأداء فريضة الحج.

إنها مهمة صعبة، وليس من اليسير الكشف عن حقيقة هارون-السلطة، الذي يحاول التظاهر بالتقى والورع. لكن ما دام المؤلف قد أعطى- كما ذكرنا العنان لشخصياته فتركها تتحرك وتتكلم على هواها وليس كما يريد هو منها أن تقول وتفعل، فإنه بذلك وبعد أن نرى ما يحدث لاحقا في بقية مشاهد المسرحية، يكون قد أوصلنا إلى الحقيقة التي مهّد الطريق إليها بالمشهد الاستهلالي، وهو مما سنكتشف معه ازدواجية مواقف هذه الشخصيات، وعفن السلطة وبشاعتها، وزيف أطروحاتها التي بواسطتها يفرض الخلفاء على الرعية تقديسهم حتى لو كانوا جلادين في الوقت نفسه. ومن هنا جاء القول بأنّ زنكنه لا يقدم نصا عاديا، وإنما هو بجدارة المبدع بعيد النظرة، وعميق الجدل، يفكك السلطة، وينزع عن الجلاد قدسيته المزوّرة، التي تتخفى وراءها أغلب الأنظمة التي تمارس القتل والترهيب وسواهما من أعمال القهر. وهكذا يتبين لنا بأنّ هارون الرشيد الذي يقف أمامنا في قصره باحثا بين الوجوه عن التاجر صاحب الخاتم

بين المدعوين، هو نفسه هارون التاريخ الذي حاول المؤرخون تزيين صورته، وهو أيضا هارون السلطة الذي لا يتورع عن تبديد أموال بيت مال المسلمين من أجل تحقيق نزواته الخاصة تماما كما لو كان ماله. وسوف يتوقف المتلقي طويلا، ليتمعن في هارون الذي يراه أمامه وهو يقول بعد أن أصبح الخاتم في كفه: أي اسم يمكن أن يليق بسمو هذا الخاتم الرباني، ويرتقي إلى علوّه السماوي؟

هارون هذا الذي يرسم له زنكنه أكثر من صورة، جميعها وبدون استثناء تثير اشمئزاز المتلقي، هو نفسه هارون السلطة الفاسدة، التي لن تسعفها كل دعاوى البراءة الزائفة، والتقى الكاذب. وعندما يبدأ الوزير جعفر الحديث عن جشع التاجر الذي يطالب بثمن كبير في مقابل التنازل عن الخاتم للخليفة، يقول الأخير، وهو مما يبين فساده: إنه درّة نفيسة لا مثيل لها.

قد يكون الخاتم درّة نفيسة بالفعل، إلا أنه لم يعد مجرد حلقة من الذهب أو سواه من المعادن الثمينة، وحتى لو لم نجهد أنفسنا في البحث عن تأويل نفهم من خلاله ما يقصده الخليفة حينما يقول (قرنان من الزمان في خاتم صغير حجما، يفوق البلاد والعباد قدرا)، فإن معرفة الخليفة، والكشف عن حقيقة الدولة، ما كان بمقدورنا الوصول إليهما لولا الخاتم، الذي في مقابل الحصول عليه،تنازل هارون عن كل ما في بيت مال المسلمين، في الوقت الذي لم يوقف الزعم فيه بأنه يخشى الحرام ويبتعد عنه: الهدية من غير رضا صاحبها، وطيب نفسه، أبغض إلى الله من المال المغتصب الحرام.

في أعقاب هذا من حق المتفرج أن يسأل: وهل حقا أنّ هارون في تنازله عما في بيت مال المسلمين لم يمارس السرقة؟ أي هل هو بعيد عن الحرام، أم أن حقيقته ليست هذه التي يمكن أن نراها في الكلمات؟ نحن لسنا بحاجة كبيرة لإجهاد عقولنا حتى نصل إلى الجواب المقنع، وإنّ وقفة سريعة أمام ما يقوله السيّاف نفسه، تكفي لذلك. فما الذي يقوله السياف للتاجر الذي طلب مفتاح بيت المال؟ إنه يقول: مفتاح بيت المال؟ مال المسلمين؟ يا لجشعك الذي لا يعرف حدا؟

بمعنى آخر فإن ما يقوم به الرشيد هو السرقة بعينها، بدلالة أنه يقول معترضا على السياف: سيكون لك ما تشاء، وبإذن الله تعالى لن يخيب لك رجاء (يقول مطمئنا التاجر الذي يكون الخوف قد دخل إلى قلبه).

ما مضى كان استهلالا وتوطئة لا بدّ منهما إلى شخصية هارون. وهما أيضا لا بدّ منهما لرؤية مشهد السلطة في جزئياتها المشينة التي يحاول الكثيرون من الساسة في الغالب إخفاءها والظهور في صور مخادعة، حتى وإن كان هذا الفعل هو الكذب بعينه. وبالتالي فإن ما سوف نراه في المشاهد السبعة التي تتكون السمرحية منها، لن يتراجع عن فكرة تفكيك السلطة، حتى وإن كان هذا المشهد أو ذاك، مما لا تظهر فيهما أي من شخصيات الدولة، كالخليفة والوزير جعفر والسياف، وذلك لأن مشهد الاستهلال، لا بدّ إلا أن يحملنا إلى صورة السلطة، في تجاوزاتها وجرائمها، وهذه هي نفسها غاية من سيصرخ في الفلوات، وحيث سيتردد الصدى قويا بين الناس في كبواتهم، أو حتى في غرف نومهم، وهم لا يخفون موافقتهم على مختلف أنواع الخديعة المعاصرة، التي لا تختلف عما نرى في مسرحية الخاتم، ومنها خديعة تقديس الجلاد. أجل.. فما نراه في الخاتم، هو حقيقة الرشيد، وليست تلك التي نقرأها في بعض كتب التاريخ، وحتى فإنها ليست تلك التي تقدمها شهرزاد في حكايات ألف ليلة وليلة. إنها الحقيقة التي ينير المؤلف مختلف جوانبها، فلا يترك أيا من هذه الجوانب في العتمة، التي قد تثير الالتباس، وتشكك المتلقي في شكل الطريق التي عليه المضي فيها من أجل إصدار حكم على المسرحية، بعد كل ما سبق، تتبين أسباب اختيار شخصية هارون الرشيد، وتفضيلها على غيرها لبناء هذا النصّ المسرحي. كما أن زنكنه بهذا الاختيار، يكون قد ظفر

بواحد من أهم عناصر تخصيب النصّ، على اعتبار علاقة هارون بالليالي والتاريخ، مع ما في هذه العلاقة من مقتربات إلى الإثارة ، بمقدور المؤلف توظيفها في معالجته الفنية، التي يوفر لها العنصران السابقان: الليالي والتاريخ، اسبابا اخرى للنجاح، قد لا تتوفر لغيرها من المعالجات. ولا نقصد هنا اسم هارون المجرد، فالكاتب وكما نلاحظ استفاد حتى من طريقة شهرزاد في سرد حكاياتها، وهي الاستفادة التي منحت النصّ نكهته، ليس من حيث طريقة عرض الحكاية وحدها. وإنما من خلال تميّز الفضاءات، وعلى غرار ما نراه من حرص شهرزاد على تقديم ما يثير دهشة شهريار، والمتلقي على حدّ سواء. على أنه ينبغي أن لا يفهم من هذا، أن المعالجة تدور في فلك الحكايات، وأنّ زنكنه يستحضر التاريخ إلى النصّ استحضارا آليا تلقي فيه الشخصيات المواعظ بالطريقة نفسها التي نراها في النصوص السقيمة وغير المؤثرة، فمسرحية الخاتم بما سبقت الاشارة إليه، توازي بين رغبة المؤلف في تخصيبها بما سبق ذكره، وبين رغبته في تفكيك بنية السلطة، والكشف عن المستور من عيوبها.

على أنه من الخطأ الظن بأن معايير نجاح المسرحية تنحصر في عملية استحضار التاريخ، واختيار شخصية هامة، وذلك لأن زنكنه سوى ذلك يعرف جيدا صنعة المسرحية، ومثل ذلك أيضا، فإنه يعرف أفضل السبل للكشف عن الزيف الكبير في حياتنا. وعلى سبيل المثال فإنه عندما يريد التعبير عن فداحة الثمن الذي يقدمه الخليفة للتاجر، يقول على لسان الوزير جعفر(للخليفة): مولاي.. أما يكفي.. لقد غدت الأكياس(أكياس المال) جبلا..

قد تفي الكلمات القليلة الماضية بالغرض، فتعبّر عما سبقت الاشارة إليه، إلا أن زنكنه من اجل أن يصدم المتفرج، ويدفعه لاتخاذ موقف محدد، ضدّ هارون والسلطة الغاشمة، يقول على اكثر من لسان(مولاي أمير المؤمنين.. بيت المال قد فرغ)و(مولاي.. بيت مال المسلمين قد فرغ.. فرغ تماما.. من أموال المسلمين)و(مولاي.. لم يبق في بيت المال درهم ولا دانق).

الحوارات التي سبقت الاشارة إليها، وغيرها الكثير مما في المسرحية، تحتم علينا الانتباه إليها بشكل جيد، والتعامل معها بطريقة تحملنا إلى الحفر بحثا عما يستتر وراء مفردات بعينها. وبما يوضح هذا، فإن ما يرد على لسان سلمان، وهو أحد الشخصيات الأساسية التي سيكون لها دور كبير في الصراع ضدّ الظلم والطغيان، لن يستطيع التأثير في المتفرج، وبالذات في الجانب الذي يتعلق بنظرته للخليفة.بل على عكس ذلك تماما، فإننا قد نضحك ساخرين منه، ومن أقواله التي يطلقها بجهل مطبق: يظهر أن الخليفة روحي فداه، قد أرهقه بعض الشيء، إذ صرف أمواله في مصالح الاسلام ونصرة الحق، وفي تحمّل نفقات حجيج بيت الله.

سوف نضحك ساخرين من هذا الكلام ، لأننا نكون في مشاهد أخرى قد رأينا ما لم يره سلمان. ولكن بسبب الدور الذي سيقوم به لاحقا، وهو دور الثائر على السلطة، فإن المؤلف لا بدّ إلا أن يسرع بتحريره من أوهامه التي جعلته رجلا مذعنا خانعا يقدس جلاده. أو بمعنى آخر، فإن زنكنه سرعان ما يضعه في مواجهة السلطة التي يريد أحد رجالها سرقة حبيبته زينب منه. إنه عند هذه المواجهة، يقول بصلابة: مسخك الله يا هذا.. أهي سمكة اصطدتها لأعطيك إياها؟ إنها سيدة فاضلة، شريفة وطاهرة.

ماسبق يعني أن الحديث عن عناصر النجاح، يمتد باتجاه الكشف عن جميع هذه العناصر، وليس عن عنصر واحد منها. ومن هذه العناصر ما يرتبط بشخصيات: سلمان، زينب، وفرات ابنها. إن المتلقي مثلا، لايمكنه إلا أن يتوقف أمام هذه الشخصيات، التي في مقدوره أن يطل من خلالها على الواقع المعاش، في زمن هارون، بكل إشكالاته ومتاعبه. إن زينب على سبيل المثال، تعدّ نموذجا راقيا لكل من يريد البحث عن الخلاص، ولأنها كذلك، وتريد أن تكون مؤثرة في

هذا الواقع، فإننا نسمعها تقول لسلمان: أنت استمرأت الهوان، وزرعت نفسك وتدا يابسا مأروضا.. آه.. لقد خاب أملي فيك..

صحيح أن سلمان مسكون بالخوف من السلطة ، ومن بطش السياف، وأنه أيضا كما تقول عنه زينب، مذعن وخانع، إلا أنه وفي نهاية المطاف، لا بدّ أن يثور إرضاء للحبيبة، على اعتبار أنها الحلم الذي لا يستطيع العيش بدونه، ومن هنا فقد وافق على مواجهة قدره.

سلمان: (بدهشة)دراهم..دراهم حقيقية؟

الوزير: بل دنانير.. دنانير حقيقية..يا سيء الظن والطالع.

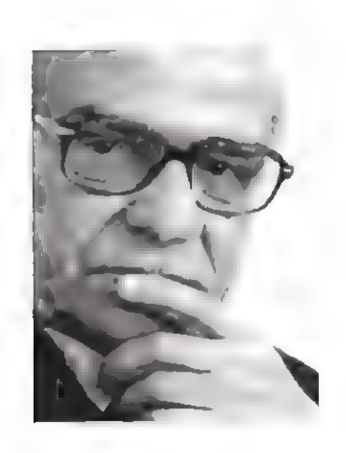
سلمان: مستحيل.. أوقعتم على كنز؟ أم سرقتم بيت المال؟

الخليفة: بل هو مالنا الحلال.

سلمان: كذب. لا يمكن لأحد أن يملك كل هذا ويكون حلالا.. لا بدّ أن صاحبه لص، أو خليفة. كلاهما سارق.. الأول يسرق التجار والموسرين، والآخر يسرق الفقراء والمعدمين.

ربما يقول المتلقي بأن سلمان لم يكن يعرف اولئك الذين كان يتحدث معهم، لذا فقد امتلك جرأة كبيرة ما كان سيمتلكها لو كان يعرفهم، إلا أنه في كلماته يضع المتفرج أمام الحقيقة التي ظل زنكنه يبحث عنها، وهذا يعني وصوله إلى الحد الذي سوف يبدأ عنده هجومه الأخير على سلطة هارون، بعد أن يكون قد وضعها تحت عدسة المجهر، فأرانا أدق مفاصلها، وقال كل المسكوت عنه، في هذا الزمن أيضا، وليس في زمن الرشيد وحده.

* محيي الدين زنكنه/ الخاتم(مسرحية)/ وزارة الثقافة/السليمانية٢٠٠٤.



الإجازة

مسرحية: محيي الدين زەنگەنه

هذه المسرحية:

-قدمتها فرقتا «مسرح بعقوبة» و «مسرح ديالى» في بعقوبة عام ١٩٧٧.

-اخرجها الفنان سالم الزيدي

-ترجمها الى اللغة الكردية الشاعر الكبير «شێرکۆ بێکەس»

-قدمتها فرقة مسرح الطليعة – فرقة مسرح سالار «حاليا» السليمانية.

-اخرجها الفنان احمد سالار- عام ١٩٧٨

-ترجمها الى اللغة الكردية مرة اخرى الفنان «ضةتۆ حةسةن»

-قدمتها الفرقة القومية للتمثيل- اربيل

-اخرجها الفنان تحسين شعبان عام ١٩٨٩

-قدمتها الفرقة ثانية في مهرجان المسرح العربي- بغداد ١٩٨٩

-قدمت في انحاء عديدة من العراق

-تنشر، هنا، للمرة الاولى

* * *

*شخوص المسرحية:

*المؤلف

-الشخصيات التي يستحضرها المؤلف:

-سعيد: شاب ريفي وافد الى المدينة. متهم بجريمة قتل

-محمد: شقيقه- فلاح

-الحاج ابراهيم: عمه، وحماه «والد زوجته»

-سليمة: زوجة سعيد. ابنة الحاج ابراهيم.

-خورشيد: فراش في مكتب الحاج شاكر – المدير
-الحاج شاكر شكر مشكور: المدير العام لشركة المقاولات الانشائية
-مام خدر: حارس مخازن الشركة
النقيب/ الشرطيان/ الطبيب/ فلاحون/ عمال/ مشاهدون/ مشاهدات

* * *

اشارة: بوسع الممثل في هذه المسرحية اداء اكثر من دور.
[مؤلف المسرحية، جالس الى مكتبه، في اقصى يسار المسرح، يكتب، بين اكداس الكتب والمجلات والاوراق و.. و.. الخ. يتوقف فجأة، يمزق ماكتب. في حيرة، يفكر، يدخن. يعاود الكتابة يتوقف ثانية. يمزق ماكتب، لبضع مرات يكتب ويمزق. ثم يترك كل شيء، ينهض في حالة عصبية وانفعال.. يجول في ارجاء المسرح.. يسحق بقايا سيجارته..]

* * *

المؤلف: لا.. لا.. لا استطيع. مستحيل لا استطيع ان اكتب عبارة واحدة.. لا استطيع ان افعل شيئا. اي شيء (يعاني، يتعذب، يصرخ) لا استطيع.. وحدي. لا استطيع (يتوجه الى الجمهور) اسف احبتي اذ اسبب لكم.. مضطرا، خيبة امل، غير متوقعة! (همهمة بين الجمهور واستياء مكبوت) انها.. انها خيبة امل لي قبل ان تكون لكم (يتوقف) لابد ان اكون صادقا مع نفسي.. ومعكم.. وواضحا وصريحا الى ابعد حد.. ابعد ما استطيع.. و.. واعترف بالحقيقة، رغم مرارتها.. وليكن رد فعلكم، بعد ذلك، مايكون. فقط.. فقط.. ارجو ان يتسم بقدر معقول.. من الموضوعية.. احبتي.. انا (يتردد).. انا..
صوت: (من بين الجمهور في القاعة) انت ماذا؟ تكلم.. لنعرف الحقيقة.
المؤلف: (بسرعة) الحقيقة.. انا، الليلة، لم ادعكم.. لكي تشاهدوا مسرحية..
الجمهور: (بصوت واحد هادر) هاه..؟
المؤلف: (بأسى) تلك هي الحقيقة.. ايها السادة..!
صوت: ولماذا دعوتنا استاذ.. انت والمخرج والفرقة واعلاناتكم و.. و..
المؤلف: (يتغلب على تردده) دعوتكم.. لكي.. لكي.. تنقذوني.
الجمهور: نعم؟ ننقذك؟ مم..؟
المؤلف: من مشكلة خانقة.. من اشكالية اخطبوطية.. تحيط بي من كل جانب. في كل وقت.. في نومي، في صحوي.. اثناء عملي.. خلال راحتي..
الجمهور: (يتعاطف) مسكين.. اهي مستعصية على الحل.. الى هذا الحد..؟
المؤلف: (بحزن) بالنسبة لي، وبقدراتي وامكاناتي الحالية.. تبدو.. مستحيلة.
صوت: استاذ لقد اججت فضولنا.. بقدر ما اثرت شفقتنا.. قل.. لنا.. ماهي؟
آخر: لعله بوسعنا ان..
المؤلف: مخلوق صنعته.. اعني.. اعني خلقته.. مخلوق فني.. او بالاحرى.. انساني وفني.. اقصد شخصية على الورق.. خلقتها و.. تورطت.. لا اقوى على تركها، كما هي، على حالها ناقصة. ولا تسعفني طاقتي الابداعية على اكمالها.. واكسائها اللحم والدم ومنحها.. الروح ونفخ الحياة فيها.. لتدب على رجليها..مثل سائر البشر.. وكما ينبغي.. اعني بالشكل الذي يرضيني.. او على الاقل يمنحني قدرا ما من الرضا، زمن الكتابة.

(صمت في القاعة، يشعل سيجارة) عالجتها او بالاحرى، حاولت ان اعالجها، في قصة قصيرة. لم تعجبني. فركنتها جانبا، فوق مخطوطاتي العديدة المتروكة، ثم.. حاولت ذلك في رواية.. وكتبت فعلا بضعة فصول منها.. بحماس في البداية.. ثم لم يلبث حماسي ان فتر و.. و.. تبخر.. فتركتها من منتصفها تقريبا، غير آسف عليها.. ثم قلت لنفسي لعل السينما، بما فيها من تقنيات وحيل وخدع قد تحل لي المشكلة. او على الاقل.. تسهل لي الامر.. فكتبت.. بضع صفحات من سيناريو.. وسرعان ما احسست.. بفشلي فيها. وخلال هذه الفترة الطويلة، ثلاثة عقود او اكثر من الزمن، كتبت ونشرت العديد من القصص والمسرحيات والروايات والسيناريوهات. وخلقت وطرحت المئات من المخلوقات، التي احببتموها وتجاوبتم معها.. او احبها البعض منكم وتجاوب مع البعض منها (يشعل سيجارة) بيد ان هذه الشخصية قد اعلنت علي.. العصيان والتمرد. كيفما اتعامل معها يرد عني شعور باني لا اوفيها حقها، مع انها شخصية بسيطة لا تعاني اية ازمة، لا اقتصادية ولا سياسية ولا حتى جنسية. صحيح انها تعاني من الضائقة المالية. مثل حالنا جميعا، او بالاحرى مثل حال الكثير منا. الا انها ليست الى الحد الذي يخلق منها شخصية مأزومة، او يمكن ان يدفعها الى ارتكاب جريمة ولا حتى سرقة خفيفة. مثلا.. انها.. انها.. انسان اعتيادي بسيط لابطل ولا خائن.. فهو لم يقم يوما بانقلاب ولا قاد ثورة، ولا حتى شارك في انقلاب او ثورة. من قريب او بعيد ولا وقف ذات يوم بوجه انقلاب او ثورة.. كانت له احلام وامال بكل تأكيد.. او.. او.. كان له حلم واحد.. وامل وحيد، ان يتمكن، ذات يوم قريب، باسرع مايستيطع. من توفير المال اللازم لمعالجة زوجته، عروسه، التي بتروا لها ساقها وتعويضها ساقا جديدة. وهو بعد كل ذلك او قبل كل ذلك. من النوع الذي يمر بك.. ولا تكاد تحس بوجوده. يسلم عليك. قد ترد عليه السلام وقد لاتفعل، دون ان يعني كلا الموقفين بالنسبة اليه شيئا مهما. وقد يجلس الى جانبك ساعات وساعات دون ان تشعر به او تعيره اي اهتمام. وربما يتحدث اليك وتتحدث اليه ولكنك سرعان ماتنساه حين تلقاه في اليوم التالي (يشعل سيجارة) اذن ماسر كل هذا الاهتمام الخاص والمتميز به، وعلى مدى كل هذه الاعوام الطوال؟

(يسترخي على مقعده، يأخذ نفسا طويلا من سيجارته) لا ادري (يضحك) صدقوني لا ادري! احيانا احيانا يخيل الي.. او.. او يتراءى لي سبب.. اراه مقنعا الى حدما.. اقول لنفسي.. اذا كانت كتاباتنا –نحن الكتاب- تدور كلها حول الناس المشاهير.. الابطال والعباقرة، او الخونة والمأجورين، او المأزومين والمعقدين. او المرضى والشواذ.. فمن يكتب عن او يهتم بهؤلاء الناس البسطاء؟ المهملين والهامشيين؟! او المهمشين عمدا. ولكن المشكلة لا تقتصر على ذلك حسب. وانما تكمن في السؤال القاتل، السؤال الاساس. سؤال الاسئلة كلها.. الا وهو كيف نكتب؟ أو بالاحرى وتحديدا كيف اكتب انا؟ كيف ابث فيه الحياة؟ كيف اسري في عروقه الدم واجعله يعيش حياته الخاصة؟ ذلك هو السؤال المريع الذي يشرخني شرخا (يدخن) اطلقت عليه اسم (سعيد)، لأني من فرط اشفاقي عليه كنت اريده ان يعيش بسعادة. متوهما بان مجرد الاسم يمكن ان يجعله كذلك، ولكن الاحداث.. الاحداث التي نسجتها انا بنفسي، قد جرت، رغم انفي، خلاف ماخططت واردت وتمنيت. اذ جعلته واحدا من اتعس الناس واشقاهم. فاكتشفت ان الاسم وحده لايعني شيئا اذ يبقى ثمة الامر الاساس والاقوى، الا وهو الواقع وفعل الانسان من اجل التغيير.. ومنح الاسماء مدلولاتها ومضامينها، عبر العلاقة الجدلية التي تتشكل بين الفرد والمجتمع. (يشعل سيجارة من سيجارته) و.. غلبتني روح الفكاهة والاستخفاف بالاسماء في تجريديتها.. فاسميت اباه (كامران) وجده (غمبار) فتشكل عندي هذا الاسم الثلاثي الغريب (سعيد كامران غمبار) وليس ذلك حسب وانما.. تماديا في السخرية والنكتة اسميت زوجته المقصوصة ساقها (سليمة) وهكذا ترون ان الاسماء وحدها عاجزة عن تحقيق مدلولاتها، ولأعترف امامكم ايتها السيدات وايها السادة.. اني انا

الاخر عاجز عن تأليف مسرحية تسليكم وتعلمكم، من غير تعاونكم معي. حتى ولو اقتصر ذلك على اكمال بعض النواقص التي تظهر في الشخصية. بما تملكون من معرفة ومخيلة. وبذلك نكون قد استطعنا معا صنع مسرحية وطرح هذا الجنين الذي اسميته (سعيد) وجعلناه قادرا ان يقف على رجليه كأي مخلوق بشري سوي اخر.. وسعيد هذا دعوني أصفه لكم (يفكر) لا. لا. الافضل ان اريكم اياه وجها لوجه (ينادي) سعيد.. سعيد كامران غمبار.. (يدخل سعيد)

سعيد: (وهو شاب ريفي في حدود الخامسة والعشرين، مقيد اليدين) والله العظيم.. هو مات هو.. هو مات من تلقاء نفسه. لم افعل له شيئا.. اي شي.. هو.. هو.. مات.

المؤلف: اسمع.. سعيد.. اسمع ابني.. نحن هنا.. لسنا بصدد.. محاكمتك او ماشابه.. نحن نريد فقط.. ان..

سعيد: (يقاطعه) هو مات.. والله العظيم.. هو.. هو.. مات..

المؤلف: حسنا.. حسنا.. اهدأ.. اهدأ..

سعيد: مات.. والله العظيم.. هو مات..

المؤلف: فقط.. لو.. لو..

سعيد: لم افعل شيئا.. هو مات.. مات من تلقاء نفسه.. والله..

المؤلف: (يائسا. يشير الى من يسحبه برفق) هذه هي الشخصية التي خلقتها وابتليت بها ماذا بوسعي ان افهم منها؟ كيف احاورها؟ كيف اجعلها تحاور الشخصيات الاخرى وتكشف لهم ولكم دخيلة نفسها.. وهي لاتقول ولا تردد سوى (يقلد صوت سعيد) هو مات.. والله العظيم هو مات.. (بصوته) كأنه لايعرف سواها.. ولا بوسعه ان يقول غيرها.. كان الخالق لم يضع على لسانه.. ماعداها (في حيرة.. يذرع المسرح.. يدخن) حائر.. والله العظيم.. انا حائر (ثم) اترونها فكرة حسنة.. ان استحضر امامكم الشخصيات الاخرى.. اعني الاشخاص الذين لهم معرفة بسعيد ودراية بمشكلته التي يعاني منها.. والتي لايفصح. او لايريد ان يفصح عنها و.. و يوضحها؟.. على اية حال.. وفي كل الاحوال.. ليس هينا على الانسان ان يجد نفسه.. فجأة وفي صباحية عرسه، متهما بجريمة كبيرة.. جريمة قتل انسان.. انسان.. وجيه من وجهاء المدينة والبلاد، صاحب سطوة ونفوذ..

اظلام

[مركز للشرطة، كل شيء ساكن، الستائر مسدلة، ساعة حائط تواجه الجمهور تشير الى الثامنة والنصف، يدخل مسؤول المركز وهو شاب برتبة نقيب. يلقي نظرة على الساعة، يعيدها الى الثامنة. ينزع معطفه المبلول، يعلقه. يدفيء نفسه امام المدفأة النفطية. يجلس. يشعل سيجارة، يتشغل بتصفح الاوراق المكدسة فوق مكتبه. يقتحم الغرفة بدون استئذان رجل في حدود الستين بسرعة وهو يلهث. في غاية الاضطراب والارتباك.. يلتقط انفاسه بصعوبة]

الرجل: مـ.. مـ.. مـ ات.. مات

النقيب: (بتطير وتشاوم) يالها من بشارة.. منذ الصباح الباكر!! من الذي مات؟

الرجل: (يتلعثم ويرتبك) هـ.. هـ.. هو.. هو..

النقيب: (يحاول ان يبدو هادئا) هو.. من؟ من هو..؟

الرجل: الـ.. الـ.. البيك.. البيك المدير..

النقيب: (يكبت انفعاله) اي بيك؟ اي مدير؟

الرجل: مـ.. مـ.. مديرنا.. مديرنا.. البيك

النقيب: اللهم.. الهمني الصبر!! (ثم) اي مدير.. يا هذا.. اهدأ.. اهدأ.. واخبرني.

الرجل: مدير.. عام.. شركات المقاولات الانشائية.

النقيب: (باضطراب شديد) شـ.. شا.. شاكر شكر مشكور.. الـ.. الحاج.. شاكر؟

الرجل: ر.. ر.. رحمه الله. تركته وهو مثل الذئب.. في اتم الصحة والعافية.. واذ عدت اليه.. وجدته.. قالب.. ثلج..

النقيب: (بانفعال ينهض) اين هو..؟! اين هو الان..؟

الرجل: في.. في المكتب.

النقيب: اي مكتب؟

الرجل: مكتبه.. مكتب ادارة الشركة.. فوق كرسيه وسعيد مطوق راسه بكلتا ذراعيه..

النقيب: سعيد..؟ ومن سعيد هذا؟

الرجل: سعيد سيدي.. سعيد هو..

النقيب: (يقاطعه) كفى.. كفى.. تعال..معي.. تعال. (يرتدي معطفه، يخرجان)

(اظلام)

[مكتب المدير. غرفة مؤثثة ببذخ. حاجز خشبي. سجادة فاخرة تفترش الارض. ساعة على الحائط تشير الى التاسعة. تواجه النظارة نافذة عريضة، تستغرق الحائط كله. تغطيها ستائر ثقيلة مسدلة، مقاعد وثيرة. المكتب في عمق الغرفة، يتسم بالفخامة، فوقه، اضافة الى الاوراق.. والدوسيهات، جهاز تلفون وقطعة خشبية مزخرفة مكتوب عليها «فاستقم كما امرت» تزين الجدران ايات وحكم وامثال. منها «لئن شكرتم لازيدنكم»- «بالشكر تدوم النعم» - «احمد ربك في السراء والضراء» الخ.. الخ.. «سعيد» مطوق رأس المدير بذراعيه فعلا وهو جامد بلا حراك كأنه تمثال من شمع. يدخل النقيب، يتبعه شرطيان، بحذر شديد يصوبون مسدساتهم نحو سعيد، يتقدمون منه..]

النقيب: (للشرطي الذي يدنو من سعيد) احذر.. اخشى انه مسلح (الشرطي يتراجع بخوف) سلم نفسك.. يا.. سعيد: (سعيد في ذهوله. لايبدو عليه انه يدري بما يجري حوله. النقيب يواصل تقدمه نحوه، بحذر) اقول سلم نفسك.. انت محاصر (يتقدمون منه على شكل كماشة، سعيد يتلفت نحوهم. يصرخ به النقيب) لاتتحرك.. اياك ان تتحرك.. استسلم

(يشير الى الشرطيين. يمسكان به.. بلا اية مقاومة)

سعيد: (يجفل. يترك رأس المدير تسقط على المكتب. مذهولا كالغائب عن الوعي) مـ.. مـ.. مات هـ.. هـ.. هو.. هو مات (يهم ان يتقدم من النقيب.. بذلة ومسكنة)

النقيب: (يتراجع. يصرخ به) ولا حركة. لاتدعاه يقترب.. ارفع يديك فوق رأسك!

سعيد: (في حالة انهيار يتعلثم. يتعثر..) هـ.. هـ.. هو مات.. والله العظيم.. هو مات.. لـ.. لـ.. لم افعل شيئا.. انا.. انا.. هـ.. هو مات..

النقيب: قيدا.. يديه.. هاتوه «يخرج..»

سعيد: هـ.. هـ.. هو.. مات.. والله العظيم هو.. مات.. (يخرجون.. وهو مايزال يردد) هو.. مـا.. ت.. والله العظيم.. هـ.. هـ.. هو..

(اظلام)

[من خلال حزمة ضوء. يتقدم الرجل الذي اخبر عن الحادث. من مقدمة المسرح يخاطب الجمهور مباشرة[
الرجل: انا خورشيد.. خورشيد جمعه.. فراش المدير الحاج (يتوقف) هل اقول المرحوم؟ اجل.. اجل ليرحمه الله، احضر الى المكتب، مع الخيوط الاولى للفجر.. واحيانا قبل الفجر..]

* * *

[يضاء المسرح. مكتب المدير. ساعة الحائط تشير الى السادسة. يدخل خورشيد مبلولا ينفض عنه اثار المطر. يفتح قفل الكهرباء. لايشتعل اي مصباح]
خورشيد: مقطوع؟ الكهرباء.. مقطوع ايضا؟ (يأتي بمدفاة نفطية. يهم باشعالها. يتوقف) لا.. سوف يؤنبني البيك اذ اشعلها قبل وصوله (يفتح الستائر. مطر غزير. بروق ورعود) خير.. ماشاءالله. خير.. اللهم زد وبارك.. (ينشغل بتنظيف المكتب. صوت سيارة تتوقف.. يتوقف هو الاخر..) الحاج؟ هكذا مبكرا؟ (ينظر الى الساعة) لا.. لا.. مايزال الوقت مبكرا جدا على مجيئه! انه الان في سابع نوم! (يعود الى عمله.. مايلبث ان يتطلع عبر الشباك) هو.. لا.. والله هو.. ماالذي جاء به مبكرا.. هكذا.. وفي هذا الجو؟..
المدير: (يدخل هائجا مسرعا.. كان احدا يطارده. ينزع معطفه المبلول. يلقيه كيفما اتفق. يتوجه نحو مكتبه وهو ينشف ملابسه بانزعاج شديد) طوفان.. طوفان..
خورشيد: (يتناول المعطف. ينفضه، يعلقه على المشجب) صباح الخير.. بيك!
المدير: (بالية) صباح الخير (ثم فجأة في غضب شديد) صباح الطوفان.. صباح الخراب.. صباح الكوارث (برق ورعد) لماذا فتحت الستائر؟ هل تستمتع بمنظر الدمار الذي سيحل بالدنيا؟
خورشيد: (بقلة حيلة) الكهرباء مقطوع.. والغرفة ظلماء.. قلت.. لعل بعض الضوء..
المدير: الضوء؟ اين هو الضوء؟ اذا كانت الغيوم السود قد دفنت السماء. وخنقت كل بصيص نور. كل ومضة شعاع. اغلقها (برق ورعد) بسرعة.. بسرعة (يتهالك على المقعد.. يدفن رأسه بين راحتيه، خورشيد يسد الستائر) لم يعد ثمة ضوء في الدنيا.. لم يعد ثمة نو.ر.. لم تعد ثمة شمس.. ولا قمر ولا نجوم.. لم يعد ثمة غير الظلام.. الظلام. والامطار السود.. والسيول الجوارف.. اه.. اه..
خورشيد: (على الرغم منه. كمن يخاطب نفسه) الدنيا بخير.. وان شاءالله..
المدير: (بحدة) انشاءالله.. يهدها فوق رأسك! اين هو الخير.. اين؟ (يفتح الستاتر) اهذا هو الخير؟.. هل هذا خير؟ ام طوفان يغرق الكون.. يدمر الدنيا..
خورشيد: (بهمس) رحمة.. رحمة من الرب الرحيم..
المدير: رحمة هذه ام لعنة سوداء؟ رحمة هذه ام غضب اهوج..؟ يحرق الاخضر واليابس انظر.. انظر.. افتح عينيك العمياوين.. لقد احرق الدنيا.. ماذا يريد بعد؟ ماذا يريد؟
خورشيد: (بنبرة مخنوقة) استغفرالله.. استغفر..
المدير: (امام النافذة. يمزقه مرأى الامطار) ثلاثة ايام. ولم تتوقف هذه اللعنة ساعة واحدة. لم تخف لحظة (يهدد مجهولا) اما تعبت؟ اما هلكت؟ اما مللت؟ اما ضجرت؟
خورشيد: (باستنكار مكبوت) لاحول.. ولا..
المدير: اليوم ايضا. كالايام السوابق. لاعمل.. لن يكون ثمة شغل.. لا احد من العمال الافندية، افندية اخر زمان يخرج للعمل، ومع هذا وبكل صفاقة واستهتار يطالبون بالاجور (بحدة) مادمتم لاتعلمون.. يعني لاتنتجون

واذا كنتم لاتنتجون من اين اتيكم بالاجور؟ من اين؟ من قبور ابائكم؟ (يشعل سيجارة) لا احد يعطف علي، لا احد يرثي لحالي. كلهم ايد محدودة.. اكف مبسوطة. اشداق مفتوحة.. هات.. هات.. هات.. لايعرفون اية كلمة اخرى.. اخ..

خورشيد: (يشغل نفسه بالتنظيف) ماذا به اليوم؟ ماذا جرى له..؟

المدير: تتوسل الى الواحد منهم.. يا سيدي. يا صاحب الجلالة.. اشتغل حلل اجرك... يجيبك بكل صلافة. والمطر؟ هل اتبلل؟ اخ يتبلل!! صاحب الفخامة يخشى البلل..!! (مهددا) ولكني اعرف كيف اتعامل معهم. اعرف ماذا اصنع بهؤلاء الخونة الاوغاد.

خورشيد: (بخوف) اللهم.. رحمتك.. اللهم سترك..

المدير: فقط.. لو تتوقف هذه اللعنات.. ولكن.. متى (يصرخ) متى؟ متى..؟

خورشيد: (يحاول تهدئته) سيتوقف بيك.. والله اعلم.. بعض الوقت.. و.. ويتوقف.

المدير: وكم هو «بعض الوقت» هذا؟ شهر؟ شهران؟ سنة؟ ها كم؟ كم هو؟ اتعرف مدى خسارتي في «بعض الوقت» هذا؟ (يهجم عليه) هل بوسعك ان تقدر؟.. ها..؟ ها؟ اجبني يا هذا.. اجبني.. لماذا ابتلعت لسانك؟

خورشيد: (محاصرا) سيدي ارجوك.. هي كلمة وقلتها.. ما ادراني انا؟ انى لي ان ادري؟

المدير: اخرس اذن. سد فاك واخرس (يعود الى مكانه. يعثر بالمدفأة النفطية. يكاد يسقط. يتوازن بصعوبة)، ما هذا؟ لماذا لم تشعلها؟

خورشيد: خفت ان تقرعني.. و..

المدير: اقرعك؟

خورشيد: بالامس الاول، كنت بردان واشعلتها قبل حضورك.. غضبت وقلت هذه اموال تحرقها.. اموال.

المدير: (متهربا) انالا اسألك عن الامس الاول.. اسالك عن اليوم.. اليوم..

خورشيد: قلت لنفسي.. مايزال الوقت مبكرا.. والبيك الان نائم.. و.. (يشعلها)

المدير: (بجرفة) لا.. البيك لاينام.. لايعرف النوم بعد اليوم.. سوف ينسى النوم.. ينسى الطعام والشراب والراحة «باستهزاء» البيك نائم!! هه ه.. ثلاث ليال متتاليات بنهاراتها وساعاتها الممضة.. لم اذق للنوم ولا للراحة طعما. لم يغمض لي جفن. فذى المطر لم تدعني اغمض عيني.. كل قطرة من قطراته صخرة تهشم رأسي.. بلدوزر يهدم الابنية الخضر.. التي استقامت لتزها.. جرافة شيطانية تجرف اطنان الجص والاسمنت والحصو والرمل.. المكومة هنا وهناك.. في مواقع العمل.. وترمي بها وبي الى جهنم وبئس المصير.. اه.. اه.. لو اعرف.. ماذا يريد مني المطر؟ ماذا ينوي ان يفعل بي؟ الي اية هاوية سيقذف بي.. هذا المطر السافل الحقير..؟ اخ.. ستذهب جهود اربعين سنة من الكد والتعب والاموال ادراج الرياح.. ويحملني ان ابدا من الصفر.. اشحذ لقمة العيش في الازقة والطرقات..

خورشيد: (مواسيا) الله كريم.. يا بيك.. اللهماينسى عباده.

المدير: لا.. ماينساهم. يسحقهم، يدفنهم تحت اطنان المطر

خورشيد: استغفرالله العظيم.. استغفر..

المدير: مطر في الصيف؟ في الصيف مطر؟ هل سمعت؟ هل شاهدت؟ عشت؟

خورشيد: (بهدوء) نحن في شهر اذار.. وهذا شهر الامطار والخيرات و..

المدير: (محتدا)، طيلة ايام السنة لم ينقطع المطر.. اما شبعت؟ اما ارتويت من المطر؟ اما تقيأت؟

خورشيد: وما دخلي انا..؟ آنا من ينزل المطر؟ استغفرك.. ياربي.

المدير: مشاريع ضخمة.. مشاريع كبيرة.. عمارات. مبان عديدة.. كان ينبغي تسليمها للحكومة.. قبل شهور وحتى الان لم ابلغ نصفها.. وهذا النصف سيهدمه المطر فوق رأسي.. ويتوجب علي علاوة على ضرائب التأخير وتحمل الخسائر الهائلة.. ان ابنيها من جديد. ومن جديد يتربص بي المطر.. ويدفنني تحت الانقاض. اخ لو ادري.. ما سر هذه العداوة الشرسة الوحشية التي يضمرها لي المطر.. هل يطالبني بثأر؟ بدم؟ هل بيننا قاتل ومقتول. (برق. رعد. اصوات المزاريب وهطول الامطار) لايتوقف. لايتوقف ولا يهدأ.. سوف يغرق الدنيا.. يطفيء كل لمعة امل.. يقتل كل مظهر من مظاهر الحياة..

خورشيد: «على الرغم منه» المطر يحيي الحياة.. المطر يحيي الدنيا.. يحيي الموات.. المطر.

المدير: (بغضب شديد) المطر يحيي (يجره نحو النافذة يفتحها) الدنيا.. انظر.. انظر.. ماذا فعل المطر بالدنيا؟ اما لك عينان؟ الا ترى؟ انه قد اغرق الدنيا. ملأها بالبرك والمستنقعات وكل انواع الحشرات؟ انا من يحيي الدنيا.. انا من يحيي الموات.. انا..

خورشيد: (باستنكار شديد. مكبوت) اللهم غفرانك.. استغفرك ياربي.

المدير: انظر الى كل هذه الابنية الشامخة (يفتح الستارة عن اخرها) انظر الى هذه الشوارع النظيفة.. الى هذه البيوت الزاهية.. الى هذه الحدائق الزاهرة. اتتذكر ماذا كانت قبل خمس سنوات حسب. الم تكن كلها خرائب ومزابل وانقاض ومستنقعات اسنة. المطر غيّرها ام انا؟ المطر بناها ام انا؟ المطر عمّرها ام انا؟ انا.. من يعمّر.. انا من يبني.. ويزيّن المدينة.. والمطر يخرّب.. يهدّم.. يدمّر.. اخ.. اخ..

خورشيد: (يخلّص نفسه منه بصعوبة) بـ..بـ.. بيك اختنق.. بيك.. انت تخنقني.. بيـ.. بيك..

المدير: (يتركه. يغلق النافذة) اربعون سنة.. ابني واعمر.. ازرع واشتل.. ازين واجمل.. والمطر يحاربني.. (بضعف) وها قد تمكن مني.. غلبني.. غلّ يدي.. كتفني.. واقعدني.. مشلولا. مقيدا.. بلا حول ولا قوة.. اتحسر واتمزق. احلج نفسي واقرض اعصابي.. مهزوما مدحورا.. اخ.. اخ (يضرب كفا بكف. ثم بقوة مفاجئة) ولكن لا.. لا.. (يصرخ) لا اقولها بوجه المطر.. اقولها للسماء. لا.. لن استسلم (يهجم على التلفون) سارغم كل العمال ان يخرجوا الى العمل رغم انوفهم. (يشد قبضته بوجه السماء) ورغم انفك انت ايضا.. الان.. الان.. حتى ولو قذفت حمما. وبراكين.. وامطرت رصاصا مصهورا، (يضرب.. ارقاما. لاجواب. ارقاما اخرى، لاجواب) لا احد.. لا احد.. ماذا افعل؟ (بمرارة وحرقة) المطر.. يمنعهم! اخ اخ.. لو امتلك قوة شيطانية.. اشق بطن السماء الحبلى هذه شقا. واجعلها تتقيا كل مافي جوفها دفعة واحدة.. واخلص منها الى الابد. (يتهالك بضعف) سدها.. سد الستائر.. لا اريد ان اراها.. لا اطيق ان اراها... لا اطيق.. لا اطيق.. اه..

خورشيد: (يسدّ الستائر) ربي عونك..!! (يرفع يديه نحو السماء) استر يا ستار!

المدير: (يعصر بطنه متوجعا) سوف اموت.. ثلاثة ايام لم اتناول لقمة واحدة.. اه..

خورشيد: (بسذاجه وطيبة) بيك.. جلبت افطاري معي.. هل آتيك به..؟

المدير: (بغلظة) ائتني بالسموم.. ائتني بالموت الزؤام.. (يتذكر امرا، يخرج نقودا) هاك.. هاك.. تسوق للخاتون..

خورشيد: (مستهولا) اتسوق؟ في هذا الجو؟ في هذا المطر؟

المدير: المطر؟ تخاف المطر؟ انت الاخر من طينة العمال الحقيرة نفسها (يهجم عليه) لاتذعنون الا للقوة.. (خورشيد يخطف النقود، يفلت منه) لاتطيعون الا بالعصا والركلات.. (يشد قبضته) اه.. لوكان العمال كلهم

امامي.. تالله لاشبعتهم ركلات وسقتهم الى ساحات العمل كالحمير.. واحلتهم فئرانا مذعورة مثل هذا الجرذ الاجرب! ولكن ماذا افعل..؟ ماذا بوسعي ان افعل اذا كانوا كلهم مختبئين بين افخاذ نسائهم. (يعود الى المكتب.. يعيد محاولاته مع الهاتف وهو يزداد انفعالا)

(اظلام)

[خارج المكتب. امام المدخل، ممر.. مصطبة خشبية طويلة.. سعيد جالس. منشغل بحذائه]

خورشيد: (يلتقط انفاسه غير متنبه لوجود سعيد) مجنون.. لقد جن الرجل (ينتبه لسعيد. وهو يمسح حذاءيه. باوراق الجرائد. ينظفها بدقة واهتمام مبالغ فيهما. يقف خورشيد شدوها.. لهنيهة..) سعيد..!!

سعيد: (يتقدم نحوه) عـ.. عـ.. عمي خورشيد.. صباح الخير!!

خورشيد: (باهتمام ومودة) صباح الخير.. ابني.. خير؟

سعيد: هـ.. هـ.. هل.. الـ.. المدير.. البيك المدير.. مو.. موجود؟

خورشيد: (بدهشة) خير انشاءالله! ماذا تريد منه؟ (سعيد يسكت يشجعه) هل.. تريد شيئا منه؟.. ها.. قل لي.. اخبرني..

سعيد: (بسرعة) نـ.. نـ.. نعم.. اريد.. اريد ان.. ان.. (يرتجف من البرد) اقا.. اقابله.

خورشيد: (يتأمل حاله وملابسه المبلولة) ولكنك باي حال.. كيف تقابله بهذا الحال..؟

سعيد: (ينفض ملابسه) لماذا.. عمي.. ماذا بي؟

خورشيد: (ببشاشة) منقوع من قمة رأسك حتى أخمص قدميك.. (يضحك) كأنك دجاجة خرجت لتوها.. من الماء.. هاهاها.

سعيد: (يضحك هو الاخر) المطر.. المطر رحمة من الله.. هـ.. هـ.. هل استطيع ان.. ان..

خورشيد: اما ينبغي اولا.. ان تنشّف ملابسك.. تدفئ نفسك.. و..

سعيد: لا بأس.. لا بأس.. ولكن قل لي.. يا عمي.. هل بوسعي ان.. ان..

خورشيد: (في حيرة) والله.. يا سعيد.. يا ابني.. لا ادري ماذا اقول..

سعيد: ها؟.. يعني.. يعني.. لا بأس عمي.. لا بأس.. ارجع.. (يهم بالرجوع فعلا)

خورشيد: (يمسك به برفق) اين؟

سعيد: ها؟.. اما تقول.. لا.. لا يمكن ان..

خورشيد: هل سمعتني اقول.. لا يمكن.

سعيد: (بحماس) اذن.. اذن.. يمكن.. يمكن ان..

خورشيد: (مداعبا) وهذا ايضا.. لم اقله..

سعيد: يعني.. يعني.. لايمكن؟.. غير ممكن؟ لا بأس عمي.. لا بأس.. في وقت اخر.. في..

خورشيد: (باشفاق) ماذا بك يا ولدي؟ لماذا انت مرتبك الى هذا الحد؟

سعيد: انا.. انا..

خورشيد: شيء غريب.. انت تسأل.. وانت تجيب نفسك..

سعيد: كيف.. اذن.. كـ.. كـ.. كيف.. ادخل عليه..؟ ام.. ام.. ارجع..؟

خورشيد: لاتدخل.. ولا ترجع.

سعيد: ها؟

خورشيد: ابني.. اصبر بعض الوقت.. اجلس هنا.. نشف ملابسك.. تدفأ.. ثم..

سعيد: (بلهفة) و.. وادخل عليه.. يعني.. يعني.. يوافق..؟

خورشيد: طبعا يوافق..

سعيد: جزاك الله خيرا.. عمي خورشيد.. جزاك.. الله.. كل خير..

خورشيد: تعال.. تعال.. (يشعل مدفأة نفطية) اقترب.. ابني.. اقترب..

سعيد: ولكن.. ولكن.. لو تسمح لي.. ان.. ان.. ادخل عليه.. الان..

خورشيد: ولم هذا الاستعجال؟ لماذا الا.. الان..؟

سعيد: أ.. أ.. احسن.. عمي.. احسن

خورشيد: ولماذا احسن؟ ما الفرق؟ الان.. او بعد بضع دقائق؟ ماالذي يحدث؟ هل تقوم القيامة؟ تخرب الدنيا؟

سعيد: هو.. هو الان وحده.. لا احد معه.. و..

خورشيد: وما شأنك انت بمن معه؟ هل تنوي نهبه..؟ قتله؟

سعيد: اعوذ بالله.. عمي خورشيد.. اعوذ بالله..!!

خورشيد: (يسحبه نحو المدفأة) تعال ابني تعال.. فأنا الاخر لدي اشغال.. لابد ان اذهب لقضائها.

سعيد: اشغال؟ بهذا الجو؟ أ.. أ.. ين.. تذهب عمي خورشيد في هذا المطر؟

خورشيد: (بمرارة) الى السوق.. اتسوق.. لبيت البيك.

سعيد: هـ.. هـ.. هل تتأخر..؟ تتأخر كثيرا؟

خورشيد: الله اعلم! رحمة ربك افاضت الدنيا (ثم) اسمع سعيد.. البيك وصل لتوه.. لا.. تستعجل... بالدخول عليه.. دعه يرتح بعض الوقت.. ثم..

سعيد: انتظرك عمي خورشيد.. انتظرك لحين ماترجع.. و..

خورشيد: افضل.. البيك.. يبدو اليوم.. معتكر المزاج، بعض الشيء وهو..

سعيد: (ينهض) اذن غير ضروري عمي خورشيد غير ضروري.. ارجع.. الى.. البيت.. ارجع.

خورشيد: (يعيده بشيء من الحدة) ما انت؟ ما بالك.. كأنك لم تعاشر الناس..

سعيد: أ.. أ.. انا.. انا..

خورشيد: (يجلسه) اجلس.. ابني.. اجلس.. انتظرني ريثما اعود.. ادخلك بنفسي عليه..

سعيد: الله يوفقك عمي خورشيد.. الله.. يطول عمرك.. عمي (خورشيد.. يلقى معطفا متهرئا على راسه.. ويخرج بينما يعود سعيد الى الجلوس في قلق واضطراب)

اظلام

[حزمة ضوء تتسلط على المؤلف.. وهو في مكانه المعتاد.. يكتب. ثم يتوقف. يوجه حديثه الى خورشيد.. الذي يظهر من خلال بقعة ضوء.. واقفا في مقدمة المسرح امام الجمهور]

المؤلف: طيب.. سيد خورشيد.. الم تسأله ماذا يريد من المدير!

خورشيد: لا.. في الحقيقة. لم اسأله..

المؤلف: عجيب!! الم يحرك فيك اصراره الغريب.. لمقابلته وحيدا.. ومجيؤه المبكر الى هذا الحد وفي ذلك الجو الممطر.. شيئا من فضولك.. لمعرفة حقيقة امره.

خورشيد: قلت في نفسي لعله في حاجة الى بعض المساعدة المالية.. يستحي من كشفها.. اذ كثيرا ما يقصد العمال البيك لهذا الغرض.. ولا يفصحون عما يريدون.. الا حين يختلون به

المؤلف: هل تأخرت كثيرا في العودة الى المكتب..؟

خورشيد: ربما ساعة.. او اكثر.. حينما عدت لم اجده حيث تركته.. قلت في نفسي.. لعلي تأخرت عليه اكثر مما ينبغي فعاد من حيث اتى.. ولكني حين دخلت على البيك المدير صعقت.. صعقت تماما.. اذ رأيته دافنا رأسه في حضنه.. واول ماراني راح يبكي وينتحب ويردد والله هو مات.. عمي خو.. خورشيد هو مات. من تلقاء نفسه مات والله العظيم.. هو مات.. (يختفي باختفاء حزمة الضوء)

* * *

المؤلف: (للجمهور) هذا هو سعيد.. شاهدتموه وعرفتموه جيدا.. هل يمكن لشخص مثله ان يقتل؟ انه متردد.. خجول.. يستحي من ظله، والمدير رأيتموه هو الاخر.. انه كالذئب كما وصفه خورشيد.. ذئب مسعور يفترس من يعطس في وجهه (يتوقف) ولكن كيف حدث ماحدث؟ وانتهى سعيد.. او.. او.. يوشك ان ينتهي هذه النهاية المأسوية؟

خورشيد: (من خلال بقعة ضوء) سعيد ابن قريتي «تومار» في ناحية «شوان» صديق اولادي كنت اراه دائما معهم اذ اعود الى القرية.. وهو شخص حنون. اليف.. محبوب.. عند الجميع يعمل مع اخيه محمد في الارض التي تركها لهما المرحوم ابوهما.. قبل ان يأتي به الحاج ابراهيم ويشغله حارسا في احد مخازن الشركة.. التي..

المؤلف: (يقاطعه) الحاج ابراهيم؟ ومن هو هذا الحاج ابراهيم.. الذي ادخلته في الموضوع؟

[ينحسر الضوء عن المؤلف وخورشيد.. ويتسلط على الحاج ابراهيم]

* * *

الحاج: انا الحاج ابراهيم.. عم سعيد وحماه.. والد زوجته (نبرة حزن) صحيح.. انا من جاء به الى كركوك وعينه عند البيك المدير، الذي تعود علاقتي به الى ماقبل اربعين عاما.. كان حينها شابا دون العشرين.. كنت اعمل عند والده المرحوم.. وكنت معتمده وذراعه الايمن في كل اموره.. ولكنه افلس وخسر كل امواله.. فانتحر المسكين.. وكان شاكر ولده الوحيد قد جمع بعض المال. فبدأ به مقاولا صغيرا، وانا اعينه كما كنت اساعد اباه. ولكن والحق يقال.. كان شاطرا واكثر طموحا من ابيه، استفاد كثيرا من علاقته.. الحميمة مع ابن رئيس بلدية المدينة.. رحت اشتري له قطع اراض متروكة باسعار زهيدة وبعد فترة وجيزة يبيعها هو للبلدية باضعاف اسعارها.. ثم دخل ساحة المقاولات وكانت اكبرها واكثرها ربحا ترسو عليه، فاثرى كثيرا ولم يعد بوسع احد ان ينافسه في مشاريعه ومقاولاته التي اتسعت وتعددت الى حد كبير في زمن قصير نسبيا. وصرت انا اهيئ له الايدي العاملة من الريف.. بأجور مناسبة.. وهو.. والحق يقال. لم يبخل علي بشيء فقد منحني مكانة مرموقة وامتيازات عديدة.. واغرقني بأفضاله ونعمه (يسكت) ذات يوم فكرت.. اني رجل وحيد.. والسنوات قد اثقلت كاهلي.. وليس لي ولد.. يحل محلي.. ليست لي سوى ابنة و.. وهي لاتصلح لادارة شيء.. فقفز الى ذهني سعيد ابن شقيقي المرحوم.. فتوكلت على الله.. وسافرت الى القرية.. للحديث معه ومع شقيقه الاكبر محمد.. لعل الله يوفقني في اقناع سعيد للانتقال الى المدينة والعيش معي..

(اظلام)

[يضاء المسرح.. بيت في القرية يتسم بالبساطة والفقر. الحاج ابراهيم. محمد. سعيد]

الحاج: (يواصل حديثه مع محمد) و.. فكرت اشغل سعيد معي.. في المدينة..

محمد: و.. نحن.. واشغالنا هنا؟ (سعيد يدير النظر بينهما وهو ساكت)

الحاج: اشغالكم هنا؟ اية اشغال لكم هنا.. الواحد منكم يكد يشقى. ولا يأكل شبع بطنه الخبز اليابس.

محمد: (بغيرة) ليس ثمة اطيب ولا اشرف من خبزنا اليابس.. مادمنا نعجنه بعرق جبيننا.. ونخبزه بايدينا.. يا عمي..

الحاج: كف.. كف.. عن هذا الكلام المنفوخ. الذي لايغني ولا يشبع.. تعال.. تعال الى المدينة بضعة أيام.. ثم تمشدق بهذه الاقوال..

محمد: شكرا عمي.. انا لا اطيق فراق ارضي وزرعي..

الحاج: (بسرعة) لا تفارقهما.. ولكن دع «سعيد» ير الدنيا.. يعش حياته.. لماذا تدفنه حيا هنا؟

محمد: (باستنكار) ادفنه؟ اي كلام هذا يا عمي..؟

الحاج: وماذا تسمي الحياة هنا.. فردوسا؟

محمد: انها حياتنا على اية حال.. واختيارنا.. نحياها في كل الاحوال

الحاج: اسمع محمد.. انا عمك وعم سعيد.. وفي مقام ابيكما. ومن حقي عليكما ان افكر واعمل كل ماأراه.. في صالحكما..

محمد: صالحنا هنا.. يا عمي وليس هناك.. وسعيد بالذات.. لايستطيع العيش في المدينة.

الحاج: وهل الذين يعيشون في المدينة افضل منه.. اليسوا بشرا مثله؟ اليس هو بشرا مثلهم؟

محمد: (منفعلا) لا.. لا هو مثلهم.. لا هم مثله.. (سعيد يرقب الاثنين في صمت وقلق)

الحاج: اهو اقل شأنا منهم؟ ماالذي ينقصه.. عنهم.. يد؟ رجل..؟ عقل؟..

محمد: (يكاد ينفجر) اعوذ بالله من الشيطان الرجيم.. عمي.. عمي.. الا تعرف انه.. انه.. (يسكت) لا حول ولا قوة.. الا بالله..

الحاج: انه.. انه.. ماذا..؟ (يصرخ).. ماذا..؟

محمد: (يضبط اعصابه) لماذا ترغمني.. ان اقول.. مالا ينبغي قوله.

الحاج: (بحدة) قله.. لماذا لاتقول.. هل بيننا غريب؟

محمد: (محاصرا، يعاني. يخفي مايريد قوله) انه.. انه.. متعلق بالارض.. اذا فارقها يموت.

الحاج: يموت؟ (يضحك) هل الارض طعام؟ شراب؟ هواء.. امه؟ ابوه؟

محمد: انها كل اولئك.. واكثر..

الحاج: انا الاخر كانت عندي ارض.. بل اراض اوسع واخصب. تركتها ولم امت.. وانا الان، والحمدلله، في احسن حال واعلى مقام.. اعيش كالملك..

محمد: نحن لسنا مثلك.. لكل منا حياته واختياره.. ارجوك.. يا عمي ارجوك.. اتوسل اليك.. دعنا في حالنا.. دع سعيد في حاله. سعيد لايصلح للشغل.

الحاج: ما هذا الكلام الغريب يا محمد.. لماذا لايصلح؟ ماذا به؟ مم يعاني؟ لماذا لاتفصح؟

محمد: (بنبرة تأنيبية) الا تعرف ياعمي؟ حقا.. لا تعرف.

الحاج: لا. لا اعرف (محتدا) قل لي.. اخبرني.. نورني. انا اراه.. والحمد لله.. رجلا كاملا مكملا..

محمد: (بصوت خافت) الا تعرف لماذا فصلوه من المدرسة؟

الحاج: اعرف. المعلم تجاوز عليه وهو انسان شهم لايرضى ان يتجاوز عليه احد.

محمد: المعلم تجاوز عليه ام هو الذي هم بخنق معلمه؟

الحاج: هذا مازعمه مبغضوه واعداؤه

محمد: وهل انا من مبغضيه واعدائه؟

الحاج: (باحساس بالاحراج) و وهوه..!!

محمد: والجندية.. لماذا طردوه من الخدمة..

الحاج: لحسن حظه.. رأف الله بحاله. والا لكان قد غدا الان من تلفيات الحروب العديدة التي طحنت الآلاف من البشر..

محمد: (يفقد السيطرة على نفسه، يصرخ) والمستشفى؟ المستشفى الذي..

سعيد: (يخرج من صمته. منفجرا) لست مجنونا.. انا لست مجنونا.. انا.. انا..

محمد: (يحتضنه بحنان ابوي) سعيد حبيبي.. سعيد لا.. انت شفيت.. شفيت تماما.. انت..

الحاج: لقد تماديت يا محمد.. تماديت كثيرا.. حتى جرحت الولد!

محمد: (باستنكار شديد) انا يا عمي..؟ انا؟.

الحاج: (واقفا) اسمع يا محمد. وانت ايضا يا ولدي يا سعيد. هي كلمة. كلمة واحدة. لن تصير كلمتين. اذا كنت تصر على منع سعيد.. انا ارى نفسي في حل من الوصية.

محمد: وما علاقة الوصية بـ.. بـ.. هل اشترطت على المرحوم والدي ان..

الحاج: هذا قراري الاخير.. ومن الخير لك انت ان تسكت.. والكلمة الاولى والاخيرة لسعيد.. سعيد هل تأتي معي.. تتزوج سليمة.. وتعيش معنا.. ام لا.

سعيد: (في حيرة) عمي.. انا.. احب اخي.. و.. وارضي والقرية.. و.. و.. ولكن.. يا محمد.. انا احب سليمة.. احبها جدا.. ولا استطيع.. ان.. ان اعيش بدونها. و

الحاج: هذا هو الكلام الصحيح.. كلام الرجل.. هي ايضا تحبك وتريدك.

محمد: مادامت تحبه وتريده.. دعها تأتي اليه.. تعش هنا معه.. ونحن..

الحاج: (يسكته) اسكت.. انت.. هي كلمة.. وقلتها.. ولن اعيدها ثانية.. وسعيد نفسه موافق

محمد: (محتدا) انت لا تزوجه ابنتك الا بعد ان ترغمه ان يطلقنا جميعا (يخرج بحالة عصبية)

سعيد: (يسرع خلفه) محمد.. محمد.. يا.. محمد..

الحاج: (يمسك به) دعك منه يا سعيد. محمد شخص اناني لايفكر الا بمصلحته الشخصية ويريد ان يبقيك خادما وعبدا له الى.. الابد..

سعيد: لا.. لا.. ليس الامر كذلك ابدا.. محمد يحبني.. وانا احبه..

الحاج: (متراجعا) هو ابني.. كلنا نحبه. ولكن قد ان الاوان آن تستقل عنه.. ويكون لك بيتك الخاص.. بيت وزوجة واولاد.. و.. و.. مستقبل.. يا سعيد يا ابني.

سعيد: (في حيرة) عمي.. انا.. انا.. لا استطيع ان افارق محمد.. انا احب محمد.. احبه.. كثيرا..

الحاج: اسمع يا سعيد.. سليمة كبرت وانا لا استطيع ان اتركها بلا زواج..

سعيد: مـ.. ماذا.. تقصد.. عمي..؟

الحاج: قصدي واضح.. الفتاة خلقت للزواج.. واقرب الناس واحبهم اليها.. انت. واذا كنت انت لا تريدها.. فانا

مضطر.. ان.. ان.. (يسكت، متعمدا)

سعيد: (بجنون) ان.. ان.. ماذا؟.. ماذا..؟

الحاج: ان ازوجها.. لغيرك..

سعيد: اقتله.. والله.. العظيم.. اقتله.. اقتل كل من يتزوجها..

الحاج: (بخوف حقيقي، بصوت خافت) اعرف.. اعرف.. انت مجنون تفعلها. وتقتلني معه.. اه.. والعمل.. (يجلس، يفكر) سعيد ابني.. اسمعني جيدا. ساكون صريحا معك.. واضحا وصريحا.. واقول كل ما لم استطع قوله امام محمد.. منعتني كرامتي ان اقوله..

سعيد: (بحماس) عمي.. ماذا هناك.. قل.. تكلم يا عمي

الحاج: سعيد ابني.. انا هناك مهدد.. ويمكن ان يقتلوني في اية لحظة..

سعيد: أ..أ.. نت.. مـ.. مـ.. من يجرؤ..

الحاج: (بذل) الناس، في المدينة، ذئاب يا سعيد.. انهم يحسدونني على النعمة التي انا فيها.. وانا وحدي.. و.. و ضعيف.. اريدك (يحتضنه) يا سعيد ان تحميني. ان تكون سندا.. انت حزام ظهري.. ليس لي سواك يا سعيد..

سعيد: (تغلبه العاطفة، يحتضنه) كفاك.. عمي كفاك.. انا حماك.. انا فداك.. انا طوع امرك.

الحاج: (يربت على ظهره يبتسم) كنت واثقا انك لاتخذلني.. اعرف انت رجل شهم.. بطل شجاع.. و.. و وقد ضمنت لك.. يا سعيد عملا مريحا.. وبأجر جيد جدا.. توفر.. المال اللازم لزواجك.. وو.. لمعالجة.. سليمة.. ايضا..

(اظلام)

الحاج: (من خلال بقعة ضوء) وادخلته على البيك المدير.

[مكتب المدير. من خلال النافذة يبدو العمال في الخارج. يعملون بهمة ونشاط. المدير يراقبهم. يتقرب منه الحاج ابراهيم.. بينما يقف سعيد على مبعدة]

الحاج: بيك.. وهذا خادمك سعيد.. ابن اخي الذي كلمتك عنه و.. وعدت ان..

المدير: (ساهما، بلا اهتمام) ليستلم العمل.. ويعمل.. مع العمال الاخرين.

الحاج: (يهمس في اذنه. ثم بصوت مسموع) وهو شخص امين.. خير من يحرس المخزن..

المدير: اليس ثمة ذاك المدعو.. خدر.. مام خدر.. او ماذا يسمونه.. على الحراسة..

الحاج: مام خدر يا بيك.. رجل غير امين.. وكل يوم تضيع حاجة من المخزن

المدير: (بآلية) تصرف اذن تصرف (ثم) انظر اليهم.. انظر الى هؤلاء الاوباش.. كأنهم في نزهة.. لا في عمل.. يتقاضون عليه اضخم الاجور.. (يخرج مسرعا)

الحاج: حرامية.. كلهم حرامية (لسعيد) ومنذ الغد تستلم عملك في المخزن.. اريدك ان تكون في منتهى الاخلاص للبيك.. انه صاحب النعمة والفضل علينا.. من غيره.. نموت من الجوع..

سعيد: امرك عمي.. وكل يوم ومنذ الصباح الباكر.. امر عليه.. اشكره وانتظر اوامره و..

الحاج: اياك سعيد.. اياك.. البيك اشغاله كثيرة ووقته محدود جدا. لايتسع لمثل هذه الامور.. وانت شخصيا ليست لك به اية علاقة.. فهمت؟

سعيد: اجل.. عمي.. اجل..

الحاج: اجرتك تستلمها كل اسبوع من المحاسب.. او.. او استلمها انا بالنيابة عنك.. واعطيك اياها.. والان تعال معي.. تعال نذهب الى المخزن.. (يخرجان)

(اظلام)

المؤلف: (من خلال بقعة ضوء) خورشيد حذر سعيدا من الدخول على المدير قبل عودته. والحاج ابراهيم. لم يكتف بتحذيره حسب. وانما منعه، هدده وتوعده.. وسعيد شخص مطيع و..

محمد: (من خلال بقعة ضوء) ثمة حقيقة عن سعيد لايعرفها سوى القلة (بحزن) سعيد يا اخوان.. ليس انسانا سويا. لم يعد انسانا سويا منذ الحادثة التي جرت له، حين كان طفلا.. كان عمي عندنا في واحدة من زياراته المعتادة الى القرية بصحبة ابنته سليمة.

* * *

[يضاء المسرح.. الفلاحون يعملون في البيدر.. الوقت مساء.. قد اشعلوا الفوانيس النفطية.. بعضهم يرتاح، الحاج ابراهيم وسليمة ومحمد وفلاحون.. فلاحات]

سعيد: (طفل في حدود التاسعة.. بيده باقة زهور برية.. يدخل عليهم.. يقدمها الى سليمة..) سليمة.. جمعت هذه الورود.. لك.

سليمة: (وهي في مثل عمره. بفرح) الله! انها جميلة.. جميلة جدا.. من اين جمعتها؟

سعيد: قرب الساقية وهناك الكثير.. منها.. الكثير.. تعالي معي.. (يمسك يدها يخرجان)

محمد: (يبتسم لهما) ما اجملهما.. انهما يخططان.. منذ الان..

فلاح: ينفذان وصية المرحوم والدك.

الحاج: (مستاء) اوووه.. ما ادراهما بهذه المسائل.. انهما مجرد طفلين..

محمد: هما لايدريان.. ولكننا يا عمي ندري بالوصية.. واتفاقه معك..

الحاج:: هي كلمة قيلت في وقتها.. من يتحكم بالغد.. الناس يتغيرون..

فلاح: ولكن الوصية لاتتغير.. انها وصية مرحوم..

الحاج: (باحراج) الله.. كريم.. الله.. كريم.. لحين مايكبران..

فلاح: (لمحمد) يبدو ان عمك يا محمد.. ينوى (اشارة ذات مغزى)

محمد: يبدو.. الامر.. كما تقول.. ولكن (صرخة قوية من سليمة وعويل..)

الحاج:: (قافزا) سليمة.. انها صرخة سليمة.. (يهرعون باتجاه الصوت. سليمة ممددة على الارض تبكي بحرقة. سعيد يحتضنها.. وهو الاخر يبكي) ماذا حدث.. ماذا جرى؟

محمد: سعيد تكلم.. سعيد انطق.. ما الذي جرى..؟

سعيد: حـ.. حـــ.. حية.. مـ.. مـ.. محمد.. حـ.. حية..

الحاج: حية؟ عضتها حية؟ يا خراب بيتي.. يا سواد وجهك يا سعيد.. ماذا افعل بك الان..؟ اخنقك؟ اقتلك..؟

سعيد: (ينتحب) انا.. كنت الم لها.. الزهور.. لم انتبه اليها.. حين نزلت الى الساقية

الحاج: انقلع من امامي.. يا جبان.. لاتريني وجهك بعد الان.. يا مخنث (يضربه)

فلاح: (يصده. يحمي سعيد. الذي يحتمي به) على مهلك. يا حاج.. على مهلك.. قدر وحصل ماذنب الطفل.. انت ماشاءالله.. رجل عاقل..

سعيد: والله.. لا ذنب لي.. لا والله.. لا ذنب لي..

الحاج: ماتت.. ابنتي الوحيدة.. كل ما املك في الدنيا.. ماتت.. اويلاخ.. اويلاخ..

محمد: عمي.. عمي.. لاتجننا كلنا.. البنية بخير.. (يحملها) سنأخذها.. وهناك يعالجونها

الحاج: اين؟.. ابن تأخذ ابنتي..؟

محمد: الى المستشفى.. يا عمي.. الى المستشفى.. انتركها هنا.. ليسري السم في جسمها؟

فلاح: اقتلوا الحية.. لن تشفى اذا لم تقتلوا الحية.. ابحثوا عنها.. فشتوا عنها..

سعيد: (يركض خلف محمد) محمد.. خذني.. محمد.. سليمة.. عيوني.. سليمة (يتعلق به) محمد.. ارجوك.. محمد.. سليمة.. سليمة.. اه.. محمد.. خذني.. محمد..

الحاج: (يدفعه بقوة يسقطه ارضا) ولي.. يا جبان ولي يا مخنث.. لاتذكر اسمها على لسانك.. لاتقترب منها.. اياك.. رح اقتل الحية.. رح اقتل الحية (يخرجون)

سعيد: (وحده، يتمرغ بالتراب، يهيل فوق راسه التراب.. يركض هنا.. وهناك بجنون) سليمة.. سليمة.. اه الحية.. (يلتقط عصا، يضرب بها ذات اليمين واليسار) اين الحية؟ اين هي.. اقتلها! احرقها.. اين اختفت (يخوض في النهر) اقتل حيات الدنيا.. اقتل افاعي الدنيا.. ولكن اين هي؟.. اين هي..؟ اين اختفت؟ اه.. اه.. دلوني.. يا ناس.. ارشدوني.. اعلموني.. قولوا لي.. اين تختبيء.. (تخفت الانارة والصوت ولكن المشهد مستمر..)

محمد: وظل سعيد على حاله اياما وليالي (تتبدل الانارة. اشارة الى انقضاء اكثر من ليلة ونهار) يبحث هنا وهناك، دون طائل، وقد اقتنع تماما بان سليمة التي اضطروا الى بتر ساقها في المستشفى لن تشفى ولا تطيب اذا لم يعثر على الحية نفسها ويقتلها.. وصار يفقد عقله، ويجن جنونه.. كلما وقعت عينه على قطعة حبل.. او غصن.. او.. او.. وصبيان القرية وشبابها، طالت اعمارهم.. زادوا جنونه جنونا.. (سعيد يجسد ما يقوله محمد)

سعيد: (يحيط به مجموعة صبيان وشباب، يرمون عليه قطع حبال وخرقا ملفوفة على شكل حية)

الصبيان: (من كل حدب وصوب. يستهزؤن به.. يضربونه، يصرخون) سعيد جبان.. سعيد مخنث.. سعيد اعطى ابنة عمه للحية.. سعيد جاءتك الحية.. الحية على يمينك.. لا لا على يسارك الحية امامك سعيد امامك.. لا.. لا. صارت وراءك.. سعيد يحاول الامساك بأي واحد منهم.. يفشل.. ينهار. تماما يسقط. يتلوى.. يبكي بحرقة.. وينتحب..)

صبي: (يقترب منه.. يلقي عليه حبلا) سعيد الحية التي اكلت رجل سليمة.. امسكها.. اقتلها.. يا مخنث..

سعيد: (ينتفض يهجم عليه.. يمسك بخناقه) اقتلك.. والله العظيم.. اقتلك انت.. اخنقك. (الصبي يصرخ.. يولول.. يهب بعضهم.. لانقاذه من بين يديه، بصعوبة..)

* * *

محمد: وانقلبت الاية تماما.. وصار صبية القرية وحتى شبابها ورجالها يخشونه.. يتجنبونه.. ويحسبون.. الف حساب عند الاقتراب منه او الحديث معه.. وغدا يعيش وحدة قاسية وعزلة تامة.. وتكومت عليه المآسي والفواجع. في المدرسة غضب المعلم على تلميذ دائم الحركة والتحرش بهذا وذاك داخل الصف.. فصرخ به. مالك لاتستقر في مكانك.. كأنك حية صفراء.. فما كان من سعيد الا ان قفز على المعلم واطبق على خناقه يروم خنقه لولا.. ان ستر الله وتم انقاذه.. ففصل من المدرسة واقتيد الى المستشفى.. رغما عنه وعنا.. كل هذا وما جرى لسليمة لا يغيب عن ذهنه واحساسه بالذنب يمزقه.. وحبه لها ولابيها.. يتعاظم. ويفنى في سبيلهما..

مع ان عمنا.. لم يكن رجلا صالحا.. لم يعد.. رجلا.. صالحا..

(اظلام)

[يضاء المسرح.. يظهر جوقة الفلاحين.. وهم مجموعة في ثياب رثة مهترئة، لاتكاد تستر اجسادهم.. جميعهم معاقون.. كل واحد منهم يعاني من عوق جسدي ما. على المخرج ان يراعي التنوع والتعدد في مظاهر عوقهم. بعضهم مقعدون.. اخرون واقفون على عكازات.. بعضهم معصوبو الاعين.. اخرون في هيئة شحاذين.. الخ.. الخ.. الخ..]

فلاح(١): لقد اصبح الحاج ابراهيم.. بغيضا.. كريها الى اقصى حد.. تتمنى القرية ان ترى الشيطان ولا تراه..

فلاح(٢): ومع هذا لم يقطع زياراته المتكررة الى القرية. التي افتضحت اسبابها واهدافها.. وهي تجنيد شباب القرية ورجالها الاقوياء في مشاريع الحاج شاكر المتعددة والمتنوعة..

فلاح(٣): مشاريع جهنمية.. تمتص الدم وتهرس العظام وتتلف الروح. وما نحن (يشير الى جماعته) الاعينة صغيرة.. احياء.. و.. سالمون.. من بين الآلاف.. من العمال الاخرين..

فلاح(٤): الذين منهم من قضى نحبه.. ومنهم من ينتظر.. ولم يذق للسعادة ولا للراحة طعما.

فلاح(٥): والحاج ابراهيم.. ثعلب في اهاب حاج.. ثعلب شديد المكر.. كثير الغش والخداع.. والحيلة.. في القرية حين يتعاقد معنا.. يغرينا.. ويعدنا بأجور عالية.

فلاح(٦): وفي المدينة.. لايعطينا كفاف عيشنا.. ولا مايسد حتى تكاليف عودتنا..

فلاح(٧): عودتنا؟ عودتنا الى اين؟ هل بقي لنا شيء لكي نعود من اجله؟ اراضينا.. وقد سرقها منا.. بكلامه المعسول المسموم.. بابخس الاثمان (يخرجون)

محمد: وظل يحوم.. حول سعيد حتى اقنعه.. واخذه معه وزوجه ابنته

(اظلام)

المؤلف: (بفرح. يكتب، يفكر بصوت مسموع، كمن عثر على الحل او اقترب منه) زوجته!! اتكون تباشير الفرج قد لاحت؟ (للجمهور) قد تكون زوجته مفتاحنا المنشود.. الى.. الى كل المغاليق.. او الى بعضها في الاقل، فالزوجة تعرف، عادة، من خفايا زوجها واسراره.. اكثر مما يعرفه.. اي شخص اخر..

سليمة: (من خلال حزمة ضوء، وهي شابة جميلة.. تتكيء على عكازة بدلا من ساقها المبتورة تتكلم بعفوية وبراءة) مغاليق!! واسرار!! وخفايا!! و.. و.. (ثم) ومتى كانت لسعيد مغاليق او اسرار او خفايا (بحسرة) سعيد نبع ماء صاف، شفاف.. اكثر من ينابيع الجبال.. تنظر اليه ترى اعماقه.. تتكلم معه، تخاطبك روحه.. واحسرتاه.. على سعيد.. واخيبتي بنفسي.. بحياتي!! ليلة واحدة.. واحدة فقط هي كل حياتي.. لانها كانت الليلة الوحيدة التي قضيتها مع سعيد.. و.. طارت.. طارت مع سعيد الذي.. طار مثلما يطير العصفور ويحلق في اعالي السماء.. ولايعود بوسعك ان تراه.. مثل.. مثل.. الحلم الذي يخطيء طريقه ويزور ذات مرة.. مرة واحدة فقط.. انسانا كل حياته.. مرارة وكآبة.. ووحدة واحزان (تمسح دموعها) هل يمكن ان يكون الزمن قاسيا الى هذا الحد الوحشي؟ وهل ثمة زمن بهذا القدر من القسوة قد مر على الانسان؟ (تبكي)) عشرون عاما.. ودنيا كل واحد منا متقلصة ومتحققة في الاخر.. ولايتمنى احدنا شيئا. سوى الاخر.. ونصلي ونبتهل ليل نهار.. ان يكون احدنا من نصيب الاخر.. ولا يحدث ذلك الا.. ليلة واحدة.. واحدة فقط.. ثم اعثر على نفسي وقد..

المؤلف: (يقاطعها برقة) سيدتي.. انني والاخوة جميعا (يشير الى القاعة) نتعاطف مع فاجعتك من اعماق قلوبنا وعقولنا.. ونركع امام مشاعرك النبيلة الصادقة.. الا اننا هنا بصدد.. موضوع محدد.. لماذا ذهب سعيد

الى المدير مبكرا الى هذا الحد.. وفي ذلك الجو الذي لا يخرج فيه حتى الوحش الجائع من مخبأه..؟ مـ. ماذا كان يبغي من المدير؟

اظلام

[يضاء المسرح، اضاءة خفيفة، غرفة عرس. اثاث بسيط متواضع.. سرير لشخصين.. دولاب ملابس.. الخ.. سعيد ينزل من السرير، بحذر وهدوء، حريصا الايدع سليمة تستيقظ. يغيب في المغاسل هنيهة. يعود. يجفف رأسه ووجهه. يشرع بتبديل ملابسه]

سليمة: (تتحرك فوق السرير. تنتبه لعدم وجود سعيد الى جانبها.. تضيء الغرفة.. تراه يتهيأ للخروج.. بدهشة واستغراب) سعيد.. ماذا تفعل؟ اين تذهب في هذا الليل؟

سعيد: سليمة.. حبيبتي.. استيقظت؟ (ضاحكا) تسللت مثل اللص.. لئلا.. ادعك..

سليمة: اين تذهب.. يا سعيد..

سعيد: سليمة.. حبيبتي.. لو.. لو.. تعودين الى النوم.. الدنيا باردة.. وانت لم تنامي جيدا بالامس..

سليمة: ولكن اخبرني.. يا سعيد.. ماذا هناك.. لماذا غيرت ملابسك؟ ماذا تنوي.. ان تفعل؟

سعيد: (يضحك) انوي؟ هاهاها.. انوي مقابلة.. المدير.. البيك المدير..

سليمة: مـ.. مـ.. ماذا.. تبغي.. منه في مثل هذا الوقت؟

سعيد: اجازة.. سليمة.. اجازة.

سليمة: اجازة؟ اية اجازة؟ و.. و.. لماذا؟

سعيد: لكي.. لكي اظل معك.. ثلاثة ايام بطولها.. لا افارقك لحظة واحدة..

سليمة:: لا.. افهم.. كيف..

سعيد: قال لي الاخوان في العمل.. ثمة قانون من حق كل من يتزوج.. ان يتمتع باجازة مدة ثلاثة ايام..

سليمة: (متسائلة بدهشة) هاه..؟ والله هذا احسن قانون. و.. ولكن لماذا.. هكذا مبكرا.. الدنيا ليل وظلام و..

سعيد: الاجازة من صلاحيات البيك المدير.. اذا وافق ارجع الى البيت واظل معك.. واذا رفض التحق بعملي دون تأخير (مداعبا) زوجك رجل مهم. (يلوح بيده بمفاتيح العمل!)

سليمة: تستاهل سعيد.. تستاهل كل شيء (تتكيء على عكازتها وهي تهم بالنزول من السرير) كل شيء..

سعيد: (يسرع نحوها) لا. لا.. سليمة.. ماذا تفعلين (يعيدها برفق الى مكانها)

سليمة: اعد لك شيئا تاكله.. يا حبيبي.

سعيد: لا.. عيوني انا راجع الى البيت في كل الاحوال وبأسرع مايكون.. نامي.. حبيبتي.. نامي بعض الوقت.. الجو بارد.. الفطور انا اعده.. اشتريه من السوق. قيمر.. دبس.. كاهي.. وصمون.. صمون حار.. حكومي.. وكل شيء.. كل شيء..

سليمة: يا عيني.. يا سعيد.

سعيد: نامي.. يا حبيبتي نامي.. ريثما اعود.. ارتاحي..

سليمة: لاتغمض لي عيني بدونك.. يا سعيد (تظل جالسة في مكانها) انتظرك حتى تعود.

سعيد: (يلقي بنفسه عليها، بفرح) و.. ننام معا (يحاول تقبيلها)

سليمة: (تدفعه برقة) عد.. عد.. بسرعة!!

سعيد: (يقفز من عندها) لمحة عين (يبحث في ارجاء الغرفة) لا ادري اين تركت الحذاء الجديد.. بالامس.

سليمة: في الدولاب مع ملابسنا الجديدة (ثم) ولماذا الحذاء الجديد يا سعيد.. الدنيا كلها اطيان.. واوحال.. و..
سعيد: (يبحث في خزانة الملابس) قلت.. لك.. يا عيوني.. اخذ.. اجازة.. اجازة..
سليمة: (بسذاجة) يعني.. الاجازة.. ماتؤخذ الا بالحذاء الجديد..
سعيد: (يضحك) لا.. عيوني لا.. الاجازة كما قلت لك، عند البيك المدير. كيف ادخل عليه بحذاء قديم.. مشقق.. مرقع.. مهترىء.. كالح اللون.. وانا في صباحية عرسي.
سليمة: (باستسلام) حق.. حق.. انت ادري..
سعيد: (يخرج الحذاء الجديد.. يمسحه.. يلمعه بدقة.. يحتذيه.. يسير داخل الغرفة بضع خطوات) جيد.. جيد.. لم يعد يعصر قدمي مثل البارحة..
سليمة: يتوسع.. قلت لك.. جراء الاستعمال يتوسع..
سعيد: صحيح.. والله صحيح.. (يتوجه نحو الباب) مع السلامة سليمة..
سليمة: مع السلامة.. عيوني..
سعيد: (ما يكاد يفتح الباب حتى يرتد على اعقابه) الله!! اية امطار.. اية امطار!! والباحة سليمة.. باحة الدار. قد غدت بركة.. (يرنو الى حذائه) كيف اعبرها.. اخشى ان.. ان..
سليمة: هل اعطيك الحذاء القديم.. (تهم بالنهوض) انه هنا.. تحت السرير
سعيد: (يسرع يمنعها) انا اخرجه (يتأمله يبادل النظر بين الحذائين) ها؟ والله.. لا ادري.. ماذا اقول..
سليمة: اسمع كلامي.. والبس القديم.. يا حبيبي..
سعيد: اجل.. اجل.. البسه.. البسه.. واعبر به باحة الدار.. و امام.. الباب انزعه
سليمة: (باستنكار وتعجب) و.. و.. تمشي.. حافيا..
سعيد: (يضحك) لا.. لا.. (يضع الحذاء تحت ابطيه. يخفي فردتيه جيدا) في الخارج البس الجديد.. الشارع نظيف (يلبس القديم) واسير على الرصيف. فوق اليابس.
سليمة: والحذاء القديم.. سعيد.. هل ترميه في الشارع..؟
سعيد: لا. لا.. اخفيه.. تحت الصفيحة.. امام الباب.. مع السلامة سليمة..
سليمة: مع الف.. الف سلامة.. (ينحسر الضوء. يتركز على سليمة. وهي تجسد ماتقول) قبعت في مكاني.. افكر به.. لم اطق صبرا.. بسرعة فائقة.. اتكات على عكازتي وتبعته.. وقفت امام الباب ارنو اليه.. ورأيته يقفز من حصوة على حصوة.. من صخرة على صخرة.. والمطر.. يهطل ويهطل.. وانا يعصرني القلق والاضطراب.. و.. الخوف عليه.. و.. و.. راح.. راح.. سعيد.. سعيدي.. و.. سعادتي.. اخ.. واعذاباه.. وا.. عذابي!!

(اظلام)

المؤلف: (من خلال حزمة الضوء) اذا كان سعيد يبغي اجازة.. فثمة سؤال مريع يطرح نفسه.. كيف تحول طلب اجازة وهو حق مشروع لكل مواطن. الى.. الى.. جريمة قتل.. او.. او.. بالاحرى الى اتهام بالقتل.. فحتى الان ليس بوسع احد ان ينفي او يثبت.. ولكن هل حقا كان سعيد.. يريد اجازة.. وهل..
صوت: (من داخل القاعة، من بين الجمهور) نعم.. سعيد كان يريد اجازة
المؤلف: (بدهشة. ينظر هنا وهناك. يفتش بعينيه بين الحضور في القاعة..) من.. من انت؟ (يصعد على المسرح شيخ، متقدم في السن.. يسير على عكازتين. يساعده البعض في الصعود. يقف امام الجمهور.. محني الرأس لفترة.. ثم.. يتكلم)

الشيخ: اه.. لكم يصبح الانسان جشعا وبشعا.. وانانيا حين تتضرر مصلحته، حتى انه لا يتورع ان يستحيل وحشا ضاريا مفترسا بلا ذمة ولا ضمير ولا..

المؤلف: ولكن يا شيخنا الجليل انى لك ان توكد على هذا النحو الجازم.. و.. و.. قبل ذلك.. لو تتكرم.. وتعرفنا بشخصك الكريم.. من انت؟

الشيخ: انا؟ اه.. لعنة الله علي انا (ثم) انا ذلك الانسان الذي احالته انانيته وحشا كاسرا (ثم) انا.. انا.. حارس المخزن الذي حل سعيد محلي.. القوا بي في دروب الجوع والفاقة والعوز وانا في هذا العمر الذابل، بلا معين ولا معيل.. يحز في نفسي ان يشطب علي على هذا النحو القاسي ويلفظوني، هكذا، لفظ النواة.. فقررت ان انتقم منه، اكيد له.. بطريقة جبانة ورخيصة.. مع يقيني ان الرجل بريء وان المسؤول الاول والاخير هو الحاج ابراهيم ولكن هل تطال يدي الحاج او المدير؟.. وجدته الاضعف بينهما، والوحيد الذي بوسعي ان انال منه.. واؤذيه..

(اظلام)

[المخزن، سعيد جالس، يدخل عليه الشيخ.. ينهض سعيد، يستقبله بحرارة]

سعيد: اهلا مام خدر.. اهلا وسهلا.. زارتنا البركة.. استرح.. استرح.. (يصب له الشاي) تفضل.. عمي.. تفضل.. (يأخذ المدفأة الى مقربة منه).. تدفأ.. مام خدر.. تدفأ.

خدر: (متجهما) اذن.. ستتزوج..

سعيد: (بابتهاج) باذن الله.. باذن الله.. الليلة..

خدر: انه الوقت المناسب حقا للزواج.. انسب وقت..!

سعيد: (بسذاجة واهتمام).. كـ.. ك.. كيف.. عمي.. كيف؟

خدر: الدنيا برد.. زمهرير.. وادفأ.. مكان هو.. احضان الزوجة..

سعيد: (يضحك) هي ليلة واحدة تنقضي في لمح البصر.. ومنذ الصباح الباكر.. تجدني هنا.. اجمد من البرد.

خدر: أ..لا.. الا تنوي ان تتمتع باجازتك؟

سعيد: (بدهشة) اجازة؟ اية اجازة.. مام خدر..

خدر: يبدو.. انك لاتدري..

سعيد: لا.. والله.. عمي.. لا ادري اي شيء.. عن.. هذه الاجازة

خدر: ابني سعيد.. من حق كل من يتزوج ان يتمتع باجازة عن العمل.. لمدة ثلاثة ايام

سعيد: (بفرح طفولي) ثلاثة ايام؟ ثلاثة ايام بطولها.

خدر: بل.. ويمكن ان تصير خمسة ايام..

سعيد: الله اكبر!.. و.. و.. واين هذه الاجازة؟ كيف.. كيف يأخذها الانسان؟

خدر: من المدير.. من عند المدير..

سعيد: (كالمصعوق) المدير؟ الـ.. الـ.. البيك المدير..؟ لا.. لا.. لا.. لا اريدها..

خدر: (مستغربا) لماذا.

سعيد: عمي الحاج ابراهيم، منعني وحذرني من الذهاب اليه.. لاي سبب كان.. وانا..

خدر: انت ماذا؟ انت تذهب اليه، تقول بكل ادب، جناب البيك، انا تزوجت، واريد اجازتي.. وتجده يقول لك.. اذهب يا ولدي الى الخاتون زوجتك.. وتمتع باجازتك..

سعيد: (يكاد يطير من الفرح) هكذا.. بـ.. بـ.. بهذه البساطة والسهولة..

خدر: نعم.. بهذه البساطة والسهولة..

سعيد: (يحتضنه. يقبل يده) بارك الله فيك عمي.. قدحك فرغ.. هاته.. اصب لك الشاي..

(اظلام)

خدر: (من خلال بقعة ضوء) اقترفت كل ذلك.. وانا اعرف حق المعرفة، من خلال عشرتي الطويلة للمدير.. انه لايمنح اجازة ساعة واحدة لاي كان.. حتى لابيه. وهو يهين ويعاقب كل من يجرؤ ويطالب باي حق من حقوقه.. ناهيك عن اجازة يوم، التي يعتبرها هدرا لامواله وسرقة مفضوحة (يتوقف) اه.. يا ربي.. اغفرلي.. لقد كنت دنيئا.. دنيئا الى اقصى حدود الدناءة والقذارة.. و.. (يتضعضع في وقفته، يكاد ينهار.. يسرع اليه.. المؤلف.. يسنده.. يسحبه.. خلف الكواليس.. ثم يعود الى مكانه..)

المؤلف: (يحدث نفسه) احساس صادق بالندم. ولكن ما الجدوى؟ انه لايجيب على السؤال الاساس. كيف تطور الموقف.. الى.. الى.. (يتردد في اطلاق التسمية) الى.. الى.. ماحدث؟ من يعرف؟ من بوسعه ان يعرف..! و.. و.. يخمن.. حتى مجرد تخمين..؟ (يجيب بنفسه) لا احد.. لا احد.. (يلقي بالقلم على المكتب. ينهض يجول على المسرح في حيرة شديدة يقترب من المقدمة. يهم بمخاطبة الجمهور، يتوقف يتراجع. يعود ثانية.. يتكرر التقدم والتراجع.. بضع مرات. وكذلك محاولته وتردده في مخاطبة الجمهور.. ثم يتغلب على تردده) ما الجدوى؟ ما جدوى اللف والدوران. لابد من المصارحة لابد من الاقرار والاعتراف بالحقيقة.. (صمت وترقب) الحقيقة التي اقولها لكم، ايتها السيدات والسادة، في النهاية، هي ماقلتها في البداية.. (يسكت. يتردد) كيف اقولها؟ لا اعرف كيف اقولها.؟

صوت: (من القاعة) قلها كيفما تشاء.. المهم ان تقولها و تخلصنا..

المؤلف: (بسرعة) لا مسرحية ليست ثمة مسرحية..

(فوضى وضوضاء في القاعة.. واصوات استياء وامتعاض واستنكار.. من مختلف انحاء القاعة)

-: نعم؟ لا مسرحية؟ لماذا اذن خدعتمونا..؟

-: هل تمزح؟ لماذا تحبسوننا اذن.. منذ اكثر من ساعة..؟

-:لقد اهدرتم اموالنا واوقاتنا.. والان تقول لنا بكل بساطة.. لا مسرحية!!

المؤلف: ماذا افعل؟ لقد طلبت منكم منذ البداية ان تساعدوني.. وانتم لم تفعلوا شيئا..

-: وماذا بوسعنا ان نفعل.. نحن مجرد مشاهدين..

المؤلف: انا ايضا.. ليس بوسعي ان افعل شيئا اذا لم يتكلم سعيد..

-: ليتكلم لماذا لايتكلم.. أامروه.. ارغموه.. ليقل لنا الحقيقة.

-: اجل. اجل.. ليقل الحقيقة (تتعدد مصادر الاصوات وتتكرر) هو وحده الذي يعرف الحقيقة

-: ليقلها اذن.. ليقلها.. قد تنقذه..

-: (اصوات خافتة) وقد تدينه.. المسكين..

-: ليكن مايكون.. الحقيقة لا تستحي.. ولا تخجل من احد..

اصوات: هيا.. سعيد.. هيا.. سعيد.. قل لنا الحقيقة.. دعنا نعرف الحقيقة.. هيا.. كن شجاعا.. كن رجلا.. لا تتردد.. لاتخف.. قد تكون بريئا.. هيا.. هيا.. (تتردد الاصوات وتتكرر.. بشكل متواصل ومتصاعد.. يخرج سعيد)

سعيد: (مكبل اليدين.. ينظر هنا.. وهناك.. كالابله.. كانه ينتظر ان تخفت الاصوات) ساتكلم.. (فرح في القاعة وصمت) وانشاءالله لا اتكلم الا بالحق.. ولا اقول الا الحقيقة.. (اصوات استحسان وتشجيع) ساروي لكم ماحدث. كل ماحدث وجرى.

(اظلام)

[يضاء المسرح. امام باب المكتب.. حيث التقى سعيد وخورشيد. سعيد جالس في مكانه يجفف ملابسه، يعصرها.. يتطلع هنا.. وهنا.. بقلق متزايد.. ينهض.. يجلس.. يتمشى امام الباب، بصمت وخفوت. يتوقف ثوان.. يهم بطرقه.. يتردد.. يمتنع. يعود الى مكانه]

سعيد: تأخر! عمي خورشيد تأخر كثيرا! (مطر.. برق.. رعد في الخارج) ماشاءالله.. بركة.. خير وبركة.. ترى ماذا تفعل سليمة في هذا الجو.. كيف تدبر حالها مع هذا الفيضان؟ حتما. فاض البيت الان.. والسقف.. اه.. اخشى ما اخشاه ان يكون السقف.. قد اخذ يخر وامتلأت الغرفة بالماء. ماذا بوسعها ان تفعل المسكينة.. بساق واحدة (ينهض) اعود.. اعود الى البيت احسن.. (يتردد) قد.. قد.. يأتي عمي خورشيد.. في اية لحظة. سيأتي. لابد ان يأتي.. (يجلس) الله كريم.. (ثم) انا المسؤول عما جرى لها.. انا المسؤول. لماذا تركتها وحدها؟ ولكني كنت اجمع لها الزهور.. من اين ظهرت لها تلك الحية الملعونة.. والتفت على ساقها.. اخ.. اخ.. ترى الا.. الا تنفعها ساقي؟ والله.. لو كان يمكن ان يشدوها اليها.. لقطعتها.. وانا.. اسعد.. ما اكون. انا استطيع السير.. على عكازة.. بساق واحدة.. ولكن.. هي.. اه.. هي.. اما من وسيلة اما من طريقة.. اما.. من علاج..؟ الطبيب في المستشفى.. قال.. قال..

(اظلام)

[يضاء المسرح، المستشفى حيث كان سعيد نفسه يتعالج.. سعيد بملابس مرضى الامراض العقلية. يخطو في الممر.. يلمح احد الاطباء، ببدلته البيضاء.. يهرع نحوه..]

سعيد: دكتور.. دكتور.. رجاء.. عندي.. سؤال..

الدكتور: (يتوقف.. باهتمام ومودة) تفضل.. ابني.. تفضل..

سعيد: (مرتبكا لايعرف كيف يبدا).. لو.. لو.. دكتور.. يعني.. يعني.. (يسكت)

الدكتور: لو.. ماذا.. ابني؟ قل.. انا مصغ..

سعيد: لو.. واحد.. واحد.. انسان.. قطعت رجله.. ساقه.. ساقه كلها.. هـ.. هـ.. تطلع له ساق جديدة؟

الدكتور: (يضحك) ها؟ ساق جديدة؟ هل هو شجرة.. اذا قطع منها غصن.. ينبت اخر..

سعيد: اه.. يعني.. يعني (مخاطبا نفسه) تقضي العمر كله.. بـ.. برجل واحدة.

الدكتور: ليس بالضرورة..

سعيد: (مستبشرا) ها..؟ كيف.. كيف دكتور.. انت تقول.. لاتطلع رجل اخرى.. بدل..

الدكتور: (يبتسم) طبعا.. لاتطلع..

سعيد: (بخيبة امل، يفتح فاه) هاه..

الدكتور: يمكن ان تصنع له رجل اخرى.. رجل اصطناعية..

سعيد: هـ.. هـ.. هل يمكن.. يمكن يعني.. ان.. ان..

الدكتور: طبعا يمكن.. ويمكن جدا.. العلم اليوم يصنع المعجزات.. ولا شيء يعصى عليه..

سعيد: (يقبل يده) بشرك الله.. خيرا.. يا دكتور.. بشرك الله..

الدكتور: (يسحب يده بسرعة).. العفو.. ابني.. العفو..

سعيد: دكتور.. و.. و.. هذه الرجل.. او الساق الساق.. اجل الساق.. ستكون مثل الاصلية

الدكتور: تقريبا.. والى حد كبير..

سعيد: يعني.. يعني.. لن تكون ثمة حاجة.. للعكازة..

الدكتور: يمكن الاستغناء عن العكازة.

سعيد: (يطلق صرخة فرح عفوية) الله! الله! سليمة.. سليمة! ستعود لك ساقك.. اعيد لك ساقك (ثم) دكتور.. رجاء.. لا.. لا.. لاتغضب. من اسئلتي والحاحي.

الدكتور: لا.. ابني.. لا.. ابدا.. اسأل.. انا حاضر..

سعيد: دكتور.. يعني.. يعني.. حتى.. حتى.. لو كانت.. بنية.. امرأة..

الدكتور: وما الفرق يا ولدي.. امام العلم.. يتساويان..!!

سعيد: (منتشيا) يعني.. يعني.. حتى لو.. لو.. كانت حية.. قد اكلت رجلها.

الدكتور: (يضحك بطلاقة، ويربت على ظهر سعيد بعطف) حية؟ حية تأكل.. رجلا كاملة؟ لعل هذه الحية.. تمساح.. (اظلام)

سعيد: (في مكانه) فاتني ان اسأله كم يكلف ذلك (ثم) ليكلف ما يكلف.. المطر هذه السنة والحمدلله بركة. والموسم يبشر بالخير.. ومحمد لايبخل علي بشيء.. (حالما) اه.. يا ربي.. لو.. لو تعود لها ساقها.. لو اراها تمشي على ساقيها من غير عكازة. كما كانت (بتصميم) ساعيد لها ساقها.. تالله ساعيدها مهما كان الثمن.. مثلما افقدتها اياها لابد ان اعيدها اليها. مادمت قد عرفت ان ذلك ممكن.. (الساعة من غرفة المدير تدق، ينتبه) ترى كم صارت الساعة ارجو الا تكون قد بلغت السابعة، وقت دوامي في المخزن.. اه.. المخزن مغلق والمفاتيح عندي، سيتأخر الوقت.. ويتعطل العمال عن اشغالهم.. بسببي.. اه.. ماذا افعل؟ وعمي خورشيد لم يأت (يتقدم نحو المكتب) سأدخل عليه.. (يتردد) الافضل ان انتظر العم خورشيد.. هو قال انتظرني ريثما اعود.. ولكن اين هو؟ ماذا جرى له؟ (يجلس.. تدق الساعة مرة اخرى) اه.. الوقت يمر سريعا.. سادخل عليه (يتقدم نحو المكتب.. يتوقف. يطرق الباب نصف الموارب طرقات خفيفة جدا.. لاتكاد تسمع.. يعيد الطرق. بضع مرات. يدفع ظلفة الباب بخفة وهدوء.. تلوح له سجادة زاهية مفروشة. يتوقف) اه.. يا لها من سجادة!! كيف.. امشي فوقها.. انها.. تتسخ و ه.. هل.. انزع حذائي.. و. ولكن.. هل.. اقف في حضرته.. حافيا؟ لا.. لا يليق بمقامه.. (يفكر، يمسحه مجددا. قدما بعد اخرى، يفقد توازنه، يكاد يسقط. يمسك الحاجز الخشبي، يتوازن بصعوبة.. يخطو الى الداخل.. المدير يتطلع عبر النافذة الى الخارج.. المطر مايزال يهطل بغزارة.. وهو واقف جامدا..)

سعيد: (يسعل بضع سعلات خفيفة.. محاولا جذب اهتمامه. لا جدوى. بصوت مختوق خافت) ب.. بيك.. ص.. صبا.. ح.. الخير.. (لاجواب، لنفسه) الا يسمعني..؟ يبدو انه لايسمعني.. المطر لايدعه يسمعني.. (بضع محاولات اخرى.. يكف عن محاولاته غير المجدية.. يقف هو الاخر في مكانه.. يرنو الى المطر ببشاشة.. يبتسم.. تتسع ابتسامته.. تزداد بشاشته.. يديم النظر.. بفرح وبهجة. مسحورا بالمطر..)

المؤلف: (صوته فقط) المطر اوحى بصورتين متباينتين متناقضتين.. لكل من الرجلين. مع ان المطر هو نفسه.. والمنظر من خلال النافذة نفسه ايضا.. ولكن كلا منهما.. شاهد مشاهد مختلفة.. مختلفة تماما..

سعيد: (فيلم سينمائي من خلال عينيه، يجسد مايقول.. ويفكر.. ويحلم.. مصحوب بموسيقى فرح.. واغنيات فولكلورية.. ودبكات ورقصات.. فردية موحية.. وجماعية.. الخ..) رايت الدنيا تكتسي بالخضرة.. ترتدي ازهى وابهج مناظر الطبيعة.. الجبال.. والوهاد.. والقرى.. كل قرى شوان.. تومار.. كلاوقوت.. حةسار.. طوبزاوه.. وسواها والمزروعات، كل المزروعات، النائمة.. ترفع رأسها مثقلة بثمارها.. والميتة منها تدب فيها الحياة وتنتعش.. والحيوانات الجوعى العطشى.. ترعى.. ترتوي.. والوجوه كل الوجوه، التي يريم عليها الحزن

طوال السنة، تنشرح.. تبتهج. تضحك.. والناس في ابهى وازهى ازيائهم، يرقصون.. يغنون.. يدبكون.. كأنهم في عيد نوروز.. و.. و.. رأيت سليمة، اي والله، رأيتها بكلتا عيني، ملء عيني وانامعها في حلقة من حلقات الرقص العديدة، وهي بساقين سالمتين طويلتين.. ممشوقتين.. نرقص نغني.. نغتسل تحت المطر الحنون.. اه.. انه نوروز.. نوروز.. احلى وابهى من كل الاعياد..

المؤلف: (صوته) اما المدير.. فقد تتالت عليه صور كابوسية خانقة..

المدير: [فيلم سينمائي.. من خلال عينيه. الصور تترى مصحوبة ببروق ورعود وزوابع واصوات انهيارات.. وسيول تجرف المباني والعمارات.. وعدة العمل.. سيارات لوريات.. جرافات.. بلدوزرات.. شفلات.. الخ.. الخ.. المطر يهطل بغزارة اشد واقوى مما هو في الواقع.. سيول عارمة تجرف اطنان السمنت والجص.. وتهدم البنايات الشامخة.. وكل ذلك يستحيل، من خلال عينيه، الى اكداس واكوام من مختلف الفئات النقدية. تحترق.. تتلف. العمال مبتهجون بهذه الخسائر الجسيمة والانهيارات الهائلة.. يرقبونها في فرح، كأنهم في عرس ثم يعودون مع حلول المساء الى طوابير.. لها بداية وليست لها نهاية.. بانتظار اجورهم.. المدير بينهم، يتضعضع يكاد ينهار.. تختفي وجوه العمال. يمتليء الكادر بالايدي والاكف مئات الايدي والاكف وهي تطالب بالاجور.. وقبضات مشدودة تهدد. تنتزع الاموال من حقائب المدير.. ثم من جيوبه. ثم تجرده من ملابسه.. ثم تتحول الى افواه جائعة مفتوحة وانياب بارزة وقواطع حادة، تنهش لحمه. ولا يبقى منه سوى هيكله العظمى الذي يتداعى، من الضربات.. ثم اقدام ضخمة تملأ الكادر.. تسحق الهيكل العظمى..]

المدير: (ينتفض) لا.. لا.. لن يهزمني مجموعة اوغاد.. لن يأكل لحمي حفنة ذئاب مسعورة.. انا لحمي مر.. انا لحمي حديد.. سموم..

سعيد: (يرقب المشهد مذعورا يتراجع) ماذا به؟ ماذا جرى له (يصطدم بالحاجز الخشبي. يتوقف)

المدير: الان.. الان اريهم من انا.. وماذا بوسعي ان افعل بهم (يهجم على التلفون، يدير بضعة ارقام) لا احد. لا احد من الافندية.. كلهم راقدون بين افخاذ نسائهم.. وانا وحدي هنا.. اتمزق..

سعيد: (يخفي وجهه خجلا مما يسمع) ارجع.. الا حسن ان ارجع (يتراجع) لقد.. لقد رآني.. (يتوقف.. المدير يحدق بالمجهول بعيون من زجاج لاتطرف، ولاترمش) بـ.. بـ.. بيك.. سـ.. سـ.. سلام.. عليكم (يرفع كلتا يديه فوق رأسه. المدير لايجيب) لم يسمعني.. صـ.. صوتي اختنق في حنجرتي. (يسعل) بيك.. بيك.. صـ.. صـ.. صباح الخير.. صباح الخير.. بيك..

المدير: (بغلظة) ماذا تريد؟

سعيد: (لنفسه هامسا) اما.. اما.. يرد على سلامي.. اولا..!

المدير: لماذا خرست.. ماذا تريد؟

سعيد: (في غاية الارتباك) انا.. انا (يبرق) انا.. الحارس.. الـ.. الـ..

المدير: (يسد اذنيه. ثم.. يضرب ارقاما في التلفون. يلقي السماعة بعنف) اولاد الكلب. متى تأتون..؟ متى تعملون؟ متى؟.. متى؟.. متى..؟

سعيد: (بصوت خافت) يأتون.. انشاءالله.. يأتون..

المدير: انت لماذا تقف هناك..؟ ماذا تريد..

سعيد: بـ.. بيك.. أ.. أ.. أنا الحارس.. الحارس الجديد.. في.. في..

المدير: (يكظم غيظه) لم اسالك من انت.. سألتك ماذا تريد؟ لماذا انت هنا..؟

سعيد: بيـ.. بيك.. أ.. أ (ريح قوية تفتح ظلفة النافذة)

المدير: سدها. سدها بسرعة.

سعيد: أمرك.. بيك.. امرك (يسد النافذة. يخطو نحو المكتب. المدير يحدق به.. يتوقف بوجل.. «صوته») امرني.. قف. قالها بعينيه.. كما كانوا يأمروننا في الجندية. قف.. مكانك.. قف و.. شرعت ارتجف (يرتجف فعلا..)

المدير: (صارخا) تكلم.. تكلم.. انطلق..

سعيد: أ.. أ.. انا.. انا.. بيك.. انا.. الـ.. الحارس.. الـ..

المدير: (يكاد يفقد اعصابه. يقاطعه) عرفت.. عرفت.. فهمت.. انت الحارس.. (يصرخ) ماذا تريد.. قل لي ماذا تريد؟ تكلم.. يا هذا.. تكلم..

سعيد: («صوته») هممت ان اتوسل اليه.. اترجاه.. ان.. ان. لا يعيط بي.. لعلي اجرؤ ان اتكلم. ولكني لم اجرؤ ان افتح فمي.. والله العظيم لم اجرؤ ان اقول كلمة واحدة.. لبدت ساكتا.. اخرس.. وقد غدا لساني.. صخرة.. تأبى الحركة.. تأبى النطق.. وصرخ بي ثانية..

المدير: لماذا.. لاتتكلم؟ لماذا لا تفتح فاك؟

سعيد: «صوته» شجعتني ليونة نبرته ان افتح فمي فقلت (بصوت عال).. انا.. انا.. تزوجت.. تزوجت الـ.. (يسكت اذ يراه قد انصرف كليا الى التلفون)

المدير: (في التلفون) اخيرا.. شرفت جنابك!! وصلت يا باشا..؟ لماذ ازعجت نفسك، اما كان الاولى بك ان تمكث في فراشك.. حتى ينقضي النهار كله.. اسمع.. اسمع.. لا تقاطعني مرة اخرى. من تعتبر نفسك. رئيس وزراء؟ انت رئيس عمال.. رئيس حثالة لا وزراء.. لعلمك. بكلمة القي بك في المزبلة.. الساعة تجاوزت العاشرة.. (الساعة تدق سبع دقات)

سعيد: (يستحيل وجهه علامة تعجب واستنكار) سبعة.. انها سبع.. دقاق.. وليست عشراً..

المدير: (في التلفون. مستمرا) اجل. اجل.. الان.. في التو واللحظة وبدون اي تأخير.. تأخذ السيارة وتعبئها بالعمال.. من بيوتهم. من قبورهم.. من احضان نسائهم.. اينما كانوا. تلك مسؤليتك انت.. انا لا ادفع لكم لكي تناموا.. افصلهم.. افصلهم كلهم واعثر على عمالٍ اخرين.. من اين؟ من مساطر العمال.. من ساحات الشحاذين.. ابحث عنهم.. جدهم انهم.. بعدد الذباب.. (يغلق التلفون) كلاب. كلهم كلاب. لا احد يعطف علي.. لا احد يرأف بحالي.. اه.. لا احد.. لا احد.. (يكاد يبكي.. يرتمي على المكتب)

سعيد: (مشفقا ومتعاطفا) كان الله في عونك..!!

المدير: (يرفع رأسه) انت؟.. اما تزال هنا..؟

سعيد: (يعود اليه ارتباكه واضطرابه) بيك.. أ.. أ.. أنا.. أنا..

المدير: انت الحارس.. الجديد.. عرفت والله عرفت.. والان ماذا تريد..

سعيد: بيك.. اريد.. اريد.. أ.. أنا.. أنا..

المدير: (يكاد ينفجر) اعوذ بالله من الشيطان الرجيم.. تكلم.. تكلم.. والا (يهم ان يضربه بجهاز التلفون..)

سعيد: (مرتعدا) بيك... انا.. انا.. تزوجت..

المدير: (مصعوقا) هاهاه ه..؟؟

سعيد: البارحة.. بيك.. تزوجت البارحة و.. و.. الجماعة (يرن التلفون، يسكت)

المدير: (في التلفون. بحدة) لا. لا تأخذ «البيكاب» كم عاملا تتسع «البيكاب» عشرة؟ عشرين؟ اجل.. اجمع مئة

مثتين.. اريد العمل يستمر.. نعم؟.. اجل.. حتى لو اطبقت السماء على الارض.. خذ «اللوري» خذ «التريلة» (يغلق التلفون، ساهما هنيهة ثم فجأة) وهذا الحيوان كيف نسيته!! (يخابر) ابراهيم؟ نائم؟.. ميت؟ اين انت؟.. انت الاخر لاتختلف عن اولئك الاوباش..! خذ معك بضعة عمال.. وغطوا الاسمنت.. الجص.. الحصو.. حافظو، على الاقل.. على ماتبقى منها (يغلق التلفون) ملايين الدنانير مرمية في الشوارع.. ولا احد يحفل بها.. اه.. اه..

سعيد: حق.. والله.. حق.. الله.. يـ.. يساعدك.. بيك

المدير: الله يساعدني عليك.. لا على اي شيء اخر.. فانت.. كارثة الكوارث كلها..

سعيد: (بدهشة) أ.. أ.. أنا..

المدير: انت مصيبة.. فوق رأسي.. اكبر من كل المصائب التي تسحقني.. انت..

سعيد: بـ.. بـ.. ك.. انا..

المدير: الا تقول.. لي.. ماذا تريد.. منذ الصباح الباكر.. مني..؟

سعيد: بيـ..

المدير: (يقاطعه)انت الحارس الجديد.. وانت تزوجت البارحة..

سعيد: (بفرح) صحيح.. بيك.. والله.. صحيح..!

المدير: والان.. ماذا تريد؟.. ما المطلوب مني.. ارقص؟ اغني؟ اصفق؟

سعيد: لا.. لا.. استغفرالله.. هـ.. هـ.. هل يجوز.. هـ هل.. يمكن.. ان.. ان.. استغفرالله!

المدير: اذن.. ماذا.. ماذا (يصرخ) للمرة الالف اكررها عليك.. ماذا تريد.. ماذا تريد؟

سعيد: (بتوسل وسرعة) بيك.. بيك.. فدوة.. لو. لو.. تصبر علي.. بـ.. بعض الوقت.. حتى.. حتى.. آلم.. نفسي.

المدير: (بدهشة) تلم.. نفسك..؟

سعيد: اقصد.. الملم كلامي.. و.. واستطيع.. ان اتكلم..

المدير: (رغما عنه، يتراجع الى الخلف) حسنا.. صبرت ها انا.. صابر..

سعيد: (مايزال مرتبكا. ثم يهم بالكلام)

المدير: (يقاطعه) لاتعد علي ماقلته مليون مرة..

سعيد: لا.. لا.. بيك.. لا.. لا افعل.. ان شاءالله.. لا افعل..

المدير: (بصرامة) تالله لو فعلت.. لا حملك وارميك.. بين انياب المطر..

سعيد: (يتخاذل تماما.. ينكمش على نفسه.. في حال يرثى له، لايقوى على الكلام)

المدير: (مدركا حاله ومشفقا عليه.. بنبرة عطوف) هيا.. تكلم.. تكلم يا ولدي وانقذني.

سعيد: «صوته» ورميت كل ثقلي واعتمادي على كلمة.. ولدي.. وشحنتني نبرة صوته التي بدت لي عطوفا وحنينا جدا.. خلافا لكل ماجرى، بقوة وشجاعة.. فقلت بسرعة.. و بلا اي. تردد او تلكؤ.. وبصوت واضح، استغربت انا نفسي منه: اريد اجازة.

المدير: ها...

سعيد: اجازة بيك.. اجازة.. يوم.. يومين.. كما تشاء.. وتقرر.. «صوته» وسرى في داخلي هدوء تام.. اذ افرغت نفسي من كل انفعالاتي.. ونجوت من الكابوس الذي كان يطبق على روحي.. منذ جئت الى المكتب.. آآآه.. الحمد.. لله!!.

المدير: (تبرق السماء في اللحظة التي يهم بالكلام.. يتبعه ازيم الرعد.. يسد اذنيه) اخرج.

سعيد: (الذي لم يسمعه.. بسبب الرعد) نعم.. بيك.. نعم..؟

المدير: (يصرخ) اخرج..

سعيد: (بسذاجة) و.. والاجازة.. بيك..

المدير: ليست.. لك.. اجازة.. اخرج..

سعيد: (بسعادة من نجا من خطر حقيقي، يرفع يديه نحو السماء) لك.. الشكر يا رب.. لك الشكر. (للمدير) الله يرضى عليك ويوفقك يا.. بيك.. (يستدير ليخرج، ممتنا)

المدير: مـ.. ماذا تقول..؟ انت تدعو علي! آنا قليل المصائب؟ يا.. يا..

سعيد: (يتوقف) ابداً.. والله يا بيك.. انا.. ادعو.. لك بالموفقية ورضى الله.. و..

المدير: آ.. أنت تسخر مني تستهزيء بي..

سعيد: معاذالله.. استغفرالله.. ان..

المدير: (محتدا) انت.. كذاب.. وحتى طلبك.. كذب

سعيد: (بصدق) لا والله.. يا بيك..

المدير: انت هنا.. لغرض اخر.. في نفسك غرض اخر.. انا.. اعرفه..

سعيد: بيك.. اقسم لك.. بكل ماتؤمن به.. ان.. لا شيء في نفسي.

المدير: كلكم من الطينة الخسيسة نفسها.. مخادعون.. كذابون.. غدارون..

سعيد: بيك.. ارجوك.. انا..

المدير: اخرج.. اخرج حالا.. ولا ترني وجهك، ثانية.. ابدا.. ابدا..

سعيد: حالا. جناب البيك.. حالا.. انا.. خارج (يستدير ليخرج فعلا) امرك.. امرك..

المدير: (فجأة) لا. قف.. عندك.. قف عندك.

سعيد: يتوقف. بحرقة) ربي.. نجني.

المدير: بماذا تتمتم؟ (سعيد لايجيب) انت.. تدعو علي ثانية.. انت.

سعيد: لا.. وحقك.. يا بيك.. لا..

المدير: لا تقسم.. بحقي.. يا كلب..

سعيد: (مصعوقا.. يغدو.. في حالة غريبة فجأة.. يردد..) كـ.. كـ.. كلب؟.. انا. كلب؟ «صوته» وتخيلت نفسي.. انا الذي تزوجت البارحة.. قد صرت كلبا.. باذنين.. واقفتين.. وبوز طويل.. وذيل.. اهر وانبح.. وادخل على سليمة.. باربع قوائم.. فتفزع من مراي وترتعب.. تنهال علي بالضرب.. بعكازتها.. وتغلق الباب.. بوجهي.. وادب في الطرقات والازقة وفوق المزابل.. بلا مأوى.. فانتفضت على خلقتي الكلبية. وسمعت صوتي يصرخ به بقوة: «لست كلبا.. انا لست كلبا».. ورددت الغرفة.. الصدى: «انا لست كلبا.. لست كلبا».. لفترة.. واظلمت الدنيا في عيني ووجدتني اخطو نحوه واذناي ممتلئان بالصدى التي لا تسكت.. ورحت اضرب على مكتبه بقبضتي بقوة.

المدير: (برعب حقيقي) لا.. لا تقترب. لا تقترب..

سعيد: (صوته) ورأيته قد انكمش على نفسه وبدا خلف مكتبه الضخم. كومة.. مجرد كومة.. لا.. لا اعرف ماهي.. فاخذتني الشفقة عليه بالرغم من كل شيء فتوقفت.. وحمدت الله ان ليس معنا احد ثالث سمعه

يوصمني بالكلب.. تالله.. لو سمعه احدما.. لخنقته فوق كرسيه.. تمالكت نفسي وخاطبته باقصى ما استطيع من.. الهدوء: «الاجازة اجازتك، من حقك ان تمنحني اياها او تمنعها عني.. ولكن ليس من حقك.. ولا من حق اي مخلوق ان يمس كرامتي.. ويشتمني».. واستدرت لاخرج.

المدير: (متشجعا اذ يراه يبتعد) لا. لن تنجو بهذه البساطة (يتناول التلفون) تهينني وتهددني.. و. وتخرج لا. الشرطة الشرطة.. تتصرف مع امثالك المجرمين.

سعيد: «صوته» كلمة الشرطة اصابتني بالانهيار.. فقد تذكرت ما فعلته قبل بضعة اسابيع بالعمال الذين قيل انهم.. اضربوا مطالبين بزيادة اجورهم وتقليص ساعات عملهم.. فاخذت اتوسل به مرة اخرى.. وارجع نحوه.. لامنعه من الاتصال بالشرطة.. بيك بيك.. ارجوك.. بيك..

المدير: ابتعد.. ابتعد.. عني.. لاتقترب مني.. لا تقترب..

سعيد: امرك.. بيك.. امرك.. ولكن.. لاتتصل.. بالشرطة.. ارجوك.

المدير: انت جئت ناويا على قتلي.. على نهبي..

سعيد: بيك.. بيك.. اقبل يديك.. دعني.. اخرج.. بيك.. ولا.. تتصل بـ..

المدير: تخرج؟ بهذه البساطة.. بلا حساب ولا عقاب..

سعيد: بيك.. حاسبني.. عاقبني.. كما تشاء.. افصلني.. اطردني.. ولكن بدون ان.. «صوته» ولم تجد معه كل توسلاتي.. فاسرعت نحوه.. لاسيما وقد سمعته..

المدير: الو.. الو.. الشر..

سعيد: «صوته» فأمسكت بيده واعدت السماعة الى مكانها.. فتضاءل هو في مكانه اكثر مما كان.. وحسبته ينوي الاختباء تحت المكتب..

المدير: (يتوسل بسعيد) لا.. لا تقتلني.. خذ.. كل ما تريد.. كل الفلوس هنا.. في الخزانة.. خذ.. خذ.. المفتاح.. افرغها.. افرغها.. كلها.. فقط حافظ على حياتي لا.. لا.. تقتلني.. اقبل يديك..

سعيد: (يحتضنه) بيك.. بيك.. انا لا اريد اي شيء.. اريد سلامتك حسب.. بيك انا.. انا لست قاتلا.. ولا سارقا.. انا..

المدير: خذها.. خذها.. خذ كل اموالي.. لن اخبر احدا.. لن اقول لاحد..

سعيد: بيك.. ارجوك.. اتوسل اليك.. اسمعني.. اسمعني حسب.. انا.. انا.. ارجوك ان تسامحني.. ان تعفو عني.. هات.. يديك.. اقبلهما.. هاتهما.. (المدير ينكمش اكثر.. فاكثر) هات.. رأسك.. اقبلها.. يا بيك.. هات رأسك.. (يحتضن رأسه فعلا.. ويقبلها)

المدير: (صوت حشرجة قوية يختض بين يدي سعيد.. ثم.. يخمد و.. وصمت مطبق)

سعيد: (يخضه.. يحركه) بيك.. بيك.. تكلم.. بيك ارجوك.. بيك.. فداك.. بيك.. فدوه.. بيك.. تكلم.. اه.. اه.. (سعيد يجمد هو الاخر.. تجحظ عيناه.. يتشنج.. يروح في نشيج حاد.) اه.. مـ.. ما.. ت.. هذ.. هـ.. هذا.. مات.. هـ.. هو.. مات.. والله.. هـ. هو مات.. والله العظيم.. هو.. هو.. مات..

حديث حول اشكالية تفسير القرآن والسنة النبوية في لقاء مع الكاتبة الهولندية المصرية الاصل «ناهد سليم»

اجرته: فينوس فائق

يعتبر كتاب (نساء النبي) لكاتبته الهولندية، المصرية الأصل، ناهد سليم، الذي أصدرته عام ٢٠٠٣ باللغة الهولندية، من الكتب المهمة التي صاحبتها ضجة إعلامية في الأوساط السياسية و الإعلامية الهولندية.. النسخة المترجمة إلى اللغة الألمانية و التي تحمل عنوان (أنزعوا القرآن من أيدي الرجال) تسبب هو الآخر في ضجة أخرى في ألمانيا.. تتناول الكاتبة قضية من أهم القضايا حالياً و هي قضية تفسير القرآن و الحديث النبوي، الذي تم لحد الآن على أيدي مفسرين رجال فقط، و الذي ألحق الضرر الكبير في مساعي المرأة نحو الحصول على حقوقها، و حرمها من الكثير منها، بسبب التفسير الرجولي الذي يخدم دائماً مصلحة الرجل في ظل الشريعة الإسلامية.. حيث من المهم جداً أن تشارك المرأة في تفسير القرآن و السنة النبوية و حتى في كتابة السيرة النبوية، على الأقل من أجل تحقيق المساواة..

ناهد سليم من مواليد مصر، تبلغ من العمر ٥٣ عاماً، مقيمة منذ ما يقارب الـ٣٣ عاماً في هولندا.. منذ بداية نشاطها الكتابي و هي تسعى من خلال أفكارها و طروحاتها خدمة مسألة إصلاح الدين و تحديثه وأنسنة الدين الإسلامي و إشراك المرأة في تفسير القرآن و السنة النبوية.. ناهد سليم لم تخرج عن الدين الإسلامي إلا أنها تطالب بتغيير روح الدين و أقلمتها مع روح العصر و تحديث مبادئ الدين الإسلامي، مثل مسألة بقاء الفتاة عذراء حتى وقت الزواج، قتل المرأة بدافع غسل العار، الذي يعني حسب رأيها أن المرأة لا تملك جسدها، ومسألة الحجاب وعدم المساواة بين الرجل و المرأة..

قبل هذا الكتاب أصدرت ناهد سليم باللغة الهولندية كتاباً آخر بعنوان (رسائل من مصر) عام ٢٠٠٠، وبعد كتاب (نساء النبي) اصدرت عام ٢٠٠٥ كتاباً بعنوان (الصمت خيانة) الذي تتحدث فيه عن النساء المسلمات..

و هي الآن عضوة في اللجنة الداعمة للجنة

المسلمين السابقين في هولندا التي تأسست على يد الشاب إحسان جامي من أصل إيراني في هولندا و تم الإعلان الرسمي عنها في شهر مارس ٢٠٠٧ هذا العام.. و هي لجنة تختص بشؤون المسلمين الذين لم يعودوا يؤمنون بالدين الإسلامي..

حول كتاب (نساء النبي) و لجنة المسليمين السابقين في هولندا، كان لي هذا الحديث مع ناهد سليم، حيث أحببت التطرق إلى إشكالية تفسير القرآن و السنة النبوية من قبل الرجل و فتح باب لحديث من طراز آخر عن الدين و إصلاح الدين لكن من خلال إمرأة، و طرح أهم سؤال و هو هل بإمكان المرأة أن تشارك في نقاش من هذا النوع و التطرق لمثل هذه الإشكالية التي لم يتم التطرق إليها إلا من خلال الرجل؟

لقاء: فينوس فائق

صحافية كوردية مقيمة في هولندا

❖ كتاب (زوجات الرسول)، هل هو إنتقاد للدين الإسلامي و القرآن، أم إنتقاد لتفسير القرآن والسنة النبوية على أيدي الرجل، أي التفسير الأحادي من قبل الرجل؟ و هل من الممكن التطرق إلى قضية أو إشكالية الجنس (رجل و إمرأة) بين طيات تفسير القرآن و من ثم فتح باب نقاش من نوع آخر تشارك فيه المرأة؟

أعتقد أن هذا ممكن، كتاب نساء النبي كان بالدرجة الأولى هو إنتقاد للتفسير الذكوري للقرآن و مفهوم الدين بشكل عام الذي إحتكره الرجال من قديم الزمان، وهذا الإحتكار يؤدي إلى تضييق النظرة للدين بشكل عام، وإلى حرمان المجتمع من وجهة النظر النسائية.. والتفسير الذكوري للقرآن أدى أيضاً إلى الإعتقاد بأن الدين الإسلامي و تغطية الشعر مثلاً شيء ينص عليه القرآن وبينما هذا شيء ليس مؤكداً، على الأقل هناك لحد الآن إختلافات في الرأي في هذا الموضوع، لأن الكلمات المستخدمة في القرآن لا تعني الحجاب بالمعنى المتعارف عليه الآن.. ونقطة



أخرى وهي أن التفسير الذكوري أدى إلى مفهوم الحريم وإعتكاف المرأة عن الحياة العامة وحبسها داخل البيوت، و حرمانها من التعليم والعمل، فهذا التقليد كان منتشرا في كل البلدان الإسلامية لغاية نهاية القرن التاسع عشر أو منتصف القرن التاسع عشر، وفي بعض البلدان موجود لحد الآن، سبب كل هذا يعود إلى تفسير خطأ لآية معينة في القرآن، و هي آية الحجاب التي نزلت في نساء الرسول، و بالذات في زوجته زينب بنت جحش.. قال فيها انه يجب أن يكون بين الرجال و النساء حجاب أو جدار أو ساتر أو ستار، هذا كان في الوقع محددا و خاصا بنساء النبي، إذا تحدثن مع رجل غريب أن يكون من وراء حجاب. فيما بعد تطور مفهوم الحجاب من مفهوم مقتصر على نساء النبي إلى مفهوم عممه الفقهاء على كل النساء المسلمات، وبناتهم. و بهذا حبسوهم في سجن مدى العمر، وتطور المفهوم من مجرد حاجز أو ساتر أو باب إلى حجاب متحرك ترتديه المرأة تلبسه و تأخذه معها إلى كل مكان ترتاده متى ما نزلت إلى الحياة العامة.. كأنها بالرغم من وجودها في الشارع مازالت وراء الحجاب أو الستار أو الجدار الذي نصت عليه سورة النور، أعتقد

هي الآية ٣٢..

❖تركزين بشكل خاص على الحجاب، هل هذا هو القصد من إنتقاد التفسير الذكوري للقرآن و السنة النبوية؟ أم أن هناك أمورا أخرى ممكن طرحها للإنتقاد في هذا المجال؟

لا هي بالواقع مجرد أمثلة، لأن حينما اقول التفسير الذكوري للقرآن و للسنة ينم عن النظرة الذكورية وأن الرجال أساؤوا إستغلال موقفهم الإحتكاري هذا و فسروا الآية تفسيراً خاطئاً، لذلك لا أحب أن أرمي الكلام هكذا جزافاً و أعطي دائماً أمثلة لما أقوله، فكانت هاتان السورتان، السورة الخاصة بالحجاب، بمعنى الزي النسائي و السورة الخاصة بالحجاب بمعنى إعتكاف النساء و الذي كان المقصود به فقط نساء النبي و عمموها على كل النساء المسلمات و هاتان الآيتان أذكرهما دائماً كمثال لسوء التفسير أو إستغلال منطق القوة و الإحتكار الذي اضر بالمسلمين و النساء المسلمات لأجيال طويلة و حرمهن من المشاركة في الحياة العامة في المجتمع، لذلك إنتقادي لا يقتصر على الزي و الحجاب، لأن هذه فقط مظاهر خارجية لمشكلة كبرى، المشكلة الكبرى هي مفهوم عدم المساواة بين المرأة و الرجل و هذا الشيء موجود بشكل أساسي في نظرة الإسلام للمرأة. هناك في هذه النقطة تتضارب الآراء بشكل كبير، المسلمون تعودوا أن يقولوا إن الإسلام أعطى المرأة كل حقوقها، و ساوى بينها وبين الرجل في كل شيء، و يعتمدون في هذا الشيء على وضع المرأة قبل الإسلام مع وضعها بعد الإسلام. في الواقع بالنسبة لي و على أساس الدراسة التي أجريتها للقرآن و السنة و وضع النساء في الإسلام، أستطيع أن اقول ان هذه المساواة متوفرة في مجال واحد فقط، وهو المجال الروحي أو الروحاني، بمعنى أن الله خلق المرأة و الرجل و العالم كله من نفس واحدة، بمعنى أن تكليفهم نفسه وجزاءهم نفسه، فهذه فقط هي الناحية الروحانية أو الناحية الدينية، أما إذا إنتقلنا إلى كل المجالات الأخرى في الحياة هذه، فنرى انه من الناحية الإقتصادية ليست هناك مساواة إطلاقاً، من الناحية النفسية ليست هناك مساواة إطلاقاً، من الناحية الإجتماعية أيضاً ليست موجودة.. إذا الناحية الوحيدة التي تتساوى فيها المرأة بالرجل هي الناحية الروحانية أو الدينية، هذا فيما يخص الحياة التي تسمى مابعد الموت، لكن أنا شخصياً مهتمة بهذه الحياة أولاً و قبل كل شيء، و في هذه الحياة أرى نقصا في المساواة بشكل خطير، لما نعرف أن المرأة ترث نصف ما يرثه الرجل، نعرف أن هذه هي عدم المساواة المالية، إذا المرأة تريد أن تخرج من البيت للعمل، تحتاج إلى موافقة الزوج أو الأب، إذا تريد أن تسافر من أجل عملها تحتاج لرجل من العائلة ليرافقها، و إلا ليس بإمكانها أن تغادر البلد.. و غير ذلك الكثير من الأمور، فهناك إنتقاصات كثيرة للمرأة في حقوقها، من ناحية نفسية الفتاة تربى على معتقدات تنتقص من كيانها و صورتها عن نفسها، وأن المرأة ناقصة عقل و دين، مثل هذا الحديث، موجود في احاديث مسلم و احاديث البخاري و هي تعتبر بالنسبة لجميع المسلمين هي الأحاديث الموثوق بها لأن هناك تفسيرات كثيرة، لكن هذه تسمى صحيح مسلم و صحيح البخاري، من الناحية الجنسية ليست هناك مساواة مثالنا هناك آية قرآنية تقول ان "نساؤكم حرث لكم"، وهذا يبين عدم المساواة بين الرجل و المرأة من الناحية الجنسية..

❖تنتقدين تفسير الأحاديث النبوية و القرآنية، بدعوى أنها لا تتناسب مع التطور المجتمعي الحاصل، لكن هل العالم الإسلامي في مرحلته هذه، و تزامناً مع المد الديني المتخلف و الإرهاب الحاصل الآن بإسم الدين، هل ترين أنه وقت مناسب لإطلاق مثل هذه الطروحات؟

في الواقع تأخرنا، كان المفروض أن تطرح هذه الأفكار قبل الآن، و إذا الناس ينتظرون حتى تكون هناك مرحلة ليس فيها أي نوع من النزاعات أو التوتر والأزمات والمشاكل فمن الممكن أن ينتظروا

إلى مالا نهاية، والغريب أن هذه الأمور لم تطرح مسبقاً في كل محاولات الإصلاح الديني التي تمت من قبل، فنحن نعرف أنه في منتصف القرن التاسع عشر والقرن العشرين كانت هناك محاولات للإصلاح والإصلاح الديني و التي يسمونها حركة اليقظة، وحركة الإصلاح الديني، فلم تطرح هذه الموضوعات بشكل كاف.. رغم أنه يذكر لقاسم أمين و لو أنه ليس دينياً إطلاقاً، كان معلما و أستاذا، أنه طرح هذه الأمور في بداية القرن العشرين سنة ١٨٩٨ و ٢٠٠٢ أصدر كتابين هما (تحرير المرأة) و الكتاب الثاني (المرأة الجديدة) و فيما بعد نشأت حركات نسائية تدافع عن حقوق المرأة لكن المشكلة أن لا يجرؤوا على طرح الأمور بشكل صريح، مثلاً موضوع مثل موضوع تعدد الزوجات الذي يؤدي إلى مظالم إجتماعية و إلى وباء في العلاقات الإجتماعية بين أفراد المجتمع و لم يعالج، لم تتصد له لا الحركات التحررية و لا الحركات النسائية بما فيه الكفاية، بحيث انه في كل البلدان العربية والإسلامية حالياً نجد آفة تعدد الزوجات هذه منتشرة بشكل شنيع حتى في البلاد الآسيوية مثل أندونيسيا التي لم تعرف هذه الظاهرة إلا بعد المد الإسلامي العربي المنتشر هناك أيضاً، و ماليزيا و بلاد شرق آسيا التي تنتشر فيها هذه الظواهر.. و أنا أعتقد أن الأزمة السياسية التي توجد في الوطن العربي و العالم الإسلامي الآن والمد الديني المتطرف يحتاج إلى وقفة ثابتة من المصلحين و المتحررين، و موضوع المساواة بين الرجل و المرأة هذا يقع في جوهر الخلافات، فاحتمال أن التطرف الديني هذا – وهذا تفسيري أنا – هو أن هؤلاء يريدون تجميد شكل الحياة وشكل العلاقات العامة والعلاقات بالذات بين النساء والرجال بالشكل الذي كان سائداً في القرن السابع الميلادي ويخشون أن سيطرتهم على المرأة وإخضاعها لهم بقوة الدين في سبيل التغيير و ربما هذا هو سبب أنهم مستميتون بهذا الشكل للإحتفاظ بمميزاتهم التي يستمدونها من الدين إما بالحق أو الباطل.. أعتقد أن أحدى المحاولات التي ستساعد على وقف هذا المد الديني المتطرف هي نهوض كل المتحررين لإيقافهم عند حدهم فيما يخص بالذات هذه الأمور الخاصة بعلاقة الرجل و المرأة..

❖هل كل من إنتقد الدين، كان هدفه الإصلاح الإجتماعي؟ و هل الإصلاح في مجال الدين وملاءمته مع روح العصر كفيل بحل كل المشاكل التي تعاني منها كبشر خصوصاً في الشرق المتخلف؟

في الواقع هذا ليس بهذه البساطة لأن الإصلاح الديني يجب أن يكون ملازما لإصلاح إجتماعي وإصلاح إقتصادي و إصلاح سياسي، لكن نحن نعرف أن كل هذه المجالات الأخرى من الإصلاح التي هي ضرورية، تعطل المجهودات بشكل كبير بسبب التخلف الديني، فالإصلاح الديني هو أحد الشروط لنجاح الإصلاحات الأخرى، لكن لا يكفي وحده لأنه لا يؤدي من نفسه إلى إصلاحات أخرى، لكن يجب أن يتم بشكل ملازم وإذا لم يحدث هذا فلابد مثل ما حدث في تركيا، لإصلاحات في كل النواحي الأخرى ، حيث تم فصل الدين عن كل مجالات الحياة الأخرى، و مجالات السياسة بشكل كبير، لكن لم يحدث بالفعل تقدير مسائل، والذي حصل في تركيا إبتداءً من أتاتورك وحتى الآن هو أنهم وضعوا الدين على جانب و مضوا بكل الإصلاحات الأخرى بينما الدين فقد سيطرته على الحياة العامة، لكنه لم يتغير و لم يتم إصلاحه، فما نراه اليوم هو أنه من الممكن أن يعود الدين إلى تركيا بنفس الشكل الذي كان عليه قبل الفترة التي تلت حكم أتاتورك.. هذه هي الخطورة إذا أهمل الإصلاح الديني و لم يجرؤ الناس على المواجهة ومضوا بالمجتمع بإصلاحات أخرى، سوف يمكن في أي لحظة أن يأتي جيل جديد ليقول نريد أن نرجع إلى جذورنا الروحانية و نريد أن نرجع إلى اصول الإسلام للشكل المثالي للإسلام ويعودوا بنا للخلف مرة أخرى.

فلهذا الإصلاح يكون متزامناً من كل النواحي بما فيها الناحية الدينية..

***مع توسع دائرة الإرهاب على نطاق دولي و تنامي التشدد الديني (الإسلامي)، ترتفع الأصوات التي تنتقد الدين الإسلامي على أنه دين يساعد على الإرهاب، فهل صحيح أن الدين الإسلامي يحمل بذرة الإرهاب؟**

اعتقد أن من أجل أن نحكم على أي شيء نرجع إلى مراجعه الأصلية، هذه نقطة، ثم نرجع إلى تطبيق هذه المراجع الأصلية، و بعد ذلك نرجع إلى كل التطورات التأريخية التي تمت في هذه المرحلة، منذ نشوء هذا الدين.. نطبق هذا على الدين الإسلامي، ما هي المراجع الأصلية التي تشرح لنا ماهو الدين، وهذه المراجع هي بشكل أساسي القرآن و الأحاديث و السنة النبوية، ثم نجد تطبيق هذه الأحاديث في السنة و في سلوك الرسول و الخلفاء الراشدين، و بعد ذلك ننظر إلى الفترة التأريخية التي مرت منذ ذلك الوقت و حتى الآن.. فبالنسبة للإرهاب نواجه في القرآن آيات كثيرة تدعو و تنص على الجهاد، هي ليست آية أو إثنتين، حسب الكثيرين ممن أحصوها هي ما يقارب الستين آية، إذا المفهوم "الجهاد" بمعنى إقامة الحرب على الشعوب الأخرى من أجل نشر الدعوة الإسلامية، هذا الشيء طبقه الرسول بنفسه في حياته و قام بقيادة الغزوات، جزء منها كان غزوات دفاعاً عن النفس ضد الغازين، و جزء منها كان للغزو لأنه تم خارج حدود المدينة، وقد وصل في حياته حتى اليرموك، أقصى غزوة وهي منطقة على الحدود السعودية الأردنية في الوقت الحالي، غزوة اليرموك هذه على أساسها نستطيع ان نقول ان الرسول قام بالغزو لنشر الإسلام، نشر الإسلام هذا في الشعوب الأخرى نسميه الآن حروبا هجومية و ليست حروبا دفاعية، إذا حدثت الحروب بهذا الشكل الجماعي فهي بالطبع ليست تماماً الإرهاب... الإرهاب يتم في شكل جماعات وأفراد وعصابات وليست هناك شروط القيادة الإسلامية، مثل الخليفة أو الإمام الذي يصدر الأوامر وكل هذه الأمور، من هذه الناحية هناك إختلاف شيء ما في نوعية النشاط الإرهابي وبين الحروب الهجومية.. ولكن الإرهابيين يستخدمون نفس الآيات القرآنية التي تعطي الحق للمسلمين أن يحاربوا شعوبا أخرى ويقهروها ويرغموها على الإسلام، وبتطور المفاهيم الذي حدث في قرننا هذا يعتبر هذا نفس الشيء مثل الحروب التي يفتقدها المسلمون و هي هجوم الدول الأوروبية و إحتلالها للبلاد الإسلامية، فلا أرى فرقا بين الإثنين.. اما من ناحية الإرهاب فهناك بالطبع الآيات القرآنية التي تحث على الجهاد، هذه تعطي العذر للمنظمات الإرهابية من أجل القيام بالنشاط الإرهابي ضد غير المسلمين و هي لا تتساوى بالتحديد مع الحروب التي قام بها المسلمون من أجل نشر الإرهاب.. خلاصة القول هناك بذرة تعطي التشجيع، و تعطي المبرر للإرهابيين حتى يقوموا بنشاطهم، وبنفس الوقت هناك مجال لشيوخ المسلمين والأئمة يعرفون ويعون الشعوب أن هذا ليس الجهاد الذي منصوص عليه في الإسلام.. لأن لا تتوافر فيه تلك الشروط و إن كان بتقديري هذا الجهاد و إن لم يكن إرهاباً و لكن لم يختلف كثيراً عن الحروب القهرية لقهر الشعوب الأخرى..

***يعتبر الكثير من المسلمين المتشددين أن كل إنتقاد للدين هو تمرد على الدين، أو إنتقاص من شأنه.. فهل هذا يعني أن الدين غير قابل للتأويل و الإنتقاد، و هو ثابت و غير قابل للتغيير؟ في حين أن الكثير من الباحثين و المتخصصين في علوم الدين يقولون ان (الدين) كممارسة و طقوس يندرج تحت خانة الحريات الشخصية.. ماهو تعليقك؟**

أعتقد أن أي دين يجب أن يكون قابلاً للدراسة و الإنتقاد، لأنه حينما يدرس الإنسان شيئا ما يصل إلى واحدة من نتيجتين، إما موافق و إما غير موافق على

ما يقال، فالدين يجب أن يتواكب مع ظروف وحياة الإنسان و هي في حال تطور وتغيير دائم، فإذا لم يخضع الدين للنقد و للتغيير و للتأقلم سوف يكون في حالة متحجرة، و سينتهي بالنهاية إلى الإندثار لأنه من غير الممكن أن تكون حياة الإنسان عرضة للتغيير الدائم ثم يتبع دينا ثابتا لا يتغير.. فيكون إنفصام خطير بين الإثنين.. أعتقد أن النقد ليس بتمرد ولكن هو ظاهرة صحية و ضرورية جداً وبالعكس هو شرط لإستمرارية أي دين و أي نظرية فلسفية أو سياسية أو اي شيء آخر.. أنا لا أعتبره تمرداً، لكن بنفس الوقت يجب أن نسأل أنفسنا، الدين هل هو تجربة شخصية، هل هو نصوص نلقي عليها صفة القدسية؟ برأيي القدسية هي صفة لله وحده، وليس هناك اي شيء آخر له تلك القدسية.. القرآن ليس مساوياً لله، و السيرة النبوية ليست مساوية لله. في الواقع الذين يضعون نفس القدسية في القرآن و نفس القدسية في السيرة النبوية، مثل تقديسهم لله، هو بالواقع نوع من الإشراك بالله.. النقطة الأخرى كيف تم تسجيل هذه الأحاديث؟ كيف سجل القرآن؟ من الذي كتبه؟ متى كتب؟ ماهي الطبعات المختلفة والنسخ التي كانت موجودة، هذه كلها أمور يجب أن نكون متفتحين لدراستها ولإستخلاص الدلالة الناتجة عن ذلك و المدلول هو لا يمكن أن لا نكون واثقين مئة بالمئة بأن المكتوب في القرآن و في الأحاديث يساوي مئة بالمئة بالمقصود الإلهي الذي أراده الله للإنسان.. فهناك مجال إذا لدراسة القرآن ودراسة الدين والإعتماد على التفكير السليم لأن ليس هناك دليل ثابت على الإطلاق، بالعكس الأحاديث النبوية والسيرة النبوية كتبت بعد وفاة الرسول، بفترة تتراوح بين مئة وثلاثين ومئة وخمسين عاماً، في كتابي شرحت أنه ليست هناك ذاكرة إنسانية يمكنها أن تتذكر كل هذا الكم من الأحاديث على مدى أربعة أو خمسة أجيال حتى ثبتت وكتبت على يد دارسين وجامعين سنة، فهذه خلاصة بأن الأحاديث النبوية تناقلتها الأجيال وبعد ذلك وصلت إلينا بكل الصحة و الثقة بأنها قيلت بهذا الشكل. و هذا الشيء أنا لا أعتقده..

❖التطرق إلى موضوعة الدين و إنتقاده، بعد أن كان أحد المحذورات، في الوقت الراهن من قبل الكثير من الكتاب ومؤخراً الكاتبات، أصبح مسألة تتكرر، ويفسرها البعض من النقاد الدينيين على أنه إستعراض وطريقة للحصول على الشهرة..

لا أعتقد أن التعرض للنقد الديني يعطي الإنسان شهرة، بالعكس يجلب المشاكل أكثر من أي مجال آخر، الباحث عن الشهرة أمامه مجالات أخرى كثيرة، ومثمرة أكثر من النقد الديني، أعتقد أن كل هذه الأمور هي بمثابة عراقيل لأن الناس لم يتعودوا بعد على أن جواز النقد الديني و على أن هذه ظاهرة جيدة و صحية جداً، الذين يعرفون المصادر الدينية بشكل كاف يعرفون ايضاً أنه و طبقاً للقرآن آيات الله لم تظهر فقط في القرآن وإنما ظهرت في ثلاثة اشياء.. في الكون بشكل عام، بإستطاعة الإنسان أن يرى آيات الخلق، ويتعاطى معها بعقله.. (وفي أنفسكم)، أي في داخل أجسامنا نستطيع أن نجد آيات الخلق.. والمصدر الثالث هو الآيات في الكتب المقدسة أو في القرآن.. إذا نقد القرآن لا يعني إطلاقاً الرفض الديني بشكل قاطع، بالعكس هناك مصدران آخران لهما نفس الثقل في الإحساس الديني وهو إن الإنسان يتفقد العقل ويفهمه ويستخدم عقله، ويتفقد نفسه ويفهمها وكل هذا يدل على وجود الخالق، فإذا كان القرآن به آيات كثيرة متعارضة ومتضاربة مع بعضها، فهذا الشيء يجب أن لا نغمض أعيننا عنه وإذا كانت هناك آيات كثيرة متعارضة مع الفكر السليم وحركة المعتزلة بالمناسبة أشاروا إلى هذه النقطة كثيراً وقالوا: إذا تعارضت آيات مع التفكير والفكر السليم نأخذ بالفكر السليم ونؤول القرآن أو نصدق عقلنا.. فهذه كانت حركة عقلانية مبكرة في التأريخ الإسلامي للأسف لم تصمد ولم تنجح في تخليص النفوس من الخضوع التام ومحو

التفكير وهذا في الواقع هو سبب التخلف في البلاد الإسلامية كثيراً..

***الكثير من التلفزة و وسائل الإعلام أصبح الدين و إستفزاز المسلمين في العالم من خلال طروحاتهم، و تفسر من قبل المسلمين المتشددين على أنها دعوات تكفيرية و هم مدفوعون من قبل الغرب.. لكن لماذا كل محاولة لتخطي الخطوط الحمر و كسر المحذورات، خصوصاً ما يتعلق بالدين يقال انه كفر و مدفوع من قبل الغرب؟ لماذا لا يقال انه ممارسة حرية طبيعية مثل بقية الحريات التي يجب أن تمارس و يمتلكها المواطن في العالم الإسلامي؟ لماذا عند الحديث عن الدين الإسلامي يكون الحديث عن الكفر و الإساءة للمقدسات و ما إلى ذلك؟**

في الواقع الذين يقولون هذا الشيء لديهم عقدة نقص شديدة تجاه الغرب و هم يعتقدون أنه ليس ممكنا لمسلم أو مسلمة ان يمتلك التفكير و العقل بما يكفي بأن يفكر بشكل مستقل، و يستنتج إستنتاجا يكون مخالفاً لما هو متعارف عليه، فهذا نقص في الثقة شديد في النفس عند هؤلاء الأشخاص.. هم يعتقدون ان التفكير لا يمكن أن ينشأ للمسلم في هذا المجال إلا إذا كان مدفوعاً من الغرب، هذه تهمة غريبة تشير إلى عقدة النقص الشديدة عند هؤلاء الأشخاص، لأن الإنتقاد هو محاولة للإصلاح و ليست ظاهرة عدائية كما يعتبرونها، بالعكس هي ظاهرة تنم عن كم كبير من إنتماء هؤلاء لهذا المجتمع، فعندما ينتقدون عن طريق النقد يحاولون معالجة علة أو نقص معين، و هذه الظاهرة لا تدل على الأنانية إطلاقاً، بالعكس فهي تدل على التضحية لأنها تنسى أن الإنسان الذي يتعرض لهذه الأمور يثير عرضها للمشاكل و هجومات عديدة، فالواقع من المفروض أن نكون مشجعين لهؤلاء الناس الذين مع كل هذه الصعوبات لا يريدون أن يتعرضوا لذلك الخلل و ينتقدون و يصرفون جهدهم و دراساتهم لهذه الأمور..

***بالرغم من أن مواضيع الإرهاب الإسلامي والتشدد الإسلامي و توسع دائرة نشاط الأصوليين المسلمين تحتل مساحة كبيرة من برامج القنوات الفضائية و وسائل الإعلام الأخرى، لكن بالتوازي مع ذلك وبشكل خفي هناك خط ديني آخر يعمل بإتزان و معقول و مناسب مع روح العصر، لكنه ينشط بصوت خافت. ومثالنا على هذا النوع موجود في تركيا.. ألا يعني هذا أن الإسلام بمقدوره أن ينسجم ويتأقلم مع التغييرات ومستجدات العصر؟**

اعتقد أن هذا ممكن لكن بشرط واحد و هو أن يتخلى الناس عن فكرة قدسية المصادر الإسلامية وعن تقديس الأشخاص العاملين في الدين و الخضوع لهم و نفي التفكير الذاتي عند الشخص نفسه.. فالإسلام بمقدوره التطور و التزامن والحياة العصرية والتطور الطبيعي، لكن هناك شروط معينة لذلك و هي أن المصلحين و الذين يدعون إلى التغيير أن لا يدفعوا حياتهم ثمناً لذلك، لأن هذا هو التقليد الذي حدث بتكفير المصلحين و قتلهم على مدى التأريخ الإسلامي و إعتبارهم مرتدين أو حتى عدم تقبل المرتدين.. فلماذا لا يقبل المرتد؟ المرتد الذي ما أصبح عنده ثقة بالدين أو اراد أن يعتنق ديناً آخر، لماذا لا يقبل هذا منهم؟ الإصلاح هو عقلنة الدين تحتاج لجهودات ليست في مقدور شخص واحد، لكن يجب من خلال أناس كثيرين و هؤلاء الناس لا يمكن أن يعملوا هذا إلا إذا كانوا آمنين على حياتهم، و الفكرة السائدة حالياً هو أن اي شخص وأعطيك مثالا للشيخ محمد محمود طه الذي كان شيخا لحركة روحانية السودان، الذي طور نظرية معينة بالنسبة لأصول القرآن، و قال ان هناك جزءا من القرآن يعتبر تأريخيا يعني مرتبط بفترة زمنية معينة و هي الآيات القرآنية التي نزلت في المدينة و هناك جزء يعتبر اساس الدين و هو الآيات المكية التي نزلت في مكة و هذه هي التي من المفروض أن نعتبرها المصدر الدائم للدين الإسلامي، أما الآيات

المدينية (التي نزلت في المدينة) فكانت مرتبطة بحقبة معينة في حياة الرسول أو في تأريخ الدين الإسلامي.. هذه حركة كان من الممكن أن تعمل تجديدا خطيرا في الدين الإسلامي، لكن بدلاً من أن يتاح له الفرصة، لنشر هذه الأفكار قبض عليه وأصدر الأزهر فتوى ضده وأعدم على ما اعتقد في بداية الثمانينيات أو بداية السبعينيات، في عمر احدى وسبعين سنة.. هذا هو الذي يحدث تقريباً مع كل المفكرين و المصلحين أو الذين أرادوا التحرر من الدين بشكل كامل.. تعرضت حياتهم للخطر و أعدموا، فهذا هو التفسير، و انك قلت ان هذه الحركة هي خافتة، بالطبع تبقى خافتة إذا كان اصحابها لم يؤمنوا على حياتهم إذا خرجوا بفكرة او نظرية جديدة، ليس هناك بديل للناس إذا تعرضت حياتهم للخطر..

❖في البداية تحدثنا عن تفسير القرآن، و قلنا انه تفسير ذكوري و كمثال كتابك (نساء النبي)، و لكن لو يدعون المرأة هي التي تفسر القرآن، هل كانت ستفسره بإنصاف؟ و هل هناك تفسير لآيات نزلت قبل الف وخمسمائة عام بحيث ينسجم مع روح هذا العصر؟ و هل هناك آيات سواء فسرها الرجل أو المرأة قد تنسجم مع روح العصر و تحقق المساواة الإنسانية بين الجنسين؟

هناك البعض من النساء يعتبرن متشددات على جنسهن أكثر من الرجال، هؤلاء أيضاً موجودات حتى في الوقت الحالي و حتى في اوروبا، لكن بشكل عام أعتقد أن المرأة حينما تفسر القرآن من واقع تجاربها الحياتية و وضعها و تجربتها الذاتية لن تكون مجحفة بالنساء بهذا الشكل مثلما فعل المفسرون الرجال.. بالإضافة على ذلك اعتقد أن كلا من المنظور النسوي و المنظور الذكوري مكملان لبعضهما البعض فأعتقد أن حرمان مجتمع من المجتمعات من المنظور النسائي في تفسير الآيات القرآنية يعتبر حرمانه من نصف الإمكانيات المتواجدة و قصر التفسير كله على منظور واحد، مؤكد سيكون محدودا أكثر مما إذا كان متاحا للإثنين.. المرأة لها مفعول آخر، فبالنسبة للإسلام العادي لم يكن للمرأة دور كبير، فإذا نظرت لـ(الصوفية)، فنجد ان المرأة إستطاعت أن تكون أيضاً مفسرة و تكون مثالا متقاربا للرجل أو تكون في نفس منزلة الرجل.. رابعة العدوية على سبيل المثال وهي تنتمي للقرن الثامن الميلادي و التي توفيت في البصرة، أحدثت طفرة كبيرة جداً في مفهوم الثواب و العقاب.. من الحكايات التي تحكى عنها مثلاً أنها شوهدت في الشارع و بيدها سطل من الماء و مشعل أو شعلة ملتهبة باليد الأخرى، و عندما سئلت ماذا تعملين بهذا؟ اجابت: بسطل الماء أريد أن أطفئ النار، و بهذه الشعلة الملتهبة أريد ان أشعل النار في الجنة. فعندما سألوها: و لماذا تفعلين هذا؟ اجابت: أنا أريد انه أحببت الله وأحببت أن أعمل الأشياء المحببة أن يكون هذا بسبب ان هذه الأشياء جيدة و ليس طمعاً بالثواب بالجنة، وإذا أردت أن أتجنب الأمور الكريهة أريد أن افعل هذا حباً بالله، و أن افعل هذا من دافع إقتناعي انه شيء خاطئ ويجب تجنبه.. وليس خوفاً من النار، فأريد أن أحرق الجنة و أطفئ النار حتى يصير إسلام المسلمين صافياً أكثر، فهذا الشيء لم يخرج به رجل قبلها. فهي ادخلت مفهوم الحب الذاتي الحب الروحاني من أجل الحب نفسه و ليس من أجل الثواب و العقاب.

❖نأتي إلى موضوع آخر و هو تجربة الإسلام السياسي كيف ترين هذه التجربة؟ و ماهو تنبؤك لمستقبل هذه التجربة؟ هل من المحتمل أن يكون لهذه التجارب في المستقبل حضور أو أشكال أخرى لحضورها في الأوساط السياسية و الدينية؟

نحن الآن نسميه الإسلام السياسي، في حين أن الإسلام لم يكن في أي مرحلة من مراحله إلا سياسياً.. لأن منذ نشأته و بواقع أن الرجل جمع بيده السلطة الدينية و السلطة الدنيوية، كان قاضياً و زعيما وكان حتى قائداً في الحرب. فلم يكن الإسلام بأي شكل من الأشكال إلا سياسياً.. حدثت على مدى التأريخ

محاولات فصل الدين عن السياسة، و حصل بالفعل هذا الفصل الى حد ما و كان هذا في الفترة التي تكلمنا عنها و التي كانت بها صفوة مدنية و دينية فرأينا مثلاً أتاتورك عندما أنشأ دولته العلمانية و نفس هذا الشيء إنطبق على شاه إيران الذي أيضاً تمكن من أن يفصل بين الدين و الدولة و الدين و السياسية و على هذا المنوال نشأت النظم السياسية العربية الإشتراكية، فرأينا هذا في العراق و مصر و سوريا و التي تعتبر إشتراكية، فصلت بين الدين و الدولة و فيما بعد في مرحلة لاحقة، من نهاية السبعينيات، حيث بدأتها إيران بالثورة الإيرانية عام ١٩٧٩ وأنشأت دولة إسلامية تجمع مرة أخرى الدين والسياسة، بيد نفس الأشخاص، تلتها دول أخرى مثل السودان و باكستان.. و آخرون، فموجود حالياً حوالي أربع إلى خمس دول فيها الدين و السياسة مجتمعان في يد واحدة.. فهذا هو الإسلام السياسي و الذي كثير من الدول الإسلامية التي أتيحت لها فرصة الإنتخاب، في مصر مثلاً، إذا كان الإنتخاب حقيقة حرة فسوف تكتسب حركة الإخوان المسلمين و تنشأ أيضاً دولة إسلامية في مصر، فهذا تطور خطير و يعتبر نكسة رجعة للخلف مرة أخرى بالنسبة للدول الإسلامية، لأن هذا النظام في الإسلام السياسي أو الدولة السياسية الدينية في نفس الوقت، لم تجلب للمواطن أية حريات تذكر، بالعكس كانت هذه الأنظمة من أشد الأنظمة ضغطاً على الحريات الفردية و على حياة الناس العاديين، لأن لم تكن هناك جهة أخرى يلجأ إليها الإنسان، الحاكم و الشيخ و الإمام هم نفس الشيء وليست هناك أية ضمانات للحريات الفردية.. فبموازاة ذلك نرى النظام الذي ساد في أوروبا في القرون الأخيرة، مدة ثلاثة أو أربعة قرون، وهو فصل بين الدين و السياسة قد أدى الى تقدم كبير في كل المجالات و إلى زيادة الحريات الفردية و الضمانات على إحترام حقوق الإنسان، فأنا لا أرجو أن هذا الإسلام السياسي يستمر هكذا، أرجو أن الدول التي يسود فيها هذا النظام و منها إيران، و الذي أثبت أن الظلم في ظل آيات الله كان حتى أشد و أعنف من الظلم في ظل النظم التي كانت قبله.. فأعتقد أن واجبنا كلنا أن نقاوم هذا الشكل من الإستبداد المشترك، لأن الحاكم يميل للإستبداد والشيخ و الملا ايضاً يميلون للإستبداد في أمور الناس و تصريف أمورهم برغبتهم الشخصية و إذا إجتمع هذان النوعان من الإستبداد في شخص واحد فالويل للمرأة والرجل العاديين..

***في بداية حديثك قلتِ ان الدين لم يكن إلا سياسية، فهل هذا يعني أنه من غير الممكن عزل الدين عن السياسة، و إذا لم نتمكن من عزل الدين عن السياسة كيف يمكن الإصلاح في المجال السياسي؟ هل في أن نصلح الدين؟ أم تغيير الدين و تطوره و ملاءمته مع روح العصر؟ كيف سنغير السلطة السياسية إذا كان الدين متعمقا هكذا في الحكم، هل في إمكانية عزله أو في تغيير و إصلاح الدين؟**

الدين بشكله الحالي و منذ نشأته متغلغل في السياسة و السياسة متغلغلة في الدين، لكن من أجل أن نفصل الدين عن السياسة و السياسة عن الدين، يحتاج هذا لمجهود و لتطوير و لإصلاح المفاهيم الدينية.. هذا معناه أن كل الآيات التي تشير الى الخضوع للسلطة و الإجماع و محاربة كل إنسان له رأي متفرد، كل هذه جذور لجذور دينية تمنع فصل الدين عن السياسة و علينا إنتقادها بشدة و الإصلاح بمعنى أن هناك مفاهيم معينة نضطر أن ننتقدها و أن نقنع الناس بأنها لم تعد صالحة للإستمرار و بأن من أجل التطور المستمر و التكيف مع الزمن الحديث هناك معتقدات معينة ومبادئ معينة يجب أن نعتبرها قد إنتهت وإستنفدت مرحلتها التأريخية.. فصل الدين عن السياسة سيتم بمجهود كبير لتحقيق هذا عن طريق تصنيف و تقييم لكل الأفكار المتوارثة و التخلي عن الجزء الذي إستنفد مرحلته ورسالته التأريخية ولم يعد صالحاً في يومنا هذا.. فهذا معناه أنني أدعو

لحركة إصلاحية شاملة من ناحية دينية وبنفس الوقت علينا ان نتبع و نتبنى التجارب الإسلامية التأريخية التي قام بها غيرنا و اثبتت صلاحيتها وأثبتت جودة مبدأ فصل الدين عن السياسة، ضمانا للحريات الشخصية و حماية حقوق الإنسان.. كل هذه اثبتت فعاليتها وصلاحيتها وما الذي يمنع أن نستفيد من تجارب الآخرين ولا نبدأ كل مرة بإعادة العجلة إلى البداية.. فهذا يعني أن الإصلاح السياسي الإجتماعي يجب أن يتم بتبني التجارب الإسلامية الأخرى التي اثبتت مفعولها، هذا من ناحية و من ناحية اخرى كل العوائق الدينية التي ستقف و تعيق تبني هذه الأفكار الجديدة و التجارب الإسلامية الأخرى علينا إنتقادها و إقناع الناس بالتخلي عنها..

❖ كيف تعرفين تجربة (لجنة المسلمين السابقين في هولندا)، هل بإمكان هذه اللجنة أن تجري تغييرا واضح المعالم على خارطة الحريات الشخصية، و من ضمنها حرية إعتناق أو ترك الأديان، و خصوصاً بين المسلمين؟ هل من جدوى من مثل هذه الحركات، خصوصاً بين مسلمي الغرب؟ بكلمات اخرى، في الغرب الحريات مكفولة بالقانون، إذا بإمكان كل إنسان أن يعلن عن مثل التوجهات، لكن الصعوبة تكمن في ظهور مثل هذه الحركات في قلب العالم الإسلامي، إذا هل سيكون هناك تغيير لحركة مثل هذه و قد نشأت في الغرب؟

و حتى هنا في اوروبا هذه الحركات تواجه أيضاً ضغطا من جانب المسلمين المتشددين، بالرغم من أن الحريات ومنها حرية تغيير الدين مكفولة بالقانون الهولندي و كل القوانين الأوروبية و إن كان ربما تعرفين في محيطك، كما أعرف أنا في محيطي، أناساً حالياً تركوا الدين الإسلامي لكن لا يتجرؤون بالتصريح بهذا، في الغالب يكون رد فعل المحيطين بهم و أهاليهم و في بعض الأحيان خوفاً من إنتقام المسلمين المتشددين، فأعتقد أنه في أوروبا هذه الحركات مهمة جداً لمواجهة المسلمين بانهم يفتقرون إلى عدم السماحة، بالرغم من أنهم يتوقعون من الناس الآخرين و يسألونهم ويطلبون منهم التسامح في حين أنهم لا يدركون أنهم غير متسامحين على الإطلاق. فأنا أعطي اهمية كبيرة لنجاح هذه الحركات في غرب أوروبا، لأن نجاحها و شعبيتها قد يؤدي إلى إمكانية تطبيقها ايضاً في البلاد الإسلامية.. لكن يجب أن يقبل من مجمل أو غالبية المجتمع الإسلامي.. لأنهم يدعون الى مبدأ حرية الدين، لكن يريدونها إذا كانت لصالحهم لكن معنى حرية الدين ايضاً هو حرية ترك الدين، و ليس هناك اي معنى من أن يظل الإنسان مسلماً خوفاً من الإنتقام او من التهديد و الوعيد، فبهذا يتحول الإسلام إلى سجن كبير، و لا أعتقد أن هذا هو الهدف من اي دين..

❖يعني تؤيدين هذه التجربة، طيب هل هذا التأييد هو تأييد لممارسة حرية الإنسان في إعتناق الدين أو تركه، أم أنه نابع بشكل من الأشكال من رفضك لبعض مبادئ الدين الإسلامي و تفسيرات الدين والقرآن من قبل الكثير من الأئمة و التفسيرات الخاطئة أو التي لا تنسجم مع روح العصر بشكل عام؟

في الواقع هو نابع من إيماني بمبدأ حرية الإعتقاد و حرية الضمير، لأن الدين ليس له اي معنى ولا اي مفعول إذا لم يكن الإنسان مقتنعا بشكل شخصي وعنده كل الحرية في هذا الإعتناق أو تركه.. انا أؤيد حرية المسلمين السابقين و تجربتهم، لأن هذا حق إنساني لهم و للجميع و أنا أرجو أن يحترم كل المسلمين هذا الحق. ربما تتابعين هناك صعوبات و هجومات مستمرة ضدهم و المصاعب التي تواجهها هذه اللجنة بينما أنا لا أرى اي سبب في عدم إعترافهم بذلك الحق الموجود بالفعل في القانون الهولندي؟ فإذا إقتصرت هذه الحقوق على مجرد حبر على ورق بينما هناك إنسان لا يستطيع أن يمارسها بسبب الخوف أو بسبب الإرهاب أو بسبب التهديد ستكون مجرد حقوق ورقية لا أكثر و لا أقل..

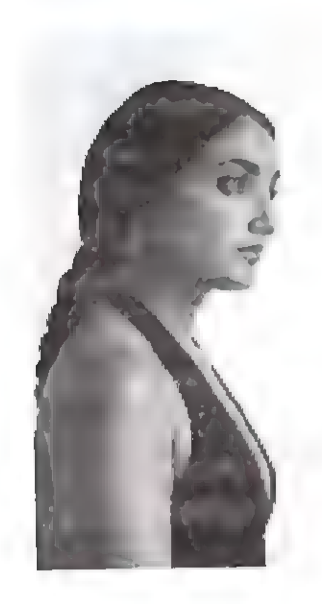
***ماذا ستكون نشاطات هذه اللجنة، لجنة المسلمين السابقين، خصوصاً أن أعضاءها المسيحيين أكثر من أعضائها المسلمين.. لكن ماذا ستكون نشاطاتها في المستقبل؟**

في الواقع لا أعرف بالتحديد ماذا ستكون نشاطاتها، فأنا لست عضوة في اللجنة لكنني عضوة في اللجنة الداعمة لها، لكن بتصوري أن المسلمين الذين تركوا الإسلام يواجهون ضغوطا نفسية و إجتماعية كثيرة، الكثير منهم يمارسون حياة مزدوجة، بمعنى أنه في الظاهر يستمرون في الإدعاء بأنهم مازالوا مسلمين و في أعماقهم هم ليس لديهم اي إقتناع بالإسلام، أعتقد أن كل مجموعة تتعرض لمثل هذه الضغوطات و هذا التقييد على حريتها، لديها (أو لدى أعضاء اللجنة) الرغبة في الإلتقاء و تبادل التجارب و نوع من الدعم المعنوي، هذا من ناحية، من ناحية أخرى أعتقد أنه مهم لهذه اللجنة وحتى لغير اللجنة، و أنا شخصياً أكتب كثيراً عن الحرية الدينية وعن موضوع (في الإسلام معروف ان المرتد حكمه الإعدام) أنا أرى الاجحاف في هذا وكتبت مقالات إنتقادية كثيرة عن هذا الموضوع، فأنصحهم أن يحاولوا أن يقنعوا بعض الجمعيات الإسلامية بأن تناقش هذا الموضوع بين أعضائها.. فأنا أعتقد أن الشيوخ و الأئمة هنا أيضاً يتحدثون في هذا الموضوع، يعرف المسلمون أن كل إنسان حر في إقتناعه و عقيدته، و هناك من الآيات تقول ان "لا إكراه في الدين"، و قسم آخر يقول إن كل من غادر أو ترك دينه فاقتلوه، ففي كل الأحوال هناك تناقض واضح، فعلينا أن نختار المبدأ الذي به إنسانية أكثر و هو أن لا إكره في الدين.. أنا أرى أنه ربما لجنة المسلمين و وجودها و كل وسائل الإعلام و كل الإهتمام الذي تحظى به، سوف ينشط المسلمين بأن يفكروا في هذا المبدأ و يعترفوا بهذه الحقيقة كواقع، و بالفعل لا يمكن أن يكون هناك إكراه في الدين..



العنف الوظيفي ضد المرأة في الدوائر الحكومية

تأليف: كنير عبدالله
من مطبوعات دار سردم للطباعة والنشر
٢٠٠٧



نينار اسبر تحاور ادونيس عن الحب والصداقة والزواج

نينار اسبر -سوريا، باريس
ترجمه عن الفرنسية: رشيد ابو طيب

نينار: كيف كانت علاقتك بجسدك؟ هل أدركت بسرعة أنك رجل وسيم وجذاب؟

أدونيس: لا، لم أدرك ذلك إلا مؤخرا. للأسف، في وقت متأخر!

نينار: (ضحك) أتظن بأني سأصدق مثل هذا الكلام؟

أدونيس: صدقيني، منذ زمن قصير ... سنوات فقط!

نينار: لا أستطيع تصديق ذلك!...(ضحك)

أدونيس: أضيفي إلى هذا أن ما يحز في نفسي هو أن يمتلك المرء هذه الطاقة من الإغواء دون أن يكون يوما ما على علم بها! (ضحك)

نينار: مستحيل!

أدونيس: قبل عشرين سنة فقط اكتشفت هذه المزايا! أو لنقل عندما بلغت سن الأربعين...

نينار: في كل الأحوال، رأيت بعض صورك حينما كنت في الأربعين. لقد كنت فعلا «قنبلة نووية» كما نقول! لكن،هل حقا لم تنتبه لذلك عندما كنت في العشرين؟

أدونيس: لا، البتة. أردد دائما قصة الفتيات اللواتي كن يحببنني دون أن أفهم السبب! لم أعر ذلك أدنى اهتمام. كنت منغمسا جدا في تكوين هويتي وثقافتي... كما أني كنت فقيرا جدا. كانت تعدمني الوسائل...

نينار: ليست القضية قضية وسائل، بل هي بالأحرى قضية وعي بالذات...

أدونيس: لم أكن أشعر بالحاجة أو بضرورة الخروج مع امرأة. لم أفكر بذلك... ويمكن أن أرجع السبب إلى انغماسي الكبير في تكوين شخصيتي وعالمي... كنت مشغولا أيضا بمشاكلي الشخصية... ولم أمتلك الوسائل التي تسمح لي بدعوة امرأة للشرب أو الأكل، كنت فقيرا جدا، وبالكاد كنت أستطيع العيش... ولم أكتشف إعجاب النساء بي إلا بعد فوات الاوان!



(ضحك) وبعضهن أصغر مني بكثير، ولا ريب أنهن يرين فيّ أبا. اقول لإحداهن: «لكني بعمر والدك!» وتصرخ أغلبهن:»أنت شاعر وتتكلم عن العمر!»

نينار: (تضحك)

أدونيس: وكنت أجيبهن:»لكنه الواقع!». وفي جميع الأحوال لم اكن لأنفق وقتا على مثل هذه القصص. فمع التقدم في العمر، يصبح الزمن رأسمالك الوحيد. والزمن الذي تبقى لي هو شيء ثمين للغاية... عليّ أن استفيد من كل ساعة تمر، سواء في العمل أو في القيام بشيء بناء، وإلا فإنني سأشعر بأنه وقت ضائع..

نينار: أعود إلى قضية الإغراء من جديد. كيف واجهت هذا الأمر؟ من الصعب للغاية أن يكون المرء جميلا ومغريا في الآن ذاته وأن يكون، بالإضافة إلى ذلك، شاعرا ومفكرا كما هو الحال معك... هل هو أمر صعب تدبيره؟ أليس أمرا مقلقا؟

أدونيس: لم يشغلني ذلك قط.

نينار: تعني أنه لا يمكن الإحساس بثقل الأمر إلا إذا كنا واعين به؟

أدونيس: عندما يكتشف المرء بأنه جميل، معشوق، مطلوب ومتبوع، فإن ذلك الأمر يمكن أن يطرح مشاكل او يخلق تعقيدات في العلاقة التي يمكن أن تجمعنا بالآخرين. ربما يوجد سبب آخر: فأنا لا أظن بأني سأعثر على جواب لمشاكلي في الحب أو في العلاقات الغرامية. وإذا ماكان هناك جواب فيما يتعلق بي، فلا يمكن العثور عليه إلا في الكتابة والشعر... وإذا ما خيرت بين أن أكتب أو أن أعيش قصة مع امرأة خارقة الجمال، فسأختار الكتابة دون تردد... ليس لأن الشعر يظهر لي أفضل من تجربة مع امرأة... فالمرأة شعر، شعر حي... لكن لأني (لا) أعتقد أن شيئا يعبر بشكل أفضل عن وجودي مثل الخلق الشعري...

نينار: وجسدك؟ هل أنت حر مع جسدك؟

ادونيس: أجل، أحب كثيرا جسدي وأعتني به. لكن «حبي لجسدي» جاء هو الآخر متأخرا. كنت دائما حرا مع جسدي. لكن الحرية تحتاج إلى بعض الشروط. لم أخلط يوما بين الحرية والابتذال. عاشرت العديد من الأشخاص الذين أخطأوا فهم الحرية ولم يحترموا جسدهم. أما أنا فاحترمت جسدي دائما وحميته، لكني حين أمنحه، أمنحه كله.... وبالنسبة لعمري، فإن جسدي في حال جيدة! (ضحك) ولما ألتقي أصدقائي أو أخوتي، يندهشون لذلك...

نينار: لكن اشرح لي معنى «أن يبتذل المرء جسده»، هل أبتذل جسدي حين أمارس الجنس مع عدد كبير من الأشخاص؟ ودون أن نسقط في كليشيه «مارس الحب ولا تمارس الحرب»، أعتقد، بالطبع شرط أن نحسن اختيار شركائنا، أن إقامة علاقات جنسية متعددة شيء مهم: إنه يسمح لنا بمعرفة جسدنا بشكل كامل. إنه شكل مختلف للحوار مع الآخر، معرفته... فجنسية متفتحة تشبه فعل الخلق، إنها تعطينا الإحساس بالوجود، تذكرنا بأننا نملك جسدا له رغبات وشهوات... لا أقول بأنه يتوجب علينا أن نكتفي بالجنس... سيكون أمرا مملا بشكل مرعب... لكني لا أستطيع البتة القول بأن ذاك أو تلك، لا يحسنان التصرف بجسدهما لأنهما يقيمان علاقات جنسية متعددة! وطبعا هناك اختلاف في هذا الأمر بين الرجال والنساء. فالمرء يصف المرأة التي تملك العديد من العشاق بالعاهرة، في الوقت الذي يتم فيه الحديث عن الرجل كزير نساء أو بطل! إنه

أمر غير مقبول بالنسبة إلي. فممارسة الحب طريقة من طرق الاحتفال بالحياة والاحتفاء بالجسد...

وفي هذا السياق تستوقفني قصة صغيرة علمتني بأن الحظر المفروض على الحب والجسد لا يقتصر فقط على العالم الإسلامي. فقد كنت في نيويورك سنة ١٩٩٨ مع سامر وكنا مأخوذين ببعضنا البعض، وكان سامر قد أنهى للتو دراسته في جامعة كولومبيا وأراد أن يطلعني على المدينة. نمشي يدا بيد، وبين هنيهة وأخرى، وتحت وقع العاطفة والرغبة، كنا نمطر بعضنا بالقبل مثل كل عشاق العالم، أو في بعض مناطق العالم... ذلك أنه ولدهشتي، في مانهاتن، في نيويورك، في الولايات المتحدة الأمريكية، بلد الحريات الفردية، كانت السيارات تتوقف بمحاذاتنا ويصرخ ركابها فينا بعصبية:»إذهبوا! وافعلوا ما تفعلونه في مكان آخر!» أو:»شيء قبيح هذا الذي يقومون به، هناك أماكن مخصصة لذلك!»...

أدونيس: أنا تحدثت عن الابتذال لأني أعتبر الجسد البشري هو الأكثر جمالا. وحين نبتذله يفقد خصوصيته ويصبح مثل أي شيء آخر. الجسد شيء متميز ويجب الحفاظ على تميزه. هذا يعني أني أؤمن بأن الجسد من ناحية جنسية يحتاج إلى أجساد أخرى، لكن دائما في إطار علاقات الاحترام المتبادل، الصداقة والحب... الجسد طبيعة، إنه محسوب على الحيوانية... لكنها حيوانية تستطيع أن تتجاوز الطبيعة لتنتهي إلى الحرية. ولا يمكن أن تكون الحرية أمرا مبتذلا. إن الحرية مسؤولية.

نينار: أكان للنساء دور مهم في حياتك؟

أدونيس: لاشك في ذلك. فالحياة بدون نساء فارغة من المعنى. وكانت لدور النساء في حياتي جوانب إيجابية وسلبية... والجوانب السلبية هي التي تعلمت منها الكثير. لقد علمتني بأن الحب أو ما تسميه الحب ليس حلا لمشاكل الحياة الحقيقية. وبالنسبة لي فلا وجود لحب دون صداقة قوية. فإذا لم نستطع أن نحكي للزوجة أو الزوج ما نحكيه لأفضل صديق، فهذا يعني بأننا لا نحبه أو لا نحبها. وكل حب كبير عليه أن يقوم على صداقة كبيرة. أنا أيضا عرفت الكذب، وشعرت بأن الكذب جزء لا يتجزأ من الحياة الغرامية. كيف يتسلل الكذب إلى حياة العشاق؟ سؤال يشغلني. ويبدو لي أننا لن نضطر للكذب إذا ما ارتبط الحب بالصداقة...

نينار: أجل، لكن الكذب غير مرتبط بحب الكذب...

أدونيس: إنها طريقة للدفاع عن النفس...

نينار: لا، إنها طريقة للحماية...

أدونيس: لا تليق بشخص يحب. عاشقان يعيشان معا طوال الحياة فلماذا يكذبان على بعضهما البعض؟ هذا يرغمنا على طرح أسئلة... هناك نوع من الخلل في مكان ما...

نينار: أعتقد بأن هناك أشياء لا يمكن اقتسامها، أشياء يتوجب أن نحتفظ بها لأنفسنا وأن لا نقتسمها مع شريكنا... أحيانا يكون قول الحقيقة للآخر مثل «بيع لروحنا» لأن الحقيقة أو «لعواطف خالصة»، أمر غير موجود. إنه نوع من الاستعباد أن نطلب من أحد أن يكون صريحا ومخلصا، أن يقول الحقيقة ولا شيء غير الحقيقة... إن ذلك عائق أمام الحرية ونوع من الرقابة من طرف الآخر. أن نطالب الآخر بقول الحقيقة، هو تنصيب لأنفسنا مثل قاض، أو مراقب، مثل سلطة ستحكم على الأشياء بهذه الطريقة أو تلك... فمن يقول لنا كيف سيتصرف الآخر أمام هذه الحقيقة التي «نعترف» له بها؟ والآخر، إذا ما جرحته الحقيقة، يمكن أن يدعي الحقيقة حين يقول:»سامحتك». أعتقد أن علينا احترام الشريك دون الاضطرار لقول كل الحقيقة له. يجب أن نبقي لأنفسنا هامشا من الحرية...

قول الحقيقة كل الوقت هو نوع من الإكراه بالنسبة إلي، لأن هناك أشياء أرغب في الإبقاء عليها

لي ولست مستعدة لاقتسامها مع الآخر، حتى وإن كنت أعيش معه. أنا مع الاستقلالية داخل العلاقة. وإذا ما أردنا البحث عن النقاء الخالص أو الحقيقة فما علينا سوى الانصراف إلى الدين والزواج من الرب!، وهنا، سنكون على يقين بأن أملنا لن يخيب! أمام كمال لا يمكن اختباره...

أفضل الرجال «غير الكاملين»، الناس «الكاملون» يشعرونني بالملل...

هذا يعني بأني أؤمن بالحب المطلق، بأخطائه ... أؤمن بحب أقوى من كل شيء، أقوى من الموت، أقوى من الأبناء، أقوى من الحياة... طبعا إنه حلم مراهق، لكنني أؤمن بذلك وأريد أن استمر بالإيمان بأنه يمكن أن نحب أحدا بجنون رغم كل الصعوبات، هذا أمر لا يخيفني...

أدونيس: لكن إذا ما كذب العشاق على بعضهم البعض، فلماذا يعيشون مجتمعين؟ لينفصلوا. اعتقد بأن الذي يكذب في رأسه يكذب في جسده أيضا. الكذب يشوه حتى العلاقة الجسدية ويصبح الجنس مجرد عملية ميكانيكية...

نينار: يمكن لشخصين أن يعيشا معا لأسباب متعددة. أعتقد بأن الكذب جزء لا يتجزأ من الحياة، ويجب أن آخذ ذلك بعين الاعتبار وأحيانا أن أقبل بهذا الواقع. أما فيما يتعلق «بالجسد الذي يكذب»، فيبدو أن الرجال أكثر حساسية من النساء تجاه هذه القضية... إنهم يكثرون من طرح السؤال فيما إذا كانت المرأة قد تمتعت بممارسة الجنس معهم أم لا... (يضحكان) لكن السؤال الأصلي يدور حول دور النساء في حياتك، ليس فقط فيما يتعلق بالعلاقة أو الجنس، ولكن بصفة عامة...

أدونيس: أعتقد بأن الصداقة بين الرجل والمرأة

ذلك... أعتقد بأن هذا الموقف غريب... إذا ما كانت هناك صداقة عميقة وقوية بين رجل وامرأة، ثم انتهت قصتهما، فإن هذا يعني بالنسبة إلي أن كل شيء انتهى...

نينار: أجل، أنا أيضا أعتقد ذلك.

أدونيس: أعود إلى ما قلناه حول الكذب... أعتقد بأن معك حقا. أحيانا يصبح الكذب ضرورة، لأن مواجهة الحقيقة مثل مواجهة الموت... الحقيقة المطلقة نوع من الموت...

نينار: أتعتقد بأنه بإمكان المرء أن يقضي كل حياته مع نفس المرأة؟ أتعتقد بأن الكائن البشري لا يقبل بتعدد الشركاء؟

أدونيس: لا، أعتقد بأن الجسد يحتاج إلى العديد من الأجساد...

نينار: طبعا إن طبيعة الرجل مع تعدد الشركاء...

أدونيس: الرجل؟

نينار: الكائن البشري...

أدونيس: أمر يجب أن يصبح بديهيا...

نينار: ربما يتحقق ذلك بعد خمسين أو مئة عام! أما اليوم، فإننا في حقبة انتقالية. يحتاج الأمر إلى وقت حتى يخرج من دائرة التابوهات... نعرف جميعا بأننا نحتاج إلى شركاء كثيرين في حياة واحدة، لكن هناك العديد من الحواجز الأخلاقية أو الدينية... خصوصا إذا ما تعلق الأمر بالنساء، إننا نعود في نهاية المطاف دائما إلى هذه اللامساواة ...

لكن اليوم يبدو صعبا أن يقبل المرء بتعدد الشركاء أو الشريكات... العالم كله يدعي البحث عن «الرجل المثالي» أو «المرأة المثالية»...

يتحول إلى حب، لكن هل يمكن للحب أن يتحول إلى صداقة؟ أعرف أصدقاء أحبوا بعضهم، ثم افترقوا وظلوا رغم ذلك أصدقاء. أتساءل أحيانا كيف استطاعوا

نينار: أعتقد بأن الخيانة جزء من الزواج أو العلاقة بين رجل وامرأة. إذا ما تزوجنا يجب أن نأخذ هذا بعين



الحسبان أي احتمال أن يخدعنا الآخر يوما... لهذا السبب لم أتزوج... لا أستطيع أن أتحمل قضاء كل حياتي مع رجل واحد! حتى وإن كان ذلك في العمق حلمي، فإني أعرف بأنه مستحيل التحقق!...

أدونيس: قد تدفعين ثمن ذلك غاليا!

نينار: في جميع الأحوال فإن الواقع هو نفسه... فإما أن تحب أحدهم، ثم تعشق آخر وإما أن يعشق صديقك شخصا آخر.. تلك أشياء تحدث... إنك تفترض بأن الأمور مستقرة وتدوم طوال الحياة. دون أن نتحدث عن الداعي هناك شركاء توقفوا عن حب بعضهم البعض بعد سنوات قليلة من الزواج... هل يمكن أن نحب أحدا طوال الحياة وبنفس القوة؟

أدونيس: ما الحل إذن؟

نينار: إما أن نخلق كل مره نخون فيها الآخر أو أن نتوقف عن حبه ونتزوج من جديد. وإما أن نستمر في العلاقه حتى وإن كنا لا نحب الشريك، وكل يعيش حياته كما يريدها مع الإبقاو على العلاقه الزوجيه ... ليس هناك حل يالپ ... أمر مرعب... لكنني أنثر

صعب، إنه نوع من الحداد، تمزق، يفضي إلى فقدان مطلق للثقة بالنفس... نشعر برغبة في الموت، في الانتقام.. عشت قصصا من هذا القبيل، إلام نعيشها حتى لحظه المراهقه، ولربما أيضا بقوه كبيره لأننا بعد سذج، ونعمل على أمثله الحب والمحبوب. وإذا ما قبلنا فكره الزواج وفكره أن نتزوج، فيتوجب علينا أيضا أن نقبل شروطه وحدوده على السواء.

أدونيس: أنا أؤمن بضرورة إلغاء مؤسسة الزواج...

نينار: حقا؟...

أدونيس: يجب، بكل بساطة، إلغاؤها.

نينار: هناك شيء ننسى التنويه به، وهو أننا نعيش في أوروبا، وأنه من الممكن هنا أن نعيش مع شخص ما دون أن نكون متزوجين؛ بل من الممكن أيضا أن يكون لنا أطفال دون أن نكون متزوجين. لكن إذا ما عشت في بلد، لا مكانة فيها للمرأة إذا لم تكن عذراء أو متزوجة أو أما (وأحيانا لا حقوق لهن كما هو الحال في البلدان العربية الإسلامية)! فلا يمكنك حينئذ سوى الزواج، ولا تستطيع حتى أن تتزوج زواجا مدنيا.

أدونيس: بعض الناس بدأوا رغم ذلك بالعيش معا دون زواج؟

نينار: أجل، لحسن الحظ؛ لكن متى أرادوا أطفالا، يتوجب عليهم الزواج، وإلا فلن يكون للأطفال أي حقوق مدنية وأي وجود.

أدونيس: يمكن اللجوء إلى زواج المتعة كما الحال لدى الشيعة...

نينار: لكن يجب أن يكون المرء شيعيا...

أدونيس: يمكن ادعاء ذلك شكليا، لكن تلك صيغة موجودة...

نينار: أجل، لكن دائما في إطار الدين!

أدونيس: أجل.. إنما بتجاوزه...

نينار: في حديثك عن النساء، فضلت دائما النساء الطبيعيات... لا أحمر شفاه، لا ماكياج، لا ...

الخ. لم أفهم يوما هذا الذوق. هل تحبذ المرأة التي تضع كل ذلك؟ أفضل أن يكون للمرأة الخيار بين استعمال الماكياج من عدمه، أن ترتدي ملابس

ضيقة، أحذية بكعب عال، فساتين مثيرة أو جينز مع أحذية رياضية. أعشق النساء اللواتي يزين جسدهن بالماكياج والوشوم.

أدونيس: هل ستحبين رجلا يضع ماكياجا؟

نينار: لكنني أكلمك عن النساء... في جميع الأحوال، أن يضع رجل كحلا على عينيه، أمر أجده رائعا! وإذا ما وضع حلقا في أذنيه، أمر جميل جدا ومثير...

أدونيس: بشرة المرأة شيء جميل جدا. يجب أن نترك البشرة تحيا وتتنفس... لماذا طليها بشيء أقل أهمية؟

نينار: يجب أن نكون جديين وأن نفصل بين الشيئين: إذا أردت أن تضاجع امرأة تلتصق من كل ناحية لأنها بالغت في استعمال الماكياج، أو لأن شعرها مليء بالدهان.. طبعا هذا الأمر ليس بمغر ولا جذاب أبدا! (ضحك) أكلمك عن المرأة في سياق آخر، وليس في وضعية جنسية...

أدونيس: يمكن أن أفهم حين تضع امرأة تملك عيونا جميلة بعض الأشياء على عينيها لكي تبرزهما، لكن بشرط ألا يكون الماكياج هو الغالب.

نينار: أنا أحب الزينة... أجد ذلك أمرا مهما...

أدونيس: وأنا لا أحب ذلك...

نينار: لماذا؟

أدونيس: إنها مسألة ذوق. ليس عندي شيء ضد أحمر الشفاه، عليه أن ينسجم مع الوجه فقط... يمكن أن أفهم الجانب المتعلق بالزينة، لكني لا أحبها. أفضل امرأة بلا ماكياج، وبلا شك لأني أعتقد بأن البشرة هي الوسيلة الأكثر إيروتيكية في التواصل مع العالم الخارجي. لا أستطيع تصور حاجز بين البشرة والعالم...

نينار: الإغراء هو بالضبط وسيلة للتواصل مع العالم...

أدونيس: أقول للمرأة التي أحبها: »أحبك هكذا، دون ماكياج... لمن ستضعين ماكياجا؟ إذا كنت تفعلين ذلك لي، فأنا لا [illegible]»

نينار: لكنها تضع ماكياجا لنفسها! إذا ما أحبت صورتها بأحمر الشفاه ، فماذا ستفعل؟

أدونيس: لا أفعل شيئا، لا أقول شيئا.. أقبل بذلك في نهاية المطاف...

نينار: حقا؟

أدونيس: كنت أكلمك فقط عن ذوقي...

نينار: إذن فأنت لا ترفض قطعا النساء اللواتي يضعن ماكياجا؟

أدونيس: لا، أبدا.

نينار: من بين كل أولئك الذين لا يحبون أن تضع المرأة ماكياجا، النسويات المتطرفات، اللواتي يعتبرن أنفسهن رجالا... وطبعا أيضا الرجال التقليديون أو المتدينون، الذين يعتقدون بأن المرأة «كائن خالص» و»طبيعي»... إنهم يعتقدون أن المرأة «من الطبيعة» كائن غير خالص ويجب إبعادها عن كل مظاهر الزينة التي تؤدي إلى الإغراء... وفي اليوم الذي تصبح فيه أما، حينئذ تتغير وضعيتها ويتم منحها بعض الحريات!...

أدونيس: وفي يوم آخر...

نينار: توجد هناك العديد من الأدبيات الإيروتيكية العربية. نصوص ليست مهمة من حيث الأسلوب، لأنها كتبت بأسلوب شعبي ومبسط. لكن مضامينها، بعكس ذلك، مثيرة ومدهشة! النصوص التي قرأتها ظهرت بين القرنين العاشر و الثامن عشر. ماذا تمثل هذه الكتب في الثقافة العربية؟ ما الذي قدمته للمجتمع؟ أي مكانة احتلتها وأي تأثير لها حتى يومنا هذا؟

أدونيس: هناك كمية كبيرة من النصوص الإيروتيكية لدى الشعراء العرب. أما النصوص التي أشرت إليها فتنتمي إلى الثقافة الشعبية. إنها لا تنتمي إلى الثقافة العارفة لأسباب دينية، أخلاقية ولغوية بلا شك... وهذا يعني بأن هذه الكتب تمت قراءتها في السر، من طرف أناس تكونت ثقافتهم الإيروتيكية

والجنسية بفضل هذه الكتب. هذا كان في الماضي. أما اليوم فالأدب الإيروتيكي تم ابتذاله، ويمكن لكل شخص، خصوصا بوسائل التواصل الحديثة... أعتقد أنها كتب مهمة جدا، والمثير للدهشة أن أغلب مؤلفي هذه الكتب هم من رجال الدين أو من المتدينين... ما يثبت انفتاحا فكريا كبيرا ورؤية إلى حياة ملؤها الحب. إني أقدرهم جدا، لكن هذه الكتب لم تلعب دورا في الحياة الثقافية...

نينار: أمر غريب ومؤسف!

أدونيس: بسبب الدين والضغط الاجتماعي...

نينار: ما يحيرني هو وجود كل هذه الأدبيات الإيروتيكية التي تدور حول الجسد والمتعة الجنسية، إلى جانب قصص عن رجال أحبوا نساء ونساء أحببن رجالا ورجال أحبوا رجالا ونساءا احببن نساء، وزيادة على ذلك وجود شعر إباحي، مثل قصائد عمر بن ربيعة وآخرين. ماذا تبقى من ذلك؟ لماذا بالرغم من كل هذا الميراث الثقافي، ظلت المجتمعات العربية جد محافظة؟ لماذا لا يزال الجسد بمثابة تابو حتى اليوم، بل أكثر من أي وقت مضى؟.. لماذا هذه النزعة نحو التجريد؟ إننا نتخيل، نحلم ونأمل.. الكل يبقى في الرأس، ممارسة ذلك يظل صعبا.. هل بسبب الثقافة الشفوية؟ هل النص أهم من الأفعال؟ نتكلم لكنا لا نفعل شيئا؟ ربما يخاف العرب من قوتهم الإيروتيكية، ولهذا السبب يقدمون على إخفائها، عن طريق ممارسة الإعلاء النفسي (دون الحديث عن الحريم)، الذي ساهم في إيروتيكية العالم العربي ـ الإسلامي، وهو ما يغذي خيالات الغرب. النساء هنا، كأشياء، عبيد، دون أخذ رغباتهن بعين الاعتبار. هل الأحلام والأوهام هي الوسائل الجيدة للهروب من الواقع اليومي الواقع تحت وطأة التقاليد والدين؟

أدونيس: أعتقد بأن هذه الفرضية الأخيرة هي الأكثر معقولية. يضغط الدين بقوة على حياة الأفراد، ولهذا السبب كانت للعرب حياتان دائما: حياة سرية فردية، حيث يمارسون الجنس، والمتع بمختلف أنواعها، وأعتقد أن لا أحد عاش تلك المتع التي عاشها العرب! وحياة دينية رسمية. وما نقرأه في التاريخ العربي عن العلاقة بين النساء والرجال قوي جدا. إذ كان من الممكن أن يموت الرجال بسبب حبهم لامرأة، يمكن أن يطاردوها من بلد إلى آخر، قتل زوجها من أجل تملكها، أو حتى اختطافها... كانوا يمارسون كل المتع ولكن سرا، حتى لا يدخلوا في صراع مع الدين وبقية المجتمع. الجانب الآخر من المجتمع العربي متدين، محافظ ويحترم التقاليد والنصوص القرآنية.. وحتى اليوم يسلك المجتمع العربي هذين الطريقين، طريقا إيروتيكيا، سريا وآخر متدينا. ومن أجل ذلك يمكننا القول بأن الشخصية العربية مزدوجة، قائمة على الكذب والنفاق. لنتوقف؟

حكومة الشيخ محمود
خلاصة الديباجة والتاريخ
٢-٣

اعداد: صديق صالح

ترجمة: دانا احمد مصطفى

٢/٢-الحكومة الثانية لكردستان ١٩٢٢/١٠/٩-١٩٢٣/٣/٣

٢/٢/١-الدورة الاولى لحكم الانكليز المباشر في السليمانية ١٩١٩/٦/١٩-١٩٢٢/٩/٤

ان الشيخ محمود الحفيد اراد ان تؤازره الانكليز، ليتمكن الشعب الكوردي بعد كوارث الحرب، ان يستوي على سوقه، ويتعلم طرق الحكم الجديدة، ويحميه من طماع الاتراك والفرس والعرب، انه يعتقد ان مجيء الانكليز كان خلاصا من حكم الاتراك الطويلة، كما ان مجيئهم كان فرصة سانحة لتأسيس دولة كردية برئاسته. لكن أمله هذا قد خاب، وقد نفي الى هندستان انتهاء لحكمه.

لقد جعل الانكليز دائرة الضباط السابقة (التي هي في الاصل بناية المدرسة الاعدادية في عهد العثمانيين، وقد بنيت بمؤازرة المنفقين)، مقرا عسكريا في الدورة الاولى لحكم الانكليز. وقد طلب منهم الناس ان يخلوها، فاضطروا للانتقال الى المقر العسكري الواقع على تل قشلة[١٠٧].

لقد عاد ميجرسون الى السليمانية في ١٩١٩/٧/١ بعد رحيله منها قبل أحداث مايس ١٩١٩. وفي ٨/١٣ صدر بيان بصدد انتشار الامن والطمأنية في جميع أرجاء كردستان[١٠٨]. وقد وضع سون برنامجا لإعمار وتطوير منطقة السليمانية، حيث يشمل برنامجه: سرجنار، تانجرو، قرداغ، سورداش، سروجك، زاب (شوان)، حلبجة، بنجوين، شاربازير، شيوكل، قميش، جمجمال، بازيان، خورمال، هورين-شيخان ورانية وخلكان، جناران، قلعة دزه، مركة، وناودشت[١٠٩].

فشرعوا باصلاح الطرق الخارجية التابعة لسورداش وحلبجة و كفري، وبنوا سدين لطريق حلبجه حتى

تانجرو، وكذلك بنوا سداً ذا خمسة اطباق على طريق كفري بالطابوق، كما قاموا باصلاح طرق وازقات المدينة[110].

قام الجنرال سيرجوج ماكون بمنح سيف الشرف لمقدم رضا بك ابن اسماعيل بك، إكراما لجهوده المضنية وسعيه الدؤوب في عمله، وجعله مساعد الضابط السياسي في شاربازير، التي حينذاك كانت (سيتەك) مركزا لها، ومن ثم عينه كأول قائممقام لقضاء شاربازير، التي كانت (جوارتا) مركزا جديدا لها[111]. ان توفيق وهبي الذي عاد الى السليمانية بعد حرب مضيق بازيان، عين نيابة عن ر.ي.باركر، مساعدا للضابط السياسي في رانية[112]. بعدها عين قائدا لقوات (ليفي) في السليمانية[113]. وقد عين غفور آغا الحاج رئيسا لبلدية السليمانية[114]. وفي السنة التالية، عين محمود افندي ابن قادر اغا، بعد وفاة عبدالله بك ياور، رئيسا جديدا للبلدية[115].

كانت السليمانية في ذلك العهد، عدا مدرسة (نمونەى سعادەت) التي كان رشيد زكي مديرا لها، كذلك بنيت مدرسة (نمونەى عيرفان) كمدرسة أولية ذات أربع مراحل، وعين سعيد زكي ابن فتاح، مديرا لها[116].

كان مسؤولو الانكليز بعد نفي الشيخ محمود، فكروا في سدّ الفراغ الناجم عن نفيه، والذي أدى الى خلق بلبلة بين أهالي تلك المناطق، فبلوروا على ان يسدوا مكانه بشخص آخر. وهو حمدي بك ابن محمد رشيد باشا ابن خديو ابن سليمان باشا التابع لآل بابان[117]، حيث كان أحد الشخصيات البارزة، الجدير بذلك المنصب، فهيئوا له سفرا الى كردستان وذلك إما في شهر كانون الثاني ١٩٢٠ او في كانون الاول ١٩١٩، فولج كردستان، ومن ثم السليمانية، ومنطقة بشدر، ثم عاد الى بقداد[118]. لكنه لم يعين في ذلك المنصب.

رغم ان المنورين واشراف منطقة السيمانية أسسوا منظمة في ١٩١٩-١٩٢٠ باسم (جمعية استقلالية كردستان)، وذلك بغرض نصرة حمدي بك بابان وتأهيل أرضية خصبة لجعله حكمدارا لكردستان، الا ان هذه المنظمة تلاشت، وذلك بسبب صمت حمدي بك وكذلك تفنيد مشروع النيابة[119].

ولغرض ادارة المدينة، انتخبت يوم ١٩٢٠/٤/١٧ كل من:

الحاكم السياسي رئيسا، و (المقدم) عبدالله بگ ياور، وتوفيق وهبي، وميرزا فرج الحاج شريف، والحاج ابراهيم آغا الخفاف، وخواجة يونتوب اعضاء[120].

لقد اتى (سون) بآلة الطباعة الى السليمانية، وعلم اشخاصا آخرين حرفة الطباعة، منهم: الشيخ عبدالمجيد الشيخ عارف، واخوه الشيخ محمد طيب، محمد اديب، ومحمد توفيق[121]. ان هذه الطابعة لعبت دورا آخر رغم طبع اوراق الدوائر، وهو طبع جريدة (پێشكەوتن- التقدم) للمرة الاولى من تأريخ مدينة السليمانية حيث صدر العدد الاول منها يوم ١٩٢٠/٤/٢٩.

عمت الفوضى في هذه الفترة، مناطق كردستان الجنوبية، بشكل متفاوت اذ قتل الكابتن (ماكدونالدي) مدير الشرطة يوم ١٩١٩/٧/١٥، وكذلك ساپ وترووپ بعد شهرين من مقتل المدير، في منطقة آميدي[122]. كما قتل كل من الكابتن بيل الحاكم السياسي للموصل ومعاونه (سكوتي) في ٤/ كانون الثاني/ ١٩١٩، اثر مؤامرة حيكت من قبل الزيباريين والبارزانيين، وقد نفذت العملية في قرية (پيره كەپره) على طريق آكري[123]. وفي ١٩٢٠/٨/٢٢ استولى (ابراهيم خان دلو) على مدينة (كفري)، والقى القبض على (حاكمها السياسي وهو (سالموند)، واسس مجلسا لادارة المدينة، ولكن قوات الانكليز بعد جهد جهيد استطاعت ان تعيد مدينة (كفري) مرة اخرى الى سيطرتها[124]. عقد مؤتمر لندن في ١٩٢٠ من قبل الدول المتحالفة، وكان احد مواضيع المؤتمر مسألة ولاية الموصل (كردستان الجنوبية)، حيث ابقيت كمشكلة مفتوحة وقابلة للنقاش، غير قابلة للحل النهائي[125].

وفي شهر نيسان من العام نفسه عقد مؤتمر (سان ريمون) من قبل الدول نفسها. وقد وقعت الدول

الثلاث (بريطانيا، وفرنسا، وايطاليا) يوم ١٩٢٠/٤/٢٣ مشروع اتفاقية ثلاثية حول كردستان[١٢٦].

وقد وقع على اتفاقية (سيفر) في ١٩٢٠/٨/١٠ بين التحالف والدولة العثمانية، حيث قرر (حسب بنود هذه الاتفاقية الثلاثة (٦٢-٦٤٦٣) ان توضع خطة اوتونومية (الحكم الذاتي) وفق هذه الاتفاقية تنفذ هذه الخطة خلال ستة اشهر من عقد الاتفاقية، وذلك في المناطق الكردية الواقعة بين شرقي نهر فرات وجنوب حدود القسم الجنوبي لارمينيا وشمال حدود تركيا –سوريا وتركيا- العراق. وبعد عام ضمن تنفيذ الاتفاقية اذا طلب الكرد الساكنون في تلك المناطق، من مجلس الولايات المتحدة، ان يستقلوا بأنفسهم وينعزلوا عن تركيا، وادرك المجلس ان تلك المناطق جديرة بهذه الاستقلالية، فيمنحها. حينذاك فان التحالف يوافقون على ان ينضم الكرد الى دولة مستقلة مكونة من الكرد القاطنين في ذلك الجزء من كردستان والذي كان ضمن ولاية الموصل حتى ذلك الحين[١٢٧].

كانت منطقة (رواندز) التي اخلتها قوات الانكليز بضغط من اهالي المنطقة، اصبحت في ١٩٢٠/٨/٣٠ مركزا للمعارضين، حيث ولجتها القوات السورجية ونوري باديل اغا ورجاله[١٢٨].

اسست اول حكومة للعراق في ١٩٢٠/١٠/٢٥ برئاسة (عبدالرحمان النقيب)، وبقيت حتى ١٩٢١/٨/٢٣[١٢٩]. اقر مجلس وزراء هذه الحكومة في ١٩٢٠/١١/١٠ بتأييد من المسؤولين الانكليز، ان يعيد هؤلاء الاشخاص الذين نفوا الى جزيرة (هنكام) الى العراق[١٣٠]. لكن هذا القرار لم يشمل الشيخ محمود الحفيد.

كان اهل وعيال واقرباء وانصار الشيخ محمود الذين شردوا بعد معركة (دربندي بازيان) الى كردستان ايران، قد ولجوا مدينة (سقز) و (ورمي) و(منكور) ومن ثم (نهري) و (كونه شار) و (جاريه) التابعة لكردستان تركيا كتبت منطقة (سمكو)[١٣١]. عام ١٩٢١ وبعد موافقة الحاكم السياسي على عفوهم عاد بعض اقارب الشيخ الى السليمانية[١٣٢]. منهم الشيخ قادر الحفيد الذي القي القبض عليه في مدينة (سقز) ومن ثم سلم الى بغداد، في ١٤/ حزيران/١٩٢٠، ثمت تقول على انه وبرفقة الشيخ غريب وتوفيق قادر ومحمد فتاح، نفوا الى بصرة لغرض نقلهم من هناك الى هندستان[١٣٣]. وقد بقي في بغداد طوال شهري مايس وحزيران عام ١٩٢١[١٣٤].

آنذاك كان السيد الشيخ طه النهري احد ابرز الشخصيات والقيادة، حيث دار النقاش حوله بغرض جعله حكمدرا لمنطقتي السليمانية ورواندز بدل الشيخ محمود. لكنه لم يعتبر اهلا وذا كفاءة كافية لهذه المهمة[١٣٥].

في بداية شهر شباط عام ١٩٢١ عقد كونفراس بلندن، بحضور ممثل الدول المتحالفة والدولة التركية. وقد عقد مؤتمر القاهرة في ١٢-٣٠ من شهر مارت عام ١٩٢١، وقد حضره كل من جرجل وزير الكولونية، وسير بيرسي كؤكسى المندوب السامي وميجر يونط وميجر نوئيل وجعفر العسكري والجنرال هالدني القائد العام للقوات البريطانية في ميزوبوتاميا وساسون حسقيل. وقد خصصوا النطقة الرابعة من حوارهم لبحث وضع وظروف المناطق الكردية وعلاقتها بدولة العراق. وقد قرروا ان يؤكدوا على اراء الكرد هل هم يريدون الانضمام الى العراق ام يريدون الاستقلال؟[١٣٦]. وكان رأي المسؤولين البريطانيين في العراق هو اذا فصلت ولاية الموصل عن بقية المناطق. فلا تؤسس دولة قوية من بغداد وبصرة[١٣٧].

وقد قال نوئيل ويونط حريصين على قولهم: (نحن نأيد انضمام المناطق الكردية بالدولة العربية (الميزوبوتامية) فحسب، بل ينبغي للحكومة الموقرة –قدر استطاعتها- ان تنتمي أواحد اتحاد الكرد مع الاقوام الاخرى». وكان رأي جرجل هو: (ان اي حاكم عربي مائل في العراق، يهمل الحس القومي في المستقبل ويقوم باضطهاد الكرد»[١٣٨].

وحسب تقرير لنوئيل كثب الشيخ محمود جزيرة (هنطام) الواقعة قرب مضايق (هورموز) وذلك

في شهر مارس عام ١٩٢١[139]. ومن المحتمل انه في بداية هذه السنة او نهاية العام السالف جيء به من (ئەندامانه) الى هناك. وقد رحل (ميجر سون) السليمانية من يوم ١٩٢١/٣/٥ باجازة لمدة ستة اشهر. ويبدو ان مضاء (سون) من السليمانية كان بسبب رأيه الاخير، حيث لم يتوافق مع رأي (المندوب السامي)، اذ يقال: انه مطلب من بريطانيا ان تؤسس دولة كردية تحت سيطرتهم[140]. ففي اليوم الاول من شهر مارس فصاعدا اصبح (گولد سمث) حاكما سياسيا[141].

لقد اصدر (المندوب السامي) قرار العفو العام يوم ١٩٢١/٥/٣٠، وذلك بأمر من الملك البريطاني، وقد شمل هذا القرار المتهمين الماثلين حتى شهر تشرين/ عام ١٩٢٠، ويطلق صراحهم بتأريخ ٢٠/ من شهر مايس[142] ويعادون الى مناطق سكناهم. ولم يشمل هذا القرار الشيخ محمود الحفيد كما كان في القرار السابق.

وفي الوقت نفسه ابلغ (المندوب السامي) الحاكم السياسي الانكليزي في السليمانية، ان هذه المنطقة لاتدخل ضمن ادارة العراق لمدة ثلاث سنوات اخرى، بعدها يؤخذ رأيهم هل هم يقبلون انضمامهم الى حكومة بغداد (الشعبية) ام لا[143].

في ١٩٢١/٦/٢٩ وصل فيصل ابن الشريف حسين الذي عين للعراق، الى مدينة بغداد. وفي الانتخابات التي اجريت للمصادقة عليه في الوية العراق، فقد صوت اهالي كركوك ضد الملك فيصل، ولم يشارك اهالي السليمانية اجراء الانتخابات. واشترط اهالي اربيل والموصل تأمين حقوق الاقليات بهدف تأسيس تلك الادارات التي وعدها التحالف في معاهدة (سيفر)، وقد وضع على راس فيصل تاج الملكية في ١٩٢١/٨/٢٣[144].

وفي هذه الفترة هناك شائعات حول اعادة الشيخ محمود. لكن الحاكم السياسي فند هذا الخبر في جريدة (پێشکەوتن- التقدم) وقد صرح نصا: «حتى الان لم يكن في نية الحكومة ان يسمح للشيخ محمود بالعودة الى العراق او كردستان»[145].

وفي ١٩٢١/٨/١ وصلت عصبة قطاع الطرق التركية الى رواندز. وقد استولت بمعاونة قوات العشائر الكردية، على مضيق (باتاس)[146]. من هنا فان معارضي الانكليز توجهوا الى رواندز. وكان بعض آغاوات منطقة (بشدر) برئاسة (هباس محمود آغا) الذي هو ضد الانكليز، قد التحقوا بالحركة نفسها في ربيع ١٩٢٢، وبعثوا (احمد آغا بشيد) الى رواندز كممثل لهم[147].

وكان كريم بگ ابن فتاح بگ الهموندي، الذي اغتال في ١٩٢٢/٦/١٨ كلاً من الكابتن بوند الحاكم السياسي لچمچمال والكابتن ماكانتي قائد قوات (ليڤى)، قرب مضيق بازيان[148]، قد فره الى هناك.

ولما وصل (ئوزدمير) الضابط الجركسي انسب، في الجيش التركي، الى رواندز في ١٩٢٢/٧/٢٣[149]، هيجت الحركة، وقد هاجمت قواته الى منطقة (ناودەشت) واستولوا عليها في ١٩٢٢/٨/١٢. وفي ١٩٢٢/٨/١٢ استولت على مضيق (رانية)، وكانت سيطرتها تشمل حتى مدينة (كۆيه)[150].

وكان المندوب السامي (پيرسى كوكس) في تشرين الاول ١٩٢١ اخذ امر (جرجل) وزير الكولونية، بخصوص ضم المناطق الكردية الى العراق، حيث منحها حكما اوتونوميا اقليميا، ويشاركون في المجلس العام. واذا رغبوا عن وضعهم تحت سيطرة العرب، فلا يوضعون تحت سيطرتهم. منذ ذلك الحين كانت المسألة الكردية، انتهى الجزء المتعلق منها بالسياسة البريطانية (على الاقل)[151].

وقد انتخب مجلس لواء السليمانية في ١٦/تشرين الاول/ ١٩٢١، مرة اخرى، منهم: الحاج سعيد آغا، محمد آغا ابن عبدالرحمن آغا، وجمال عرفان، والحاج ابراهيم آغا الخفاف، واربعة من الاقضية وهم: «امين اغا البن رشيد اغا الهموندي، محمد صالح بگ ابن محمد علي بگ، وحامد بگ ابن مجيد بگ ابن عثمان باشاه، وهمزة آغا ابن عبدالله آغا. واربعة آخرون من المؤمورين وهم: احمد مختار قاضي، وصديق مظهر، وصالح پاشا، والكابتن هولتي معاون الحاكم السياسي[152].

قد قرر مجلس الوزراء لحكومة الملكية العراقية في ٢٧/ ١٩٢١/١٢ ان تكون اللغة العربية بدل اللغة الانكليزية، لغة رسمية في جميع انحاء البلاد، وذلك من رأس السنة العالمية الاتية (نيسان ١٩٢٢).

وفي العام التالي ١٩٢٢/٧/٢ قرر المجلس نفسه على قانون (الجمعيات)[١٥٣]. ووفق الفقرة الخامسة للمادة الرابعة سلب منهم حق تأسيس الاحزاب والجماعات السياسية الكردية ومن ثم منع منهم اصدار الصحف والمجلات السياسية الكردية المعلنة.

وفي ١٩٢٣ الغى بعض من منوري السليمانية ان ظروف الثورة في منطقة كردستان ايران اكثر ملاءمة، لذا فقد قرروا ان ينضموا الى حركة (سمكو) ليمنحوها قوة وبطشا ويكون لهم القدح المعلى في ارشادها وتنميتها. منهم: صديق شاويس، ورشيد جودت، وعارف صائب، وفائق اسماعيل بك. وماجد مصطفى وفؤاد مستى، ولما وصلوا الى (بوكان)، سمعوا ان وزير الحرب الايراني صرح بانه حركة سمكو تكبدت، فقفلوا الى قرية (ضنطيان) وثمت سمعوا ان الانكليز تركت السليمانية، وان الشيخ قادر اصبح حاكم المدينة. فقفلوا راجعا الى المدينة[١٥٤].

لم يلفوا احدا يكون اهلا لمكان الشيخ محمود، لذلك فاضطر (گولد سمث) الى اعادة الشيخ بمرتبته السابقة[١٥٥]. ففي ٢٧ او ١٩٢٢/١/٢٨ نقل الشيخ محمود من جزيرة (هنگام) الى الكويت. وفي ٩/١٣ من السنة نفسها اعيد من ثم الى بغداد[١٥٦].

عقد اجتماع واسع يوم الجمعة ١٩٢٢/٧/٢١ في مسجد الحاج سعيد بن حسن المفتي، وذلك بطلب من مصطفى ثاشا ياملكي وباجازة الحكومة السياسية في السليمانية ورضانها وعدد من الرجال الدين ومنوري المدينة، و كاسبيها.

فقد قرروا في ذلك الاجتماع تأسيس جمعية سياسية باسم (جمعية كردستان) برئاسة مصطفى ياملكي. وقد انتخب ثلاثة عشر شخصا كاعضاء المجلس الاداري كالآتي: رفيق حلمي، واحمد بگ ابن توفيق بگ و صالح افندي قپانچي فائق بك ابن معروف بك والحاج اغا فتح الله، وعزت بگ ابن عثمان پاشا، وادهم افندي يوزباشي، واحمد بهجت افندي يوزباشي، والشيخ محمد گولاني، والشيخ على سركار، وعلي باپير اغا، وعبدالله بن محمد افندي، وشكري عه‌له‌كه. وجعلوا جريدة (بانگی کردستان- نداء كردستان) لسان حال الجمعية، تسلم ومصطفى پاشا ياملكي منصب صاحب الامتياز والمدير المسؤول. وكان على كمال باثير والشيخ نوري الشيخ صالح عضوي هيئة التحرير للغتي الكردية والفارسية، وكان رفيق حلمي محررا للقسم التركي في الجريدة[١٥٧]. صدر العدد الاول منها في ٢/آب/ ١٩٢٢، علما ان جريدة (پيْشكه‌وتن- التقدم) وبسبب صدور هذه الجريدة، قبلها وفي عددها (١١٨) يوم ٢٧/تموز/ ١٩٢٢، توقفت عن الصدور.

وفي شهر آب عام ١٩٢٢ جرى انتخاب مجلس لواء السليمانية للمرة الثانية، وفي يوم ١٩٢٢/٨/٢٣ انتخب (المنتخب الثاني) من قبل (المنتخب الاول). بعدها عين للمنتخب عضوان آخران[١٥٨].

وفي شهر آب من ١٩٢٢ فسح المجال للشيخ قادر الحفيد ليعود الى السليمانية[١٥٩]. وفي النصف الثاني من الشهر نفسه ولج قرية (داريكه‌لي) قد وصل السليمانية في الاول من شهر ايلول[١٦٠].

لهوامش:

١٠٧-كرد وترك وعرب، ٧٩

١٠٨-المصدر نفسه ٥٣

١٠٩-سيروان بكر سامي وعلي ناجي كاكه حمه امين عطار، (بيشكه‌وتن-التقدم) اول صحيفة السليمانية، ١٩٢٠-١٩٢٢، اربيل، ١٩٩٨، ١٥٠،١٥٨، ١٦٢، ١٦٦

١١٠-المصدر نفسه، ٤٣،٢٣٣،٢٣٤

١١١-كرد وترك وعرب، ٩٩

١١٢-المصدر نفسه، ٨١

١١٣-رفيق حلمي، مذكرات، ج١، ب٣، ٣٣

١١٤-كرد وترك وعرب، ٨٣

١١٥-(بيشكەوتن-التقدم)، ١٨٩-١٩٠

١١٦-المصدر نفسه، ١١٤، ٢٤٠

١١٧-لمزيد من المعلومات حول حياته، انظر: مير بصري، أعلام الكرد، رياض الريس للكتب والنشر-لندن-قبرص، ١٩٩١، ١٩٥-١٩٦

١١٨-حسب الرسالة التي كتبها لـ(ن.ب.فولر)، يوم ٥ من كانون الثاني ١٩٢٠. لزمته زيارة مدينة السليمانية في ذلك الشهر أو سابقه، مع ذلك، فيترجح ان تكتب رسالة كهذه بخصوص سفر مهم كهذا، متزامنا، (أي في كانون الثاني ١٩٢٠)، (الدكتور احمد عثمان ابو بكر، كردستان في عهد السلام، القسم الثالث والعشرون «الثقافة» العدد ١، كانون الثاني ١٩٨٣، ٥٨-٦٧).

١١٩-مذكرات، ج٣، الفصل الثاني، ب٤، ١٠٩-١١٩

١٢٠-(پێشكەوتن-التقدم)، ٤٨

١٢١-احمد خواجه، ماذا رأيت؟، ب٢، السليمانية، ٤٩،٥٠، ٥٢، د.كمال مظهر، نبذة من تأريخ أول مطبعة كردية في مدينة السليمانية، مجلة (روشنبيري نوي-الثقافة الجديدة)، بغداد، العدد ٧٧، تشرين الاول ١٩٧٩.

١٢٢-م.ر.هاوار، الشيخ محمود البطل ودولة كردستان الجنوبية، ب٢، ١٩٣

١٢٣ المس بيل، فصول من تاريخ العراق الحديث، ٢٢٦

١٢٤-مصطفى نريمان، ثورة ابراهيم خان دلو، بغداد، ١٩٨٥، ١٣٢-١٣٤، ١٤٠-١٤١، ١٥٠

١٢٥- الدكتور احمد عثمان ابو بكر، كردستان في عهد السلام، القسم الثامن «الثقافة» العدد ٧، تموز ١٩٨٠، ٤٥-٥٤

١٢٦-المصدر نفسه، القسم التاسع «الثقافة»، العدد ٨، آب ١٩٨٠، ٣٤-٤٦، والقسم العاشر، العدد ٩، أيلول ١٩٨٠، ٩٢-١٠٢

١٢٧-الدكتور فاضل حسين، مشكلة الموصل، ط٢، مطبعة السعد-بغداد، ١٩٦٧، ١٣

١٢٨-دبليو.آر.هي، سنتان في كردستان ١٩١٨-١٩٢٠، ترجمة: فؤاد جميل، ج٢، بغداد، ١٩٧٣، ١٣٣-١٣٥

١٢٩-عبدالرزاق الحسني، تاريخ الوزارات العراقية، ط٥، ج١، بيروت، ١٩٧٨، ٨

١٣٠-المصدر نفسه، ٢٣

١٣١-كمال نوري معروف، مذكرات الشيخ لطيف الحفيد، ٦٦-٧٧

١٣٢-المصدر نفسه، ٧٥، هذا التاريخ، تقديري، حسب ما ورد في المذكرة.

١٣٣-(پێشكەوتن-التقدم)، ٧٨

١٣٤-المصدر نفسه، ٣٠٢

١٣٥-محمد رسول هاوار، سمكو (اسماعيل خان شكاك) و الحركة الوطنية الكردية، مطبعة آبيك-سويد، ١٩٩٦، ٢٣٧-٢٣٨

١٣٦-تاريخ الوزارات العراقية، ج١، ٢٩-٣١

١٣٧-كرد وترك وعرب، ١٦٨-٢٦٩

١٣٨-دافيد كورن، رجلان اقحما الاكراد بالعراق: مناورات كوكس-ولسن/٣-٤، جريدة «الاتحاد»، العدد ٣٢٥، ١٩٩٩/٧/٢

١٣٩- م.ر.هاوار، الشيخ محمود البطل ودولة كردستان الجنوبية، ب١، ٤٦٤

١٤٠-دافيد كورن، المصدر نفسه، ¾، جريدة «الاتحاد»، العدد ٣٢٥، ١٩٩٩/٧/٢، دراسة تحليلية لمستقبل كردستان السياسي/١، جريدة «الاتحاد»، العدد ٤٣١، ٢٠٠١/٧/٢٧

١٤١-(پێشكەوتن-التقدم)، ٢٢٥

١٤٢-تاريخ الوزارات العراقية، ج١، ٣٨-٣٩، (پێشكەوتن-التقدم)، ٢٧٤.

١٤٣-(پێشكەوتن-التقدم)، ٢٧٨

١٤٤-تاريخ الوزارات العراقية، ج١، ٤٥، ٥٢، ٥٩

١٤٥-(پێشكەوتن-التقدم)، ٣٠٢

١٤٦-المصدر نفسه، ٣١٣

١٤٧-عبدالرقيب يوسف وصديق صالح، ذكريات احمد آغا بشدري، السليمانية، ٢٠٠١، ٤٥-٦٠

١٤٨-كرد وترك وعرب، ٢٢٣

١٤٩-المصدر نفسه، ٢٢٤

١٥٠-المصدر نفسه، ٢٢٩-٢٣٤

١٥١-دافيد كورن، مصدر سابق، الحلقة الاخيرة،

«الاتحاد»، العدد ٣٢٦، ١٩٩٩/٧/٩، ١٥

١٥٢-(پێشکەوتن-التقدم)، ٣٥٣-٣٥٤، مذكرات، ب٣، ٢٠-٢٢.

١٥٣-تاريخ الوزارات العراقية، ج١، ١١٣، الحكومة العراقية/وزارة العدل، مجموعة البيانات والنظامات العدلية، صدرت بين ١٩٢٠/١٠/١-١٩٢٢/١٢/٣١، مطبعة العراق-بغداد، ٢٣٢-٢٣٣

١٥٤- احمد خواجه، ماذا رأيت؟، ب١، مطبعة شفيق-بغداد، ١٩٦٨، ٦٤، صفحات من الماضي يرويها الاستاذ فؤاد مستي، جريدة «التآخي»، بغداد، العدد ١٥٨٢، ٢١ كانون الثاني ١٩٧٤.

١٥٥-كرد وترك وعرب، ١١٤

١٥٦-م.ر.هاوار، مصدر سابق، ب٢، ٢٧٤، ٢٧٥

وقد اخذ هاوار من كتاب (تاريخ الكويت السياسي) لـ(حسين خلف الشيخ خزعل) فهو يقول: لما نقل الشيخ محمود من هند الى الكويت، فهو يعتمد على تقرير صادر سنة ١٩٢١، من قبل نوئيل، حيث يشير الى ان الشيخ آنذاك كان في جزيرة (هنجام)، فالراجح انه نقل الى الكويت من هذه الجزيرة.

١٥٧-جمال خزندار، جريدة (بانكي كردستان-نداء كردستان)، ٣٧-٣٨-٣٩

١٥٨-المصدر نفسه، ٥٣-٥٤

١٥٩-كرد وترك وعرب، ٢٦٣

١٦٠- جريدة (بانكي گردستان-نداء كردستان)، ٥٣، ٦٦

حكوومەتی کوردستان لە سلێمانی



دوورگەی هەنگام

سەرچاوە: نقشه عمومی ومفصل کشور ایران ١٣٢٥ شمسی (چاپخانه مجلس

(سوپاس بۆ هاوکاریی کاک کەمال نووری مەعرووف)

رجعية المانية وعبادة القوة

لماذا تندحر المانية النازية

عنصر القوة في الجبهة الديمقراطية

بقلم: توفيق وهبي

اعداد: شهاب شيخ طيب

توضيح:

اولا: في سنة (٢٠٠٠) عندما كنت اقوم بتحضير رسالة الماجستير عن العلامة (توفيق وهبي)، ومن خلال ذهابي المتكرر الى مكتبة المجمع العلمي العراقي في بغداد، وجدت عن طريق الصدفة النسخة الاصلية من هذا الكتاب (رجعية المانية) التي لم يتبق منها الا (٣٦) صفحة، لانها كانت قديمة وممزقة، وموجودة في تلك المكتبة لحد الآن على حد علمي، ووقتها قمت باستنساخه على الرغم من انه كان لايخدم مضمون رسالتي لانني كنت اكتب عن (دور توفيق وهبي في مجال اللغة) والكتاب المذكور كان يتعلق بالحرب العالمية الثانية والصراع بين الجبهتين الديمقراطية والنازية....

ثانيا: عند قراءتي لكتاب (الآثار الكاملة) للعلامة توفيق وهبي والذي هو من اعداد (رفيق صالح) والذي يحتوي على ماكتبه الاستاذ (توفيق وهبي) من نتاجات باللغة العربية، وهو القسم الاكبر من نتاجاته، لكن لم ار في طياته النتاج المذكور الذي طبع في مطبعة الجزيرة - بغداد سنة ١٩٤٢، وانا على يقين بان هذا النتاج لم يره الكثير من الادباء والكتاب، لذا من باب الوفاء لاستاذنا وعالمنا الجليل (توفيق وهبي) ولاستفادة الجميع منه، نفضل ان نقوم بطبعها ونشرها من جديد، علما اني بعثت (بنسخة مستنسخة) من الكتاب المذكور اعلاه وبعض المعلومات عن العلامة (توفيق وهبي) الى الصديق العزيز (هيوا حميد شريف) الذي كتب هو الاخر رسالة ماجستير

عن العالم المذكور تحت عنوان (توفيق وهبي حياته ودوره السياسي والثقافي) وبعد المناقشة بفترة وجيزة قام (بنكەی ژین) المهتم باحياء التراث الوثائقي والصحفي الكردي مشكورا بنشرها في كتاب جميل ورائع سنة (٢٠٠٦). وفي النهاية شكرنا وتقديرنا الى الاخ (رفيق صالح) و(بنكەی ژین) الذين اهتموا بنتاجات عالمنا الفاضل (توفيق وهبي)والذي يستحق اكثر من ذلك، لانه كرس معظم حياته في خدمة واغناء اللغة الكردية والشعب الكردي. . .

ملاحظة: لم نقم بأي تغيير او تعديل او وضع علامات الترقيم فالكلمات مكتوبة كما هي عند المؤلف.

امتحان الشعوب

رجعية المانية

وعبادة القوة

لماذا تنحدر المانية النازية

عنصر القوة في الجبهة الديمقراطية

بقلم: توفيق وهبي

مطبعة الجزيرة — بغداد- ١٩٤٢

كلمة المؤلف

منذ نشوب الصراع الحالي (الذي اصبح يدعى بالحرب العالمية الثانية) بين قوى النور وقوى الظلام والعالم يتطلع الى اليوم الذي يعود فيه عهد السلام الى اشراقه الذي عكره اناس مازالت قلوبهم تخفق بالحنين الى عهود الظلم الموغلة في القدم.

ومنذ ذلك الحين وهذه الحرب تتأرجح الى الامام والى الوراء وهي مفعمة بالانفعالات والتطورات غير ان الانسان العصري ذا الفكر الحر وهو النتاج الصالح لمجهود البشرية التي قطعت مرحلة مديدة فياضة بالتضحيات وهي سائرة في موكب الايام، هذا الانسان مااعتراه الشك لحظة فيما سيسفر عنه هذا الصراع من مصير لايمكن ان يكون سوى انتصارات بالجبهة الديمقراطية وهذا الوثوق من اليقين بهذا المصير مهما توالت المصائب والشدائد لايتزعزع ولا ينتابه الخور لانه يرتكز على عوامل اساسية ثابتة مستمدة من طبيعة الاشياء واذا كانت الجبهة الديمقراطية قد منيت ببعض النكسات في حين من الاحيان، واذا كانت الوية الظلام ماتزال مرخاة السدول في بعض انحاء العالم التي اجتاحتها القطعان المحورية فتلك ليست الا ظاهرة وقتية من الظواهر التي تشوب كل الحروب اذ ان زوالها محتوم وموضوع هذه الكراسة يعالج الاسباب الاساسية لانتصار الديمقراطية فاذا كان هناك من اضطربت افكارهم بتأثير الانتصارات المحلية المحدودة التي احرزتها القطعان المحورية وبدعايات وتخرصات الابواق النازية واذا كان هناك من نسجت تطورات الاحداث و كر الزمن على اذهانهم ستارا من النسيان او الذهول فان الحقائق التي تتضمنها هذه الكراسة حرية بان تعيد الصواب الى افكار اولئك والذكرى الى اذهان هؤلاء ولعلي اكون قد اسديت خدمة متواضعة هي من اولى الواجبات وذلك حسبي.

رجعية الالمان وعبادة القوة

اوربة والتأريخ السياسي الحديث

اذا القى المرء نظرة على موكب الايام منذ ان هب نسيم الحياة على هذا الكوكب السيار، واذا اراد ان يحدد بداية الدور الذي اخذ يلعبه هذا الجزء المعين من الكون المسمى بالقارة الاوربية في التاريخ السياسي الحديث يجد ان من الصعب ان تحدد هذه البداية كما تحدد سواها من البدايات وانما الاحجى ان تكون هذه البداية ذاتها، ذات حدين يمتد احدهما من عهد ((الرينسانس)) وينتهي بالحد الاخر وهو حروب نابليون ومؤتمر فينة.

وقد يبدو هذا الذي ذكرناه مشوبا ببعض الغرابة لدى القارئ لاول وهلة اذا ما القى نظرة على عنوان هذا البحث وذلك من وجهة اطلاق شمول كلمة ((الشعوب)) من جهة والاقتصار على ذكر القارة

الاوربية فقط من الجهة الاخرى في حين ان مدلول كلمة الشعوب يستدعي بطبيعة الحال ان لا يقتصر على قارة دون قارة وفي حين ان ثمة اربع قارات اخرى لها شعوبها واقوامها ولكن اذا تذكر القارئ ان هذه القارة قد اختصت بمعظم الانقلابات الرئيسية التي تردد صداها في العالم واذا تذكر انها كانت مسرحا لاعنف الحروب التي غيرت وجه البسيطة وبدلت معالم الحكومات وسرى مفعولها جارفا الى سواها من القارات التي لم تنج حكومة او بقعة ارض فيها من تأثيره في قليل او كثير. اذا تذكر القارئ هذه الحقيقة ووضعها نصب العين ادرك السر في العامل الذي يحدو بنا الى ان نقتصر في بحث موضوعنا هذا على شعوب هذه القارة فقط وبعبارة اخرى نقول ان الاقدار او العوامل المختلفة التي جعلت هذه القارة المدار الرئيسي للتوجيه العالمي هي التي تملي على الباحث ان يكرس لشعوبها اهتماما خاصا ومن هنا فقد كان من الطبيعي ان يكون دورها في التاريخ السياسي الحديث منطويا على اهمية فريدة كما ان من الطبيعي ان يكون لامتحان شعوبها والتوصل الى نتائجه خطورته وصبغته الخاصة.

اما هذه الاهمية فاننا نرى ان فيما قدمناه اليك عنها في هذه الاسطر ايضاحا كافيا. واما الصبغة الخاصة فسيتجلى للقارئ مرادنا منها لدى الاسترسال في الاتجاه التالي الذي يحلو لنا ان نستهله بما يلي فنقول:

مظاهر الاضطراب والاستقرار في الشعوب الاوربية

أرأيت هذه القطعة من الارض التي انفصلت من اللهيب الاكبر المسمى بالشمس كيف تكيفت اشكالها فانتظمت ارضا سهلة وجبالا وبحارا وانهارا وبحيرات؟؟

كذلك شأن التأريخ السياسي لهذه القارة بين هذين الحدين وماوراءه فقد كان لناموس التطور والقوة الطبيعي اثره في تعيين حدود الاقطار والامصار وكما كيفت العوامل الطبيعية شكل الارض كذلك كيفت ذاتية العناصر وقابلياتها للتطور ومحيطها وتفاعلاتها خارطة الشعوب لهذه القارة الجبارة اذ رأينا — ويبدو ذلك اشد ما يكون وضوحا في الفترة الاخيرة من القرن التاسع عشر ومطلع القرن العشرين — ان القوة الكامنة في شعوب هذه القارة — وقد اجتازت المرحلة الاولى من دور الذوبان — تتخذ لنفسها شكلاً معينا بتأثير حيوية العناصر ومدى ادراكها لقيم الحياة ومن هناك ظهر امامنا ما يسمونه بالجغرافية السياسية التي عينت بموجبها حدود الممالك والحكومات. ولقد رأينا هذه الحدود لاتختلف من وجهة المؤثرات عن الانقلابات الطبيعية فتلك التي تبلورت واستقرت واصبحت خارجة عن نطاق تأثير التقلبات الطبيعية هذه ضمن الفترة التي المعنا اليها وبعدها ظلت على حالها من الاستقرار.

اما تلك التي لم تنج من عوامل الاضطرام فقد ظلت بين مد وجزر وخفوت وهياج. اما هذا الاستقرار فيكفي للقارئ ان يلقي نظرة على الجزر البريطانية لكي يرى مبلغ حظها منه. واما الهياج او المد والجزر فيكفي الالتفات الى حال مايسمونه بالبلقان ليرى مبلغ تأثيره فيه ولكن ترى هل اقتصر هذا التأثير على هذا الجزء المسمى بالبلقان فحسب؟ اولم يسر مفعوله الى ما يحيط به من الامصار؟ ان حوادث التاريخ تجيب على هذا السؤال بالايجاب ولكن هذا الايجاب يقف عند حد معين لا يتعداه ويبدأ هذا الحد من الزمن الذي يلي الحرب العالمية مباشرة اذ بينما نرى الشعوب البلقانية حيرى قلقة منهوكة القوة ومضناة من فرط ما كرست من جهد للتغلب على عوامل صراعها الداخلي من جهة وتدبير امرها مع جيرانها الجرمان الذين تبلورت ثقافتهم على ضوء خصائصهم الطبيعية نجد ان شعوب الارض المجاورة لها والممتدة الى الشمال واقصى الشرق واقصى الغرب الاقليلا وقد استقرت على حال واحد ارتضته لنفسها وعكفت عليه ترعاه. ترى كيف حدثت هذه الظاهرة؟ ان الرقعة التي تشتمل على هذه

الحدود تضم بين جوانحها مللا واجناسا مختلفة. فما هذا الذي وحد بينها وجعل هدفها واحدا وعيشتها راضية؟ لابد ان يكون اعصارا هائلا هذا الذي اجتاحها فبدل حالها بحال... اجل انه لاعصار اما ماهية هذا الاعصار وصبغته ومداه فليس من شأننا البحث فيه في هذه العجالة وانما جل مرادنا من هذا البحث هو اقرار حقيقة واقعة ليس غير والآن فلنتساءل ما عسى ان تكون هذه الظاهرة ؟ ان لكل ظاهرة من الظواهر عواملها الاجتماعية والنفسية والاقتصادية الخ. . . وان البحث في هذه الظواهر لما يتطلب فراغا ووقتا لايتسع له صدر هذه الكراسة بيد اننا نكتفي بالبحث في مظاهر القوة لها ولاسيما وقد اصبحت هذه القوة المعيار الذي تقاس به كرامة الشعوب ومبلغ ماتتمتع به من احترام في هذه الايام.

الفرد الالماني وفلسفة القوة

ولكي يتسنى لنا الافاضة بعض الشيء في هذه الناحية لابد لنا من ان نتطرق الى وجهة معينة تتعلق بخصال الشعوب نريد بذلك مثلا ان العنصر الجرماني الذي انحدر من الاصلاب التيتونية قد عرف بروحه العسكرية التي تردد صداها قويا من ايام (اتلا) عاهل البرابرة في القرون الوسطى الى الايام العصرية الاخيرة وبضمنها ايام فريدريك وبسمارك وعلى هذا فليس عجيبا ان يبرز هذا الشعب في مجال القوة ذلك لان هذه القوة بحد ذاتها لم تكن الا جزءا حيويا لفلسفته في الحياة تلك الفلسفة التي تستهدف ضمان وجود القوة في سبيل التحكم والسيطرة واشباع روح التهم بمعناها الشامل وذلك يفسر لنا هذه السلسلة من الغزو والاعتداءات التي كانت ولا تزال من اماني هذا الشعب منذ ان كانت شعوبا وحكومات غير ان هذه القوة اذ ظهرت باجلى المظاهر في شعوب اخرى عرفت بالهدوء وحب السلام وبعبارة اوضح كانت هدفا او ميدانا للغزاة والمعتدين فلاشك في ان ظهورها لما يثير في النفس اعمق التاملات... وان مثار هذه التاملات واستقرائها والتوصل الى ماتسفر عنه من حقائق هو المعول الاكبر الذي ينبغي للمرء ان يستنير بهداه للحكم على نتيجة هذا الصراع الهائل. ترى ما عسى ان تكون هذه الحقائق؟.. ينبغي للاجابة على ذلك ان نعود الى الوراء قليلا ونحلل عناصر القوة لدى الفريقين ومتى ما ادركنا سرها امكننا اصدار حكمنا مطمئنين.

قلنا ان في الفرد الالماني نزوعا جامحا وشهوة تضطرم في سبيل السيطرة والتحكم اما منشأ هذه العاطفة الجنونية فهو شعوره اونظرته الى فلسفة الحياة وكيف ان القوة المجردة العارية تحتل منها المقام الاول فهو بهذا الاعتبار ينظر الى القوة نظرة عبدة الاوثان الى ما يقيمونه من هياكل وفي الحق ان الشبه بين هاتين الفئتين من القرب بحيث لايستطيع المفكر ان يمر به دون ان يثير منه الالتفات على انه إذا كان أسلوب عبدة الأوثان في العبادة مما يدخل نسبيا في دائرة المادة باعتبار وجود المعبود –وهو الصنم- في حيز معين يتجه له العابد لأداء فروض التبتل والابتهال والتوسل فان الوثني العصري وهو العابد اوعبد القوة الالماني الجديد قد أقام لهذه القوة صرحا من نسيج خياله وروح فلسفته وعلى هذا فمعبوده ملازم له ابدا انى اتجه وايان استقر، وهو على هذا الاساس اشد تكبلا بقيوده واغلاله اي انه اشد رجعية واذا كان عبدة الاوثان ممن طواهم التاريخ اوممن لايزالون منبثين في بعض الاقوام المتأخرة المنحطة في الوقت الحاضر. اذا كان هؤلاء قد عبدوا الهياكل لتدرأ عنهم الضر من المجهول فان عبادة الفرد الالماني تختلف عن ذلك لانها من اجل المعبود نفسه وهو القوة اما عامل العبادة هذه فهو الإعجاب والرهبة والخوف ولكن ممن؟؟ من القوة نفسها إجلالا لها وتدلها بحبها وذلك اشباعا لرغبة روح الوحش الكامنة في أعماقه.

وصفوة القول ان الفرد الالماني قد وضع القوة موضع الالهة يقدسها ويستمد منها الالهام ويحس في عقله الباطن بانها فخورة به لانها منه واليه وهو من جراء ذلك يرى ان الواجب يفرض عليه أن يؤدي

لهذه الالهة حقوقه كاملة غير منقوصة لكي يزداد تيها وخيلاء بقدر ما تزداد هذه به فخرا ويكفي للقارئ ان يعيد الى الخاطر ذكريات انتصار الالمان في بولونية وفرنسا وكيف بلغت بهم الغطرسة والضراوة حد الجنون لكي يرى مبلغ ماني هذا القول من منطق وحقيقه.

ان هذا الاستطراد يسوقنا الى الاتجاه التالي: اذا جابهت هذه القوة قوة اخرى وصمدت لها هذه القوة وطال منها هذا الصمود وعجزت عن خضد شوكتها فما الذي يحدث ؟ وللجواب على ذلك نقول: -

روح الوحش وكابوس الموت

لاريب في ان الايمان العاطفي الذي انغمر الفرد الالماني في لجته حينما وضع القوة في مقام الالهة سيعتريه الشك وحيث ان الجهاز الالماني الحربي مرتكز برمته على حيوية الايمان هذه فمن البديهي أن يكون للشك في هذا الايمان تأثيره السيئ. اما بوادر هذا التأثير السيئ وعواقبه فان اعراضها لاتظهر بوضوح في اول الأمر بل تظل كامنة ماظل هذا الجهاز في جموحه واندفاعه فهل تراه مستطيعا ذلك ؟ ان الرجوع الى حوادث الحروب في التاريخ بصورة عامة واستعراض حوادث هذه الحرب نفسها بصورة خاصة لايساعد على توجيه الاستنتاج في هذا الاتجاه فاذا اعدنا الى الخاطر نتائج الهجوم الالماني الجوي المسمى بمعركة بريطانيا وكيف ان تلكم الهجمات توقفت من حيث بدأت نجد ان النظم الطبيعية التي وضعت للقوى حدا معينا لاتستطيع اقتحامه لدى توافر عوامل نسبية معينة ما تزال على خلودها الابدي. فقد رأينا الارمادة الالمانية «التي قيل انها لا تقهر»تقف حيرى تتخبط في طريقها فيعتريها التردد اولا ثم تنكص على عقبيها. افليس هذا توقفا بل تراجعا؟ انه لكذلك دعاية كوبلز الملهمة من روح انسان الكهف وهي روح الفرد الالماني استطاعت ان تزيل الى حد والى حين رد الفعل الذي نشأ لدى هذا الفرد من الشك باليقين في نفسه، ثم ماعتم ان ساعد الهجوم على الاتحاد السوفيتي على تبديد سحب الضباب التي احاطت بالاهوج المعبود- القوة- فاراحت الطغمة النازية بالها فترة من الزمن، على اثر ماحظيت به من تقدم ونجاح موقت بفعل الهجمات المتكررة ثم جاء الشتاء ورافقه توقف ثان وعادت السحب فتجمعت وعادت الدعاية تحاول تبديدها فنجحت الى حد بفضل مامنت به قطعان النازية من الاماني والوعود الخلابة بيد ان هذه السحب ظلت مكلكلة مثل كابوس الموت ومن هنا فقد كانت عودة الالمان هذه الجديدة إلى استئناف الهجوم، فالحاجة ملحة وروح الوحش تتطلب الغذاء واغلال الوقوف تميتها والهة القوة تريد مزيدا من الضحايا والقرابين.

وقود الماكنة الالمانية ماديا وادبيا

ولكن مم يتكون هذا المزيد؟ ان مقوماته ترتكز على ركنين اساسيين هما:

اولا: معدات الحرب من دبابات ومدافع وطيارات ومن يديرونها من الجنود ومن جيش العمال الذي يهيئ هذه المعدات ومن القادة الذين يشرفون على التوجيه.

ثانيا: الامل الذي يساور النفوس فيما تصبو اليه من هدف وبعبارة اخرى معرفة الحدود التي يجب الوصول اليها بفضل نتائج هذا المجهود لكي يصح القول عنه بانه مؤد الى النتيجة الايجابية المطلوبة وهذا العامل له علاقته الوثقى بالجموح العاطفي المستمد من نداء الوحش وهو ما يسمونه بالمعنويات في مضمار الحضارة الحقيقية. وعلى هذا يستطيع القارئ ان يلاحظ ان العامل الثاني هذا هو في الحقيقة الركن الاساسي الوحيد واما العامل الاول فليس الا نتيجة من نتائجه. والقاء نظرة عارضة على منطق الدعاية النازية منذ نشوب هذه الحرب حتى الان يكفي لاعلامنا مقدار تلهف الشعب الالماني بمختلف طبقاته وشديد قلقه لمعرفة هذه الحدود. اذ نرى ان

هذه الدعاية لاتستطيع ان تقدم جوابا مباشرا واذا كانت قد تهورت في اول الامر وحددت مدة قصيرة لانهاء هذه الحرب فإن الحقائق الفعلية قد ارغمتها على التراجع فيما بعد وهذا مايجعلها تتحاشى الاجوبة الصريحة القاطعة ذلك لان الجواب على هذا السؤال منوط بصمود الخصم الواقف في الطريق وهذا الخصم هو الذي يعرف هذه الحدود وهذا الذي يجعل احد ابواقها يصرح اخيرا بان لانهاية الرقعة الروسية تجعل الانتصار شاقا عسيرا. وليلاحظ القارئ ان هذا التصريح يصدر في وقت تقوم فيه الجيوش الالمانية بدور المهاجم لا المدافع فكيف يكون الحال لو ارغمت على اتخاذ موقف الدفاع مرة اخرى وهل تستطيع الاستمرار ابدا على تمثيل دور المهاجم؟؟ وحتام تستطيع هذه الابواق تقديم هذه المعاذير؟

مقارنة بين عنصر الحياة في المانية والانبراطوريات المندثرة

اما السؤال عن مدى امكان دور الهجوم فقد سبق ان اجبنا عليه فيما مر بك من السطور وقلنا ان استعراض تاريخ الحرب بصورة عامة وحوادث هذه الحرب نفسها وما تنطوي عليه بصورة خاصة لايساعدان على توجيه الاستنتاج في هذا الاتجاه ففيما يتعلق بتاريخ الحرب بصورة عامة يكفي للمرء ان يستعرض تاريخ البشرية منذ ان عرف التاريخ لكي يرى مبلغ ما في هذا القول من حقيقة فأين هي الدولة الاثورية واين هي امبراطورية الاسكندر واين هي الامبراطورية الرومانية واين هي حشود التاتار والمغول الجوامح واين هي امبراطورية نابليون بل اين هي الامبراطورية العثمانية؟.. لقد ذهبت هذه كلها واصبحت اقصوصة من اقاصيص ابي العبر. لماذا؟؟ الجواب بسيط وهو لان نواة الحياة التي قامت عليها هذه الانبراطوريات كانت تتغذى من مادة الهجوم والاندفاع وحينما بلغ هذا الاندفاع حدا معينا (ولكل قوة حد) لم يستطع ان يتخطاه وبعبارة اخرى حينما الى عمد موقف الدفاع انهار الكيان القائم عليه لفقدانه مادة الغذاء فهي اشبه ماتكون بالصواريخ النارية التي تشتد تالقا وتزداد جلبة كلما أوغلت في البعد والارتفاع وهي تستطيع الاحتفاظ بهذا الارتفاع ما واتتها الحركة ولكنها ما تكاد تقف حتى تهوى من شاهق علوها لاحس فيها ولا نفس وقد رأينا ان هذه الانهيارات قد اختلفت من حيث الزمن فمنها ما استغرق وقتا طويلا نسبيا ومنها ما تلاشى في زمن وجيز. ولاشك ان هذا الاختلاف ناجم عن فرق قابلية روح المقاومة بين الدولة والدولة ولكن النتيجة واحدة وهي التوقف فالموت. وقد يذهب القارئ بالاستناد الى هذا القول الى انهيار المانية النازية (الذي سنبرهن على وقوعه في هذا المقال) سيكون بطيئا باعتبار انها ابرزت صلابة مشهودة في ميدان القوة وعلى هذا فان دورها في مجال المقاومة او الدفاع – حينما يحين هذا الدور – سيكون متناسبا مع قوتها في الهجوم هذا ما قد يذهب اليه القارئ ولكن الحقيقة ليست كذلك. لان هذا القياس يصح الركون اليه في الحالات الاعتيادية اما الحالات التي تتصف بصبغات خاصة فامرها يختلف عن ذلك بطبيعة الحال وسنتطرق الى بحث هذه الحالات الخاصة ونوفيها حقها الا اننا نود قبل ذلك ان نعالج بصورة موجزة مواضع الضعف الذي تعانيه الماكنة الحربية الالمانية وهذه المعالجة تتضمن الايضاح المطلوب مما نقصده من ان مجرى حوادث هذه الحرب لايساعد على اي احتمال بخروج المانية منتصرة من هذا الصراع فنقول:

عوامل اندحار المانية النازية

اولا- عندما نشبت الحرب كانت المانية في وضع ممتاز من الوجهة السوقية فهي قائمة في وسط اوربة وتستطيع بفضل خطوط مواصلاتها وسككها الحديدية المتاشبكة طولا وعرضا ان توجه ثقلها الحربي في الاتجاه الذي تريده وبالنظر الى طول المدة البالغة ست سنوات والتي قضتها في الاستعداد للحرب

فقد كانت مهيأة كل التهيؤ للمهمة التي اختارتها لنفسها وهكذا فقد رأيناها تنجح في اجتياحها بولونية ومن ثم بلاد النرويج والاراضي المنخفضة وفرنسة. وحينما خابت فيما تخيلته من انهيار بريطانية بعد الكارثة الفرنسية ورأت ان دون هذا الانهيار خرط القتاد اذ ذاك تداعى الركن الرئيسي الاول في خطتها القائمة على السرعة الا انها كانت ماتزال قوة هائلة ومركزها السوقي لم يفقد الكثير من مميزات الارتكاز او قصر خطوط المواصلات وعلى هذا وحينما رأت ان الحرب ستكون شاقة مترامية المدى اوحت اليها غريزة الوحش والخوف من المجهول ان تهاجم جيرانها الشرقيين فالتهمت شرقي البلقان اولا ثم عمدت الى الاتحاد السوفيتي فاشتبكت به في هذا الصراع الذي التهبت من جرائه وماتزال تلتهب. وستظل تلتهب في جبهة لاتقل عن الالفين من الاميال الى ان تفقد الافاعي سمومها وتهمد منها الحركة.

فما هو موقف المانية اليوم؟ وما هي العوامل التي تعصر قلبها الاسود وتمتص منه اكسير الحياة الى ان تجعله جيفة نتنة فلننظر فماذا نرى وماذا نجد؟

زوال الارتكاز السوقي ومفعول تشتيت القوى

نجد ان الارتكاز السوقي الذي كانت تتمتع به في اول الامر قد اصبح الان حديث خرافة وامنية عذبة فارقتها بالحسرات فهنا شعوب كانت مستقلة وقد تذوقت نعم هذا الاستقلال فجاءها النظام النازي بعسفه وارهاقه فهي تشعر بما اغتصب منها من حقوق وهذا الشعور يثير فيها الحس بالشقاء ويؤجج فيها نيران الثورة والتمرد. والاخطبوط النازي يرى انه مرغم على تكريس جانب من قواه لكبت نتائج هذا الشعور وهناك في الشمال والشرق والجنوب جيش هائل يمثل دولة كبرى بل عالما قائما بذاته يشعر كل فرد من افراده بما يكافح من اجله وهذا الجيش منتشر في مدى لايكاد يحد والجيش النازي لايرى مناصا من توزيع قواته لمجابهة هذا الجيش الذي لايكاد يعرف له مكان معين في جبهة عميقة مترامية فهو في الامام وهو في الخلف وهو في اليمين وفي اليسار وهنالك خلف الساحل الاوربي وعلى بعد قليل تقع الجزائر البريطانية وهي تعج بالسلاح والجند والعتاد ومن ورائها القارة الامريكية بصناعاتها الجبارة وهي تتلظى حماسا لاتزال ضربتها وتتحين الفرصة السانحة لتحقيق هذه الرغبة. والمانية تعرف ذلك ولكنها لاتعرف اين ومتى تقع هذه الضربة فهي على هذا مضطرة الى ابقاء قوة لايستهان بها على السواحل الممتدة من النروج الى خليج بسكاي لمجابهة الخطر المقبل ومحاولة ملافاته فاين هذا الموقف من موقف الامس واين خطوط المواصلات وشبكات وقواعد التموين القريبة التي كانت تمكن النازيين من الانتقال من جبهة الى اخرى بسرعة البرق وبنطاق واسع واذا كان التمركز السوقي قد مكنهم من احراز ما احرزوه من انتصارات فيما سبق فهل يمكن أن يؤدي تشتيت هذا الارتكاز الى سوى الهزيمة؟ وهل تعني تلك الانتصارات التي نجم عنها هذا التشتت شيئا غير ان تكون في الحقيقة خطوات في طريق الاندحار؟

ثانيا — كانت المانية قد اعدت قبل نشوب هذه الحرب جيشا هائلا برجاله ومعداته واحتياطه وكانت تأمل بفضل هذا التفوق الساحق ان تضرب ضربة خاطفة وتنهي الحرب بصورة سريعة قبل ان تمكن الديمقراطيات من لم شعثها ومجابهة عدوانها مجابهة ناجحة بيد ان صمود بريطانية بعد الكارثة الفرنسية حرم المانية من فائدة السرعة التي كانت تعلق عليها الامال وحينما طال امد الحرب كان لامناص لالمانية النازية من الاعتماد على احتياطها سواء في المعدات او الرجال او النفط واذا كانت انتصاراتها الاولية في غربي اوربة والبلقان قد عوضتها خسائرها الى حد ولم تلجأ الى استنزاف احتياطها وذلك بفضل ما استولت عليه في هذه البلدان من المواد فان دخولها ضد روسية في حرب واسعة النطاق لم يكن من شأنه

الا ان يجعلها تهرع الى هذا الاحتياط لمحاولة سد الثغرة الهائلة التي فتحتها على نفسها حينما ربطت مصيرها بهذا العمل بمصير براقش التي حدثتنا عنها الاقصوصة العربية.

الحصار البحري والقصوف الجوية

وقصارى الكلام ان صراعا بهذا المقياس الهائل لابد ان يكون له تاثير طردي في نضوب احتياط المانية بالصورة التي تجعلها تئن من وطأته. وغني عن البيان اذا كانت اعوام السلم الستة التي قضتها المانية في الاستعداد للحرب قد وفرت لها جوا صالحا لجمع احتياطها وتحشيده بدون ان يشغلها شاغل، فان ظروف الحرب الحالية وانقطاعها عن موارد ماوراء البحار بفعل الحصار البحري البريطاني والقصوف التي تتوالى عليها من اساطيل الحلفاء الجوية فتدمر مصانعها واجهزتها كل هذه ليس من شأنها ان تترك لالمانية المجال المطلوب لتعويض النقص في احتياطها كما ان الملايين العديدة من النازيين الذين زهقت ارواحهم في جبهات الحرب لايمكن تعويضهم خاصة وان البلاد الالمانية ذات عدد محدود من السكان وهي ليست من البلاد التي تزخر بمئات الملايين من البشر شان خصومها الذين في حوزتهم اربعة اخماس الكرة الارضية مساحة وسكانا وهذا العامل الخطير له اثره الفعال فيما سيمنى به الالمان من الهزيمة كما منوا بها في حرب ١٩١٤ — ١٩١٨.

نتائج خطأ النازيين في التوجيه التربوي والمهني

ثالثا — ماكاد النظام النازي ياخذ بيده زمام الامور في المانية حتى قلبت تصاميم التربية الالمانية رأسا على عقب ولما كان النازيون قد استولوا على ازمة الامور وفكرة الحرب تجول في مخيلاتهم لذلك فان توجيه المجهود الالماني برمته وفي مختلف مجالاته نحو هدف الحرب ليس الا نتيجة منطقية. لهذا الاتجاه وعلى هذا فقد سارت تربية الفرد الالماني على اساس اعداده لساحة الوغى فحسب وتدريبه تدريبا عسكريا يمكنه من تحمل مشاق الحرب واستعمال المعدات الحربية وقد نشأ من هذا الاتجاه ذلك الجيش الهائل وتلك القوة الجوية الجبارة التي هدد بها المارشال كورنك العالم ولكن هذا التوجيه الذي نجح في اعداد هذه القوة قد ارتكبت خطأ فظيعا اخذت تبدو اثاره بكل وضوح وقد تردد صداه على لسان كورنك نفسه في احدى خطبه الاخيرة التي اعترف فيها بالنقص المشهود في عدد من تمس اليهم الحاجة من الميكانيكيين والفنيين ذلك ان تدخل الدولة وفرضها ارادتها على الفرد بانتخابها المهنة التي ينبغي له ان يمارسها قد اهمل او بالجري حول الانظار عن نمو التطور الميكانيكي الضروري نموا يجاري نسبة سعة الجيش من وجهة عدد افراده وهكذا فقد جاء المجهود الحربي الاجماعي الالماني ناقصا من هذه الدعامة الاساسية من دعائم الحرب العصرية وقد تكون هذه السياسة لا شائبة فيها لو نجحت المانية في كسب الحرب بالسرعة التي تصورتها الا ان امتداد الزمن وبعد الشقة والاستجابة لفروض آلهة الحرب واتساع نطاق هذه الحرب ادى بالضرورة الى استقصاء وسائل وموارد جديدة لتحل محل اخرى مندثرة وهكذا فحينما احتاج الجيش الى وحدات جديدة لملء الفراغ الحاصل من جزاء المجزرة العمياء وحينما التفتت المانية الى داخل بلادها لتلبية هذا الطلب رأت ذوي السواعد المفتولة والاجسام الصحيحة الذين ينبغي ان تتكون هذه الوحدات على اكتافهم موجودين جلهم في المصانع والمعامل التي يتوقف على انتاجها الامل في مواصلة الحرب فهل تراها تسحبهم من هذه المعامل وتزيد مجهودها الانتاجي ضعفا على ضعف؟ بالطبع لا... ولكن ما العمل والحرب تتطلب دماء جديدة افيمكن الوقوف واليد مكتوفة والجحافل النازية تذوب ؟... بالطبع لا. اذن فلتحاول المانية النازية ايجاد هذه الايدي العاملة من الشعوب المحتلة المستعبدة وهذا ما يفسر لنا صرخات كورنك والهرلاي وزير العمال النازي ووعيد هتلر وتوسلاته الى لافال

واضرابه من الكويزلينغيين الذين تمرغوا على اقدام شعوبهم يستعطفون من عمالها الذهاب الى المانية للاشتغال في مصانعها. فماذا عسى ان يجدي ذلك؟...

محاولات المانية اليائسة وعواقبها

لننظر اولا الى هؤلاء العمال نجد انهم ينقسمون الى قسمين قسم اضلهم اغراء الخونة من بني قومهم امثال لافال و دوريو وهذا القسم قليل العدد وقد ذهب وهو متردد وتحت تأثير طارئ كمن حقن بالمخدرات. اما القسم الآخر وهو القسم الاكثر عدداً فقد سبق افراده بالسياط وبرؤوس الحرب فهم لاحول لهم فيما اريد منهم وقد ذهبوا تحت طائلة الموت تمزيقا اوجوعا.

هذه هي النتائج التي يعمد اليها نظام هتلر للحيلولة دون لحوق الشلل بماكنة انتاجه بهذه الاجسام المعتلة بهذه القلوب المرضى من الحقد باشباه الموتى هؤلاء يريد هتلر مداواة جراحاته وايقاف نزيفه الدموي حينما ادمته اشواك الحياة بعد ان دعاها والعالم الى وليمة الموت الابدي ولكن ايمكن ان تقدم نماذج كهذه انتاجا مخلصا يتناسب وعدد افرادها ؟ كلا طبعا لان بطونها وبطون عوائلها الخاوية – التي تركتها وراءها دون ان تعلم بما صارت اليه من مصير- مقرونة بالسيف المسلط هي التي جاءت بها الى هذا الجحيم ولانها مهما بلغت بها الخسة وانحطاط النفس لابد مدركة مرامي ما يدور حولها من صراع. وهتلر يعرف ذلك جيدا فهو لهذا يحيط مقرات اشتغال هؤلاء العمال بسياج من حرس الغستابو ولكن هذا الحرس اذا استطاع الحيلولة دون حصول اعمال التدمير فانه ليس مستطيعا بطبيعة الحال ارغام هؤلاء العمال على تقديم انتاج كامل. ولسوف تمس الحاجة الى المزيد من هؤلاء العمال كلما اشتد من الحرب السرى وشحت من ابناء تيتون الموارد فتصور حال هذه الجموع الساخطة او التي لم يبق لها بالحياة اهتمام والتي تشتغل في اخطر الصناعات بالنسبة لحياة المانية ,تصور حالها يوم ترغم المانية على التحول الى موقف الدفاع ويوم يملي الكفاح من اجل الحياة او الموت على المرء بذل اقصى المجهود والتضحية بكل شيء. تصور حالها اذ ذاك وهل يمكن ان يجدي استعمال القوة معها شيئا من اجل زيادة الانتاج والايؤدي استعمال القوة معها الى نتائج معكوسة حينما يرى هؤلاء العمال يوم الخلاص اخذا في الدنو حثيثا وإذا أراد كويلز وجماعته ان يعزفوا موسيقى الاحزان والالام ويلوحوا بالمصير المظلم حينما يناشدون قطعانهم لتبذل قصاراها ايمكن لمثل هذه الانغام ان تجد هوى في نفوس هؤلاء العمال الذين جيء بهم مكرهين بالاشتغال في قضية تتناقض مع قضيتهم وقضية اوطانهم بل قضية الانسانية جميعا. اننا نترك للقارئ التأمل في هذه الحقيقة الناصعة واستخلاص ما تنطوي عليه.

هذه هي العوامل الرئيسية التي ستدك النظام النازي وتقوضه وهناك عوامل اخرى وهي: -

١-وجود شعوب عديدة بل قارة باسرها تحت النير النازي وهي تتجرع غصص الجوع وما تنفك تقوم باعمال التدمير ما استطاعت الى ذلك سبيلا وتتحفز الى الانتفاض والثورة.

٢- افلات التفوق الجوي من الجيش النازي وانتقاله الى الطرف المقابل.

٣- اطراد تفوق الحلفاء وازدياد انتاجهم وقرب وصوله الى مرتبة الكمال في وقت اخذ الجهاز الحربي الالماني فيه في السير نحو الهبوط بعد ان سبق ووصل حد الاشباع منذ مدة طويلة.

٤- انهاء روح المقاومة لدى الشعب الالماني بمختلف طبقاته وذلك من جراء المدة الطويلة التي مضت عليه وهو اشبه ما يكون في حالة حرب قبل ان تنشب هذه الحرب نشوبا فعليا وذلك منذ ان تقلد هتلر زمام شؤونه عام ١٩٣٣ في حين تعتبر قابلية المقاومة لدى الحلفاء في عنفوانها على اساس انها لم تشترك في الحرب بكيفية اجماعية الا قبل ثلاث سنوات.

قلنا ان هذه العوامل هي التي ستدك صرح النظام

النازي وتزيل هذه اللطخة السوداء من صفحة الانسانية. وقد يلوح للقارئ لاول وهلة من هذا الاسترسال اننا اهملنا احدى النقاط الاساسية الرئيسية في هذا المقال المتعلقة بروحية الفرد الالماني من وجهة عبادة القوة التي اتخذناها اساسا للمقارنة بين مظاهر القوة لدى المانية ولدى الجبهة الديمقراطية لذلك نود ان نسارع الان فنقول اننا لم نرم من ايراد النقاط المارة الذكر سوى اتخاذها تمهيدا للتوصل الى شرح ماهية تلك العبادة وبيان عواقبها الوخيمة على اتباعها لدى توافر ظروف وعوامل معينة. وهذه الظروف والعوامل هي التي سردناها فيما مر بك من السطور والتي يستنتج منها بكل جلاء ان المانية النازية ستكف عن ان تكون مهاجمة بفعل هذه العوامل سواء في العاجل او الآجل ونتيجة كهذه ليست بلا ريب سوى نتيجة طبيعية لمنطق مملكة الارقام والحقائق.

ضعف التصاميم الالمانية

ومتى ماحدث مثل هذا التوقف وكل الدلائل في الماضي والحاضر مضافا اليها وضع المانية الذي بسطناه تشير الى حدوثه لامحالة فما الذي سيقع ؟ ! في الحالات الاعتيادية حينما يجد الجيش المهاجم ان القوة التي يجابهها منتشرة او متحصنة في اراض ملائمة كل الملائمة للدفاع والصمود وانزال افدح الاضرار به بالصورة التي تزعزع كيانه وتفسح لخصمه مجالا كثير الاحتمالات لضربه ضربات موجعة فيما اذا ركب رأسه واصر على الهجوم، في مثل هذه الحالة يملي الاصول العسكرية والعقل السليم على قائد هذا الجيش ان لايسترسل في دوره الهجومي بل يركن الى البقاء حيث واصل ويواصل هذا الهجوم بصورة تدريجية لا تنطوي على معاناة خسائر لامبرر لها ومن ثم استدراج ذلك الخصم لجعله هو البادئ بالهجوم والاعتماد على العوامل الاخرى كتسرب روح اليأس والملل الى ذلك الخصم من طول مدة الصراع والنضال لتفعل مفعولها فيه على مر الزمن.

وكان على المانية ان تسير على هذه الخطة منذ ان تكسر هجومها على صخور ميدان موسكو. فقد كانت ماتزال فيها بقية من قوة تستطيع ان تعتمد عليها لدى ادلهام الخطوب وهبوب العاصفة الديمقراطية ولكنها لم تفعل ذلك، وانما رأيناها تعود فتواصل القيام بدورها الهاجم لماذا؟!. الجواب بسيط!... ذلك لان الخطة الالمانية كانت مبنية من حيث الاساس لدى ايقادها نار هذه الحرب على الهجوم ثم الهجوم لماذا؟! لانها اعلم من سواها بمواردها المحدودة وعدم كفاية هذه الموارد للوقوف ازاء خصومها اذاماطال حبل الزمن واذا ما توافرت لدى الخصوم المدة الكافية للم شعثهم واستغلال مواردهم كما يجب ان تستغل هذه الموارد. فهي لذلك مرغمة على مواصلة الهجوم والضرب بالاعتبارات الاخرى عرض الحائط وهي اذا ما توقفت وستتوقف كما اسلفنا فلن يكون ذلك الا نذيرا بسقوطها العاجل. اذ ان ذلك لايعني سوى انها استنزفت مواردها. هذا من الجهة الواحدة وهي الجهة المادية بيد ان هناك جهة اخرى وهي التي لها علاقتها بروحية الفرد الالماني التي فيما سبق والتي حان الآن وقت شرحها وايفائها حقها فنقول:

تحليل روحية الالماني والاهوج المعبود

ان الهوس المتغلغل في اعماق الفرد الالماني الذي جعل هذا الفرد يضع القوة في مقام الآلهة ويقدم لها فروضها نصبا ودما ودموعا يظل متقد الاوان ماظلت هذه القوة محتفظة ببهائها وسائرة في ركابه وهذان الشرطان لايتوفران الا اذا شعر هذا الفرد بانه سائر بنجاح الى حيث ينال مبتغاه ولكن كيف يتسنى بقاء هذا الشعور واستمراره حينما يرى هذا الفرد ان خصمه ما يكاد يتراجع حتى يعود الى الكر وحتى اذا تراجع يجد لنفسه خطوطا ومواقع جديدة لمعاودة الصمود والكفاح!! كيف يتسنى لهذا الفرد الحس بهذا الشعور وهو يرى ان كل تقدم له يزيده مصاعب على مصاعب ويؤدي الى تعقيد نظامه الحربي في حين

لايبرح هذا الخصم يشتد عنفا ويتلقى عنفا ويتلظى حماسا!! لقد قيل له انه مايكاد يتقدم حتى تنتهي الحرب ثم قيل له ان الحرب وشيكة الانتهاء فكيف يفسر هذه الاقوال وهو يرى امامه هذه الحقائق بل يلمسها لمسا!! حينذاك تأخذ بذور الشك في الإيناع وتتغلغل في أعماق عقيدته وإيمانه بمعبوده ولكن هذا الشك لايتناول قدرة المعبود نفسه كلا! كلا! لانه لوكان الامر كذلك لاصبح في مقدور هذا الفرد نبذ هذا المعبود والبحث عن سواه وملاقاة عوارض هذا الشك ولكن الامر ليس كذلك لان المعبود هنا ليس الا من عصارة روحه وفلسفة حياته وعلى هذا فهذه الريبة عند حصولها تتناول شعور هذا الفرد من وجهة عدم جدارته للقيام بدور العابد واحتكار هذا المعبود الذي احس بدوره بهذا النقص فذهب يبحث عن عبدة اخرين فحط رحاله عند الخصوم فأصبح لزاما احترام هؤلاء الخصوم والخضوع لهم والقاء زمام امور الحرب بأيديهم أرأيت النمر الضاري كيف يرتجف فرقا ويزعق زعيق اليأس والقنوط كلما انفرد في احد اقفاص المعارض بمروضة من الغواني الحسان لمجرد ان هذه الغانية تحمل بيدها سوطا يقرقع مدويا؟ في حين لوجمع هذا الوحش قواه وانقض عليها لمزقها اربا فما سر هذا الخوف؟ ولم دان هذا الوحش لهذه المخلوقة الرقيقة بالطاعة؟ الجواب على ذلك بسيط لان هذا الوحش لايعترف الا بالقوة ولا يفهم لسواه معنى وحينما جرب قوته هذه في الايام الخاليات يوم جيء به لتدريبه على حركات الملاعب وجد ان هذه القوة اوبالاحرى قوته التي لايعرف شيئا سواها قد خابت في انقاذه وخيلت له غريزته الوحشية ان هذه القوة معقودة اللواء لسواه وبما ان تمارين تدريبه كانت مقرونة بقرقعة السوط لذلك فهو يتذكر مفعول هذه القرقعة وملابساتها كلما لوحت له الغانية به وهزته أمامه.

فالفرد الالماني النازي شأنه شأن هذا الوحش لان خيالهما كليهما من نسيج واحد وعلى هذا فإننا نترك للقارئ تصور الانهيار السريع الذي سيصيب الماكنة الالمانية حالما يفتقد قادتها وسواقها آلهتهم فلا يجدونها.

لماذا انهارت المانيا في الحرب الماضية

وهذا الشيء ليس بالجديد فقد حصل فعلا في تاريخ المانية لدى هزيمتها في الحرب الكبرى الماضية فقد رأيناها تتداعى من الداخل والخارج في حين ان جيشها لم يكن من الوجهة الفنية البحتة قد اصيب بالعطب التام وسيحصل نفس هذا الشيء في هذه الحرب مادام صمودها خصمها لا انهاء ولاقرار له سوى ان تداعيها وانهيارها سيكون اسرع واعم في هذه المرة وذلك لان روحية تعصبها الوثني في عبادة آلهة القوة بدت في هذه المرة اشد من ذي قبل.

يرى القارئ مما سلف ان طول صمود الجبهة الديمقراطية وشدة مراسها هو الذي سيؤدي الى هذه الطامة الكبرى لجبروت هتلر فما عسى ان يكون سر هذا الصمود ؟ ! ان الجواب على ذلك منوط بعنصر القوة الذي تملكه هذه الجبهة ذلك العنصر الذي يختلف تمام الاختلاف عن عنصر القوة الالماني الذي حللناه لك وسيتجلى لك هذا الاختلاف من مطالعة الفصل التالي.

نظرة في تكوين الجبهة الديمقراطية

قبل ان نتناول ماهية عنصر القوة في الجبهة الديمقراطية لانرى بداً من ان نتطرق الى وصفها وتعريفها اولا. فما هي هذه الجبهة ومم تتكون وما هي مقومات هذا التكوين وكيف تم؟ ان اول مايتبادر الى الذهن لدى القاء هذا السؤال هو ان هذه الجبهة تتكون من كتلة الدول التي حملت السلاح في وجه الطغيان الفاشستي والنازي بزعامة بريطانية والولايات المتحدة وروسية السوفيتية كما ان اول مايتبادر الى الذهن هو ان يستعيد المرء الى الخاطر فصول هذه الحرب ومراحلها وكيف بدأت بدخول بريطانية اولا واحتكارها شرف الاسبقية في الوقوف في وجه

العدوان ومن ثم انضمام روسية والولايات المتحدة الى ذلك الميدان. ان هذا التسلسل الفكري في استعراض الاحداث العالمية وتكوين الجبهة الديمقراطية صحيح كل الصحة لانه يمثل الواقع ولكن هذا التمثيل وهذه الصحة لايتناولان سوى المظاهر المجردة لهذه الجبهة غير ان الامور وبالاخص تلك التي تتعلق بحياة العالم باجمعه من اوجهه الاقتصادية والاجتماعية والسياسية لايمكن ان تقتصر على المظاهر فحسب وانما لابد من التوغل في الصميم لكي يتسنى للفكرة ان تكون شاملة واضحة المعالم منارة الجوانب وعلى هذا فمن الضروري ان يتريث المرء هنيهة ويتأمل في عوامل هذا التكوين وبواعثه لكي يتسنى له ان يتوصل الى هذا الوضوح الذي المعنا اليه. ومن هنا فقد اصبح لزاما الاجابة على الاسئلة المارة الذكر بصورة اكثر شمولا لكي يتسنى ان نلم بماهية هذه الجبهة على حقيقتها ومتى ادركنا ذلك اصبح التعرف على خصائص عنصر القوة فيها اشد الى الافهام قربا. والآن ماهي الجبهة الديمقراطية؟

خصائص تكوين الجبهة الديمقراطية

ان هذه الجبهة ليست مكونة كما يتبادر الى الذهن في ضوء المفهوم اللفظي من صفوف متراصة كائنة في حيز معين وانما هي بحد ذاتها فكرة عملية قبل ان تكون شكلا هندسيا ذلك لان نسيج تكوينها هذا مؤلف من المبادئ قبل ان يكون مؤلفا من المادة وعلى هذا فان بعد الشقة بين الجزء الواحد منها والآخر وترامي امتدادات الارض وعباب البحار والمحيطات لايمكن ان يقف حاجزا دون انسجامها وظهور تأثيرات مفعولها الموحدة لانها ليست في الواقع سوى انعكاسات لمثل عليا معينة قبل ان تكون شيئا ماديا مؤلفا من الحجوم والجسوم. اما العناصر التي تتكون منها هذه الجبهة فهي جماع هذه المثل واما مقوماتها فهي كل ما تنطوي عليه هذه المثل من مغاز ومرام هي من صميم معاني الحياة.

ترى كيف تم هذا التكوين؟ ان اول مايخطر على البال عند الاجابة على هذا السؤال هو ان اشتراك المصالح بين اركان هذه الجبهة يجعل وقوفها صفا واحدا من الامور الطبيعية وهذا صحيح ولكن ماهي هذه المصالح. اهي بنت ساعتها وزمانها؟ وبعبارة اخرى هل هي من العوامل العارضة التي تطرأ على حياة شعب بعينه او شعوب بعينها فتؤدي الى انسجام اتجاهاتها ثم لا يلبث هذا الانسجام ان يتلاشى ويزول بزوال هذا الطارئ؟ او انها مفهوم معين تفهمه هذه الشعوب ويقترن فهمها له بالشعور بلذة سرمدية لاتدانيها لذة او هي اكسير الحياة لاتقوم بدونه الحياة قائمة؟

قصة الانسانية وقانون التطور

ينبغي للاجابة على هذين السؤالين والتمييز بين غثهما والسمين ان نستعرض ادوار قصة الانسانية وكيف بدأت وهي ممثلة بالزواحف التي نبتت على سواحل المستنقعات والبحور التي تكونت بدورها من تفاعلات عواصف النار التي كانت الارض من نتاجها اجل ينبغي ان نستعرض تلك الادوار وكيف بدأت تلك البداية وكيف بلغت مرحلتها الحاضرة التي يسمونها بمدينة القرن العشرين فاين هي تلك الاعضاء الاضافية التي يحدثنا عنها داروين واين هي تلك السحن المشوهة التي تنقبض النفس من مجرد تخيلها؟ أين هي تلك السحن والتشكيلات البدنية الشوهاء من جمال هذه الاجسام التي الهبت اخيلة الفنانين والهمتهم ابراز هذه الصور والتماثيل التي اضافت الى موسيقى المناظر الطبيعية وموسيقى الاصوات. موسيقى جديدة هي موسيقى الابداع الفني ولذة مشاهدة جماله. ترى ماهو سر هذا التبدل ؟ ولم ذهبت تلك الاعضاء الزائدة الى غير رجعة؟ وكيف ولماذا انقلب القبح جمالا؟ وهل حدث كل هذا بين عشية وضحاها؟ وهل هو مجرد دعابة او عبث من اعابيث الطبيعة؟ كلا لعمري. انه ليس كذلك ولن يكون لانه

ماهو الا احد المظاهر البارزة لقانون التطور الازلي وهذا التطور ليس الا مرادفا من مرادفات التكيف بالنسبة الى المحيط والحاجيات على مر الزمن وكما شمل هذا التطور الناحية المادية من هذا الوجود فانه لم يغفل عن ان يأخذ الناحية المعنوية منه تحت كتفه ورعايته واذا كان تطور الناحية المادية لم يتم الا بعد بذل مجهود جثماني هائل وتحمل مرير الآلام فان تطور الناحية المعنوية لم يتخلف عن مجاراته في ميدان التعب والتضحية والا فبماذا تفسر رسالة الرسل والانبياء ومقدار ماتحملوه إزاءها من تضحيات وما مغزى حماس جبابرة الفكر من بني الإنسان في سبيل نشر ما يدينون به من عقيدة او عقائد جرت عليهم الويل والثبور وادت بهم الى القتل والتعذيب واذا كان قانون التطور لاينطوي على الانتقال من الحسن الى الاحسن، فلماذا تتذكر البشرية هؤلاء الأبطال وتلتفت إليهم وتقيم لهم التماثيل وتخلدهم وتؤدي لهم فروض الحمد والشكران بعد ان امعنت فيهم قتلا وتعذيبا. اليس ذلك اعترافا منها لهم بتقدم افكارهم على الجيل الذي عاصرهم والخدمة التي ادوها وبالتضحية التي بذلوها حينما جعلوا انفسهم شعلة يستنير بها معاصروهم فكانت النتيجة ان احترقوا ولكنهم اناروا الطريق لسواهم وافلحوا في اداء رسالاتهم وانجاز المهمة التي فرضها عليهم قانون التطور السائر في ركاب الزمن ولكن هل اقتصر التطور في فرض مهمته على تضحية الافراد فحسب او لم يتناول الجماعات والشعوب؟ لنرجع الى التاريخ نسأله فتراه يجيب بالايجاب فدستور المغنا كارتا الانكليزي والثورة الفرنسية التي قررت مبدأ حرية الانسان وتحطيم خرافة الحق الالهي لاسرة بوربون وحروب اميركة الاهلية التي انتهت بتحرير العبيد والثورة الروسية التي تمخضت عن تحقيق احد النظم المثالية في الطرازات الحكومية وضمنت للفرد الروسي رفاها نسبيا ولونا جديدا من الوان الحياة قائما على اساس تنظيم الانتاج حسب الحاجة كل هذه الثورات تمت على ايدي الجماعات وحققت الاهداف الطبيعية لمبدأ الكمال بعد ان دفعت له ما عليها من ضريبة الدم فهل حدث كل هذا اغتباطا وبصورة عارضة؟. كلا طبعا. . لان ذلك كله ليس الا نتيجة منطقية من نتائج قانون التطور.

ماهو سر قوة وصمود الجبهة الديمقراطية

لنعالج هذه الانقلابات من ناحية اخرى اوسع افقا واعم شملا. فنسأل السؤال التالي: هل اقتصر مفعول هذه الانقلابات على الشعوب التي انجزتها مباشرة أولم تساهم الشعوب الاخرى في قطف ثمارهاوخيراتها؟

الجواب على ذلك يجب ان يكون مستندا الى حوادث التاريخ التي اذا رجعنا اليها وفحصناها نراها تجيب بالايجاب ,اذنجد انه ماتكاد حركة من الحركات الرامية الى رفع مستوى البشرية وكل ما ينطوي على هذا المفهوم تستقر وتتمركز في ناحية من نواحي هذا المعمور حتى يحصل لها رد فعل عنيف اوضعيف في نواح اخرى اكانت قريبة اونائية. واذا كان رد الفعل هذاً لم يفلح في خلق حركة او حركات مماثلة بصورة مباشرة في بعض الممالك فلا شك انه لم يخل من احداث تأثيرات وتيارات تهز ذلك الوسط هزا تجعله يتطلع الى مستقبل اكثر اشراقا واوفى من الحياة الحقة نصيبا.

ويتضح مما تقدم ان مجهود البشرية الناجم بحكم التطور في سبيل الكمال لايمكن ان يقتصر على المصدر الذي سعى لتحقيقه سعيا مباشرا فحسب وانه ليس الا تراثا عاما لايختص بجهة وانما هو حق مكتسب بمجرد ان تطل انواره على مياه الحياة. وهذا التراث الذي توارثته الاجيال عن الاجيال وسرى كموكب جلال نوراني وتقمص ارواح البشر من ابناء القرن العشرين لايمكن أن تفلح العوامل الطارئة في تحطيمه مهما بلغت قوتها لأنها ليست إلا أعراضا زائلة ولايمكن لمثل هذه الاعراض ان تتغلب على القوى التي تستند الى قانون خالد هو سر حياة هذا الوجود. ولاشك في

ان هذه الاعراض محتوم زوالها لان القوى التي تقف في وجهها ليست الا نتاجا مركزا للمجهود المنحدر من تطور الاف السنين. وهذا التركز هو سر هذا الصمود في وجه القوة الذي مابرحت وسائل الاتصال توافينا به صباح مساء لانه يستمد حيويته من طيب نباته المتغلغل في مدى لاحد له ولاحصر زاخر بالتضحيات وتكران الذات في سبيل المثل العليا التي ينشد تحقيقها. فكيف تستطيع قوى تستهدف الرجعية ان تعيق هذا التقدم وكل مالها من راس مال يناقض قانون التطور الازلي على خط مستقيم.

الينابيع الخالدة

قلنا في تحليل عنصر القوة في المانية النازية انه شيء وهمي مفتعل وبقاؤه معلق على بقاء احوال معينة لانه يرتكز على تغلغل روح عبادة آلهة القوة في كيان الفرد الالماني وقد عالجنا كيفية تسرب روح الشك في ايمان هذا الفرد بمعبوده لدى توافر عوامل معينة وما يترتب على ذلك من النتائج التي تؤدي الى انهياره بمجرد تفاقم هذا الشك في هذا المعبود من جراء اتخاذه مبدأ القوة غاية يتوصل بواسطتها الى مايرمي اليه في سبيل السيطرة والتحكم. اما عنصر القوة في الجبهة الدمقراطية فانه شيء تابع لامتبوع لانه يستمد حيويته ونشاطه من نشاط وحيوية الوسط الكائن فيه ولما كان هذا الوسط ليس الا ثمرة من ثمرات التطور فهو على هذا شيء طبيعي ثابت لا اصطناعي زائف وهذا هو سر بقائه وعدم فنائه او استسلامه مهما تتالت عليه النكسات بل انه كلما حل به مصاب طارئ لا يفتأ يشتد ويتسامى لانه ليس الا اثرا من رد الفعل الذي يتمخض عنه وسطه وهذا هو سر ازدياد حماس اركان الجبهة الديمقراطية واستماتتها في الدفاع كلما ازدادت قوى الرجعية اندفاعا وجموحا. وحيث ان ازدياد اندفاع عنصر القوة في الجبهة الرجعية محدود القابلية فهو لذلك قصير العمر محدود الاستمرار على نقيض عنصر القوة في الجبهة الديمقراطية الذي يستمد حياته وعناصر عدائه من ينابيع خالدة لانها منبعثة من قانون خالد فهي على هذا لاحد لها ولاحصر.

من هنا يستطيع القارئ ان يرى النهاية المحتومة لالمانية الهتلرية ومن ضمتهم باجنحتها السود من الحياري او المتخطين.

والان وبعد ان انتهينا الى هذه النتيجة لمنطقية الطبيعة فرب سائل يقول:

ترى ماهي العلاقة بين مضامين هذه الكراسة وبين (امتحان الشعوب) التي سميت بها، فالجواب على ذلك ان هذه العلاقة كائنة ضمن تضاعيف ماشرحناه من التفاصيل بل انها تكاد تطل من كل سطر من سطورها بيد اننا مع ذلك لانرى بأسا من ان نورد هذه العلاقة متناولين اياها ببحث مختصر فنقول:



شخصيات كردية

شرفخان البدليسي

تيلي أمين

ينتمي الأمير المؤرخ شرفخان الى الاسرة الروزكية الجليلة التي حكمت إمارة بدليس الكردية وهو الابن البكر للأمير شمس الدين بن شرفخان الذي كان يتولى حكم الإمارة حتى عام ١٥٣٧ م عندما طلب منه السلطان العثماني سليمان القانوني التنازل عن إمارة بدليس ومنحه ولاية ملاطية ومرعش ولكنه خاف ان يكون هذا الأمر بداية للقضاء على نفوذ عائلته وانتصارا لخصومها فقصد الشاه طهماسب الصفوي في ارجيش ومنه الى تبريز مع عائلته وبعض انصاره واقربائه فأكرمه الشاه وولاه منطقة سراب بعد ان منحه لقب خان وادخله في سلك امرائه العظام ، كما منح حينا منطقة مراوغة ودماوند.

كان الأمير شمس الدين وقبل ارتحاله الى إيران بسبع سنين قد تزوج من كريمة أمير خان موصلو وهناك في بلاد العجم وفي قصبة كرهرود ولد لهما الأمير شرف عام ١٥٤٣ م . يقول الأمير شرفخان عن هذه الفترة (كان من دأب الشاه ان يعني بأطفال أمرائه فيدخلهم جميعا قصره العامر ولا يدع من نظم التربية والتنشئة شيئا إلا ويراعيه ... يمرنهم على العبادة والتقوى ... ويحثهم على ملازمة العلماء والفضلاء حتى إذا أيفعوا عهد بهم إلى من يعلمهم النظم العسكرية والرماية واللعب بالكرة والصولجان والفروسية... ويوصيهم بقوله تعلموا فن التصوير والنقش فإنهما يفتحان السليقة ويصقلان الذهن). وفق هذه القاعدة دخل شرفخان قصر الشاه ولما اعتزل والده الحياة العامة نصبه الشاه أميرا وهو في الثانية عشرة من عمره، ثم ولاه إمارة كرهرود فتولاها لبضع سنوات . ثم حدثت قلاقل وثورات في منطقة كيلان ولم يستطع احد من أمراء القزلباش تهدئة الاوضاع فيها فولى الشاه الأمير شرفخان عليها ، واستطاع شرفخان بحنكته القضاء على المناوئين وترضية الشعب حتى عادت الأمور إلى مسارها فكتب إليه ديوان الشاه ما نصه (ان عدالتك الكاملة وعنايتك باحوال الشعب وشجاعتك الفائقة قد اتضحت... بيض الله وجهك في الدارين). وقد استطاع شرفخان بجيش صغير يتألف من ٤٥٠ بين

فارس وراجل من القضاء على جيش السلطان هاشم الذي كان يتكون من اكثر من ثمانية عشر الف جندي من فارس وراجل وان يشتت هذا الجيش الضخم ويحكم سيطرته على كيلان ويبسط فيها الأمان والعدل.

عندما تولى السلطان إسماعيل ميرزا عرش إيران بمساعدة أخته بيري خانم طلب من شرفخان ملازمة ديوان الشاه وولاه منصب أمير أمراء الكرد فكانوا يراجعونه في كل شؤون الإمارات الكردية ويقضي لهم حوائجهم باسم الشاه .على ان الكثير من الأمراء القزلباش أصابهم الحسد والغيرة مما يلقيه شرفخان البدليسي من محبة الشاه واحترامه له ومقامه في الديوان الشاهنشاهي فوشوا به غدرا انه يتعاون مع بعض الأمراء لخلع الشاه وتنصيب ابن اخيه مكانه. لقد صلب الشاه عددا من الأمراء الفرس بسبب هذه الوشاية ولكنه اكتفى بابعاد الأمير الكردي عن عاصمة ملكه ومنحه حكم نخجوان في أذربيجان . يكتب شرفخان في كتابه الشهير (شرفنامة) عن هذه الحادثة بالقول (كانت هذه الحادثة بشارة واشارة من المنحة الالهية وفضلاً من الفيوضات الربانية اللامتناهية وسماحا للعودة الى ارض الوطن المألوف ومقام الأجداد المعروف). إذ لم تكد يمضى عام ونيف على توليه حكم نخجوان حتى وصله كتاب من السلطان العثماني مراد خان وعن طريق خسرو باشا أمير أمراء وان وحاكم هكاري يعلمه فيه إعادته إلى ملكه الوراثي في إمارة بدليس ويطلب منه العودة اليها ، فعاد شرفخان في عام ١٥٧٥ الى موطنه وتولى إمارة بدليس من جديد وخلع عليه السلطان خلع ملكية وسيفا مذهبا جاء بها اليه مبعوث السلطان مصطفى جاوش مع رسالة من الوزير الأعظم ورسائل الوزراء الآخرين وخلع أخرى وسيف مذهب من مصطفى باشا قائد الجيوش العثمانية. أما السلطان مراد خان نفسه فقد كتب اليه وبخط يده (محبي الصادق شرفخان. ان إخلاصك الكامل وورائك التام ومودتك الخالصة وخدماتك الصالحة قد لاحت على ضميرنا الهمايوني المنير المشع كالشمس ...الخ.

عندما فرغ الأمير من كتابة (شرفنامة) كان لا يزال يتولى شؤون إمارة بدليس ويقول احد أحفاد الأسرة باسم ضياء شرفخان ان الأمير شرفخان الخامس توفي عام ١٦٠٤

أما إمارة بدليس فقد ظلت في أيدي الأسرة البدليسية حتى عام ١٦٧٦ م وعندها قضى والي وان على الإمارة ووضع يده على خزائنها. يقول السائح التركي أوليا جلبي انه كان في اللجنة التي تولت ضبط ممتلكات الإمارة فيقول كان مما خلفه أمير بدليس عبدال خان (حمل سبع جمال من الكت ، فكانت مكتبته الخاصة تحتوي على أكثر من أربعة آلاف نسخة من الكتب القيمة. من نوادر المخطوطات في العلوم الدينية والتاريخية واللغوية وعلم الحيوان والنبات والطب والتشريح والشعر وأنواع من الخرائط والصور واللوحات النادرة واغلبها مجلد في غاية الإتقان والزخرفة. وكان يبلغ تاليفاته ٧٦ كتابا و١٠٥ رسائل. يجدر بالذكر ان عبدال خان هو حفيد شرفخان البدليسي ويرى الأستاذ المؤرخ عبد الرقيب يوسف انه تعلم الشعر والرسم من جده.

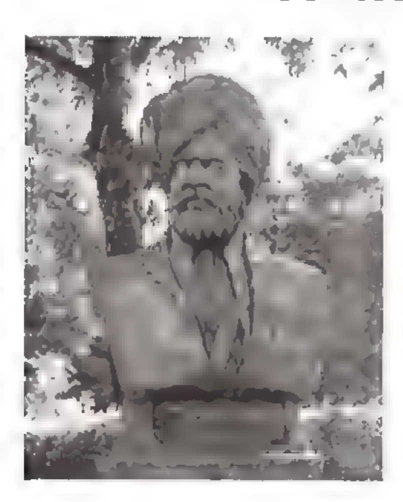
رغم ان شرفخان قدم خدمات جليلة لأهل الإمارة وسهر على إشاعة العدل فيها إلا ان ما خلده أكثر هو كتابه (شرفنامة) الذي فرغ من كتابته عام ١٥٩٧ م، ويبحث فيه التاريخ الكردي والإمارات الكردية وبذلك يعتبر المصدر الأساس لتاريخ شعب كردستان، يقول الدكتور كمال مظهر انه لا يوجد أي كردي يقرأ ويكتب كما لا يوجد اي مستشرق أجنبي لم يسمع شرفنامة أو اسم شرفخان البدليسي. لقد طبع الكتاب حتى الان عددا من المرات وترجم الى العديد من اللغات العالمية ويعتبره الكثير من الباحثين احد أهم المصادر التاريخية لشعوب الشرق. عندما طبع كتاب شرفنامة لأول مرة عام ١٨٦٠ كتب المستشرق زيرنوف مقدمة باللغة الفرنسية وضح فيها أهمية الشرفنامة بقوله: (القيمة العلمية لهذا التاريخ الكردي ليس محل شك فرغم مرور ثلاثمئة عام لا نجد في الشرق عملا علميا آخر يضاهي قيمته قيمة الشرفنامة) .أما ناشر الطبعة العربية لمترجم ملك مصر

محمد علي عوني والذي ترجم الكتاب الى اللغة العربية وطبع في القاهرة عام ١٩٣٠ فيقول: (ومن الأدلة على قيمة هذا الكتاب تنويه الغربيين بجلالة قدره وعظمة شأنه حيث قالوا انه أول نور لاح في سماء تاريخ آسيا فقاموا بترجمته وطبعه مع أننا معشر الشرقيين كنا أولى بنشره).

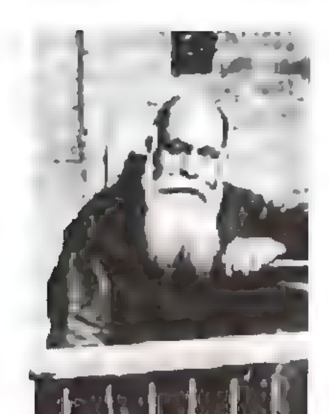
يشتمل شرفنامة على مقدمة واربعة ابواب وخاتمة، يتناول المؤرخ في المقدمة العشائر الكردية وأنسابها، ويبحث في الباب الأول حكام كردستان الذين رفعوا لواء السلطنة فعدهم الباحثون في عداد السلاطين وهم حكام دياربكر - آمد وجزيرة بوتان ودينور وحكام اللر الصغرى واللر الكبرى وشهرزور وسلاطين مصر والشام من الأسرة الأيوبية. وفي الباب الثاني يتناول المؤرخ الأمير تاريخ الإمارات الكردية التي لم تكن مستقلة تماما عن تبعية الدولة العثمانية والصفوية الا ان حكامها كانوا احيانا يدعون تلاوة خطب الجمعة وسك النقود باسمهم وهم حكام إمارات اردلان وهكاري والعمادية والجزيرة وكوركيل وفنيك وحصن كيف، في الباب الثالث والذي يشمل تسعة فصول يبحث المؤرخ في تاريخ بقية أمراء كردستان من ملاطية وحتى ضفاف مضيق هرمز، وفي هذا الباب ايضا يتناول سيرة حكام بدليس من أجداده. اما الخاتمة فهي ليست اعتيادية إنما هي الجزء الثاني من الكتاب ويبحث فيه الأمير شرفخان ترجمة سلاطين الدولة العثمانية وملوك إيران وتوران بل تاريخ العالم المعاصر له. ويقول المؤرخون ان الخاتمة لا تقل أهمية عن الجزء الأول أو متن الكتاب لذلك عد شرفخان أبَ المؤرخين الكرد والشرفنامة مصدر المصادر في التاريخ الكردي منذ بدايته وحتى عام ١٠٠٥ للهجرة. إضافة لذلك زين الأمير كتابه بعشرين لوحة فنية رسمها بنفسه، وتدل اللوحات انه كان فنانا بارعا وهناك دراسات خاصة بهذه اللوحات الفنية التي تبين بعض عادات وتقاليد الكرد وطريقتهم في الصيد ونمط مجالس الأمراء الكرد وغير ذلك. كما ضمن المؤلف كتابه خارطة لكردستان في عصره.

ثمت ترجمتان عربيتان لكتاب شرفنامة احدهما للمرحوم محمد علي عوني والذي كان يعمل مترجما في ديوان الملك فاروق، والثانية للمرحوم محمد جميل روزبياني؛ وهناك الطبعة الكردية لهزار موكرياني والطبعة الفارسية واعتمدت عليها جميعا في هذه الكتابة

التمثال النصفي للأمير شرفخان، يستقر في كوردستان، من تصوير وليد هرمز.



محطات ثقافية


الكرملي

«الكرملي» في دراساته الكوردية

د. عماد عبدالسلام رؤوف

الأب انستانس ماري الكرملي (١٨٦٦-م ١٢٤٧هـ) من علماء العراق البارزين، نشأ في بغداد، ودرس في لبنان، وأتم دراسته في جامعات بلجيكا وفرنسا، وانتخبته محافل ومجامع علمية عدة عضواً فيها، وشارك في مجلات علمية مختلفة، وألف كتباً مهمة، كما حقق مخطوطات قيمة، فضلاً عن نشره العدد الوافر من الدراسات والمقالات ما ملأت عناوينها ـ فقط - مجلداً كاملاً، وأصدر مجلة علمية أدبية رائدة، هي مجلة (لغة العرب) التي أسهمت في نهضة العراق الثقافية في مطلع القرن العشرين مساهمة جلية.

وقد عرف الأب الكرملي بولعه الشديد بدراسة اللغات وأصولها ومقارنتها، فدرس اللغة العربية، وتوغل في البحث في أعماقها، وألف في علومها خيرة مؤلفاته وبحوثه، إلا أنه كان في دراسته هذه متفتح الفكر على اللغات الحية الأخرى، يقارن ويحلل ويناظر، فأتقن من اللغات الأوربية: الفرنسية والإنكليزية والإيطالية واليونانية واللاتينية والإسبانية والألمانية، ومن اللغات الشرقية: التركية والفارسية والحبشية والأرمنية والسريانية والعبرية والصابئية.

على أن اهتمام الأب الكرملي لم يقتصر على هذه اللغات فحسب، بل تعداها إلى لغات أخرى غيرها، حتى انه جمع ذات مرة ما يقرب من مئة ترجمة في لغات شتى لعبارة واحدة، مؤلفاً في ذلك كتاباً مجموعاً طريفاً في مقارنة اللغات، ما زال مخطوطاً، وقفنا عليه في المركز الوطني للمخطوطات في بغداد.

وكانت من اللغات الحية التي اهتم الأب بدراستها وتتبع تاريخها وآدابها، اللغة الكوردية، فقد تتبع كثيراً مما كتب عنها في مختلف اللغات الأوربية، ولخصه، وترجمه، وقارنه، وأضاف إليه من خبرته فيها.

وكان من أول ما كتبه في هذا الصدد، كتاب ألفه سنة ١٨٩٥ عن الإيزدية، تناول فيه قبائلهم ولهجاتهم الكوردية، وتطرق فيه إلى موضوعات مختلفة، مثل التعريف بهم طبقاً لمذهبهم، طريقتهم وعوائدهم، اعتقادهم بالمسيح ومعتقدات المسيحيين، طوافاتهم، سناجقهم، شيوخهم، الزي والملبوس عندهم، الزواج ودفن الموتى لديهم، أخلاقهم وعوائدهم وصنائعهم وتثقيفهم، أقسام قبائلهم، تقاطيعهم وسحناتهم، أسلحتهم، مساكنهم، محل وجودهم وقراهم ومدنهم، تاريخ أحوالهم، وقد نشر أغلب هذا الكتاب المهم مسلسلاً في مجلة المشرق اللبنانية سنة ١٨٩٩.

ويبدو أن اهتمام الكرملي بتاريخ الإيزدية، وتتبع كل ما يتعلق بقبائلهم ومعتقداتهم، جره فيما بعد إلى البحث في تاريخ الكورد مباشرة، ففي سنة ١٨٩٧عقد النية على تأليف كتاب خاص بهم، ولكنه ما ان كتب العنوان (تاريخ الكرد) على الصفحة الأولى من كتابه، حتى عدل عن تحقيق خطة هذا البحث، لنقص في مصادره وأصوله، وشرع في التمهيد له بجمع ما ينقصه من تلك المواد، فجعل من كتابه المذكور دفتراً يجمع بين دفتيه ما يجده من مصادر نادرة، وسياحات مهمة، ودراسات متنوعة، مضيفاً على العنوان الذي كتبه عبارة جديدة هي (تحقيقات عن الكرد من تعريب الأب أنستاس ماري الكرملي، ابتدأ بها في ٥ شباط ١٨٩٧).

وبعد زهاء أربعة وعشرين عاماً اعاد الكرملي الكرة على هذا الموضوع، فابتدأ في ٢٥ تموز من سنة ١٩١٩ بتأليف كتاب سماه بالعنوان القديم نفسه، وهو (تاريخ الكرد)، ولكنه قسمه إلى ثلاثة فصول، تحدث في الأول منه عن جغرافية كوردستان: حدودها، مناظرها وهوائها، نباتاتها. وخصص الفصل الثاني للحديث عن تاريخ الكورد قبل الإسلام، متناولاً فيه المباحث الآتية: تاريخهم، أخبارهم، تغلبهم، ملوك بابل الكوشيين، عناصرهم القومية، ديانتهم، شهادات الأقدمين في حق الكورد الأولين، أما الفصل الثالث فتحدث فيه عن تاريخ الكورد بعد الإسلام، وعشائرهم، وتطرق فيه إلى موضوعات في اللغة الكوردية وآدابها اللغوية.

ويتألف الكتاب من ١٠٢ صفحة، وقد أشار إليه رفائيل بطي باسم (الكرد قبل الإسلام) في مقالة له نشرها سنة ١٩٢٤، مما دل على أن الأب لم يكن قد أنجز من كتابه آنذاك سوى الفصلين الأولين، اللذين يبحثان في جغرافية كوردستان وتاريخ الكورد قبل الإسلام فحسب. كما وصفه كاملاً كوركيس عواد، وهو يفهرس آثار الكرملي المخطوطة والمطبوعة، بيد أنه لم ينوه بمحل وجوده، على خلاف منهجه في النص على ذلك، وليس في كتب الكرملي المنتقلة إلى مكتبة المتحف العراقي في بغداد (المركز الوطني للمخطوطات الآن) هذا الكتاب، وحينما عرضت مؤلفات الكرملي في معرض خاص أقيم في هذه المكتبة سنة ١٩٧٠ بمناسبة مرور ثلاث وعشرين سنة على وفاته، لم يكن بين معروضاته، ولعله ما زال محفوظاً في كتبه في دير الآباء الكرمليين ببغداد.

وحتى يظهر كتاب الكرملي عن تاريخ الكورد لا يبقى أمامنا إلا العودة إلى أصوله ومسوداته التي تضمنها المجموع المحفوظ في المركز الوطني للمخطوطات، وقد عدنا إليه فعلاً منذ مدة، فوجدناه يحتوي على نخبة مختارة من الفوائد والملاحظات عن الكورد ولغتهم، استقاها المؤلف من مصادر شتى، وهي:

١. كوردستان كما وصفها الرحالة الإنكليزي جسني في كتابه (بعثة لمسح شواطئ الرافدين) وتشغل الصفحات ١-١٧.

٢. سليمان باشا أبو ليلة، وهو والي بغداد، معربة عن كتاب (تاريخ إيران)، ولا علاقة لهذه النبذة بالكورد.

٣. مكري: نادرة في الشجاعة والبسالة رواها أحد الفرنسيين ممن سمع بالواقعة سنة ١٦٠٥، وموضوع النبذة هو شجاعة بعض الكرد أثناء أيام الشاه عباس الصفوي، وتشغل الصفحات ٢٣- ٢٦.

٤. اللغة الكوردية الحالية، نبذة قصيرة تضم ملاحظات مستقاة من بعض المصادر الفرنسية.

٥. اللغة الكوردية. وهو بحث في ٢٤ صفحة، يشغل الصفحات ٢٧- ٤١، ذكر عنها مؤلفها الكرملي أنه عربها ولخصها من أوثق المصادر الفرنسية والإنكليزية، ونحسب أنه اعتمد عليها في كتابة الفصل الخاص باللغة الكوردية وآدابها اللغوية في كتابه الآخر (تاريخ الكورد).

ويلاحظ ان بحثه الأخير يؤلف رسالة قائمة بذاتها، وهي تمثل جهداً كبيراً في تتبع أهم الدراسات التي كتبها علماء أوربيون، في تاريخ اللغة الكوردية، وهو ينطلق في بحثه من نقد موضوعي لما كان يردده بعض الرحالين الأوربيين الذين قدر لهم المرور في

شعاب كوردستان، حول طبيعة هذه اللغة، وهو يقول ناقداً تلك الأقوال: (كان الرحالون يعتبرون اللغة الكوردية خشنة، أو لهجة مشوهة أو مصحفة من لهجات اللسان الفارسي، ولا يفهمها إلاّ الأقوام الذين تعلموها منذ الصغر، فينطقون بها حسبما تدفعهم إليه السليقة) يعني أنهم يقصدون بذلك أن الكردية لغة لا آداب فيها، ولا قواعد يمكن تعلمها، ثم يذكر الكرملي أن بعض أولئك الرحالين ذهبوا: (إلى أنها لغة مصطفة مركبة من ألفاظ فارسية وأرمنية وتركية)، وبعد أن يستعرض هذه الأقوال التي تنم عن جهل قائليها، نجده يقرر أن هذه الآراء: (ليست في شيء من الصواب، لأنه قد ثبت بعد البحث الدقيق أنها حرية بأن تعد بين اللغات المتسعة القائمة بذاتها، من قبيل التركية والفارسية عينهما). ويعين الكرملي علاقة الكوردية بالفارسية، ويقرر بثقة أن الأولى هي لغة (قدماء الماذيين)، يريد بهم الميديين، فيقول: (غير خاف أن قدماء الماذيين والفرس كانوا يتكلمون بلغتين مختلفتين، وهما الماذية أو الآفستية، والفارسية القديمة، وهي لغة الرقم، بيد أن كلتا اللغتين قد نمت واتسعت على حدة بمعزل عن أختها، وتغيرت عما كانت عليه في بادئ أمرها، على أن الفارسية قد دخل فيها قدر وافر من الألفاظ العربية، على مثال ما طرأ على اللغة الإنكليزية السكسونية من تطرق الألفاظ اللاتينية واليونانية إليها، فتولدت منها اللغة الإنكليزية الحالية، أما الكوردية فبقيت مُباينة للفارسية في شيء، ومشابهة لها في شيء آخر، فخالفتها في منع الدخيل من أن يتسرب إليها، وجارتها في غير ذلك من الأصول اللغوية والنحوية، فغالباً تجد في الكردية عبارات أو اصطلاحات قد أتتها من أختها الفارسية، لكنها في الوقت عينه قد احتفظت لذاتها بطرائق من التعبير والإنشاء مما خولها مزية جعلتها لغة قائمة بنفسها، مختلفة عن الفارسية المركبة اختلاف الكردية الدارجة عينها عن اللغة الفارسية الفصحى). فميزة الكوردية عند الكرملي هي في حفاظها على استقلال لغوي فذ تختلف فيه عن كثير من اللغات الحية، وهو هنا يقرر بأن: (اعتزال اللغة الكردية وعدم امتزاجها بلغة أخرى كان الطريقة الفعالة لصيانتها، والذي نتج عن ذلك من باب الضرورة هو نمو وترقي اللهجات الأخرى الشائعة في الجبال المنقطعة حيث كان مقر الأمة الكردية). ويرى الكرملي، أنه على الرغم من القلة النسبية في الآثار الأدبية لهذه اللغة، فإنه لا شك في أن (هناك لساناً كردياً فصيحاً بليغاً خالصاً من كل شائبة، وهو شائع في قلب البلاد الكردية، وخليق بأن يوضع موضع الأساس لبقية اللهجات العديدة).

وانسياقاً مع نظرية أن اللغة كائن حي بحياة الناطقين بها، يحاول الكرملي في بحثه أن يربط بين المكونات الأولى للشعب الكوردي وبين الانتشار الذي أصابته لغته فيقول: (يظهر من التغيرات التي حدثت أثناء الألفي سنة الأخيرة في الديار التي عامة سكانها أو أكثرهم من الكرد، إن هذا الجيل قد قطن الأصقاع الواقعة بين أورمية وبحيرة وان والجبال التي تنبع منها عيون كبار أنهر مواطن القبائل اللورية أو عشائر الكوران والأردلان المعروفة اليوم باسم الكرد، ففي داخل حدود هذه البلاد يتكلم الناس لغة اسمها (كردماه)، أو (كردمانج)، بيد أنه لما أخذ يأفل نجم الممالك القوية المحيطة بها لم يكن من أولئك الأقوام المغاوير إلاّ أن اندفعوا نحو الغرب والشمال إلى أن استقروا حيث يرون اليوم، أي في بيازيد التي بقيت زمناً طويلاً في حوزة البكات الكرد، فهي مدينة كردية صرفاً، وفي أرضروم وأرزنجان والجبال الواقعة شمالي حلب). ولا يحدد الكرملي زمن حدوث تلك الهجرات، وما هي الممالك العظيمة التي يقصدها. وهو هنا يقرر أن جميع تلك الأقوام كانت تتكلم باللغة الكرمانجية، التي هي عنده اللغة الكوردية الأصيلة، وإن كان هذا لا يمنع من وجود قبائل أخرى تتكلم لهجات كردية مختلفة فيقول: (إن بعض العشائر القاطنة بين الكرد قد سميت لذلك كردية، ودعا الافرنج والترك لغتهم لهجة كردية، وأعلى هذه القبائل شأناً هي قبيلة الزازه

بفروعها المنتشرة في اواسط وجنوب كردستان).

ويرى الكرملي أن لغة الزازة هي لغة إيرانية بحتة لكنها مشابهة للكوردية (في الاصطلاحات النحوية وانتقاء الألفاظ، ولها بعض المضارعة للغة الكوران واللوران)، ثم نجده ينتهي إلى القول بأن الزازه (فرع من الشعوب الزرداسترية (الزرادشتية) المتأخرة النازلة بلاد إيران [و] وتركية، وفي ولاية درسيم من آسية [لعله يقصد آسية الصغرى تحديداً، وهي مقاطعة قريبة من ديار بكر ونهر الفرات، معظم سكانها من الكورد] يوجد بين القبائل الكردية والزازية قبيلة البلاكية ولغتها خليط من العربية والأرمنية والكردية).

وبعد هذا العرض السريع للهجات الكوردية، يتوصل الكرملي إلى أن: (أقرب الأقوام الكردية من الأصل الكردي، هم ـ ولا بدع - قبائل الهكارية والمُكرية)، ثم هو يسند ما توصل إليه بكثرة من خرج من (بلاد الهكارية) من الشعراء الذين نبغوا في العصور الوسطى، وفي مقدمتهم الشاعر علي حريري الذي عاش في القرن الحادي عشر للميلاد [قلنا: ولد سنة ٤٠٠ وتوفي سنة ٤٧١هـ/ وله ديوان بالكوردية]، في ولاية شمسيدينان [شمدينان] من البلاد الهكارية، والشاعر احمد الجزيري من الهكارية، وقد عاش في القرن الثاني عشر للميلاد ، والشاعر محمد فقي طيران، وقد عاش في القرن الرابع عشر للميلاد، والملا أحمد من بانه الهكارية، وله، كما يذكر (تآليف في غاية الشهرة يدعى المولود، اي قصة ولادة النبي). ويرى الكرملي أنه في عصر هذا الشاعر انتشر الهكارية حتى وصلوا بيازيد واستوطنوا فيها، وظهر منهم هناك أشهر شعراء الكورد ومؤلفيهم في القرن السادس عشر، الا وهو أحمدي خاني من الهكارية، ومصنفاته في التهذيب وغيره كثيرة، وهو يذكر في ترجمته أنه (اسس في بيازيد مدرسة وشيد جامعاً، وله معجم مدرسي منظم عربي وكردي، مخطوط محفوظ في دار التحف البريطانية [يريد مكتبة المتحف البريطاني]). وأحمد خان هذا هو أحمد خاني، الذي ولد سنة ١٠٠٠ وتوفي سنة ١٠٦٣هـ، وهو ناظم (مم وزين) إحدى عيون الأدب الكوردي، وقد طبعت غير مرة، وأما معجمه المذكور فقد طبع هو أيضاً.

ويرى الكرملي أن ظهور مولانا شرفخان البدليسي يعد دليلاً آخر على عراقة الكردية في هذه الأنحاء فيقول: (وفي آخر ذلك القرن ولد من يكاد يكون أشهر كتاب الكرد، وهو شريف خان [كذا يقصد شرف خان] الهكاري، وقد كتب في اللغة الفارسية تاريخ الكرد المدعو شرفنامه، وهو حتى اليوم من أثبت الأسانيد لتاريخ هذه الأمة، وما عدا ذلك فقد صنف عدة تآليف وقصائد باللغة الكوردية). ويلي هذا من الشعراء مراد خان البيازيدي الهكاري، (ولكن شهرته لم تكن عظيمة، وتوفي سنة ١٧٨٤م) بحسب قوله، وذكر المرحوم محمد أمين زكي أن اشعاره كانت باللغة الكرمانجية، ومعظمها في الغزل والرثاء. ثم ينتقل الكرملي إلى الجنوب، ويقصد به ما يسمى بكوردستان الشرقية والجنوبية، فيذكر أنه: (ظهر فيه شعراء كثيرون في ديار الخانات الكوران، في مدينة سنا من أردلان، ولكنهم نظموا جميعاً بلغة الكوران، ولم يقم شعراء كبار في جنوب كردستان حتى آخر القرن الثامن عشر في السليمانية، وذلك منذ أصبحت هي وأختها كركوك مقر كثير من الكتاب والشعراء الكبار والصغار، الذين يضيق المقام عند ذكرهم لكثرتهم). وبهذا يختتم الكرملي حديثه عن اللغة الكوردية. وعلى الرغم من أن بعض ما أورده من الآراء ربما كان يحتاج إلى مراجعة، فإن جهوده اللغوية تبقى تحتفظ بأهميتها حتى اليوم، نظراً لأنها جاءت في وقت كانت فيه الدراسات اللغوية الكوردية ما تزال قليلة، أو غير متكاملة، وإنه توصل، إلى أن اللغة الكوردية لغة عريقة، لها كيانها، ولها آدابها الخاصة، وأنها تميزت بقدرتها على البقاء مستقلة على خلاف غيرها من اللغات.

ملحوظة: توجد اخطاء لغوية في النصوص التي اقتبسها الكاتب، فأبقيناها كما هي، صونا للأمانة العلمية. «سردم العربي»



كتاب «اكراد الاردن» مترجما الى اللغة التركية

د. محمد علي الصويركي

* صدر حديثا عن دار آفستا للنشر باسطنبول ترجمة جديدة لكتاب «كرد الأردن» من تأليف د.محمد علي الصويركي، وقد أقدم على ترجمته إلى اللغة التركية د. قدري يلدريم من جامعة دجلة في مدينة ديار بكر، ويأتي هذا الكتاب ضمن سلسلة كتب تسعى إلى التعريف بكرد المهجر خارج كردستان.

يقع الكتاب في حدود(٢٣٦) صفحة من القطع المتوسط، ويبدأ بمقدمة المؤلف، ثم تقديم لمحة موجزة عن الكرد، والفصل الثاني يتحدث عن وجود الكرد في بلاد الشام (سوريا، لبنان، فلسطين، والأردن)، والفصل الثالث يختص بكرد الأردن، والفصل الرابع يتحدث عن دور الكرد في بناء الأردن الحديث وتطلعاتهم، والفصل الخامس مخصص لاعلام الكرد في الأردن في العصور الإسلامية والعصر الحديث. وينتهي الكتاب بقائمة المصادر والمراجع، وملحق بالصور والوثائق ذات الصلة.

ويقول مؤلف الكتاب د. محمد علي الصويركي في تقديمه للطبعة التركية: انني آمل من هذه الترجمة أن تمكن القارئ في تركيا من الاطلاع على أحوال كرد الأردن ودورهم في بناء الأردن الحديث في مختلف الصعد والمجالات، فرغم قلة عددهم استطاعوا المساهمة في بناء بلدهم، ونبغ منهم رجال فكر وسياسة وأدب واقتصاد، منهم على سبيل الذكر دولة المرحوم الأستاذ سعد جمعة الأيوبي رئيس وزراء الأردن عام ١٩٦٧، المنحدر من مدينة ديار بكر.

ويشكل كرد الأردن اليوم جزءا حقيقياً من النسيج الاجتماعي والسياسي الأردني، فهم يعتزون بأردنيتهم أولاً، وكرديتهم ثانياً، وما كان لهم أن يحققوا هذه الإنجازات الاقتصادية والسياسية والاجتماعية لولا وجود مساحات واسعة من الحرية والتسامح والاحترام السائد في الأردن، والدور الأول يعود إلى القيادة السياسية الأردنية التي أخذت على عاتقها احترام كل مكونات المجتمع الأردني المتنوع والمتعدد في العرق والدين، ومشاركتهم في العملية السياسية إذا ما وجد لدى أي منهم الكفاءة والقدرة على تحمل المسؤولية، لذلك كان يصف الملك الراحل- الحسين بن طلال- الأردنيين دائماً «بالأسرة الكبيرة الواحدة».

سيجد القارئ في هذا الكتاب بأن أكثرية أصول العائلات الكردية في الأردن هي من كردستان تركيا وخاصة من مناطق ديار بكر، وماردين، ووان، وسيورك، وأورفه، حيث قدموا إلى الأردن على هيئة تجار وجند وموظفين واستقروا فيه منذ القرن التاسع عشر ومطلع القرن العشرين، ومنهم يتشكل الآن كرد الأردن الحاليون.

ساڵەیی والصالحي
عشيرة واحدة ام عشيرة وقبيلة

د. عمر ابراهيم توفيق - جامعة كركوك

كانت منطقة ساله يي وحدة جغرافية مترابطة تمتد من سهل أربيل في شمال پردێ (التون كوبري) وطق طق في خط مائل شرقاً ليلتقي بمناطق عشيرتي زەنگەنەو جەباره وتحدها جنوباً عشيرتا داوده وطالبان وعشائر سيان ودزه يي وناحية ملحة غرباً مع تمركز سكاني على طرفي نهر الزاب الصغير، وهي القسم الشمالي من اقليم أرابخا.

وتعد مدينة ئردآ (التون كوبري) مركز هذه المقاطعة، وأنها بنيت من قبل أمراء الساكية التي استوطنت في تلك المنطقة بعد عام ١٢٨ ق.م وكانت تسمى((شهرات)) باسم ملكها شلات ووردت عند الآراميين بصيغة((شهروز)) وفي العهد العثماني تحول اسمها من پردێ الى التون كوبري (الجسر الذهبي) لكثرة الجبايات التي كانت تستحصل على جسرها الذي يتزامن بناؤها مع بناء المدينة.

وقد اعتنق سكان هذه المنطقة الديانة المسيحية منذ القرن الأول الميلادي وكانت تابعة روحياً للمطرانية الكبرى في قلعة كركوك، وظهر بينهم الأسقف((نرسي)) المولد في مدينة شهرقند (پردێ) حسب ما ورد في المصادر الآرامية[1].

ومنذ أواسط القرن الثالث للميلاد أصبحت المنطقة مقاطعة شمالية لاقليم شهرزور الخاضع لحكم الساسانيين الزرادشتيين الذين أسكنوا أشرافهم في قلعة كركوك الذين كانوا يسجدون للشمس صباح كل يوم ويتجمعون في الأعياد حول النيران الازلية في باوه كوركور، واعتنق معظم سكان المنقطة الديانة الزرادشتية في عهد الملك الساساني يزدجر الثاني(٤٣٨-٤٥٧ م).

وآثار معابدهم شامخة في المناطق الجبلية المطلة على المنطقة ولاسيما سهل كويه والجبال المطلة على نهر الزاب الصغير.

وفي القرن السابع للميلاد خضعت المنطقة للحكم الاسلامي بعد معارك طاحنة في عهد الخليفة عمر بن الخطاب (رض) وقائده عياض بن غنم الذي كلفه بفتح هذه المناطق، وفي شمال المنطقة مقابر لجنود المسلمين تسمى بـ(مقابر الصحابة) كما يوجد مرقد الصحابي عكاشة في وسط المنطقة، وكانت هذه البقعة ساحة للثورات والقلاقل في عهدي الدولة الأموية والدولة العباسية ولاسيما بعد انضمام قسم منهم الى الخوارج، وبعدها أصبحت تابعة لحكم أمارة أرولان

الموالية للصفويين في تبريز، وفي عهد الأمير تيمور وبعد تحقق ضعف حكام الصفويين نقل ولاءه الى الدولة العثمانية وحصل على الفرمان والخلعة من السلطان العثماني، وأصبحت بعد معاهدات (١٥٥٥م) ضمن ممتلكات الدولة العثمانية رسمياً،وجلبت عليهم وبالاً ومصائب نتيجة الصراع بين الدولتين العثمانية والصفوية حيث سقطت من (١٦٢٣-١٦٣٠)م تحت حكم الصفويين في عهد الشاه عباس، وتكرر في عهد نادر شاه بين عامي (١٧٣٣-١٧٤٣)م وكان لهذه الحروب وعمليات النهب التي كانت تجرى من قبل الجيشين أثرها السلبي على المنطقة، فرحلت منها قسم كبير الى مناطق أكثر أمناً وتجمع السكان على ضفتي النهر لسهولة الحصول على القوت اليومي البسيط دون الحاجة الى تخزين وفي قرى صغيرة متناثرة تعتمد على الرعي والزراعة ديماً، وفي القرنين الثامن عشر (النصف الثاني) والتاسع عشر تنعمت المنطقة باسقرار نسبي، فرحل اليها جماعات من الشرق أفراداً وجماعات من العشائر الأخرى المتأزمة أوضاعها في مناطقها مثل الذين تجمع قسم منهم في قرية ((قه زنه فه ر)) وجماعات من كلهوورلر وجاف وكلالي وغيرها فضلاً عن عوائل من بني سادة جميل كما مبين لاحقاً.

كانت منطقة معروفة باسم ((شوان)) المرتبط بالرعي، وفي التأريخ القديم كانت قبيلة ((شوانكارة)) الكردية في اقليم فارس من أكبر القبائل الرحل وقد وصفوا ببدو الكرد وتحدث عنهم أبن البلخي مفصلاً، وجاء من كتاب ((الكامل)) لابن الأثير /١ج ص٧٠ بأن نمرود وأصحابه أجمعوا على حرق أبراهيم(ع) في منطقة لاتبعد كثيراً عن منطقة دراستنا، وكان الذي صنع المنجنيق رجلا من أعراب فارس وقال عبدالله بن عمر حسب ما جاء في الكتاب بأن الكرد أعراب فارس، وكان الرجل الذي رمى ابراهيم اسمه ((حيزن)) حسب ما جاء في تفسير ابن كثير، وكان القصد من التسمية هو الكرد الرحل الذين كانوا يعيشون في الخيم، والتماثل كبير بين شوان وشوانكاره وبين الراعي ومهنته الرعي التي اعتمد عليها الجزء الأكبر من سكان المنطقة عدا المناطق المطلة على النهر الذين جمعوا بين الزراعة الاروائية والرعي.

وعشائر المنطقة تنقسم الى ثلاثة أقسام وجميعهم من الكرد، وقد أشار ميجرسون في رحلته المتنكرة الى ذلك بقوله ((ان القرى التابعة لشمال كركوك الى التون كوبري كردية)) ولغتهم كردية صرفة، قريبة جداً من اللغة الكردية الرسمية ((لغة الكتابة)) باللهجة الكرمانجية الجنوبية عدا أخرى محدودة تختلط لهجتهم باللرية، والقسم الأعلى من الشرق يسمى بـ(شيخ بزيني) وأن هذه العشيرة كانت لهم السطوة والقوة حتى أن مارك سايس قال بأنها ضخمة متكونة من اربعة آلاف عائلة ومولعة بالقتال.....

و لكنها تعاني ضعفا في النفوذ والقوة العسكرية[٢] وان الدولة العثمانية نقلت قسماً كبيراً من هذه العشيرة الى منطقة قونية قرب انقرة في نهاية القرن التاسع العشر وانهم اولى القبائل التي شاركت مع الشيخ محمود الحفيد في معركة الشعيبة سنة ١٩١٥م واستشهد عدد منهم، ونذكر على سبيل المثال مشاركة جميع بطون القبيلة واستشهاد الشيخ مولود محمد سالەیی كما انهم انتفضوا على الانكليز قبيل الحاق ولاية الموصل بالعراق في سنة ١٩٢٠ و١٩٢٤ وأن البريطانيين استخدموا مختلف أنواع الأسلحة بما فيها الطائرات للقضاء على ثورة هذه العشيرة، وفي تقديرات أحصاء ١٩٥٧، قدر عدد سكانهم بـ(٢٢٠٠) نسمة موزعة على القرى: فزوسالم، تلكي، ئاوى سواز، سوُكير، بلكانة، وهره تاوه، حمدون،قرونجة السفلى، قرونجة العليا، كانى ورما، جكلية، قره ناو، كنتك، سحاقة، وكوره لي.

والقسم الثاني يسمى حالياً بـ(منطقة شوان) لاعتماد المنطقة على الرعي والزراعة وأن كلمة شوان أقتصرت على هذه المنطقة منذ بدايات القرن العشرين ونشير في ذلك الى كتاب وزارة الداخلية العراقية المرقم ٧٧١١ في ٢٣ نيسان ١٩٢١ في تحديد

نواحي مركز قضاء كركوك الى ملحة، التون كوبري، شوان، قره حسن، طاووق، بينما كانت تشمل المنطقة جميعاً قبل ذلك وقدر عدد سكانها حسب احصاء ١٩٥٧ بـ(٦٦٠٠) نسمة موزعة على قرى: ريدار، جيوه جيوة، قولي بك، دوزين قادرزمة، علي بان، بيرايت، كهريز، معلاط، طورانح باحات، جانقز العليا والسفلى، كنياك، حاجى بنجان، بولاق، مورد، بايلان، قادر علي، جلمان، ترماكوركان قفار، مخير أبراهيم زامة، تبه كوره العليا والسفلى، مام ره ش، علي موسى، خضر شيرين، شيركة، اسماعيل بكي فيسة، نارحوله، حمه بلة، نارحوله رجب، نارحوله جرجيس، حسن قباغ، دوشيوان، أبنخاع عمر فدان، توركمان باغ، دارا ختيار، طرفة، كهريز، فاضملان، ناصر مصير، فقي ميرزا، بلكه ره ش، عنبة خان، سورة العليا والسفلى، ده لو، أدياريك، كوران، ملاوفون، وارسرة، مكلمكة، دربين، علي ميكائيل محمود فاطمة، وعدد آخر من القرى لم سجل في احصاء ١٩٥٧.

والقسم الثالث يسمى بمنطقة ساله يى وهي تابعة لناحية التون كوبري وموزع في احصاء ١٩٥٧ كالاتي:

الصالحي ٤٤٣٧ نسمة مركز قرية كلوزي وسعتها ٧٧٥٠٠ دونم.

بيباني ٣٤٢٠ نسمة وسعتها ٧٩٠٠٠ دونم.

لك ٤١٢ نسمة وسعتها ٩٠٠٠ دونم.

عشيرة سالەيى كانت قبيل عمليات الأنفال /١٩٨٨ اوسع مما ورد في اعلاه وقد ورد في كتاب نزهة الشقاق /٣٧ أن لهذه القبيلة(٨٠) قرية في محافظة كركوك وتحتل مساحة ١٠٠٠ كم٢ حسب تقديرات الاستخبارات البريطانية لعام١٩١٩ من الأراضي الواقعة بين كركوك وآلتون كوبري على جانبي الطريق العام كركوك – اربيل و(٢٦) من هذه القرى تابعة لناحية آلتون كوبري وهي: شيخه يى، قره بك، دارمان الكبير والصغير، بير أصفهان الكبير والصغير، شانه شين، كه لوور، كونى، بيبانى الكبير والصغير، اضافة الى تواجدهم في مركز مدينة التون كوبري (پردێ) حيث يشكلون نصف سكان المدينة، وعشرين قرية تابعة لناحية دوبز منها: قه ره ده ره، قه ره جم، قوش قايه، مرعي، عشمة، قوتان، قسم من باجوان علاوه محمود، نادره آوه، ابو خرجة، كونه ريوي، خرابه روت، اسماعيل آوه، طق طق الصغير، شيرناو، قره تو، جاغ ماغه، شوراو، علي غيرمامه، وملحة... اضافة الى أنهم يشكلون أغلب نفوس ناحية دوبز التي تعتبر من المراكز المهمة لهذه العشيرة، كما لهم عشر قرى تابعة لمركز كركوك وهي: سي كاني، كوركجال قسم من قزليار، قسم من كومبتلره كرميل، ساقزلي، قزل غاية، حصار، ولى باشه، ومعظم سكان محلة رحيم آوا في كركوك مع تواجد ملحوظ في محلات تبه ملا عبدالله والمصلى وأخور حسين وغيرها من أحياء مدينة كركوك، وفي ناحية قره حسن(ليلان) هنالك أربع قرى باقية وهي مامشة وصالحي وتركشكان وطوبخانة وفي قضاء داقوق تسكن الصالحية في قرى: قسم من قرية حه فته غار، مقاره تكى تبه، باره باره، وفي قضاء خورماتو تتواجد ست قرى وهي: تبه سەوز، والقسم الاكبر من البو صباح، آغا جمه شت، قرية قلعة، ومجمع الصياد وقسم كبير من حي الجمهورية في مركز قضاء طوز، وهنالك قرى في محافظة أربيل منها: ملا قره ومجيد آوا فضلاً عن المرحلين الى مجمعات داره تو وبنصلاوه وجديدة وأعداد كبيرة داخل مركز المحافظة، وكانت قرية سربير قبل عمليات الأنفال من أكبر قرى الصالحية، وهذه القرى المشار اليها جميعها كردية وكانوا لا يعرفون غير اللغة الكردية وأن المؤرخ عباس العزاوي الذي ألف كتاباً عن القبائل العراقية عام ١٩٤٧ في زيارته الميدانية للمنطقة قال: تحدثت مع رؤسائهم بواسطة المترجم، ولم أجد فيهم من يتحدث العربية (ص١٥٨) وقد أغفل بعض المستشرقين عشيرة ساله يي لاعتمادهم على النسق القديم في تسمية المنطقة بـ(شوان)، وقد وصفهم البعض منهم مثل وليام ايفلتون (قبائل الكرد/١٠٤) بالضعف في مجال القوة العسكرية والنفوذ

نتيجة كثرة المصائب التي لحقت بهم وقضى الجزء الاكبر من اراضيهم زراعياً، وكان لهذا الضعف في مجال اسكان هذه المنطقة وبقية عشائر كركوك انعكاسه الكبير على قضية كركوك كردياً وعدم بروز مراكز ثقل كركوكية مؤثرة طليعية في الحركة الكوردية واحزابها على الرغم من رفدهم للحركة بالعدد الاكبر من المقاتلين والشهداء حتى كانوا يسمونهم (وقود الثورة) وتميز مكان هذه المنطقة بالخصال الحميدة ولاسيما في مجال نظافة العلاقات الاجتماعية والالتزام الكامل بتعاليم الدين الحنيف، وكان في كل قرية رجل دين متفرغ لتوجيه الناس وتعليم الصغار القراءة والكتابة عن طريق قراءة القرآن الكريم حتى ان عباس العزاوي انبهر بسمو أخلاقهم وقال: إنهم بقوا محافظين على خصائص الشجاعة والكرم والشهامة والشرف، وكان جلهم من الفلاحين المعدومين، ولم يبرز بينهم طيلة القرنين الماضيين رجل قوي ذو نفوذ يجمعهم تحت مظلة أو قيادة واحدة، وكان هذا سبباً رئيساً في تشتتهم أفراداً وجماعات فضلاً عن انفساهم الى الأرض مثل معظم عشائر كوردستان بعكس العشائر العربية المنتسبة الى العرق والنسب والقبيلة، وكان شيوخهم ضعفاء ومتفرقين لم يسمح لهم الظروف بالتبوء بدور ريادى وأبوي كبير لعموم منطقة الصالحية أو شوان لاسباب داخلية متعلقة بهم وبمنطقتهم، وكانوا بسطاء الى درجة كبيرة حتى أن عباس العزاوي قال: وقد تميزت هذه العشيرة بالبساطة والوداعة التي جعلها مكاناً خصباً لاصحاب الطرائق الصوفية والدينية، والشعوذة.

أما الالتباس الحاصل من قبل البعض في ارجاع نسب بعضهم ولاسيما الشيوخ منهم الى قبيلة بني جميل العربية ناتج عن أن هذه القبيلة أي بنو جميل في القرن العاشر للهجرة نزحت من الشام عبر جزيرة سنجار الى العراق واستقروا في منطقة الجزيرة غرب سامراء وكانوا بدوا وأهل إبل، يرجع نسبهم الى السيد فرج نور الدين المعروف بابن الصياد بن السيد محمد جميل الذي يلتقي جده مع جد السيد أحمد الرفاعي الذي نسبه يرجع الى الامام موسى الكاظم (ع) ((ويمكن الرجوع الى تفاصيل أكثر في كتاب نزهة المشتاق /ص٢ قسم بنو جميل)) وكانوا يتصفون بالشدة والبأس في صراع دائم مع الموت بسبب أحداث الغزو والسلب والنهب وعدم الاسقرار الدائم في حياة القبائل البدوية من الشام والجزيرة، ولضيق المكان الذي مالوا اليه، دخلوا في حروب ومعارك كبيرة مع القبائل العربية الأخرى من المنطقة وتوسعوا على مساحة كبيرة من بلد الى تكريت وكانوا يمتهنون السيف والقتال بعكس عمومتهم من سادة نعيم بن شمس الدين الذين كانوا يدعون الدين ويرتزقون منه (صحاح الأخبار في نسب السادة الفاطميين الخيار، عبدالله محمد سراج الدين ص٩٦)، وجاء في كتاب نزهة المشتاق /ح٢ ص٣٧ قوله: دفعتهم نشوة التوسع وحب الاستحواذ على أراضي الغير الى قطاع الطرق والانقضاض على قوافل السلطة التركية وسلبها، لذلك اضطرت الدولة العثمانية الى ايجاد حلف من العشائر العربية السنية الرحل في المنطقة من العبيد والجبور والطي واللهيب والدليم وغيرها اضافة الى جيش من السلطة العثمانية بقيادة الوزير العثماني أحمد باشا ومهاجمة هذه القبيلة ومقاتلتهم في موقع (تل مهيجير) سنة ١٧٢٤م واعلان القتل العام وهدر دمائهم (للمزيد راجع تاريخ العراق قبل الاحتلالين، العزاوي) ولم ينج منهم إلا القليل بعد سلب أموالهم وممتلكاتهم فتفرقوا في العراق والشام ولاذ قسم منهم في المناطق الكردية بعد أن نصب لهم العرب العداء وجاء في كتاب نزهة المشتاق /قسم الصوالح ص١٦ كان العرب يقتل كل من يحمل لقب بني جميل قوله ((هدر دم كل من يحمل لقب اسم العشيرة – بني جميل – أينما وجد في العراق)) اي حتى بعد انتهاء المعركة وتفرقهم، فالتجأ قسم منهم وكان جلهم من النساء والأطفال من ذرية الشيخ محمود صالح البصير الى منطقة شوان وطلبوا الأمان والاستجارة واختلطوا مع سكان المنطقة وتصاهروا

مع الشيوخ وانصهروا بينهم حلال فترة قصيرة ونسوا لغتهم وتاريخهم بعد ما لقوا من الرفق والحنان من أبناء المنطقة بعكس أبناء جلدتهم وكانت نسبتهم الى السكان الأصليين قليلة جداً لم تؤثر على طبائع أهل المنطقة بينما توجه قسم آخر منهم الى منطقة قره حسن من ذرية الشيخ أحمد بن صالح البصير وكانوا أكثر عدداً فدب الخلاف بينهم على الرئاسة ومشيخة العشيرة فترك القسم الأكبر منهم المنطقة وتوجهوا الى محافظة المنتفك (ذي قار) وهم اجداد الشيخ بدر الرميض (رئيس عشيرة بنو مالك) واستقروا في ناحية الاصلاح (البو صالح) وتفرع منهم فروع كثيرة وتمذهبوا بمذهب الشيعة بتأثير البيئة ولهم تأريخ طويل في مقارعة العثمانيين والبريطانيين بينما إختلط التبقي منهم بين السكان وكانت نسبتهم قليلة، بينما استقر قسم آخر منهم بعد المعركة في المناطق الكردية في محافظة ديالى في مناطق خانقين وشاره بان ومندلي... وغيرها وانصهروا فيها وهاجر قسم آخر منهم الى جنوب العراق ووسطه في بغداد والحلة والنجف والديوانية والبصرة وغيرها وبعد أجيال عدة عاد قسم منهم الى مناطقهم والى مناطق بعقوبة وخالص وبتسميات مختلفة وفي الوقت نفسه هاجر قسم آخر منهم الى الشام واستقروا قرب دمشق في المنطقة المسماة بالصالحية حالياً وفي محافظة حماه ومحافظة كرك في الاردن ويمكن الرجوع الى كتاب نزهة المشتاق ص٢،ص٣ لمعرفة تفاصيل هذا الموضوع لمؤلفه أبي أحمد عكار بن نزال الطويل الجميلي.

طبقات عشيرة سالْه‌يى (الصالحية الكردية)

الشيوخ: وهم الاخوان، اصحاب الأراضي، وهم السكان الكرد الأصليون، وقد تصاهر قسم منهم مع العوائل العربية من آل صالح البصير اللاجئة اليهم بعد معركة المهيجير، وربما حملوا اسمهم لاخفاء قدسية آل البيت على نفوذهم وسلطتهم على الأراضي التي استولوا عليها لاحقاً وتسجيلها بأسمائهم بعد صدور قانون الاستملاك العثماني في النصف الثاني من القرن التاسع عشر، وقد اشتهر الاوائل منهم بزوجتين كردية وعربية ومنها تناثر القول المأثور بين الكرد (هل انا من أم عربية!! خۆ من له ژنه عه‌ره‌به‌كه نيم!!

الفلاحون: وهم عامة الناس وبسطاء وأهل دين ووطنية وشرف وكان جلهم من الفقراء المعدومين في القرون الماضية، وقد تناثروا بعد عمليات الأنفال عام ١٩٨٨ بعد هدم بيوتهم وقراهم وهم النسبة الغالية.

من سالْه‌يى وشوان وشيخ بزيني:

البيكات: وهم العوائل الكردية التي كانت تسكن منطقة قره حسن بين كركوك وقادر كرم ومركزهم موزع بين قرى الصالحية وما مشة قرب قرية باداوة على المنتصف من كركوك وقادر كرم وهم جزء من عشيرة سالْه‌يى، وقد قطعوا في خلاف على النفوذ والاراضي مع الكاكائية التي كانت سابقاً، تتواجد في تلك المنطقة ومن ثم مع الطالبانية. فقرر شيوخهم بمساعدة السلطات العثمانية النزوح من تلك القرى والسكن في مركز مدينة كركوك ولاسيما بعد أن قبل أعداد منهم في المدارس الرشدية والسلطانية وتخرج بعضهم من المدارس العسكرية في أستانبول، وأصبح لهم مراكز ووظائف في الولاية والجيش وأغدق الباب العالي على عدد منهم لقب أفبكوية، وقد أشرنا في كتابنا ((تاريخ التركمان في العراق)) دراسة ديمغرافية وتأريخية، اليهم، وسكن قسم منهم في محلة المصلى وكانت لهم أسرر خاصة بهم الى نهاية الحكم العثماني ودواوين خاصة لاستقبال الضيوف وجامع ومقبرة، كما نزلت عوائل منهم في قلعة كركوك ومحلتي أخورحسين وامام قاسم وغيرها من الأحياء القديمة في كركوك وكان بينهم بكربك الذي كان قائداً للجيش العثماني وورد اسمه في حملات الجيش العثماني على العشائر الكردية والعربية وابنه توفيق بك الذي كان مسؤولاً عن الدرك(جد كاتب المقال) وقبرهما في

مقبرة الشيخ محيي الدين، ومحمد سعيد خالد محمد بك... وكانت لهم دواوين في القرى التابعة لهم الى عهد متأخر مثل ديوان طه بك وديوان توفيق بك وامين بك وسليم بك وزيتل بك... وغيرهم واكتسب الذين سكنوا المناطق التركمانية ولاسيما المصلى اللغة التركمانية بحكم البيئة أو الوظيفة وأصبح بعضهم في بداية النصف الثاني من القرن العشرين من كبار أعيان التركمان مثل سيد محمد صالح توفيق بك وحسام الدين وناظم الصالحي اللذين تناوبا على وظيفة مدير البلدية لفترة طويلة بعد الشيخ حبيب الطالباني وغيرهم من الأعيان وكبار التجار فضلاً عن طبقة متوسطة بينما احتفظ قسم منهم بلغتهم الكردية وانخرطوا في صفوف الحركة الكردية، ويحتلون جميعاً شريحة معروفة في مجتمع كركوك تجمعهم المحبة والوئام ويمثلون الطبقة المدنية من عشيرة ساله يي ولاعيانهم في الوقت الحاضر أراضٍ متوارثة في قرى الصالحية ومامشة وتركشكان وطوبخانة وغيرها.

وأخيراً يمكن القول إن كلمتي ساڵەیی والصالحي كلمتان لهما مدلول واحد مثل خبز ونان وأن صالحية كوردستان هم كرد خلص امتزجت دماء قسم منهم بدماء العوائل العربية التي لجأت اليهم فولدت بينهم قرابة مع صالحية العرب من سادة بني جميل الذين تفرقوا في العراق والشام بعد مذبحة ((مهيجير))سنة ١٧٢٤ للميلاد وتتشابه حالة ساله يي من ذلك مع عشيرتي برزنجة وجبارة الكرديتين، وما يثار من شجرات النسب يحتاج الى التمحيص ولاسيما في مجال اختلاف بعض الحلقات المزعومة زمنياً وتاريخياً فضلاً عن كمية الدماء المتوارثة من أسباط الرسول الأكرم (ص).







عن الحوار العربي - الكردي

عدالت عبدالله*

يبدو لنا أن الحديث عن مسألة الحوار العربي - الكُردي ليس أمراً بسيطاً كما نظن. و السبب هو أن هذه المسألة، بل القضية الكُردية برمتها، كما يقول السوسيولوجي العربي الكبير د. برهان غليون،غير مطروحة أساساً في العالم العربي أو في أجندة أية دولة عربية سوى العراق و سوريا و لا تشكل هاجساً أو هماً قوياً لديها، و ذلك ربما لكثرة الأزمات و التحديات السياسية و الاقتصادية و الأمنية الداخلية و الخارجية الساخنة التي يعاني منها العالم العربي، أو لسبب آخر هو أن أغلب الدول العربية، كما يقول المفكر الليبرالي د. شاكر النابلسي في مقال له، لاتعترف حتى الآن بشكل واضح بوجود الكُرد كمجتمع مختلف و متميز ثقافياً وعرقياً و سياسياً عن مجتمعاتها ولاتريد أن تتفوه بذلك. و ربما لانجد أصلاً، من بين العواصم العربية، أو من بين من تعاطت منها، بشكل من الأشكال، مع القضية الكُردية و الشعب الكُردي سوى القاهرة التي يُمكن للمتتبع أن يشهد لها بأنها تعاملت فعلاً مع الكُرد بمنطق سلمي و أخوي و بمنتهى المسؤولية.

ولا مراء هنا من أن لمصر أفضالا كثيرة على الشعب الكُردي، وهي الدولة العربية الوحيدة حتى الآن، التي سمحت لنفسها، منذ مرحلة حكم جمال عبدالناصر الى اليوم، أن تؤمن بحقوق هذا الشعب و عدالة قضيته و ضرورة إيجاد الحلول السلمية لمشاكله السياسية في العراق و سوريا، و ذلك من خلال تفهمها العميق لمشكلة هذا الشعب وإستثمار علاقاتها التاريخية مع الحركة الكُردية التحررية لأهداف سياسية ومصالح مشتركة بين الشعبين ، فضلاً عن أخذ مصر، دور الكُرد البطولي في التاريخ العربي و الإسلامي دوماً، بنظر الإعتبار، و الذي يتمثل هذا الدور، على سبيل المثال لا الحصر، في حكم الكُرد التاريخي لست حكومات حكمت المنطقة الإسلامية، كان أبرزها الدولة الأيوبية في القرن الثاني عشر الميلادي، و دور الكُرد أيضاً في محاربة أعداء الإسلام و المجتمعات الإسلامية، والذي كان يتمثل، في إحدى محطاته التاريخية الأخرى، في تحرير القائد الإسلامي الكبير صلاح الدين الأيوبي، الكُردي الأصل، للقدس بعد أن انتصر في معركة حطين على الصليبيين عام ١١٨٧ و التي كانت محتلة منذ عام ١٠٩٩.

كما ان رعاية مصر المخلصة لأول مرة لمؤتمر موسع للحوار العربي الكُردي في القاهرة عام ١٩٩٨ وتخصيصه

لمناقشة القضية الكُردية و تفعيل العلاقات التاريخية بين الشعبين، تعتبر من المبادرات النادرة والتاريخية التي لمسناها من العالم العربي تجاه القضية الكُردية و نشهد لها بإستمرار. عدا تلك المواقف المصرية البحتة او مواقف بعض من الجمعيات العربية التي شُكلت في السنوات الأخيرة لتوطيد العلاقات العربية – الكُردية كجمعية الصداقة الأردنية - الكردية مثلاً، لا نجد حتى الآن اية بوادر أخرى أخوية من جانب الدول العربية تجاه الكُرد و قضيتهم العادلة، هذا في الوقت الذي لايزال يراهن فيه، أبناء الشعب الكُردي، من حسهم بالرابطة الحضارية التي تُربطهم مع العرب أو ربما من طيبة قلبهم،على أن ينفتح العالم العربي بوجه قضيتهم وان يساهم بشكل عقلاني وديمقراطي في إبعادها عن اي لجوء إضطراري للكُرد، الى الغرب والإعتماد الكلي عليه لمعالجة قضيتهم، و ذلك كموقف منه، اي من العالم العربي، لمنع التدخلات الأجنبية المفرضة في المنطقة، وكمبدأ قائم على الإعتراف بحق الكُرد في تقرير مصيرهم، و كعمل وقائي أيضاً من أن تُستغل هذه القضيه المشروعة ضده و ضد مصالحه الإستراتيجية.

من جانب آخر، علينا أن نذكر ان الوقوف على مسألة الحوار العربي الكُردي بحاجة دوماً الى أخذ عدة شروط مسبقة بعين الإعتبار و توفيرها حتى يكون الأمر قابلاً للنقاش أصلاً. أبرز هذه الشروط، في نظري، يتمثل في وجود نخب سياسية و ثقافية متحضرة في الطرفين تكون بعيدة كل البعد عن اية تعصبات قومية و عنصرية أو آيديولوجيات وعقائد شمولية/ وحدوية/ قسرية تعيق التواصل و التفاعل بين الشعبين، وأن تكون مستعدة أيضاً لأن تناقش القضايا و التحديات التي تواجه الشعبين برؤى موضوعية وعلمية و إنطلاقاً من المصالح الاستراتيجية التي تهم الأمتين في المنطقة و العالم و أمنهما القومي ومستقبلهما في المدى القريب و البعيد.

كما ان الحوار العربي الكُردي يستدعي من الطرفين إستحضار رؤى و مفاهيم واقعية تساعد الشعبين العربي و الكُردي ولاسيما أولئك الذين يريدون تمثيلهما في تشييد و بناء مثل هذا الحوار على تجاوز النزاعات و الخلافات النابعة من النزعات العنصرية و اللاإنسانية التي لم تجلب للشعبين في العراق و سوريا، منذ أن قُسم الكُرد على الخارطة الجيوسياسية الجديدة التي وضعها الإستعمار الغربي للمنطقة بعد إتفاقية سايكس- بيكو، سوى الفتن والأحقاد و الإتهامات المتبادلة و سوء التفاهم. و كذلك يستدعي حوار من هذا القبيل تشبث العرب و الكُرد معاً بأفكاروطروحات قابلة للترجمة و حاثة على تقرب بعضهما من البعض على الصعيدين النظري و العملي.

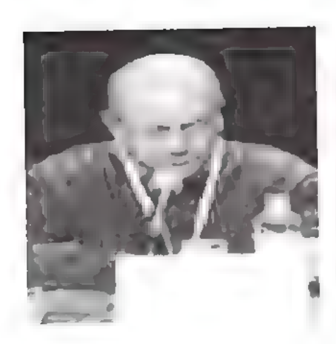
و هناك شرط آخر لهذا الحوار؛ هو وجود إرادات حرة داخل الأمتين، عنيت هنا إرادات متجاوزة لعهود الخلافات و النزاعات الماضية، و مؤمنةً في الوقت ذاته بقيم معاصرة، قيم تعيد اليهما الثقة بعد أن تزعزعت بفعل الصراعات و التناحرات، وتُبني القناعة بجدوى الحوار بينهما و المصالح التي يُمكن أن تُحَقَّق من ورائه. و قد يكون أهم تلك القيم هنا هي، قبل كل شيء، الإعتراف بفضيلة الإختلاف، على أي مستوى كان، وإحترامه و التمسك به كوسيلة لإيصال الشعبين الى القواسم المشتركة التي هي ليست بقليلة، وبالتالي توظيف الإختلافات الفكرية و النظرية أو السياسية و الثقافية الموجودة بين الطرفين لا كغايات لنفسها؛ اي للإنغلاق على الذات و التقوقع في أهداف و مرام ذاتية أو الإبتعاد عن أدنى الشروط الكفيلة بالإتصال والتفاعل و التعاقد على المصالح المشتركة كما هو متوقع دائماً مع أية هيمنة للقيم العنصرية والإصطفافية العدائية، وإنما التعاطي معها كسبل نظرية و آليات ديمقراطية مثمرة لفهم حقيقة البعض والطموحات والمشاريع المُتطلع اليها و المُتَعَذر تحقيقها بسبب الخلافات و النزاعات السياسية التي حصلت في الحقب التاريخية المختلفة بين الكُرد

والأنظمة العربية و ادت في النتيجة، بوعي أو بدونه، الى وقوع حالات من العداوة و روح العدوانية بين العرب و الكُرد : حالات كانت بالنسبة لنا جميعاً مؤلمة و مؤسفة: تمثلت، من جهة، في ممارسة النظام العربي السياسي للعنف و القمع المادي و الرمزي بحق الشعب الكُردي و مطاليبه الديمقراطية المشروعة في أكثر من مرحلة تاريخية ، و من جهة اخرى، في تمرد هذا الأخير،من جانبه، إثر ذلك، عن الدولة العربية و إلحاق أضرار كبيرة بها مادياً و بشرياً فضلاً عن تهديده للأمن القومي العربي وإنعكاس ذلك كله على قدرات النظام العربي السياسي في مواجهة المخططات الخارجية أو مقاومة المشاريع الصهيونية في المنطقة و بالتالي تأثيراته السلبية على بناء أي إجماع داخلي وطني يُستَمَد منه القوة.

اما الشرط الثالث للولوج في أي حوار ممكن بين الشعبين فهو، برأيي، يكمن في ضرورة التمييز بين الدول العربية و الأنظمة العربية المعينة التي لم تُحسن معاملة الشعب الكُردي بطرق ديمقراطية وبروح أخوية لا بل أسوأ من ذلك لجأت، في أحيان كثيرة، الى استخدام أو دعم و تأييد استخدام لغة الحديد و النار لقمع الكرد وإضطهادهم و إرغامهم على التراجع عن مطالبة حقوقهم السياسية الى أن وصل الأمر الى ماهو أفضع و أشد ألا و هو نفي وجود الكُرد كقومية متميزة عن القومية العربية كما هو الحال في تعامل سوريا المبرمج مع القومية الكُردية، حيث حرمت الدولة السورية مواطنيها الكُرد من أبسط حقوقهم، الذي هو ليس سوى حق التجنس، اي الحصول على الجنسية كمواطنين سوريين. كما ان أبادة الكُرد جماعياً و بأفتك الأسلحة المحظورة دولياً كما حصل في عراق ثمانينيات القرن الماضي ، أي في عصر الديناصور المنقرض صدام حسين، وذلك في حملات الأنفال السيئة السمعة وقصف مدينة حلبجة والقرى الكُردية بالأسلحة الكيمياوية.

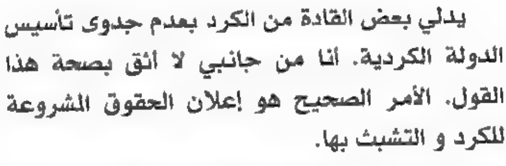
إضافة الى الشروط المذكورة آنفا، علينا أن نشير أيضاً الى اهمية التمييز بين المجتمعات العربية والأنظمة العربية من حيث موقفهم من القضية الكُردية، لأننا نعلم تماماً أن ثمة اختلافاً حقيقياً بين ما مارسته الدولة العربية في العراق و سوريا من سياسات قمعية و شوفينية بحق الكُرد، و بين ما أبدته في الماضي وماتزال، قطاعات مجتمعية و تيارات سياسية تقدمية من المجتمعات العربية، من تعاطف حقيقي تجاه أبناء و أحفاد صلاح الدين الأيوبي، وتفهمهم للروابط الدينية و الحضارية التي تربطهم بالكُرد. و قد يكون هذا التمييز هو بمثابة المفتاح الأساسي لنا و لكل راغب في فتح القنوات المختلفة للحوار بين الشعبين أو بين الفاعلين الاجتماعيين فيهما ولاسيما أولئك الذين لم يؤيدوا جرائم صدام بحق الكُرد في العراق و لم يصفقوا للسياسات العنصرية التي انتهجها و مايزال للأسف النظام السوري بحق الكرد السوريين، و كذلك أولئك الكُرد الذين يؤمنون بمد يد الأخوة الى العرب و نسيان الماضي و فتح صفحات جديدة من اجل الحفاظ على المصالح المشتركة.

* سكرتير تحرير صحيفة كُردستاني نوي اليومية- اقليم كردستان العراق.



انتظار الدعوة

اسماعيل بيشكچي
ترجمة: دلشا يوسف



يدلي بعض القادة من الكرد بعدم جدوى تأسيس الدولة الكردية. أنا من جانبي لا اثق بصحة هذا القول. الأمر الصحيح هو إعلان الحقوق المشروعة للكرد و التشبث بها.

على الكرد ان يعلنوا في مثل هذه الفرص ان الحقوق القومية للكرد امر شرعي و المطالبة به لا تهدد اي جهة. إن الأمر الطبيعي و الذي لا يتلاءم مع التطورات العصرية ، عدم حصول الكرد على موقع ثابت لهم بعد الحرب العالمية الأولى و منذ أعوام (١٩٢٠) حتى الآن. على الكرد أن يمعنوا النظر جيدا في النتائج التي تمخضت عنها الحرب العالمية الأولى وسنة ١٩٢٠:

- كيف تمت تجزئة كردستان إلى أربعة أجزاء(كردستان إيران، تركيا ، سوريا و العراق)؟.

- كيف تمت تجزئة كردستان شعبا و قومية وجغرافية، في مرحلة تعيين الدول القومية لمصيرها؟

- كيف تم وضع (القبعة اللعينة) على رأس الكرد؟

هذه أمور تستحق الوقوف عندها. إلى جانب ذلك، كيف تم بناء النظام العالمي ضد الكرد؟

وعلى أساس ذلك يتوّجب فهم القضية الكردية ومعرفتها. من الضروري البحث في أمر النظام العالمي الذي حمل في طيّاته هذا القدر الكبير من العداوة للشعب الكردي و الذي تم تأسيسه في فترة عصبة الأمم في مؤتمر باريس (١٩١٩)و توجيه الإنتقادات لتلك الفترة من قبل الكرد، إعتمادا على الوثائق والمصادر الكثيرة الموجودة بحوزتهم.

يتوّجب على المثقفين و الكتّاب و الكوادر الإعلامية الكردية أن يتناقشوا حول هذه الأمور مع الكتّاب والإعلاميين الغربيين.

هناك أكثر من (٢٠٠) مئتي دولة في العالم في الوقت الحالي، لا يتجاوز عدد سكانها ٧-٨ ملايين نسمة. بعض الدول الأعضاء في الإتحاد الأوروبي مثل لوكسمبورغ، مالطا و قبرص لا يتجاوز عدد سكانها (١) مليون نسمة. لوكسمبورغ (٤٥٠) ألف نسمة، مالطا (٣٥٠) الف نسمة و قبرص (٦٠٠) الف نسمة. كذلك بعض الدول الأخرى الأعضاء في الإتحاد الأوروربي، مثل آستونيا (١) مليون، ليتونيا (٢) مليون، ليتوانيا(٣) ملايين نسمة، سلوفينيا(٢) مليون، الدانمارك (٥) ملايين، فنلنديا (٥) ملايين وجمهورية إيرلندا (٤) ملايين

نسمة. الدول الأوروبية مثل البوسنة والهرسك (٣) ملايين، هرفاتستان (٤) ملايين، النرويج (٤) ملايين، بلغاريا (٧) ملايين، مقدونيا (٢) مليون نسمة. الدول العربية مثل قطر (٦٠٠) ألف نسمة، البحرين (٧٠٠) ألف، الكويت (٢) مليون، الأردن (٥) ملايين، الإمارات العربية (٢) مليون، ليبيا (٥) ملايين نسمة. بعض الدول العالمية مثل سنغافورة (٤) ملايين، الأرناؤوط (٤) ملايين، جورجيا (٥) ملايين، ارمنستان (٣) ملايين نسمة.

في مثل هذه الظروف يتوّجب البحث و التدقيق بالتفصيل في امر لماذا لا يملك الكرد الذين يتجاوز عددهم الـ(٤٠) مليونا، أي موقع لهم في الشرق الأوسط؟ و لماذا تمت تجزئة وطنهم و شعبهم؟

تعتبر الدول الأعضاء في الإتحاد الأوروبي اعضاء في المجلس الأوروبي الذي تم تأسيسه في (١٩٤٩). هناك دول مثل إيسلندا، سان مارينو، آندورا و موناكو اعضاء في المجلس الأوروبي. حيث لا يتجاوز عدد سكان دول آندروا، سان مارينو و موناكو (٥٠) الف نسمة. لا يتجاوز عدد سكان دولة الفاتيكان (١) الف نسمة و تملك عضوًا مراقبا في اللجنة الرئاسية للمجلس الأوروبي.

تطالب تركيا من الإتحاد الأوروبي، المجلس الأوروبي، الأمم المتحدة، امريكا، إنكلترا، فرنسا، ألمانيا، روسيا، اليابان، الدول العربية و الإسلامية أن يعلنو قبولهم بجمهورية قبرص الشمالية التركية، حيث تبذل تركيا جهودا حثيثة في سبيل ذلك. يعتبر ذلك من ضمن سياسات الدولة التركية. أما عدد سكان جمهورية قبرص الشمالية التركية فلا يتجاوز (١٨٠) ألف نسمة.

يتخّذ المجلس الأوروبي المعروف بـ(ضمير اوروبا) و (ضمير العالم) بعض القرارات بحق الكرد في بعض الأحيان. كما يذكرون بعض الأقوال من قبيل "نحن نرفض دولة كردية مستقلة في الشرق الأوسط". "نحن ضد تغيير جغرافية الشرق الأوسط". كذلك يقولون: "لكن على الكرد ان يحصلوا على بعض حقوقهم في إطار الدول التي يتواجدون فيها". حينما يقولون ذلك، تبدأ قراراتهم بكلمات "نحن ضد هذا وذاك". بالطبع هناك توقيع لتلك الدول الصغيرة التي لا يتجاوز عدد سكانها (١٠٠) ألف و (٥٠) الف نسمة، في نهاية تلك القرارات.

كيف حصل هؤلاء على حق تعيين مصير شعب يتجاوز عدد سكانه (٤٠) مليوناً، كالشعب الكردي، الذي يعتبر من أكثر الشعوب تعدادا في الشرق الأوسط؟ ما هي المميّزات التي أهّلتهم ليصبحوا دولاً يلعبون أدواراً هامة في تعيين مصير الكرد؟ ما هي اخطاء الكرد و لماذا لم يصبحوا دولة؟ كيف ينظر الضمير الأوروبي لهذه التناقضات المتفاقمة؟ على الكرد ان يبحثوا في هذه الحقائق بدقة و عمق، بالتالي عليهم أن يوّجهوا الإنتقادات الشديدة للنظام العالمي الذي تم تأسيسه عام (١٩٢٠). لا بد من توجيه الإنتقاد حتى و لو كان متأخراً.

كما انني أرى فائدة في توضيح هذا الخصوص أيضاً. عندما تحدّث رئيس مجلس السلام و العدالة في الفاتيكان، الكاردينال (مانتينوا) في حديثه لإيجاد حلول سلمية من أجل الأزمة العراقية- التركية، تطرّق لوضع الكرد أيضا على وجه الخصوص. لماذا ذكر الكاردينال مارتينو عبارة "هناك ضرورة لدولة خاصة بالكرد". ذكر ممثل الفاتيكان الكاردينال (مارتينو) بهذا الشأن الأتي: "تدعو الفاتيكان إلى إيجاد حلول سلمية للأزمة العراقية التركية على وجه السرعة. يتوّجب أخذ حقوق الكرد و إحتياجاتهم بعين الإعتبار عند إتخاذ إجراءات الحلول السلمية. لا يوجد شبيه بوضع الكرد في جميع أنحاء العالم. حيث هناك شعب، لكن لا توجد دولة تقبل بهذا الشعب". المصدر: موقع بيامنير، بتاريخ ٢٣ تشرين الأول ٢٠٠٧.

كما أن من أحدى نقاط الضعف الأخرى لرئيس جمهورية العراق و زعيم الإتحاد الوطني الكردستاني

السيد جلال الطالباني هو إنتظاره لدعوة من تركيا. حيث يسيء ذلك لمقامه كرئيس جمهورية و بالفعل أساء له، حينما أعلن رئيس الجمهورية التركية السابق أحمد نجدت سيزر، أنه يرفض اللقاء بالطالباني ورفض وجود أي مشروع لدعوة الطالباني لتركيا. إن السبب الأساسي لذلك هو كردية جلال الطالباني ونضاله من أجل الكرد. بالإضافة إلى أن جميع مؤسسات الدولة الأخرى مثل، الحكومة،المنظمات والأحزاب السياسية، الإعلام و الجامعات التركية، متعاطفة تماما مع موقف رئيس الجمهورية. العواطف و الأفكار التركية،سلبية تجاه رئيس جمهورية العراق و زعيم الإتحاد الوطني الكردستاني جلال الطالباني و رئيس إقليم كردستان مسعود البارزاني. حيث تصف الصحافة التركية، القادة الكرد بـ"رؤساء العشائر" و "رؤساء العشائر البدائيين".

تتميز مواقف تركيا تجاه القادة الكرد بعقدة التكبّر و ان الإعتراف بالإدارة الكردية و القادة الكرد وتطوير العلاقات السياسية و الدبلوماسية معهم، يلحق الأذى بالكبرياء التركي على حد زعمهم. هناك سياسة وحيدة تسيرها هذه الدولة تجاه الكرد و تتمحور في مفهوم "الأخوة" مثال ذلك، لا توجد مكابرة في سياسة الدولة تجاه دول مثل فلسطين، الشيشان والبوشناق... إلخ.

في الوقت الذي تملك فيه مؤسسات الدولة التركية المختلفة مثل هذه المواقف ، يعتبر إنتظار جلال الطالباني لدعوة من تركيا، و ذكره هذه العبارة كلما سنحت له الفرصة، أمرا غير مجدٍ. أنتم تمدّون يدكم بإستمرار، أما الطرف المقابل فيرّد يدكم و لا يأبه بذلك، حيث يصبح الأمر محل سخريتهم في بعض الأحيان.

إن لهذه المواقف تاثيرات سيئة على الوطنيين الكرد. من الطبيعي جداً أن يبحث رئيس الجمهورية وزعيم الإتحاد الوطني الكردستاني جلال الطالباني عن علاقات متبادلة بين العراق و تركيا، وهذا امر واجب بصفة الجيرة، لكنكم و حين يتم ردّكم بإستمرار و بسبب صفتكم الكردية، ليس من الواجب الإصرار في موقفكم بهذا الشأن.

لقد تم قبول زعيم الإتحاد الوطني الكردستاني و رئيس جمهورية العراق جلال الطالباني و رئيس إقليم كردستان مسعود البارزاني رسمياً من قبل دول عالمية كثيرة مثل، أمريكا، روسيا، بريطانيا، فرنسا، ألمانيا، إيطاليا، الصين وكوريا الجنوبية. و قام القادة الكرد بزيارات رسمية لكثير من الدول، حيث فتحت بعض الدول قنصليات لها في مركز إقليم كردستان (اربيل)، تقيم هذه القنصليات علاقات رسمية مع القادة والحكومة و البرلمان الكردي ويؤدي القادة الكرد والإدارة الكردية واجباتها بدون قصور.أقامت الإدارة الكردية علاقات قوية مع الدول العالمية سياسيا، دبلوماسيا وإقتصاديا و تزداد العلاقات قوة يوما بعد يوم. عند زيارة الطالباني لنيويورك، لحضور إجتماعات الأمم المتحدة في أواسط شهر ايلول ٢٠٠٧، قام بلقاءات عدّة مع رؤساء دول العالم و من بينهم الرئيس الأمريكي جورج بوش. حينها لم يستطع رئيس الوزراء التركي رجب طيب أردوغان أن يلتقي بجورج بوش رغم إصراره. و قد ورد ذلك كخبر في الصحافة التركية.

كما ان مواقف الصحافة التركية، سلبية تجاه الكرد و قادتهم و القضية الكردية. حيث يتوّجب البحث و التدقيق في مواقف الصحافة و الإعلام التركي تجاه الكرد و القضية الكردية جيّداً.

و سأحاول التوقف عند هذا في مقال آخر.

دراسة عن حالة انتاج الحليب والصناعات اللبنية في كردستان العراق - محافظة السليمانية

خالد محمد خال
استاذ علوم الالبان المساعد في كلية الزراعة/ جامعة السليمانية

مقدمة:

تفتقر كوردستان العراق في الوقت الحاضر الى ابسط مقومات صناعة الحليب السائل والمنتجات اللبنية. فقد حرمت المنطقة في ظل جميع الحكومات المتعاقبة في العراق من المشاريع الخاصة بتصنيع الحليب الذي يتطلب بالضرورة مراكز تجميع الحليب ومحطات تربية وتكثير مواشي الحليب واقامة مصانع خاصة لتصنيع الحليب المنتج. ان هذه السياسة المرسومة سلفا تهدف الى عرقلة نموّ وتطور هذه الصناعة الحيوية ذات العلاقة المباشرة برفع مستوى معيشة المواطنين في كوردستان، وذلك لضمان عدم توفير الحليب السائل بالكميات الكافية وتحويل الفائض منه الى نواتج لبنية كالجبن والزبد والقيمر وغيرها. ولم يكن الهدف من هذه السياسة المطبقة وبالاخص في ظل حكم البعث بخاف على احد، والذي يهدف بالاساس الى ابقاء كوردستان العراق في حالة تخلف من جميع نواحي الحياة، وبالاخص في المجال الزراعي الذي له صلة مباشرة بتوفير قوت الشعب والوصول الى درجة معقولة من الاكتفاء الذاتي الغذائي، وتوفير المنتجات اللبنية ذات القيمة الغذائية العالية للمستهلكين وما يترتب على ذلك من تشغيل اعداد كبيرة من الايدي العاملة. وفي الوقت الذي يكاد لا تخلو معظم محافظات العراق العربية من المصانع الخاصة بتصنيع الحليب ونواتجه، فقد بقيت كوردستان محرومة من هذه المصانع باستثناء معمل صغير للألبان في اربيل لايمكنه من توفير الحد الادنى من بعض النواتج اللبنية حتى لسكنة مدينة اربيل نفسها. بالاضافة الى ان المعمل المذكور اقرب الى مركز لتجميع وتوزيع المنتجات اللبنية التي كان يزود بها من بغداد، منه الى معمل انتاجي.

وبالرغم من ان الظروف المناخية لكوردستان ملائمة من حيث اعتدالها ووفرة المياه الطبيعية النظيفة فيها، بالاضافة الى كونها منطقة غنية بالمراعي والثروة الحيوانية التي هي كلها من العوامل المساعدة والمشجعة للصناعات اللبنية. فقد اهملت هذه المنطقة الحيوية كنتيجة منطقية للسياسة المعادية لطموحات الشعب الكردي ولكل نهضة صناعية تقوم فيها.

التوزيع الجغرافي لمراكز تجميع الحليب ومصانع الالبان في العراق

يقصد بمراكز تجميع الحليب المكان الذي ينقل اليه الحليب من مزارع انتاجه، لكي تحدد كميته

(وزنا او حجما). ثم يفحص ويبرد ويخزن لحين نقله الى معامل الالبان. عليه يمكن اعتبار مركز تجميع الحليب كحلقة وصل بين مزرعة انتاج الحليب وبين معمل الحليب، وفيه يمكن السيطرة على نوعية الحليب واستلام الجيد منه واستبعاد غير الصالح. كما يمكن عن طريق تبريد الحليب وخزنه تحت درجات حرارية منخفضة الابقاء على النوعية المطلوبة للحليب.

تبلغ الطاقة الحالية لمراكز تجميع لحليب في العراق (٢٣٠) الف طن سنويا وتصل الى (٤٣٠) الف طن بعد اكمال جميع مراكز تجميع الحليب المزمع انشاؤها. وتقدر كميات الحليب الخام –قبل غزو العراق للكويت- باكثر من (١٣٠) الف طن سنويا، ويزداد هذا الرقم الى (٢٢٠) الف طن بعد تنفيذ مشاريع المحطات الكبرى لتربية الابقار المباشرة والمقترحة. يوجد في محافظة بغداد وحدها (١٢) مراكزا لتجميع الحليب بالقرب من معامل الالبان، وحيث تتواجد تجمعات حيوانات الحليب التي تغذي معامل ابو غريب ذات طاقة تصنيعية تقدر بـ(٤٥٠) طن حليب بوجبتي عمل يومية. ومن مجموع (١٢) معملا من معامل الالبان فان حصة كوردستان عبارة عن معمل واحد في اربيل بطاقة انتاجية صغيرة. ومن مجموع (٤٠) مركزا من مراكز تجميع الحليب في محافظات العراق، فان نصيب كوردستان لا شيء مطلقا كما هو موضح في الجدول رقم (١).

الجدول رقم (١) يبين التوزيع الجغرافي لمعامل الالبان وعدد مراكز تجميع الحليب والمقترح منها:

المحافظة	عدد معامل الالبان	عدد مراكز تجميع الحليب	العدد المقترح انشاؤها من مراكز الحليب
بغداد	٢	١٢	-
تكريت	١	٣	-
كربلاء	١	٤	-
القادسية	١	٤	٢
ذي قار	١	٣	٥
البصرة	١	٣	٥
ميسان	١	٢	-
واسط	١	٣	٥
الموصل	١	٣	١
اربيل	-	-	١
السليمانية	-	-	-
كركوك	-	-	١

ملحوظة: هذا الجدول مأخوذ من كتاب (دراسات وشؤون جامعية) لمؤلفه خالد محمد الخال.

من هذا الجدول يظهر بوضوح الغبن الواقع على كوردستان والاهمال المتعمد لهذه المنطقة الحيوية. اما المواشي وحيوانات الحليب فالجدول رقم (٢) يبين عدد هذه المواشي قبل التدمير الكامل لجميع قرى محافظة السليمانية (عام ١٩٨٦) وعدد المواشي لعام ١٩٩٧، ليظهر بوضوح النقص الكبير في عدد هذه المواشي، مما ترك اثرا سيئا ملحوظا على كمية الحليب المنتج سنويا وعلى كمية اللحم المتوفر في السوق.

الجدول رقم (٢) احصائية بعدد حيوانات الحليب قبل تدمير القرى (١٩٨٦) وفي عام (١٩٩٢)

نوع الماشية	العدد الكلي عام ١٩٨٦	العدد الكلي عام ١٩٩٢	فترة ادرار الحليب	كمية الحليب المنتج يوميا	عدد الذكور الى الاناث	النسبة المئوية للحيوانات الحلوبة
ابقار	١٠٨٠٠	٨٠٠٠٠	١٨٠ يوم	٣ كغم	١٠٠:٨	١٥,٩٩
جاموس	١١٠٠	٢٠٠٠	١٨٠ يوم	٣ كغم	١٠٠:٨	١٨,٦٢
اغنام	٣٢٣٠٠٠	٢٥٠٠٠٠	٨٠-٢٠٠ يوم	١٠٥ كغم	١٠٠:٢	٣١,٣٠
ماعز	١٩٤٠٠٠	١٩٢٠٠٠	٨٠-٢٠٠ يوم	١٠٥ كغم	١٠٠:٢	٣٥,٧٨

ملحوظة: الاحصائية مأخوذة من مديرية بيطرة السليمانية.

هناك ملاحظات حول هذا الجدول استوجب توضيحها، ولعل اهمها كالآتي:

الملاحظة الاولى: ان عدد المواشي يمثل الحيوانات في مختلف اعمارها، اي في طور البلوغ (ادرار الحليب) وقبله.

الملاحظة الثانية: في هذا العام كنتيجة للظروف غير الطبيعية السائدة في وسط وجنوب العراق، فقد اضطر اصحاب المواشي من جلب مائة الف رأس من الاغنام والماعز بنسبة ١:٢ لبيعها في كوردستان.

الملاحظة الثالثة: ان مالكي الجاموس لم يتضرروا من تدمير قرى كوردستان، لان قطعان الجاموس تركزت في مدن كلار ورانية وتانجرو وسيدصادق، وباستثناء سيدصادق لم تصب تلك المواشي بسوء.

الملاحظة الرابعة: بالرغم من عدد حيوانات الحليب المرتفع نسبيا، الا ان نسبة الحيوانات الحلوبة منها مخففة. وانتاجية حيوان الحليب بدورها متخفضة اذا ما قورنت بحيوانات مثيلة لها في بلدان اخرى اكثر تطورا في صناعات الالبان. وقد يعزى ذلك الى العوامل الوراثية، نوع التغذية، الرعاية الصحية والبيطرية والظروف البيئية وغيرها.

الملاحظة الخامسة: نتيجة للظروف المعيشية الصعبة في كوردستان فقد هرب عدد كبير من الاغنام الى ايران لبيعها هناك. لاتوجد احصائية دقيقة عن عددها.

ونظرا للعلاقة الوطيدة بين مكونات الحليب لمختلف مواشي الحليب وبين نسبة التصافي للناتج اللبني المصنوع منه. فيما يلي مقارنة بين نسب مكونات الحليب لبعض الحيوانات اللبونة والنسب المئوية لمكونات الحليب.

الجدول رقم (٣) النسب المئوية لمكونات الحليب

نوع الحيوان	الدهن	البروتين	اللاكتوز سكر الحليب	الرماد	المواد الصلبة الكلية	الماء
البقرة	٤,٠٠	٣,٥٠	٤,٩٠	٠,٧٠	١٣,١٠	٨٦,٩٠
الجاموسة العراقية	٧,٧٠	٤,١٠	٤,٩٣	٠,٧٥	١٧,٤٨	٨٣,٥٣
المعزة	٤,٠٩	٢,٧١	٤,٢٠	٠,٧٨	١٢,٧٨	٨٧,٢٢
النعجة الشفالية	٦,٢٩	٥,٣٣	٤,٥٦	٠,٨٩	١٧,٠١	٨٢,٩٩

الارقام مأخوذة من كتاب (مبادئ تصنيع الالبان) لمؤلفيه خالد محمد الخال والدكتور هيلان حمادي علي.

ان المسؤولين في حكومة كوردستان يجب ان يولوا اهمية خاصة بالمشاريع الزراعية بشقيها النباتي والحيواني، وبالاخص صناعات الالبان، لما لهذه المنتجات اللبنية من اهمية بالغة في توفير الغذاء وعناصر التغذية الجيدة من لحم وحليب ومنتجاته الى المستهلكين. ان جميع المنتجات اللبنية تلعب دورا كبيرا في العملية التغذوية ولا يمكن الاستغناء عن اي من هذه النواتج. وقد يبدو من الصعوبة في الظروف الحالية القيام بمشاريع لانتاج الحليب وذلك للاسباب الآتية:

١-النقص الشديد في الثروة الحيوانية التي هي المصدر الرئيس لانتاج الحليب.

٢-صعوبة الحصول على الحليب السائل بكميات وفيرة لعدم وجود اي مركز لتجميع الحليب فضلا عن غلاء سعره بحيث لا يشجع اي مستثمر للتفكير اصلا في العمل في هذا المجال.

٣-عدم وجود اي معمل او حتى المعدات الخاصة بتصنيع بعض النواتج اللبنية كاللبن والجبن والزبد مثلا، مما يزيد من صعوبة تحضير هذه النواتج على نطاق تجاري.

٤-مستوى الدخل المنخفض لغالبية الشعب الكردي، علاوة على غلاء اسعار الحاجيات وانخفاض القوة الشرائية للمستهلكين. كل ذلك لايشجع على استثمار الاموال في حقل الالبان.

٥-صعوبة نقل المنتجات اللبنية لحاجتها الى سيارات مبردة اثناء الحفظ والتسويق، ومع ذلك فيجب النظر بجدية الى امكانية تصنيع بعض النواتج اللبنية السهلة التصنيع والمرغوبة لدى المستهلكين كاللبن والجبن يدعم حكومي مباشر وبابداء التسهيلات اللازمة للمستثمرين في هذا المجال.

مهرجان تكريمي للمؤرخ الكردي المصري الراحل محمد علي عوني

اعداد د. محمد علي الصويركي

اقامت وزارة الثقافة في حكومة إقليم كوردستان- العراق مهرجاناً تذكارياً تكريماً للخدمات الجليلة التي قدمها الكاتب والمؤرخ الكردي المصري محمد علي عوني في العاصمة أربيل من يوم الخميس الموافق ١ إلى ٦ /١١/٢٠٠٧م.

بدأ المهرجان في قاعة (پيشهوا) التابعة لوزارة الثقافة بمدينة أربيل بحضور السادة فلك الدين كاكائي وزير الثقافة، ونوزاد هادي محافظ أربيل، ودرية عوني نجلة المؤرخ محمد علي عوني، و نجله عصام الدين عوني، والكاتب الكردي الأردني محمد علي الصويركي، وفريق من الباحثين والصحفيين المصريين، وجمع غفير من المثقفين الكردستانيين.

وفي بداية الاحتفال رحب السيد فلك الدين كاكائي في كلمته التي ألقاها باسم رئيس إقليم كوردستان بالضيوف من مصر والأردن، مشيراً إلى العلاقات التاريخية بين الشعبين الكردستاني والمصري في المجالات الثقافية والسياسية، مؤكدا مساعدة الشعب المصري لاحتضان المثقفين الكرد، وخاصة دورهم الرائد في إصدار أول صحيفة كردية في القاهرة (صحيفة كردستان).

من جانبها شكرت الكاتبة درية عوني وزارة الثقافة في حكومة إقليم كوردستان لهذا التكريم، مشيرة إلى النضال المشترك بين العرب الكرد عبر التاريخ، متمنية أن يتغلب الكرد على جميع المشاكل والأزمات.

وقدم الصحفي المصري ممدوح الشيخ باسم الوفود المشاركة كلمة أشار فيها إلى أهمية هذا اللقاء التاريخي، قائلاً: إن محمد علي عوني ليس كردياً فحسب، بل كان ملكاً للمثقفين والأقلام الخيرة كرداً وعرباً، وكان نقطة وضاءة للتفاهم والألفة بين العرب والكرد.

من جهته أشار الكاتب الكردي الأردني محمد علي الصويركي إلى دور الكرد المغتربين الذين يعيشون في الدول العربية ومساهماتهم الرائدة في خدمة الثقافة والأدب المصري والعربي على حد سواء، حتى غدوا رواداً في مجالاتهم، أمثال الشاعر أحمد شوقي، وقاسم أمين، ومحمد تيمور، ومحمد علي باشا ....

وقد تضمن جدول المهرجان أغنية للفنانة الكردية دلنيا فرداغي التي غنت لكوكب الشرق أم كلثوم أغنيتها الشهيرة(يامسهرني)، وحفلة موسيقية ودبكات كردية فلكلورية، وبعد ذلك بدأت فعاليات المهرجان المسائية، حيث ألقيت محاضرات من قبل الوفود المشاركة من



الشخصيات الأكاديمية والفكرية الكردية في إقليم كردستان ... وبعد انتهاء فعاليات الاحتفالية زار ضيوف المهرجان الأماكن الأثرية والمراكز الثقافية في محافظات أربيل ودهوك والسليمانية، بالإضافة إلى زيارة برلمان كوردستان.

وبهذه المناسبة لا بد من الحديث عن حياة المؤرخ الكردي الراحل محمد علي عوني وتقديم موجز عن سيرته المشرقة في خدمة أمته الكردية:

المؤرخ والمترجم الكردي المصري
محمد علي عوني
(١٣٠٦- ١٣٧١هـ = ١٨٩٧-١٩٥٢م)

وهو محمد علي بن عبد القادر أفندي عوني السويركي ابن محمد علي آغا: مترجم وباحث. ولد في مدينة «سويرك» من أعمال ديار بكر في كردستان الشمالية سنة ١٨٩٧م . كان أحد أجداده المدعو محمد علي آغا زعيم الزازاء ـ الدنبلي.أما والده فهو الحاج عبد القادر أفندي عوني السوركي ابن الزعيم محمد علي آغا المعروف بـ(لاج حني)، كان من أصحاب الإقطاعيات الذين وصلوا بجدهم و إقدامهم إلى رتبة الدليل باشي في الجيش العثماني القديم ، والذي ولد في مدينة (سورك = سيوه رك) حوالي سنة (١٢٦٥)، اشتغل في التدريس والتحصيل والوعظ والإرشاد، والتعليم باللغات الثلاث العربية و التركية والفارسية عدا اللغة الوطنية وهي الكردية بلهجتيها (الكرمانجية والزازائية = الدنبيلية) الشائعتين في الشمال الغربي من كردستان الشمالية.

وكان فقيها بارعا عالما، مع حسن بيان وطلاقة لسان، وإخلاص في القول والعمل، ورفض تولي منصب الإفتاء الذي عرض عليه مرارا وكذلك عضوية مجلس الإدارة للواء، خشية أن يقع فيما لا يتفق ورايه الشرعي والديني من الأمور الدنيوية والشؤون الإدارية، وقد قام بالتدريس قرابة خمسين عاما (في المدرسة الفيضية) الوحيدة في مدينة (سويرك). فتخرج على يديه علماء كثيرون في العلوم العربية والشرعية والفنون الأدبية من عربية وتركية وفارسية، إذ هرع إليه الطلبة من مدن الأطراف مثل (أرغني، وجرميك، ومعدن، وآمد، والرها، وويران شهر). وكان حنفي المذهب، قادري الطريقة، ثم صار نقشبنديا صوفيا، فكان يعيش عيشة العلماء المتصوفين المنعزلين لا يخرج إلى الأسواق والمجتمعات كثيرا فيما عدا المواظبة على صلاة الجماعة والجمعة، وبالجملة فانه كان عالما عاملا وصوفيا صادقا لا تأخذه في الحق لومة لائم، فلذا كان يجله الجميع من مسلمين ومسيحيين وكرمانج و(زازاء = ظاظا) وتركمان، وأتراك على اختلاف مشاربهم وتعدد نحلهم.

وعند صدور قانون تنظيم المدارس الدينية في البلاد العثمانية وربط الماهيات الشهرية للمدرسين في المدارس المعترف بها في مراكز الأقضية والألوية، نقل إلى قضاء (جرميك = جرموك) مدرسا عاما رسميا، ولبث فيها ما يقرب من سنتين أو ثلاث، عاد بعدها ثانية إلى مسقط رأسه (سيوه رك = سورك) مدرسا عاما. حتى توفي سنة(١٣٤١هـ).

أكمل محمد علي عوني دراسته الابتدائية والثانوية في معاهد تركيا، وتابع فيها علومه الدينية، ثم قصد مصر لإكمال دراسته الدينية في الأزهر الشريف، فنال شهادته العالية في زمن قصير بلغت ست سنوات بدلا من اثنتي عشرة سنة. وهي المدة المقررة عادة لطلاب الأزهر الشريف. واثبت بجدارة انه طالب مجد وذكي، عرف عقيدته الدينية وأتقن أحكامها على احسن وجه، وواصل كفاحه بعناد وإباء من اجل القضية الكردية، التي تنبه لها أعداؤه فبرز اسمه في كردستان واخذ أعداء قضيته يحسبون له ألف حساب، وعندما حاول الرجوع إلى وطنه بعد إكمال دراسته منعته السلطات التركية من الدخول بسبب أفكاره القومية ومناصرته للقضية الكردية.

وامام هذا الواقع اضطر أن يبقى في مدينة القاهرة. وعندما أعلن عن حاجة الديوان الملكي إلى مترجم للغات الشرقية، تقدم محمد علي عوني إلى الامتحان مع غيره من المتقدمين، فكان الأول بينهم، واحتل الوظيفة الحساسة الشاغرة، فعمل مترجما « للغات الشرقية» في قصر عابدين لدى بلاط الملك فاروق، وعهد إليه مهمة الاشراف على مكتبة القصر الملكي في القاهرة، بالإضافة إلى حفظ الفرمانات والوثائق التاريخية الرسمية التي يعود تاريخها إلى عصر محمد علي باشا مؤسس مصر الحديثة.

وبحكم وظيفته واطلاعه الواسع، واتصالاته بالمستشرقين والعلماء من مختلف أرجاء العالم، تمكن من تكوين ثقافة واسعة عن القضية الكردية، فجمع دراسات قيمة أضافها إلى معلوماته حتى غدا حجة في تاريخ الكرد وقضيتهم.

وانخرط في النشاط السياسي الكردي، فكان أحد مؤسسي جمعية (خويبون) الكردية في القاهرة وسورية وكردستان بالاشتراك مع أبناء بدرخان. كما قام بعدة زيارات استطلاعية إلى أنحاء مختلفة من أوربا للاتصال بشتى الجهات المعنية بالقضية الكردية، وخاصة العناصر المثقفة، وكانت داره في القاهرة محجة للطلبة الكرد يتزودون منه العون والإرشاد والمعرفة.

وضع عوني العديد من المؤلفات ونشر مقالات كثيرة في حقل القضية الكردية والترجمة، فكان أبرز اعماله هو ترجمة أعظم أثر كردي «كتاب الشرفنامة» من الفارسية إلى العربية لصاحبها الأمير الكردي شرف خان البدليسي الذي انتهى من كتابة سفره العملاق عن تاريخ الكرد، قبل اكثر من أربعمئة سنة. وقد كتبها باللغة الفارسية بناءً على طلب السلطان الفارسي الذي لجأ إليه الأمير شرفخان البدليسي بعد أن غادر الإمبراطورية العثمانية.

وقد ترجمت الشرفنامة إلى اللغة العربية من قبل الأستاذ محمد علي عوني، حيث طبع الجزء الأول من الكتاب عام ١٩٥٨، فيما طبع الجزء الثاني عام ١٩٦٣ في القاهرة.

وقد كان للأستاذ محمد علي عوني فضل كبير على الشعب الكردي من خلال ترجمته لهذا السفر العظيم الذي تضمن تاريخ الكرد من أزمان موغلة في القدم وحتى القرن العاشر الهجري وهو وقت الانتهاء من الكتاب.

كما قام بمراجعة وتنقيح وإضافات إلى كتاب «مشاهير الكرد» لمحمد أمين زكي، وكتب له مقدمة رصينة، جاء فيها:

لا يخفى أن تراجم العظماء وسير الأبطال في آداب الأمم والحضارات العظيمة تشغل أسمى مكانة، وان استعراض حياة الشخصيات البارزة في تاريخ الدول والملوك مما يحفز الشباب على اقتفاء آثارهم واتباع سننهم ويثير فيهم أيضا الإقبال على دراسة التاريخ القومي الذي يغذي الشعور الوطني باستيعاب عبره وعظاته ومآثره. وغني عن البيان أن قليلا من الناس يعرف تمام المعرفة ما قدمه الشعب الكردي في مختلف عهود التاريخ الإسلامي، من الخدم العظيمة والتضحيات الكبيرة في سبيل الدفاع عن الحضارة الإسلامية والثقافة العربية.

وكل من ألقى نظرة إمعان على أمهات التواريخ

الإسلامية، ولاسيما كتب التراجم، رأى شواهد كثيرة تدل على ما للشعب الكردي ورجاله، في بدء ظهور الحضارة الإسلامية وما تلاها من العهود المختلفة، من اثر واضح في كثير من مناحي الحياة الاجتماعية والحركات السياسية والعلمية.

وقد كانت كردستان الحصن الأمنع للخلافة في وقوفها أمام تيار الروم المتاخمين للبلاد الإسلامية، على طول نهر الفرات من الشمال إلى أقصى الغرب في البيرة (بيرجك)، حيث كان القسم الغربي من بلاد الكرد الحالي يسمى حينئذ بلاد الثغور، ولهذا ترى بلاد الكرد حتى الآن ملأى بالقلاع والحصون من أدناها إلى أقصاها ويصح أن نسميها في العرف الحديث القلاع (الأمامية للإسلام) وناهيك عما قامت به الدولة الأيوبية الكردية العظمى فخفقت أعلامها في مصر والشام وكردستان والحجاز واليمن والمغرب.. وكان الكرد إلى عهد قريب ركنا متينا في بناء الدولة الإسلامية وإنشاء حضارتها.

وقام عوني بترجمة كتاب «خلاصة تاريخ الكرد وكردستان»من الكردية إلى العربية، ونشره سنة ١٩٣٦م، وقام بتقديم التعليقات عليه عند الضرورة. و ترجم كتاب « تاريخ الإمارات الكردية في العالم الإسلامي» للمؤرخ محمد أمين زكي ونشر عام ١٩٤٨، وكانت هذه الكتب تعد المرجع والمصدر الرئيس الذي يستقي منه الكتاب والمثقفون العرب والكرد معلوماتهم وثقافتهم.

كما وضع رسالة عن «العائلة التيمورية» وهي عائلة كردية كان لها مركزها الاجتماعي والسياسي والأدبي في مصر.

وكان يجيد اللغات الكردية والفارسية والتركية والعربية، ويحسن الفرنسية. وكان حجة في فك رموز الخطوط التاريخية. لتضلعه الواسع في اللغات القديمة والحديثة.

توفي بالقاهرة يوم ١١ تموز عام ١٩٥٢ عن عمر ناهز الخامسة والخمسين سنة. وفقد الشعب الكردي برحيله أحد أبنائه البررة العظام المناضلين بصمت وتواضع في سبيل تحقيق ما يصبو إليه من حياة حرة كريمة.

الصحفية والكاتبة درية محمد علي عوني

ومثلما كان محمد علي عوني مهتماً بقضية شعبه وأمته، فقد خصصت ابنته - درية علي عوني- جانباً من اهتمامها للقضية الكردية.

فقد ولدت في القاهرة من أم مصرية تدعى زينب محمد الرفاعي، ولها شقيقان هما المهندس صلاح الدين عوني، والمهندس عصام الدين عوني.

درست في المدارس الفرنسية، وأكملت دراستها في فرنسا، وعملت صحفية بوكالة الأنباء الفرنسية في باريس مدة ٢٥ سنة، وتكتب بالفرنسية عن أخبار العالم العربي.

كما راسلت بالعربية العديد من الصحف والمجلات المصرية والعربية من باريس، وكانت على رأس نقابة الصحفيين الفرنسيين في فرنسا.

وقد تسنى لها أن تزور كردستان عام ١٩٩٢، وأنجزت كتاباً عن القضية الكردية، باللغة العربية بعنوان (عرب وكرد... خصام أم وئام) من منشورات دار الهلال المصرية ١٩٩٣، طرحت فيه وجهة نظرها في قضية باتت ساخنة إثر حرب الخليج، وكتاب (الكرد من كمال أتاتورك إلى أوجلان سنة ١٩٩٩).

وفي لقاء مع السيدة درية علي عوني نشر في جريدة الحياة اللندنية في ١٩٩٤/٢/١٨ تقول:

«... بعد حرب الخليج توضح أن القضية الكردية خرجت من نطاقها الإقليمي لتصبح قضية دولية. وفي اعتقادي ستكون القضية الكردية هي القضية الساخنة للسنوات العشر القادمة..».

وتضيف: «اكتشفت أن المواطن العربي ولأسباب تاريخية وسياسية جاهل للقضية الكردية باستثناء المواطن العراقي لأنه معني مباشرة بها، كما أن الأنظمة العربية لا تدخلها في حساباتها وبعضها معادٍ لها».

وتسترسل «يبدو أن الرجوع إلى الوراء مستحيل اليوم لان هناك ٤٠ مليون كردي يتحركون في اتجاه واحد، في الوقت الذي يعاد فيه تخطيط المنطقة من جديد.

وهناك اتجاهات لحل المشكلة الكردية، اتجاه يتمثل في فيدرالية عراقية- كردية يتمتع فيها الكرد بسيادة واستقلالية في انتظار أن يتبلور مصير بقية أراضي كردستان، واتجاه آخر يدفع الكرد تدريجياً للانسلاخ الكلي عن العراق ليشكلوا دولة مستقلة».

هذا الكلام قالته الكاتبة والصحفية المصرية درية علي عوني قبل ما ينيف عن العقد ويبدو أنها كانت تتنبأ بالمستقبل الذي جاء مطابقاً لتصوراتها.

تقول درية علي عوني بهذا الصدد: «... لقد قاطعني القوميون الشوفينيون وحاصروني وهذا شرف لي وخاصةً انه لم يجرؤ أي واحد منهم أن يكذبوا ما قدمته في كتابي الأول (عرب وكرد، خصام أم وئام، سنة ١٩٩٣)، والثاني (الكرد من كمال أتاتورك إلى أوجلان سنة ١٩٩٩)، لكنهم لم يقبلوا ما قدمته من سيناريوهات مستقبلية إذ كنت تنبأت بأن العراق لا يمكن أن يرجع بعد سقوط صدام إلى دولة مركزية تحكم من قبل دكتاتور واحد يمثل فئة معينة، ويصل بطرق لاشرعية إلى الحكم، فقد تنبأت بأن العراق سيصبح ديمقراطياً فيدرالياً ينعم فيه كل مواطن بالحرية والمساواة».

زارت كردستان العراق وكردستان تركيا عدة مرات، والتقت ببعض الشخصيات الكردية القيادية هناك أمثال ملا مصطفى البارزاني، وجلال الطالباني، ومسعود البارزاني، ونشرت هذه المقابلات في المجلات المصرية[1].

(١) مشاهير الكرد:٣١/٢-٣٢ الأعلام: ٦/ ٢٠٦، وله ترجمة في مقدمة كتاب «تاريخ الدول والإمارات الكردية في العهد الإسلامي» تقديم ابنه الأستاذ نجم الدين عوني. وابنته درية عوني كاتبة وصحيفة لها كتاب «عرب وكرد» نشر في القاهرة عام ١٩٩٣م. نفرتيتي الكرد بقلم سالار شيخاني على الموقع الالكتروني تربه سبيه ٢٠٠٥/٤/٨.

حوار مع د. فائق مصطفى

نحو تعليم عال متطور

اجرته: سردم العربي

عقد في اربيل ايام ١١-١٣/١٢/٢٠٠٧، المؤتمر العالمي للتعليم العالي في العراق تحت شعار (نحو تعليم عال متطور)، شارك فيه حوالي ٦٠٠ شخصية اكاديمية وعلمية من اثنتين وعشرين دولة، اضافة الى العراق، نظمته وزارة التعليم العالي والبحث العلمي في اقليم كردستان، وزارة التعليم العالي والبحث العلمي في الحكومة الفدرالية، واللجنة التنظيمية للتعليم العالي في المملكة المتحدة. شارك في المؤتمر عدد من اساتذة جامعة السليمانية بينهم الاستاذ الدكتور فائق مصطفى، ببحث عنوانه «نحو تطوير وظائف الجامعة الثلاث: الخلقية والعلمية والاجتماعية»، ولكون الدكتور فائق مصطفى واحدا من المتحمسين لاقامة مثل هذا المؤتمر، كان معه هذا الحوار حول شؤون المؤتمر وقضاياه:

×وجدنا عندكم منذ مدة حماسة شديدة لاقامة هذا المؤتمر والمشاركة فيه. لماذا؟

-ان ذلك يعود الى حبي للاصلاح الاجتماعي على نحو عام، والتعليم على نحو خاص، فالتخلف الاجتماعي كان، ولايزال احد همومي الرئيسة التي كرست حياتي لمحاربتها بالثقافة والتعليم، وفي رأيي ان التعليم هو في طليعة العوامل التي يمكن ان تقضي على تخلفنا الاجتماعي. ان التعليم بانواعه الثلاثة في العراق، يعاني اهمالا وتخلفا نتيجة الانظمة الدكتاتورية والحروب التي شهدتها بلادنا خلال السنوات الماضية. كذلك اجد في جامعاتنا ظواهر سلبية جدا، منها ضعف اقبال الطلبة على العلم والمعرفة والقراءة على نحو عام، وتخلف المناهج الدراسية، وضعف الرعاية للطلبة.. الخ. وقد نشرت مقالات عدة في صحفنا المحلية حول اصلاح وتطوير التعليم الجامعي، منها «نحو اصلاح وتطوير جامعة السليمانية» دعوت فيها الى اقامة مؤتمر لبحث ومناقشة ثماني قضايا اساسية هي: ١-تحديد الفلسفة التربوية التي يستند اليها التعليم الجامعي ٢-تطوير المناهج الدراسية بالافادة من ثمار التكنولوجيا الحديثة ٣-إنماء الاقسام العلمية في الكليات بتفعيل



اللجان الاربع فيها وهي اللجنة العلمية والثقافية والارشادية والدراسات العليا ٤-الجامعة ودورها في خدمة المجتمع ٥-الترقيات العلمية ٦-الدراسات العليا ٧-القيادات الادارية ٨-التعاون بين الجامعات.

×كيف وجدتم المؤتمر؟ اعني ماذا كانت ايجابياته؟

-كان المؤتمر ناجحا جدا بكل المقاييس، اذ قام على تنظيم دقيق في كل مرافقة، من توجيه الدعوات وقبول الابحاث وطبعها في مجلدات انيقة، وحجز الفنادق للباحثين، وتهيئة ورش العمل وتهيئة الاجهزة الحديثة فيها، كذلك كان تنظيم النشاطات الاجتماعية، ومتابعة السيد وزير التعليم العالي والبحث العلمي في اقليم كردستان الاستاذ الدكتور ادريس هادي صالح، وللمؤتمر كانت رائعة، وقد كتب عنها السيد باسل الخطيب كلمات جميلة اعجبتني «كان وزير التعليم العالي.. بمثابة القلب النابض للمؤتمر، نجده في كل مكان، صباحا ومساء، يتحدث مع الجميع ويستمع لمقترحاتهم وملاحظاتهم ومشاكلهم، ويشارك في الجلسات العلمية وورش العمل والنشاطات الاجتماعية، ويناقش الباحثين في الجوانب المتعلقة ببحوثهم، او يوضح بعض الجوانب الخافية او غير المعروفة لهم..» (جريدة الاتحاد ليوم ٢٠٠٧/١٢/١٧).

×هل وجدت سلبيات في المؤتمر؟

-لا يخلوا اي عمل او نشاط من سلبيات ونواقص، لكن ماوجدته من سلبيات في هذا المؤتمر، لا شيء بالنسبة الى ايجابياته الكثيرة، ومن ذلك قبول بعض الابحاث الضعيفة والمتشابهة، ولعل ذلك يعود الى وجود ثلاث لجان مسؤولة عن تقديم البحوث، ومن ذلك ايضا عدم تخصيص وقت كاف لمناقشة البحوث، وكلنا نعرف ان المناقشة هي التي تثري البحث وبدونها لايستوي البحث، وقد يكون هذا الخلل ناجما عن الخلل الاول كثرة البحوث التي استحوذت على بعض الوقت المخصص للمناقشة. يضاف الى ذلك اننا في الوقت الذي رأينا في المؤتمر خبراء واساتذة اجانب كثيرين، لم نر بعض الاسماء المعروفة في التعليم الجامعي من العرب والكرد منهم الخبير التربوي السوري محمود السيد، والمفكر الاردني العلماني شاكر النابلسي والمفكر العراقي المغترب محمد الدعمي والناقد العراقي عبدالله ابراهيم (جامعة قطر)، ومحمد علي الصويركي (الجامعية الاردنية)/ والدكتور مظهر (جامعة بغداد) والدكتور عزالدين مصطفى رسول (جامعة السليمانية).

×على ماذا دار بحثكم؟

-دار بحثي على تفعيل وتطوير الوظائف الثلاث للجامعة وهي:

الوظيفة الخلقية: وهي الدور الذي تقوم به الجامعة في بناء شخصية الطالب على وفق الاسس الحضارية العصرية، واهمها العقل المتطور والاحساس بالجمال والوعي الاجتماعي والحواس الراقية والقدرة على ضبط الانفعالات والغرائز.. الخ. ويتم ذلك بواسطة:

١-منهج تدريس خاص يقوم على ربط المادة العلمية بالواقع والحياة والاحداث الجارية، حيث يستغل الاستاذ اية فرصة لربط المعلومات العلمية بالحياة لبناء الشخصية الخلقية للطالب.

٢-تفعيل لجان الارشاد في الكليات.

الوظيفة العلمية: وهي الوظيفة التي تعنى بتنمية العقل وتطوير وقدراته وتنشيط التفكير عند الطالب حتى يستطيع ان يفهم كل مايحيط به ويسيطر عليه لان العلم هو ثمرة النشاط العقلي للانسان، والعلم بدوره يوصل الانسان الى التكنولوجيا التي هي تطبيق المعرفة العلمية لحل مشكلات الانسان المادية. يمكن تطوير هذه الوظيفة بواسطة:

١-المنهج الجدلي الحواري القائم على النقاش والحوار والتساؤل بدلا من حشو دماغ الطالب بالمعلومات التخصصية، فبواسطة هذا المنهج يكون التعليم نشاطا حيا يشارك فيه الاستاذ والطالب للوصول الى الاحكام والحقائق والنتائج، الامر الذي يحفز على التفكير الايجابي والابداع والابتكار.

٢-الاستاذ: وهو الاستاذ الذي يعشق العلم والبحث

ويمتلك الصبر والثقافة العامة، ويكون هاجسه الاكبر في الحياة والعلم والمعرفة.

الوظيفة الاجتماعية: وتعني الدور الذي تقوم به الجامعة في خدمة المجتمع وتطويره، ويتم ذلك بواسطة:

١-انشاء مراكز بحثية في الجامعات لدراسة المشكلات الاجتماعية والاقتصادية وايجاد الحلول لها.

٢-التعاون والتنسيق بين الجامعة والوزارات المختلفة لبحث مشكلاتها.

٣-حث وتشجيع الاساتذة على الاسهام في خدمة المجتمع بالكتابة في الصحف والمجلات، والقاء المحاضرات في منظمات المجتمع المدني، والمشاركة في المؤتمرات.

×ما اهم التوصيات التي خرج بها المؤتمر؟

-توصيات جادة كثيرة، اهمها الدعوة الى استقلالية الجامعات بعيدا عن تدخلات الجهات السياسية فيها او الدعوة الى تطوير المناهج لتكون منسجمة مع عصر العولمة والتكنولوجيا، وتشكيل هيئة استشارية في كل جامعة لتقديم المشورة والخبرة حول مختلف شؤون الجامعة، وضرورة المحافظة على الكفاءات الاكاديمية العراقية، وانشاء صندوق لدعم البحث العلمي.. الخ.

×هل انت متفائل بشأن متابعة وتطبيق توصيات المؤتمر؟

نعم.. متفائل جدا لاني وجدت كل شيء في المؤتمر جادا، ووجدت السيد وزير التعليم العالي في اقليم كردستان جادا ايضا ومتحمسا للتطوير والتغيير، وهذه التوصيات بعضها تنفذها الجامعات بآليات خاصة، وبعضها تنفذه الوزارة، وبعضها يحتاج الى تشريعات يوافق عليها البرلمان ومجلس الوزراء، ولا ابالغ اذا قلت ان المؤتمر سيكون تاريخيا فيقال عند الحديث عن التعليم الجامعي في العراق، ماقبل المؤتمر العالمي، ومابعده.









عشر سنوات زاهية امضيتها في السليمانية

خليل مصطفى مهدي «ابو مصطفى»

شاءت الاقدار أن احط الرحال في مدينة السليمانية (عروس كوردستان) كما اعتدنا ان نسميها في بغداد وبقية انحاء العراق.

وهي كذلك ولاتزال لموقعها الطبيعي وجوها المعتدل ومناظرها الخلابة وناسها الاخيار المنفتحين على الوافدين اليها.

التحقت بمديرية التربية في السليمانية كمعلم معادٍ الى الخدمة بموجب قرار مجلس قيادة الثورة الذي صدر في العاشر من تشرين الأول ١٩٦٨ اي بعد استيلاء انقلابيي حزب البعث العفالقة على السلطة مرة ثانية على أثر انقلاب ١٧ /تموز/١٩٦٨.

واختياري للسليمانية له قصة لابد من المرور عليها. فقد كنا نحن المفصولين من المعلمين وغيرهم منهمكين في اكمال أوراق الاعادة الى الخدمة.. من فحص طبي واستخراج قرار الحكم.. الخ

وكانت تعليمات وزارة الداخلية - الحكم المحلي - التي يتبعها المعلمون إدارياً، تخيّر الذي يطالب بالعودة الى الوظيفة باختيار إحدى المحافظات الثلاث الاتية حصراً مهما كان مقر وظيفته السابق، فاخترت أربيل من بين المحافظات المتاحة اليها العودة وكانت الانبار ونينوى إضافة الى أربيل هي المحافظات المحدّدة للعودة حصراً!

واختياري لأربيل كان منطقياً.. لانها قلب كوردستان وشعبها منفتح على الفكر الديمقراطي اليساري.. و.. وقد سبق لي مشاهدتها صيف عام ١٩٦٢ عندما زرتها مع صديق لي من خانقين التي كنت معلماً فيها منذ التعيين في ١٩٥٨/١٠/٢٦ وحتى الفصل في ١٣/شباط/١٩٦٣. وقد أعجبت بها وبقلعتها ومنارتها وطيب ثمارها ولبنها وجبنها و"كبابها" المشهور. وأمضينا عدة أيام في شقلاوة التي كانت خالية من المصطافين على عكس السنوات السابقة بسبب الحرب الناشبة بين سلطة قاسم والحركة الكوردية (ثورة ١١ أيلول).

وعندما تسلمنا الأمر بالاعادة وكان اختياري الأول هو محافظة أربيل للأسباب التي ذكرتها خرج المرحوم "نايف حمودي" مدير الادارة في وزارة الداخلية - الحكم المحلي - ليصيح بأعلى صوته بين المتجمعين من المفصولين الذين تسلموا أوامر الاعادة الى المحافظات الثلاث كما مرّ ذكره (الانبار، نينوى، وأربيل) قائلاً: من منكم من أهالي السليمانية؟ وكرّر السؤال عدة

عندكم ضيوف..؟ فضحك كالأبله فقرصته من أذنه وصفعته بالكتاب على رأسه. فنهض منذر هارباً من المدرسة والمدير يولول ماذا عملت ماموستا؟ اتعرف ابوه منو؟.

وخشية من إصابة القارئ بالملل فقد حضر مدير الامن في اليوم الثاني قائلاً لي:

عاشت يداك يأستاذ. "اللحم إلك والجلد والعظم لنا.. " ان منذر يقضي اليوم كله باللعب ويعتدي على أخواته.. ولكنه يوم أمس جلس في احدى الزوايا ممسكاً بحقيبة كتبه.. وشكرني بحرارة وانصرف.

وبعد صدور بيان الحادي عشر من آذار ١٩٧٠ وفد الى السليمانية المئات من التلاميذ الذين نقلوا مع عوائلهم الى محافظات الجنوب وكانت دراستهم عربية طبعاً، ويتحدثون بالعربية العامية مثل أهل النجف والعمارة والناصرية واستقبلت مدرستنا اكثر من ٢٥٠ تلميذاً لمختلف الصفوف فاجتمعنا في الادارة وكان أغلب المعلمين من أنصار الثورة الكوردية وأبدينا استعدادنا للدوام المزدوج ولنفس المعلمين الذين اخذوا يداومون صباحاً حتى الحادية عشرة وبعد الظهر من الساعة الواحدة حتى الرابعة لاستيعاب الاعداد الهائلة من التلاميذ الذين زاد عدد طلاب المدرسة على الـ«٦٥٠» تلميذاً واصبح مجموع طلابي للسادس ١٤٠ تلميذاً قسمناهم الى اربع شعب. وكنت أدرس الرياضيات في تلك السنة/١٩٧١ وكانت نسبة نجاح طلابي ١٠٠٪ والتلاميذ السبعة الاوائل من مجموع العشرة الاوائل في المحافظة من مدرستنا.

ومن التلاميذ الذين يسعدني استذكارهم: برزان اكرم عزت ورازان فؤاد عزت وآراس سامي حسين ناظم ابن مدير التربية وبرهم احمد صالح نائب رئيس مجلس الوزراء الفدرالي الحالي ودانا احمد مجيد محافظ السليمانية الحالي ودلاور فاضل عرفان وأميد حمه كريم والعشرات غيرهم.

ومن المواقف الطريفة التي حدثت لي في السليمانية وأنا الغريب عنها - ابن بعقوبة - ان يخبرنا السيد فتاح عبد الرزاق ملاحظ التربية شقيق الرفيق مام قادر بان برقية قد جاءت من بغداد بتنظيم قائمة بأسماء المعلمين الذين لايجيدون اللغة المحلية (الكوردية) والمقصود المعلمين العرب الذين أعيدوا الى الخدمة عام ١٩٦٨ وأنا أحدهم. وكنا في طريقنا الى النادي (الفرسان الثلاثة) الذين مرّ ذكرهم (منير سلومي الوكيل من الموصل وابراهيم مطلك السباهي من البصرة وانا كاتب السطور خليل مصطفى مهدي من بعقوبة) ففرحنا كثيراً لاننا نحن المعادين الى الخدمة (المفصولين) لا يحق لنا طلب استمارة النقل التي توزع على طالبي النقل في الشهر الخامس. ولكن فرحتي لم تكتمل، اذ اضاف السيد فتاح ان اسمي قد شُطب! فقلت ومن الذي شطب اسمي.. أجاب سامي افندي (مدير التربية) ولا تهتم راجع غداً الخميس لان القائمة غير مكتملة لحد الآن. فقد نظمناها لتضم ١٢٨ معلماً وبقيت بضعة أسماء نسيناها. راجع غداً التربية وسنقوم باللازم.

راجعت صباح اليوم التالي وكان الاستاذ سامي حسين ناظم يجلس في غرفة صغيرة في الطابق العلوي لاجراء ترميمات في غرفته الكبيرة في الطابق الأسفل. فطرقت الباب وسلمت عليه وطلب مني الجلوس قائلاً: خيراً ماموستا خليل. فأجبته على الفور سمعت انك قد شطبت اسمي من القائمة التي طلب فيها المعلمون النقل الى أيه محافظة. وبهذا فقد حرمتني من فرصة العمر لاكمال الدراسة في بغداد ولم يكن في حينها كليات مسائية في بقية المحافظات.

فابتسم ابو آري وامسك بيدي وأضاف: (جئتنا واحداً وجعلنا منك ثلاثة واصبحت واحداً منا). وكان قصده زواجي من إحدى بنات كوردستان «ام مصطفى» وانجابنا لابننا البكر مصطفى. وأضاف لا أستطيع التوقيع ويدي لاتطاوعني.. أطلب ماتريد في السليمانية.. من المحافظة أو الدوائر الاخرى وانا كفيل بتلبية الطلب. فشكرته وقلت له استاذ ما أنا إلاّ معلم بسيط من بين خمسة آلاف معلم في المحافظة. فقال لي

على الفور: لا.. انك معلم مجد ولم تعتذر عن المشاركة في الدورات التي نسبناك فيها كمحاضر «وكانت مجانية» ونسبة نجاح طلابك هي الأعلى في المحافظة...

وأضاف مبتسماً: لن أوافق على نقلك إلا بعد اكمال آري وآلان المرحلة الابتدائية بوجودك. وكان آري في السادس والآن في الخامس.

ومن ذكرياتي العزيزة علاقتي بالمعلم الراحل المرحوم جمال عارف أمين الذي كان يجلب لي بطاقتين في كل عرض مسرحي لفرقة السليمانية للتمثيل ومن رموزها سمكو عزيز وكاوه احمد ميرزا والمخرج غازي بامرني.

ويوماً حضرت مسرحية (نرخى ئازادى) (ثمن الحرية) لكاتب من امريكا اللاتنية وكان المسرحي العراقي الاول حقي الشبلي جالسا في الصف الأول وأنا وزوجتي في الصف الثاني والمسرحية باللغة الكوردية طبعاً وعند الانتهاء هنأ الشبلي مخرج المسرحية وبقية الممثلين على حسن ادائهم مبدياً إعجابه الشديد بالفرقة. وبعدها بمدة قدمت مسرحية مكر النساء «مەكرى ژنان» للفنان المبدع سمكو عزيز.

وفي العام الثاني أقيم المهرجان الموسيقي الاول في بغداد وشاركت فيه معظم المحافظات وكان ترتيب الجوائز على الفرق هو فوز السليمانية بالدرجة الاولى بامتياز والبصرة ثالثاً حاجبين الجائزة الثانية التي لم يستحقها أحد حسب تقييم اللجنة المشرفة على الفعالية.

وماذا أقول عن سفراتنا الى سرجنار وقلياسان وبكره جو وازمر وقشقولي ودوكان - حيث يخرج الناس ولاسيما في المناسبات راكبين شتى وسائل النقل (السيارات، الشاحنات، القلابات، التراكتورات وغيرها) من أجل الوصول الى مكان الاحتفال والمشاركة فيه لاسيما نوروز وعن حلقات الدبكة والأغاني المرحة والاناشيد الوطنية والدعوات المفتوحة للمشاركة في الاكل مع كل مجموعة من العوائل تجلس سوية وتدعو المارين عليها لمشاركتهم.

وهي زهرة المدائن في كوردستان والعراق والمنطقة تحيطها سلاسل جبال گۆيژه من الشرق وأزمر من الشمال وبيرەمەگرون من الغرب وگلەزەردە من الجنوب. وفي قمة أزمر تقع قلاجوالان التي كانت مقراً للامارة البابانية قبل بناء السليمانية من قبل ابراهيم باشا بابان.

لقد افتقدت المناظر الخلابة فيها ولاسيما التوسعات الكبيرة حيث وصل العمران الى «توى مە ليك» ومحاطة بالشوارع العريضة ومدينة السليمانية من انظف المدن التي شاهدتها في العراق.

وفيها كهف «هەزارمێرد» و «كونه با» ومقبرة «گردى سەيوان» و «گردى مامە يارە» التي تضم رفاة الشاعر والصحفي «پيرەمێرد» صاحب ومؤسس جريدة «ژين» وفيها الجامع الكبير «مزگەوتى گەورە» الذي يضم رفاة كاكه احمد الشيخ ومعروف النودهي والشيخ محمود الحفيد والشيخ لطيف والشيخ كاوه. ومن شخصياتها الاثيرة على القلب الاساتذة غفور ملا علي وعمر مصطفى وبهجت سعيد كابان وفؤاد عزت وجمال غفور وهم في حقل التربية.

ومن شخصياتها الشهيرة علي سور ومطعمه الشهير وحمه رەق وچايخانته الشهيرة ورؤوف معروف صاحب مكتبة گەلاوێژ وعباس ابو شوارب صاحب مطعم الكباب الاشهر.. وحسن سێ ژن....!

وقد انتقلت من السليمانية بسبب مشاكل البيوت والايجارات ولقرب أربيل من مسقط رأس أم مصطفى شقلاوة. وها اني على أبواب اكمال ثلاثين عاماً من ١٩٧٨/١٠/١ والى اليوم في قلب كوردستان هولير وبين أهلها الشجعان الميامين.

المجد لكوردستان بجميع مدنها وقراها وجبالها ووهادها.

والظفر لشعبها المقدام الباسل.

والى لقاء ان شاء الله في فرصة اخرى

٢٠٠٧/٨/٢٣

جسد القصيدة بين ادونيس و شێركۆ بێكەس

لقمان محمود

المنطلقات المتجددة للأنساق الشعرية تتولد من إعادة الكتابة بوصفها حصيلة في ملامسة الأمكنة المعرفية وإغناء الوجود الإنساني بالوجود.

ذلك أن تسخير الشعر لمواجهة صراع الرهانات الكبرى في أهمية تأمل الكتب من مواقع مختلفة، جزء من إعادة كتابة الشاعر للكبت المعرفي و الكبت الثقافي و الكبت السياسي. إن الرغبة المطلقة لدى الشاعر هي إمتلاك مادة المتعة إمتلاكا معنويا، هي رغبة ستبقى على الدوام متعارضة مع مفهوم حرّية المحرمات. فالإمساك باللاشعور الشعري من خلال الرغبة في الكتابة، هو تفريغ الجسد من الوعي، رغبة في المتعة. فملامسة الكبت الشعري تقتصر في إستثمار اللغة كرهان خاسر، لا يستقيم إلا بإدماج الوجود والمعرفة في مسالك شائكة، للوصول إلى الأسرار الذاتية أي بمنع الذاكرة من أن تتحول إلى واقع. وبذلك يضمن تجديدا للتجربة، بتجديد اللغة، على نحو يسمح بتحويل العلاقة مع التجربة إلى لغة، كما عند الشاعر أدونيس:

في الليل
حين يطرح التعب مهاميزه
فلن لأجسادكنّ أن تنتسج
على أجسادنا دراريع ديباجٍ و غلائل حرير
ليزدهر ايضاً و أيضاً
خشخاش الشهوة
لتتوهج أيضاً و أيضاً
قوس الموت
نعقد حلفاً مع الصعاليك
ننشئ سلطة الرغبات

في هذه القصيدة يقوم كبت الشاعر على إستنبات إيقاع اللغة من الخاص إلى العام، ومن الذاتي إلى الجماعي. ولنا ان نفهم بلوغ ملامسة الكبت وترسيخ قيمه من خلال الشاعر، الذي يملك التفكير، لأن التفكير بالأساس هو عمل، كما يقول الفيلسوف الألماني هايدغر، و ما زال الإنسان يفكر فهناك كبت.

فالعلاقة بين اليد والتفكير شغلت الفلاسفة والعلماء حتى اليوم وربما تكون لليد علاقة بالكبت الجنسي، كما في " العادة السرية" وهذا ما يعطي برهانا قاطعا على أن القرد يملك أعضاء للقبض والإمساك، لكنه لا يملك فكرا، ولا لغة، ولا عطاء. فالموجود الوحيد الذي يتكلم، بمعنى يفكر، هو الذي





يملك يداً. و الفكر لا وجود له بدون وجود اللغة، واللغة لا وجود لها بدون شعر. فليست مهمة اليد مجرد القبض و العطاء، بل اليد تحمل أيضا واليد تحفظ أيضا واليد تفكر وتكتب الشعر أيضا كما في قصيدة "شيركو بيكس":

كانت ليلة وضاءة فضية
إنقطعت قلادتها على حينِ غرة
كنا نبحث
جميعاً من تحت المناضد
عن خرزها المتناثرة
اما أنا فكنتُ أبحث عن تلك الخرزة
التي كنتُ أراها كل مرة
نائمة فيما بين نهديها!.

«رؤيا الملك»
في مسار الدرس الجامعي



د. فاضل عبود التميمي - جامعة ديالى

في العام (١٩٩٩) صدرت مسرحية (رؤيا الملك أو ماندانا و ستافروب) للكاتب المسرحي محيي الدين زەنگەنه عن دار الشؤون الثقافية العامة في بغداد... وكان (صاحبنا) قد قرأها فور صدورها، وتحمس لها بوصفها نصا أدبيا قابلا للقراءة، والتحليل، والتأويل، ولكنه في الوقت نفسه غير قابل للتمثيل..! لا لشيء إلا لأنه نص مكتنز، تتعدد الأصوات فيه، وينتقل المكان فيه من حيز إلى آخر؛ تبعا لتعدد الرؤى، واختلاف الزمان... وهذا وحده كاف لان يهرب المخرجون الرتيبون الذين عادة ما يبحثون عن نص لا يشاكس الديكور، وخشبة المسرح، وسلطة الرقيب عن إخراجه... هكذا خُيِّل له الأمر، وهو ينهي قراءته الأولى للمسرحية، ربما كان على خطأ،أو على حافة الصواب لا يدري، كل الذي يدريه انه تمنى أن يرى المسرحية مجسدة على خشبة المسرح، وقد علت أصوات الممثلين فيها.

لم تكن (أمنيته) التي سوغتها (قراءة) المسرحية بعيدة عن نشاطه الثقافي في (المدينة) التي يعيش فيها (بعقوبة)، وفي الجامعة ،فأصدقاؤه الأدباء، والأكاديميون شاركوه الأمنية نفسها، وان لم يتحدث احد بصوت جهير.

لقد أخذت المسرحية موقعها الصحيح في عقله القارئ يتقدمها إعجابه في بنائها، ومكامن الشاعرية فيها، ولهذا أدرك فضاءاتها وهو يقترب من دور (المخرج) الذي يكابد الصعاب، يبحث عن ممثلين فذين يجسدون أدوارها بدءا من الملك،ومرورا بالشعب، وانتهاء بالكاهن... هكذا دخلت المسرحية قراءته الخاصة، وسولت لنفسه أن يؤدي فيها (دور مخرج آخر) ولكن من زاوية تتلقى المسرحية وتعمل على إيصالها إلى عدد كبير من المتلقين... إذ قدر له في العام الدراسي الجامعي (١٩٩٩- ٢٠٠٠) أن يحصل على موافقة الجامعة لتدريس المسرحية على طلبة المرحلة الرابعة في قسم اللغة العربية بكلية التربية- ديالى ضمن مادة (تحليل النصوص الأدبية) التي كان قد اقترحها يوم كان رئيسا للقسم.

عاش الطلبة عاما دراسيا مع مادة جديدة تمور بين المسرح، والحياة، بين الماضي، والحاضر... ولم يكن من السهولة حثهم لقراءة المسرحية، وتقبلها، فقد تعودوا نمطا خاصا من المناهج، والأفكار، وكان الأدب الحديث بكل نماذجه بعيدا عن قراءاتهم، وعناياتهم،

ولكنه لغرض استمالتهم إلى مشروع القسم الثقافي هذا اختار لهم أستاذا بارعا حبيبا إلى أنفسهم، كان قد حصل توّا على شهادة الدكتوراه في (التأويل النقدي)، ذلكم هو(الدكتور مشحن الدليمي) رحمه الله... وكان قبل ذلك قد وفر لهم نسخا كافية من المسرحية بسعر زهيد، فضلا عن كسره طوق الحاجز الأكاديمي الذي يفصل بين الطالب الجامعي، والموهوبين، والفنانين من غير حملة الشهادات العليا، إذ حصل على موافقة الكلية بان يقوم الناقد المسرحي والمخرج صباح الانباري بإلقاء محاضرات على الطلبة أنفسهم تعنى بتاريخ المسرح العالمي، والعربي، وصولا إلى المسرح العراقي، وقام الرجل بالمهمة على أتم وجه، تطوعا منه بلا ثمن يذكر، سوى ثمن الحب إلى المسرح.

كان الأستاذ (صباح الانباري) مخرجا مسرحيا تعرفه المدينة، وله في الصحافة، والأدب قدم راسخة، وأساس قائم... رحب بالفكرة، وأبدع فيها متفاعلا مع موضوعها الأثير، مقربا قضية المسرح إلى أذهان الطلبة المتلقين الذين فاجأهم (الاختيار) ليهز جزءا من قناعاتهم الثابتة...

هكذا كان الأمر حتى إذا شارفت السنة الدراسية على الانتهاء عقد القسم ندوة عن أدب محيي الدين زنگەنه حضرها الطلبة، وجمع من أدباء محافظة ديالى ألقيت فيها الدراسات الآتية:

١-مركزية الرؤية في رؤيا الملك للروائي سعد محمد رحيم.

٢-متغيرات معادلة الرؤيا في مسرحية رؤيا الملك للناقد المسرحي صباح الانباري.

٣-رؤيا الملك دراسة تأويلية للدكتور وليد شاكر نعاس.

٤ شعرية الخطاب المسرحي: رؤيا الملك مثالا للدكتور فاضل التميمي.

ثم جاء دور الكاتب محيي الدين زنگەنه الذي ألقى موجزا عن تجربته المسرحية، وآفاق تقبلها، ونقدها، ثم حاوره الطلبة في المسرحية، وفي قضايا أخرى تخص إبداعه الروائي، والمسرحي... وختمت الندوة بتسليم زنگەنه شهادة جامعية توثق الاحتفاء به و (رؤيا الملك).

أما الطلبة فقد كان حالهم- أيام الدرس- موزعة على ثلاثة أنماط: نمط تفاعل مع المسرحية، وطريقة تحليلها، وإيصالها بما يملك من استعداد نفسي، وثقافي انفتح على موضوعها وما أثار من إشكالات، وتساؤلات... هذا النمط هو المقدم في الدرس الجامعي، فهو يعي مسؤوليته العلمية، والأخلاقية....، ونمط آخر تعامل مع المسرحية بوصفها(واجبا) يوميا شأنه شأن الواجبات الأخرى...، أما النمط الثالث فقد كان يقترب من المسرحية ولا يدرك كنهها، فثقافته التقليدية تفرض عليه سلطة قامعة لا يستطيع الانفكاك منها، ولهذا عاش مع النمط الثاني الدرس الجامعي مرغما على قراءة(نص) وسماع ما يثار عنه.

أعود إلى النمط الأول، الذي كان أنموذجا في قراءته، وفهمه وقد خرج من فضائه فيما بعد أكثر من باحث نال درجة الماجستير في الأدب، أو اللغة وهو اليوم يعتلي منصة الدرس الأكاديمي محتفيا بثقافته، وعلمه...

هل كانت(رؤيا الملك) رؤية قزحية في تجربة جامعية كتب لها النجاح يوم ذاك؟.

يصمت(صاحبنا) ولا يجيب، فالتجارب الجامعية تعلن عن نفسها وحسب، ولا تستجدي الشهادة بالنجاح، وتفاصيل التجربة, رائدها التأسيس على مثال معلوم، والقياس على حجج سابقة، فبين (التأسيس) و(القياس) كانت المسرحية تعيش فرصة اكتمالها النفسي، ولا سيما في الجوانب التأويلية التي أبدع الطلبة في تشييد سؤالاتها منطلقين من مشاكسات حاضرة تبحث في أسباب الكتابة المسرحية، ومسوغات استحضار الماضي، والتأكيد على سوسيولوجيا النص قريبا من مرموزاته النفسية، والإنسانية.

لقد كان الطلبة يدركون صعوبة تبسيط المسرحية، وحل مرتكزاتها الواقعية آخذين بنظر

الاعتبار جدة التجربة، وصعوبة البوح بانشطاراتها... أما الأساتذة، ولا سيما من كان معنيا بفضاء التجربة- وهم قلة- فقد كانوا مشغولين بتقويم أدائها نهاية كل شهر، رائدهم في ذلك(قراءة) المسرحية كما هي من دون حذف، أو نقص يوهم في الدلالة، ويتعالى على المقتربات، لقد كانت مهمتهم(أخلاقية) ينطلقون من أثرهم التنويري القابض على جمر الحياة.

ثم مضى زمن ليس بالقصير، وإذا بـ(رؤيا الملك) تنهض ثانية على واجهة الدرس الجامعي، في القسم نفسه ففي العام الدراسي (٢٠٠٣- ٢٠٠٤) كلفت بتدريس مادة (تحليل النص الأدبي) لطلبة الدراسات العليا، وإذا بالمسرحية تحضر ثانية، فيلتقطها الطلبة الأربعة قراءة وتحليلا، فكأنها أبت أن تفارق الدرس والمذاكرة ولا سيما أن طلبة الماجستير هؤلاء لم يكونوا من دفعة العام (١٩٩٩- ٢٠٠٠) وهكذا أشبعت بحثا، وتأويلا بعد أن صار الدرس فيها يدوم لساعات غير محددة مقرونا بتوافر عدد من المراجع التي تتحدث عن المسرحية، ومؤلفها حتى إذا انتهت السنة تقدم الطلبة الأربعة بدراسات جادة عن المسرحية رغب تلفزيون ديالى في تقديمها في ندوة أدارها الناقد (صباح الانباري) ولكنها للأسف الشديد لم تبث لأسباب تقنية على ما أتذكر...

وبعد: فلماذا العناية بـ(رؤيا الملك)؟، وما سر الاهتمام بها؟... (رؤيا الملك) لها ما يميزها من مسرحيات (زەنگەنە) فهي نص مسرحي تتشابك في مركزه، وأطرافه قضايا كثيرة، فهي بلغتها المحكمة تمنح القارئ فرصة لان يعيش تجربة (مملكة ميديا) بكل ما فيها من تناقض، وقهر إنساني، وضمور أخلاقي، فضلا عن أنساقها السردية التي تنقل القارئ من مشاهد القهر اليومي، إلى مشاهد قاعات الترف الملوكي، ودسائس الحكم، وكأنها مسرحية ملونة بوتائر طباقية همها اكتشاف(الأسْوَدَ)، والإشارة إلى ما هو ضده بحيادية تامة تسهم في دعم المعنى، والارتقاء به- فيما بعد- إلى لحظة الانحياز إلى (الحق)، الثيمة التي اشتغل الكاتب محيي الدين زەنگەنە عليها في الكثير من أعماله الأدبية، ولا سيما المسرحية منها.

وهل من أشياء أخرى؟... نعم، نعم، هي كثيرة، لعل الأهم منها موقف المؤلف من التاريخ، وقراءته الناقدة لسياقاته الحاملة لمضامينه، فهو لا يتقبل الواقعة التاريخية بوصفها نصا مقدسا، وإنما يعمد إلى تفكيكها إلى منظومات صغيرة يوليها النظر النقدي الذي يعيد تشكيلها من جديد على وفق رؤية تقرب (المُهَمَّش) إلى الواقعة نفسها، وتستفتي أسبابه، وتبحث عن وسائل اتصاله بالحدث العام.

الكاتب محيي الدين زەنگەنە لا يطمئن إلى الحدث المجرد، وإنما يعمد إلى قراءته بالرجوع إلى أسبابه، ومسبباته، وتقديم مسوغاته، وصولا إلى إعلان نتائجه... ما أكثر الوقائع التاريخية التي مرّت على ذاكرة (زەنگەنە)!، هي كثيرة، لكنّ الأهم فيها انه لم يتركها تجري في عقله جريان الماء في النهر، وإنما كان يعمد إلى وضعها تحت مجهر الكتابة المُكبِر للأشياء...

ثم ماذا بعد؟ لم يكن من السهولة على (صاحبنا) أن يقطع الصلة بالمسرحية، وهكذا قُدِّرَ له أن يكتب عنها دراسته (رؤيا الملك... دراسة أسلوبية) عسى أن يكون قد اخلص فيها لرؤيته البعيدة عن(رؤيا الملك).

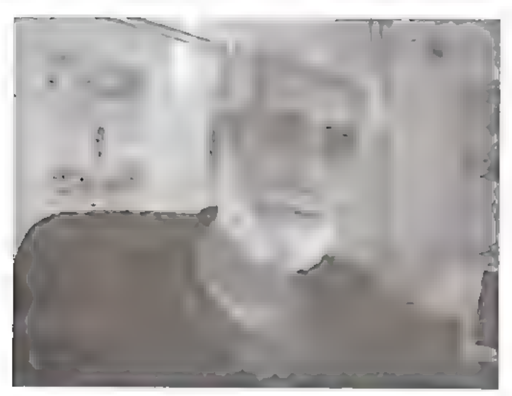
تلفزيون «العراقية» في كركوك
٤٠ عاما من العطاء الاعلامي

رزگار شواني - كركوك

تأسس تلفزيون كركوك (العراقية حالياً) في ١٩٦٧/١١/١٨ هذا المنبر الإعلامي الذي استطاع أن يقدم الكثير من العطاء الإعلامي خلال أربعين عاماً من عمره خدمة لفناني ومثقفي كركوك بمختلف قومياتهم وأطيافهم وكان مدرسة حقيقية للفن والثقافة عبر الأجيال، هذا التلفزيون كان الوحيد الذي يبث برامجه إلى محافظات السليمانية وأربيل ودهوك وبقية الأجزاء من كردستان إيران وتركيا وسوريا، وعمل فيه كوادر من المذيعين والمذيعات والفنيين بمختلف قومياتهم وطوائفهم وتركوا بصماتهم واضحة أصبحت تاريخا يذكره الأجيال .. زرنا مبنى تلفزيون العراقية-كركوك وأجرينا مع مديرها الفنان ناصر حسن هذا اللقاء:-

×الفنان ناصر حسن هل لنا أن نعرف العطاء الكبير الذي قدمه التلفزيون لمشاهديه طيلة هذه السنوات؟

- في الحقيقة مر التلفزيون بمراحل عديدة ويعتبر الثاني من نوعه بعد تلفزيون بغداد عندما تأسس ١٩٥٦ وتلفزيون كركوك عام ١٩٦٧ وقد لعب دورا



كبيرا في بداية تأسيسه وبشكل خاص نهاية الستينيات وفي السبعينيات من أجل نشر الوعي الثقافي والفني لعموم إقليم كردستان وبداية انطلاق لاعلام كردي مرئي على وجه الأرض في مدينة كركوك ويعتبر منعطفا تاريخيا لإعلام القوميات في المدينة وبالدرجة الأولى للكرد بعد اتفاقية آذار عام ١٩٧٠ وذلك بفتح قناة كردية متخصصة، حيث إن البث في البداية قبل مجيء التسجيل والفيديو وهذه التقنيات من تسجيل البرامج وكانت تأتي البرامج من بغداد معدة وتبث في كركوك من ضمنها بعض المنوعات الكردية التي كانت

تسجل في بغداد وأخص بالذكر الفنان المرحوم شمال صائب و ژيان احمد في الستينيات في تلفزيون بغداد وكانت تأتي تلك الأغاني مسجلة من بغداد إضافة إلى أغاني الفنانين (علي مردان و طاهر توفيق ومحمد عارف جزيري ونسرين شيروان وكلبهار و رسول كردي) هؤلاء كانوا من عمالقة الأغاني الكردية، وبعد عام ١٩٦٩ تم إكمال الأجهزة والأستديوهات في تلفزيون كركوك وبدأ التسجيل فيه، وكانت أول نشرة أخبار تم بثها في ذلك التلفزيون كانت باللغة الكردية من قبل (نامق محمد) الذي كان هاوي عمل لمدة شهر ومن بعده جاء الشهيد المذيع (جبار جباري) ومن بعده المذيع (هاشم جباري) الذي مازال موجوداً في الوسط الإعلامي والمستمر على مدى سنوات طوال لحين ٢٠٠٣ وكان رئيس قسم التنسيق والبرامج وله دور كبير في تنظيم الأمور البرامجية في هذا التلفزيون، في الحقيقة أن تلفزيون كركوك مر بثلاث مراحل سياسية مهمة جداً من عام ١٩٦٧ إلى نهاية السبعينيات وهي مرحلة تاريخية لهذا التلفزيون وتعتبر الفترة الذهبية له لتوسع البث فيه، وكان بمثابة تلفزيون إقليمي يغطي مدن كردستان بأسرها وكذلك مناطق خانقين وديالى وكذلك داخل الحدود الإيرانية والتركية والسورية، وأذكر هنا شيئا حين التقيت بالفنان المخرج (بهمن قبادي) بعد عرض فيلمه الكردي (ساتێك بۆمه ستى ئه سپەكان) في أربيل وقدموني إليه كوني (ناصر حسن) وعندما عرفني من اللحظة الأولى عانقني وقال لي أنت أستاذ كبير وأنا كنت أشاهد المسلسل الكردي (ژاله) الذي أخرجته وتم بثه من على شاشة تلفزيون كركوك آنذاك وكان يشاهد هذا المسلسل داخل كردستان إيران، وكان شيئا غريبا أن يصلهم البث من هذا التلفزيون باللغة الكردية بدون وجود الفضائيات، والمرحلة الثانية هي مرحلة الثمانينيات التي كان من المفروض أن تفتح قناة خاصة باللغة الكردية وتعزل عن اللغات التركمانية والسريانية والعربية في قناة أخرى بعد بيان آذار ولكن تأخر المشروع لأسباب سياسية إلى عام ١٩٧٥ افتتحت قناة خاصة باللغة الكردية وكان بثها لمدة ٦ساعات، وهناك قناة أخرى باللغات التركمانية والسريانية والعربية واستمرت إلى عام ١٩٨٠ إلى أن تم دمجها مع بقية اللغات في قناة واحدة وكانت فترة البث الكردي أكثر في هذه المرحلة، أما المرحلة الثالثة هي مرحلة الانتفاضة وبقي الوضع بهذا الشكل وبدأ الركود والجمود بسبب انقطاع الفنانين والمثقفين وأدباء السليمانية وأربيل ودهوك عن هذه القناة ولكثرة قنوات التلفزيون في كردستان وانتشار الفضائيات وموقف النظام السابق من الانتفاضة ومن الحكومة الكردية وبدأ انقطاع كبير للفنانين الكرد من محافظات كردستان الذين كان لهم دور كبير لخدمة الفن الكردي، وبعد سقوط النظام تمت عودة التلفزيون من جديد بعد أن تم في عام ١٩٩٨ إلغاء القناة الكردية وتم سحب الأجهزة ومعداتها إلى بغداد من قبل النظام السابق وتجميد كوادره الموجودة، وبعد سقوط النظام أصبح التلفزيون تابعا لشبكة الاعلام العراقي، ولكن نتمتع بشيء من الحرية لاختيار البرامج لأن كركوك متنوعة ولها قوميات وأطياف ونأمل إرجاع الحقوق لأهلها وأن تعود القناة الكردية كقناة مستقلة وأن تكون قناة أخرى للتركمانية والآشورية والكلدانية وأتوقع أن هنالك إمكانيات مادية جيدة إذا فكرنا بذلك، ان قناة العراقية الفضائية يتم نقلها بشكل مستمر وبثها على التلفزيون الأرضي ولا بأس أن تكون القناة الرياضية العراقية مستقلة أيضاً ونأمل من شبكة الاعلام العراقي ان تلتفت إلى هذه القناة وأن تعيد مجد تلفزيون كركوك وللأسف الآن نلاقي صعوبة لإيصال البث إلى خارج محافظة كركوك وتطمح أكثر أن تكون قناة العراقية كركوك قناة فضائية لأن كركوك موقع جيد لمادة خام للغات الكردية والتركمانية والكلدوآشورية والعربية، وعلى الرغم من أن تلفزيون كركوك مر بفترات سياسية متعاقبة ولكن باستطاعة الفنان الكردي أن يثبت وجوده وأن يقدم ما يريده

وحتى في أصعب الظروف وهنالك كثير من الأعمال الفنية منعت من ثم عرضت، فالمسلسل الكردي (ژاله) الذي أخرجته لاقى الكثير من المشاكل ولكن تم انتاجه بكل وسائل وإمكانيات الفنانين الكرد، وكان الفنان في تلك الفترة يقدم التأويلات في عمله وكذلك الشعراء والأدباء يعبرون باللون والشعر واللوحة عن ما في داخلهم ورغم الصعوبات التي كانوا يلاقونها ويبقى لتلفزيون كركوك دور كبير في ابراز الفنانين والمثقفين والمبدعين ونتمنى أن تكون الذكرى الـ(٤٠) لتأسيس التلفزيون انعطافة تاريخية جديدة ومرحلة جديدة في حياة هذا التلفزيون..

× منذ مرحلة سقوط النظام السابق ما هي مساهماتكم من أجل تطوير التلفزيون؟

- لقد ساهمنا في تطوير الحركة الإعلامية في كركوك أكثر من مساهماتنا في تطوير هذه القناة ومنذ السقوط ولحد الآن عمل أكثر من (٢٥٠) كادرا في هذا التلفزيون وتخرجوا منه وأنا اعتبر هذا المنبر معهدا اعلاميا وتدريبيا إذاعيا وتلفزيونيا وأن كركوك ينقصها الجانب الإعلامي وبعد سقوط النظام كان هناك نقص كبير في الكوادر التلفزيونية بسبب عدم وجود معهد الفنون الجميلة وكلية الاعلام ومن خلال هذه السنوات الأربع ساهمنا بدعم الكوادر الشبابية والذين يعملون الآن في الفضائيات الأخرى، وكذلك تم تغيير الأنظمة من الأجهزة القديمة لتلفزيون كركوك وابدالها بأجهزة حديثة من قبل شبكة الاعلام العراقي ونصب استوديوهات جديدة وفي الجانب الإنتاجي ليست لدينا قدرات مالية لعمل مسلسلات درامية وسهرات غنائية وموسيقية..

× مساهمات تلفزيون العراقية كركوك من أجل تطوير التعايش بين القوميات؟

- نحن تميزنا بهذا الجانب كدائرة إعلامية في كركوك وهناك برامج منوعة وبرامج ثقافية التي تقدم باللغات الكردية والتركمانية والعربية والكلدوآشورية وهناك تعاون كبير بين العاملين في التلفزيون الذين يعملون من أجل خدمة القوميات المتعايشة في كركوك ويبقى هذا التلفزيون منبراً حقيقياً للتآخي والمحبة والسلام والتعايش الأخوي بين القوميات وهنالك برامج مباشرة باللغات الأربع تساهم في خدمة هذه القوميات..

× ما هي الصعوبات التي تلاقونها؟

- فترة البث التلفزيوني هي واحدة من المشاكل وأنتم تعرفون بعد سقوط النظام السابق تم تلف أو نهب وسلب الكثير من الأجهزة والمعدات الأرشيفية وأنا أوجه ندائي إلى كل مواطني كركوك وخارجها من يملك أي شريط صوري أو صوتي مسجل يبادر بالاتصال بنا لغرض استعادته إلى التلفزيون لغرض الحفاظ عليه وسنرجع الأصل إليهم ونأخذ منها نسخة نحتفظ بها ولدينا آلاف من الأشرطة الموجودة التي تحتاج إلى أجهزة نظام (٢انج)ونطالب المنظمات الدولية لتوفير هذه الأجهزة في سبيل إرجاع المواد الموجودة في تلك الأشرطة التي هي بالأسود والأبيض إلى أرشيفنا إضافة إلى مشكلة أخرى نعاني منها وهي عدم توسيع ساعات البث التلفزيوني ولوجود مرسلة واحدة فقط نبث عليها الفضائية العراقية واستقطاع وقت لمدة خمس ساعات فقط للمحلي ونأمل من شبكة الاعلام العراقي تخصيص مرسلة خاصة لقناة تلفزيون العراقية كركوك كي تتنفس الصعداء وأن تكون هنالك مشاركات أكثر لفناني ومثقفي المدينة.. ونتمنى أن نعمل مع الزملاء من الإعلاميين والصحفيين في المدينة ومع كل القنوات الموجودة في المدنية لغرض تقديم برامج مشتركة وكذلك إجراء الندوات والدورات التدريبية ونحن جزء من الاعلام الكركوكي الذي نطمح أن تكون كركوك للكركوكيين ولعراق ديمقراطي فيدرالي موحد..

المقام العراقي

مصطفى عباس علي
استاذ في معهد الدراسات الموسيقية - بغداد

لكل امة اصيلة من الامم فنونها وتقاليدها ومعتقداتها وظواهرها المتأصلة الجذور والتي تتصل في اعماق التاريخ، وفن الموسيقى والغناء في اي عصر من العصور هو انعكاس لحياة المجتمع وتعبير عنه، وهو صور صادقة لها قيمتها في نقل التأملات والانفعالات والتطلعات من زمن الى آخر ومن جيل الى جيل.

والمقام العراقي نوع من الغناء والموسيقى العراقية، يعبر عن حياة العراق وتأريخه وحضارته وثقافته على مدى آلاف السنين، ويتكون من خمسة عناصر اساسية يعتمد عليها كل مقام على حدة في بنائه اللحني والموسيقي، وهي:

التحرير: المفردة بالبداية او الاستهلال لغناء احد المقامات، ويأتي هذا الاستهلال غالبا بكلمات والفاظ خارجة عن النص الشعري المغنى، مثل امان.. امان، او ويلاه... ويلاه.

القطع والاوصال: التنوع السلمي، اي التحولات السلمية او الاجناس الموسيقية ضمن علاقات لحنية متماسكة، والعودة دائما الى سلم المقام المغنى، وهذه التحولات او القطع ذات اشكال ثابتة ومحددة في مساراتها اللحنية.

الجلسة: النزول الى الدرجات الموسيقية المنخفضة باسلوب القرار، ولكن بمسار لحني محدد ذي شكل معين.

الميانة: ويأتي غناؤها بطبقة صوتية عالية بعد الجلسة مباشرة، وهي ذات شكل ومسار لحني معين، على ان هذه الجوابات او هذه الميانات ليس من الضروري جدا ان تسبقها جلسة، فقد تأتي صيحات غنائية عالية لها مقومات الميانة دون حاجة الى ان تسبقها جلسة.

التسليم: وهو نهاية المقام، ويأتي غالبا بالفاظ او كلمات غنائية خارج النص الشعري، شأنه في ذلك شأن ما يحدث في العنصر الاول «التحرير».

والحقيقة ان الممارسات الغنائية المقامية التي لها صلة مباشرة بالمقام العراقي عموما تجدها منتشرة بصورة متقاربة ومتشابهة في بيئة جغرافية واسعة الاطراف، ابتداء من بغداد وكوردستان ومعظم غرب واواسط آسيا (ايران وتركيا وبعض دول الاتحاد السوفياتي السابق)، جميعها تحوي كثيرا من العوامل المشتركة بين المد والخشونة، والجوابات المتكررة، والانفعالات. وقد تأثرت ببعضها بعضا. وفي بغداد

تمت منهجة المقام واصبح نصا مكتوبا ومرجعا يمكن الاستناد اليه، في حين ظل في البيئات الاخرى بل ملامح محددة. ولهذا اشتهر المقام العراقي بطريقة سريعة واصبح معروفا اكثر من غيره.

اما بخصوص الآلات الموسيقية التي تتكون منها الفرقة الموسيقية التي كانت ومازالت تصاحب مطرب المقام والتي تسمى في العراق (الجالغي)، فهي عبارة عن خمس آلات موسيقية وهي (السنطور، الجوزة (الكمانة او الكمنجة)، الطبلة (الدنبك)، الرق (الدف) والنقارة).

وفي الحديث عن آلة (السنطور) هذه الآلة العذبة الصوت والتي كان لها دور بارز في مرافقة المقام العراقي كان من اشهر عازفيها المرحوم (الحاج هاشم الرجب) والذي الف كتابا لتعليم العزف على هذه الآلة وكتابا ثانيا عن المقام العراقي، وايضا الاستاذ (وسام ايوب) الذي درس ودرّس هذه الآلة في (معهد الدراسات الموسيقية) في بغداد ونقل فنه الى العديد من طلابه، وهو حاليا مايزال يمارس العزف على هذه الآلة من خلال فرقة (المقام العراقي) التي ترافق مطربة المقام (فريدة) مع مجموعة من الفنانين الاساتذة امثال (محمد حسين كمر) كعازف على آلة الجوزة وغيرهم.

اما آلة (الجوزة) فيعد الاستاذ الفنان المرحوم (شعوبي ابراهيم) من اساتذة هذه الآلة، وكان له دور فعال ومشهود في توثيق وتدريس اصول غناء المقام العراقي، بسبب، مرافقته العديد من مطربي المقام امثال (محمد القبانجي، يوسف عمر) وغيرهم، فألف كتابا لتعليم اصول غناء المقام العراقي مدونا بالنوتة الموسيقية مع شريط صوتي.

ودرّس المقام في معهد الدراسات النغمية العراقي (معهد الدراسات الموسيقية حاليا) ودرس ايضا آلة الجوزة وتخرج على يده الكثير من العازفين ومنهم مطرب المقام العراقي الاستاذ (حسين الاعظمي) والاستاذ (محمد حسين كمر) والاستاذ (محمد صالح عمر) والاستاذ (كاظم جاسم محمد) وهؤلاء هم الذين واصلوا تدريس هذه الآلة في المعهد من بعده وتخرج على ايديهم الكثير ايضا.

اما آلة (الطبلة) فهي آلة ايقاعية كان من اشهر عازفيها الاستاذ (سامي عبدالاحد) والذي رافق العديد من كبار مطربي المقام العراقي، والاستاذ (ابراهيم الخليل) الذي عزف على آلة (الرق) وهي آلة ايقاعية ايضا.

اما عن ابرز مطربي المقام العراقي فنذكر منهم (جميل بغدادي، رشيد الفضلي، رشيد القندرجي، محمد القبانجي، يوسف عمر) وغيرهم، ويعتبر رشيد القندرجي من اساتذة المقام حيث تتلمذ على يده العديد من المطربين الذين عرفوا فيما بعد بغناء المقام.

ويقول البعض ان من ابرز شروط مطرب المقام امتلاك التعابير الفنية البيئية الحقيقية لغناء الملمح التراثي. وهي ميزة لايمكن تعلمها، لان قارئ المقام لابد ان يكون قد تربى في بيئة يتوافر فيها اداء المقام بشكل دائم. اضافة لامتلاكه صوتا قويا ذا طاقة كبيرة يمتد لمساحة جيدة من القرارات والجوابات في آن معا. ويرى مطرب المقام العراقي (حسين الاعظمي) ان غناء المرأة للمقامات امر ضروري نظرا لما يضيفه ذلك من رقة في التعابير على فن امتاز بسيطرة الاصوات الذكورية القوية والخشنة. اضافة الى حب للتراث والبحث عن مكنونات الادب والشعر.

وكثيرا ما تثار الاراء حول قدرة المرأة على ادائها للمقامات العراقية فأنت تجد بعض المتابعين يميلون الى الاعتقاد بقدرة المرأة على اداء المقام العراقي، في حين تجد البعض الاخر يرى ان صوت المرأة لايصلح لاداء المقامات، على الرغم من ان ساحة الغناء العراقية والدول المجاورة لها قد عرفت اصواتا نسائية جميلة جدا اختصصن بغناء المقام. ولتسليط الضوء حول مدى اسهام المغنية العراقية في اداء المقام العراقي، نجد ان من بين المطربات العراقيات اللواتي اشتهرن باداء المقام

العراقي المرحومة (صديقة الملاية) التي كانت تؤدي بعض المقامات كمقام (البهيرزاوي) الذي اشتهرت به ومقام (الحكيمي والمدمي)، وتعلمت (صديقة الملاية) اداء المقامات العراقية باصولها الصحيحة خصوصا الصعبة منها على يد مطرب المقام العراقي المرحوم (رشيد القندرجي)، فأجادت غناء المقام اجادة متميزة، حتى اصبحت مطربة بغداد والعراق التي يشار اليها بالبنان. والمطربة (زهور حسين) التي برعت في اداء اطوار غنائية مهمة مثل (الدشت)، وكذلك اشتهرت في اداء مقامات اخرى، و(زهور حسين) موهبة غنائية، وهي مطربة مبدعة، كانت اميرة مرحلتها في دنيا الغناء، ماهرة في اداء غناء في الريف والمدينة معا وكانت غريدة ملاهي بغداد خلال الخمسينيات والستينيات، حيث كان ملهى (ابو نواس) يزدحم بالمعجبين بصوتها في تلك الحقبة الزمنية، وكان هذا الملهى يقع في جانب ساحة التحرير ببغداد آنذاك. وعن طريق الاذاعة وصل صوت المطربة (زهور حسين) الى الناس حتى صار حديثهم، وراح الشعراء والملحنون يتهافتون عليها ويعرضون عليها اشعارهم والحانهم، والمؤسف انها رحلت قبل ان تستقر اجهزة التلفزيون في بغداد. تحتفظ دار الاذاعة العراقية بمجموعة فقيرة من اغنياتها الكثيرة التي ذهبت ادراج الرياح عندما كان البث الاذاعي حيا وعلى الهواء، وقد رحلت (زهور حسين) في عنفوان شبابها وفي اوج شهرتها في الغناء. بحادث مؤسف بين بغداد والحلة عندما كانت تقود سيارتها ومعها شقيقتها لغرض زيارة زوجها.

المصادر:

-اصول غناء المقام العراقي- الاستاذ شعوبي ابراهيم.

-الآلات الموسيقية المرافقة للمقام العراقي- الدكتور صبحي انور رشيد.

-المقام العراقي باصوات النساء- الاستاذ حسين الاعظمي.

بهمن قبادي:
افلامي نافذة من بين ملايين النوافذ التي يطل من خلالها العالم على كردستان

لقاء: دلشا يوسف

التقيت بمحض الصدفة بالمخرج السينمائي بهمن قوبادي في مدينة اربيل، استقبلني بوجهه البشوش والطفولي البريء وابتسامته اللطيفة واستجاب لطلبي في إجراء هذا اللقاء المتواضع معه.

بهمن قبادي الذي اصبح بمثابة سفير الكرد وكردستان في العشرات من المهرجانات الدولية، يصارع الوقت للعطاء وابراز ما هو مبهم عبر افلامه التي حكت معاناة الكرد وآلامهم في زمن اصبح الفن السابع خير وسيلة لنقل هذه المعاناة وتوضيحها للرأي العام العالمي، وفي وقت اصبحت الافلام اكثر تأثيراً من مؤتمر او حتى مهرجان. استطاع من خلال هذه الوسيلة ان يحاكي المشاهد وينقل له صورة حية عن شعبه من خلال مشاهد بغاية البساطة اعتمدت في اغلبها على صور الطبيعة الكردستانية بوديانها وجبالها وسهولها، ويأخذ الطفل مكانة واسعة في لوحاته السينمائية، لقد استطاع بنجاح ان يعرض معاناة شعبه المتوزع على بلدان اربعة من خلال عيون الطفولة والبراءة ، هذا الشعب الذي طالما عانى وما يزال يعاني من نير الظلم والاستبداد، يحّول شخوصه الى وطن، احياناً معلول ومشلول وبحاجة الى تشخيص وعناية للشفاء من علّته مثل (مهدي) في فيلم (زمن الخيول السكارى) واحياناً الى الفتاة الصغيرة الجميلة (آكرين) في فيلم (السلاحف تطير أيضا) حيث تغتصب من قبل اربعة عساكر (اشارة الى كردستان المغتصبة) وذلك عبر ممثلين بسطاء وغير محترفين. نعم انه المخرج الكردي بهمن قبادي الذي ولد في بلدة (بانه) التابعة لكردستان الشرقية (ايران) في شباط عام ١٩٦٩، عاش في مدينته حتى بلغ سن الثانية عشرة، ثم هاجر مع عائلته الى اقليم سنندج، وهناك حصل على الدبلوم في فن الاخراج السينمائي، وبعدها ذهب الى طهران لاكمال



دراسته وبهدف الحصول على الدبلوم العالي. كانت انطلاقته الفنية كمصوّر سينمائي. ليطلق لنفسه

وموهبته الفنان بعدها في عالم السينما والاخراج السينمائي. قام بتصوير واخراج فيلمه القصير «العيش في الضباب» الذي فتح الابواب على مصاريعها له و حصد العديد من الجوائز وتصّقلت موهبته الفنية وتوسعت رؤاه للأبعد. حيث قام باخراج فيلمه السينمائي الاول (زمن الخيول السكارى) وقام بعد ذلك باخراج ثلاثة افلام اخرى ، وشارك في اكثر من ٣٠ مهرجانا دوليا للسينما.

×ما سرّ زيارة بهمن قبادي لإقليم كردستان عدّة مرات في العام الواحد؟

انا احمل هموم حتى الشخصيات التي عملت معي في افلامي، فجميعهم اصدقائي واحاول تحسين وضعهم نظراً لما يعانونه من فقر مدّقع. لا احد يأويهم ولا احد يعتني بهم. أقوم بزيارة أقليم كردستان العراق كل سنة مرتين على الأقل لرؤيتهم ومحاولة تقديم يد العون لهم، لانهم بالفعل بحاجة ماسّة الى ذلك.

×من هم المخرجون الكرد و العالميون الذين تتابع أعمالهم؟

احب مشاهدة افلام المخرج الايطالي برناردو برتولوجي، ان افلامه الثلاثة نالت جوائز الأوسكار، انه صديق عزيز و يتابع أفلامي بإعجاب. كما احب المخرج الامريكي جم جارموش، المخرج اليوغسلافي أمير كاستوريتسا والمخرج التركي نوري بلكينج وخاصة فلمه (الاقليم) انه فيلم رائع. بالاضافة الى المخرج اليوناني انجلو بولوس في فلمه (الخطوات العكسية للقلق) و مخرجين آخرين.

×كيف تبني العلاقة بين الأكاديمية و النجاح السينمائي؟

قبل ثلاثة عشر عاما من الآن انتقلت لطهران من أجل الدراسات العليا. كانت الحياة في طهران صعبة جدا بالنسبة لي. عشت في غرفة واحدة في ظل ظروف المدينة الجامعية. درست و لكنني لم أنه الدراسة. تركت الدراسة لكوني لا اثق بالأكاديمية و لا أريد أن امنح شرف مهنتي كمخرج سينمائي للجامعة. تشعّبات الحياة هي التي صنعت مني بهمن قبادي المعروف.

×ما رأيك حول واقع السينما الحالي في كردستان؟

ان السينما في هبوط مستمر وخاصة بعد احداث ١١ أيلول و بشكل خاص السينما المستقلة، والاهم من كل هذا في الشرق الاوسط ، والانكى من ذلك كله الحرمان الذي يعانيه الشعب الكردي في الجانب السينمائي، ليس السينما فقط بل الاوبرا والمسرح والموسيقا ايضا. على الرغم من وجود اناس يريدون ان يعملوا في هذا الحقل الواسع ومتخصصين فيها لكن لا يوجد توّجه صحيح. سيكون الأمر صعبا على الأجيال الحالية من أجل الإبداع في هذا الفن. لا توجد شاشة سينمائية جيدة في كل كردستان، ١٠-١٥ شاشة لـ(٤٠) مليون كردي. و هذه كارثة ثقافية و فنية.

هناك فسحة أمل هنا في جنوب كردستان. هناك بعض الشخصيات تعمل من أجل تطوير الفن السينمائي، لكن تلزمنا التجربة، فالإقتصاد وحده لا يكفي، يتوّجب تطوير الفن و الثقافة عن طريق ايجاد نظام تعليم وتربية جديد و تطوير الإتصالات و الإعلام. إنظروا لقد أعلنوا مدينة السليمانية كعاصمة للثقافة، لكن اين هي من هذه الصفة؟

×كيف تحدد هوّية أفلامك و ما هي الرسالة التي تحملها أفلامك للعالم؟

الهوية بالنسبة لي ليست بالاهمية القصوى وانما الاهم من ذلك ما اطرحه في الفيلم. بالتأكيد تعكس أفلامي الواقع الكردي، واكثر من 95٪ من الناس يعرفونني كمخرج كردي ايراني . عن طريق هذه الافلام يتعرف العالم على الكرد. فبمجرد مشاهدتهم الفيلم، يبدأ المتلقي بالبحث عن الشعب الكردي ويريد التعرف عليه والقراءة عنه.

تشكل افلامي نوافذ لـ ٤٠ مليون كردي. فقد انجزت (٤) افلام لحد الآن بذلك أكون قد فتحت اربع نوافذ على الشعب الكردي، فجميع النوافذ مغلقة علينا وبهذه الافلام استطعنا ان نرى النور ونستنشق الهواء النقي.

فلم (زمن للخيول السكارى) يحكي ملحمة الكرد الحالية. فشخصية (مهدي) تعني كردستان معلولة ومشلولة، لكردستان لون أصفر وأثبت من خلال ذلك الفلم للعالم ان هناك بريق ضوء يرتفع من كردستان العراق وفلم (السلاحف تطير أيضا) يريد ان يقول للعالم أن الكرد يرغبون في الإنفصال. فشخصية الفتاة (آكرين) تمثل كردستان. الإعتداء على فتاة كردية وإغتصابها يعني الإعتداء على كردستان. المرأة هي بالنسبة لي كردستان نفسها. قتل آكرين لطفلها يعني قتل بذور الإغتصاب في كردستان.

×ماذا عن التمسك الشديد بالجانب المظلم من التاريخ الكردي في أفلامك؟

تطغى المعاناة على التاريخ الكردي. ان التاريخ الكردي مليء بالمآسي، فالكرد في ايران وسوريا وتركيا اغلبهم يعيشون تحت خط الفقر. لا يوجد بريق ضوء في كردستان. انا ارى اللون الاسود فقط في تلك الاجزاء اما هنا في الاقليم فالالوان تختلط وتصبح رمادية، انني ابرز الجانب القاتم دوماً. فعن طريق فيلمي ما قبل الأخير (السلاحف تطير أيضا) حاولت ابراز مشكلة الكرد ومعاناة اطفال الكرد في الوقت الراهن... ومشكلة الالغام المزروعة في ارض كردستان.

انا قادر على ان اخرج افلاما عن الجمال والطبيعة الكردستانية الخلابة وابرز مواطن الجمال في هذا الوطن ولكن عندها سيتم التساؤل.. .عجبا هل الكرد في حالة من الرفاهية ولا حاجة لهم بدولة؟

×ما هي اوجه إختلاف المخرج السينمائي بهمن قبادي عن المخرجين السينمائيين الكرد الآخرين؟

أنا لا اصنع الفلم بل أبعث الحياة. تخرج أفكاري من روحي ومن تجربتي الخاصة. افلامي عصارة التراكم الثقافي المتكّون لدي. أنا غاضب على الواقع ، اصرخ، افرّغ غضبي، أبكي مع شخوصي وأعاني معهم، أرى نفسي جزءا منهم، وعمري من عمرهم، اعيش في زمانهم تماما و من خلالهم ارى مستقبلي وحياتي. جميع أفلامي هم ذاتي أنا.

×ماذا عن السينمائيين الكرد هل ترى في الأفق بريق امل؟

نعم آمل ظهور سينمائيين محترفين كورد خلال الست (٦) سنوات القادمة، يعادلون في قدراتهم السينمائي الكردي يلماز غوناي. من بينهم (حميد قوامي)، (شهرام علي حيدري)، (بيزن فرحان بيره)، (بتين قبادي) ومخرجون آخرون.

×ما هي الأسس التي يعتمد عليها بهمن قبادي في الإخراج؟

ليست لدى السينمائي الكردي اسس يتبّعها ويبني عليها أعماله. ليس لدينا حتى ارشيف للسينما نحن نصنع الافلام من العدم. انا أكتب سيناريو الفلم بنفسي. ففي حال أردنامقارنة الكرد مع العالم، فنحن متأخرون جداً. لا يوجد عند الكرد معنى للوقت. هناك علل تستوجب معالجتها الى جانب افتقارنا لحرية التعبير والرأي.

×ما هي مشاريعك المستقبلية؟

لدي خطط كثيرة منها انجاز فلام عن كرد سوريا واكراد ارمينيا وتركيا، وهناك مشروع ضخم بالتنسيق والتعاون مع قناة ألمانية (ART) عن اجزاء كردستان الاربعة احاول ان انجزه خلال عامين وهو فيلم طويل (ثلاث ساعات) يتحدث عن قضايا مختلفة من جميع أجزاء كردستان. يستوجب مني الكثيرمن العمل.

×ما هي أكثر الصعوبات التي تعانيه في العمل؟

بالتأكيد اواجه صعوبات جمة ولا ادّعي انني سأنجزجميع مشاريعي، فهناك عقبات جدية نابعة من الانظمة التي تحكم كردستان، تعلمون ان النظام السوري يمنع صناعة الافلام عن الكرد في سوريا. كما لدّي مشاريع اخرى اريد ان انجزها هنا واشجّع حكومة الإقليم هنا على اقامة صالات عرض سينمائية وربما نعمل فلماً بدعم حكومة اقليم كردستان.

×كيف يريد ان يختم قبادي لقاءه هذا؟

الصمت... الصمت وحده طريق كلام لم يقل بعد.

«التحليق في سماء مختلفة» عن شێركۆ بێكەس
شعب من خلال شاعر

فاروق حجي مصطفى

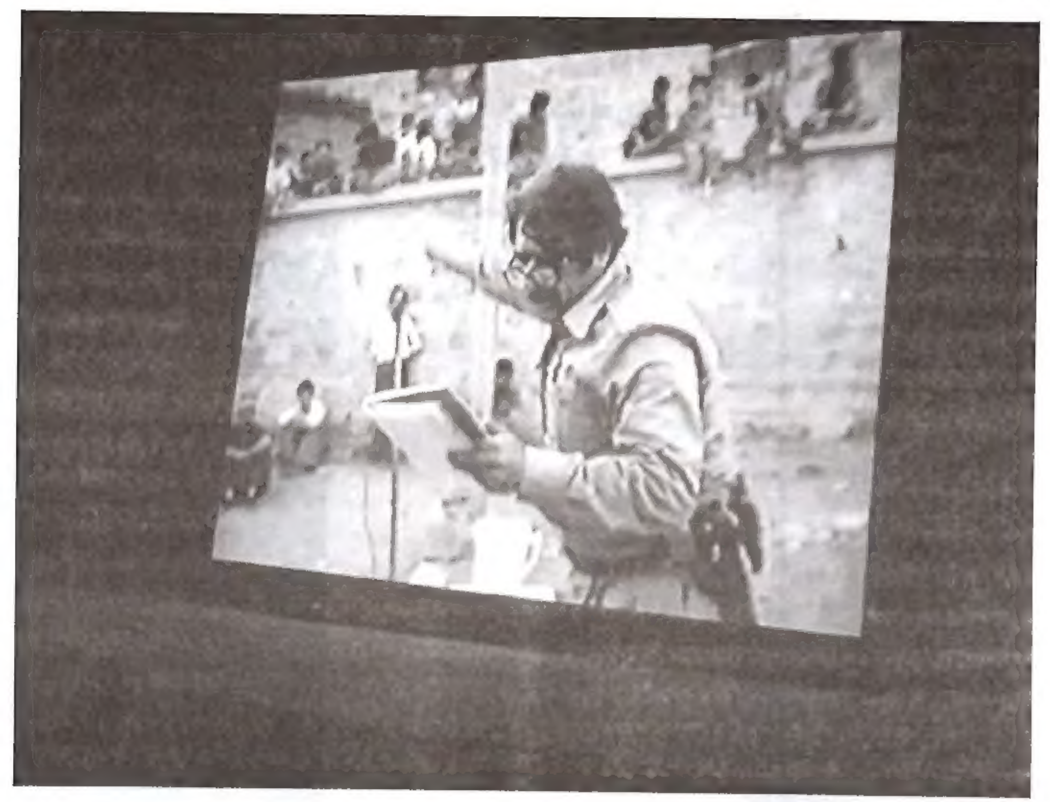
لأجل إعطاء قيمة للمبدع وعدم نكران أهمية الشعر والإبداع، حوّل المخرج الكردي العراقي الشاب سيروان رحيم حياة الشاعر الكردي الشهير شيركو بێكەس إلى فيلم سينمائي ضخم. بإخراج هذا النوع من الأفلام، أصبحنا فجأة أمام تحوّل آخر في مرآة الإبداع الكردي. يتناول الفيلم حياة الشاعر، وتتجوّل الكاميرا في الأمكنة كلّها التي خلّف بيكه س لساته وآثاره فيها، بدءاً من المكان الذي ترك في عمق الشاعر أثراً عميقاً، حيث ذكرى الطفولة والصبا في السليمانية في كردستان العراق، ثم إلى حلبجة حيث استقرت عائلته، تحديداً قرب دكان سورداش. شيئاً فشيئاً، تسرق الكاميرا الوقت وتنتقل إلى جبال كردستان، حيث قبل شيركو أن يكون مقاتلاً في قوافل البيشمركة، فتدخل مغارة سرديمان المشهورة، التي يذكرها كل بيشمركة كردي في كردستان. فجأة، تذهب الكاميرا إلى أزقة المدينة السويدية استكهولم، التي احتضنت شيركو لاجئاً، قبل أن يصبح فيها مواطناً حاملاً جنسيتها. هذا الفيلم بعنوان «فرين» (أي «التحليق» باللغة العربية)، موّلته شركة «فيلم ملم» في ألمانيا. بمهنية عالية، صوّر المخرج سيروان رحيم الأماكن التي لها ذكريات أليمة وحميمة لدى الشاعر، وكيف أن الأخير كان ينظر إلى الحوادث الكردية وإلى مأساة الكرد بدءاً من الأنفال وحلبجة وانتهاء بوظيفته كوزير للثقافة في إقليم كردستان. أراد بيكه س دائماً أن يكون لوالدته شفيقة حضور في كل مرة يُذكر فيها اسمه، ولهذا كان لها حضور طاغ في الفيلم، على نقيض والده الشاعر أيضاً الذي لم نجده في الفيلم (٨٢ د.). يُذكر أن مدة تصوير الفيلم وإخراجه دامت أكثر من عشرة أشهر، بدءاً من ربيع العام ٢٠٠٥. لغة الفيلم الأصلية هي الكردية (اللهجة السورانية)، وبحسب مخرج الفيلم سيُترجم إلى اللهجة الكردية غير لهجة بێكەس السورانية، وإلى اللهجة الكرمانجية واللغات التركية والألمانية والإنكليزية والسويدية، وسيُعرض في دور العرض الكردية والأقنية التلفزيونية الكردية والأوروبية، علماً بأن ألمانيا ستكون أول دولة تعرضه.

أما لماذا اختار المخرج الشاعر شيركو بيكه س، مع أن هناك كثيراً من الشعراء الكرد، فإن المخرج سيروان رحيم يقول إنه أراد تعريف «المتلقي الأوروبي والشرق أوسطي على المراحل كلّها التي مرّ فيها

الكرد»، مضيفاً: «أردتُ نقل صورة الكرد من خلال حياة شاعرنا شيركو بيكه س، بدءاً من مجزرة حلبجة وحملة الأنفال ومآسي الكرد الأخرى وانتهاء بتمرّدهم. كلّنا يعرف أن شيركو بيكه س رفض جائزة القادسية من صدام حسين، وهذه نقطة مجيدة في حياة الشاعر. إن حياته حافلة، وصورة حقيقية عن الكرد. كرّس حياته للنضال وانتقل إلى حياة البيشمركة وأصبح لاجئاً، وقبل كل شيء كان إنساناً يملك شعوراً مرهفاً يترجمه من خلال القلم إلى أشعار تفوح منها الإنسانية والنبالة في أقصى درجاتها». ورأى رحيم أنه «قبل كل شيء، فإن الفيلم رسالة للمبدع، فحواها أننا يجب ألا نهتم بالمبدع ونقيم له مهرجانات بعد موته. أردت إنتاجه بسرعة كي يرى بيّكەس نفسه، وكيف أن حياته باتت فيلماً. بهذا المعنى، انه تكريمٌ للمبدع الكردي». واعتبر رحيم، في حوار منشور على الموقع الإلكتروني «انترنيتي كردي» (مقره في أفيستا في ألمانيا): «ان الفيلم تحصيل حاصل. رسالة أردت أن أنقلها إلى المشاهدين جميعهم، قائلاً إن الكرد أيضاً يهتمّون ويقدّرون القلم والشعر، ولا تقتصر حياتهم كلّها على الهجرة والتشريد. نحن نعرف أن المتلقّي الأوروبي لا يعرف شيئاً عن الكرد غير صُوَر الحرب، ويعرفونهم على أنهم لاجئون. أريد أن أغيّر انطباعات المتلقّي الأوروبي وتصوّراته.

يبقى قول مفاده إن الفيلم مؤشر مهم على صعيد التطور الذي يحصل في المشهد الثقافي الكردي، وهو يعطي الإبداع الكردي فسحة وبعداً وتجربة أخرى.

صحيفة «السفير» اللبنانية ٢٠٠٨/١/٣.









سلسلة الكتب العربية الصادرة في دار سردم للطباعة والنشر





